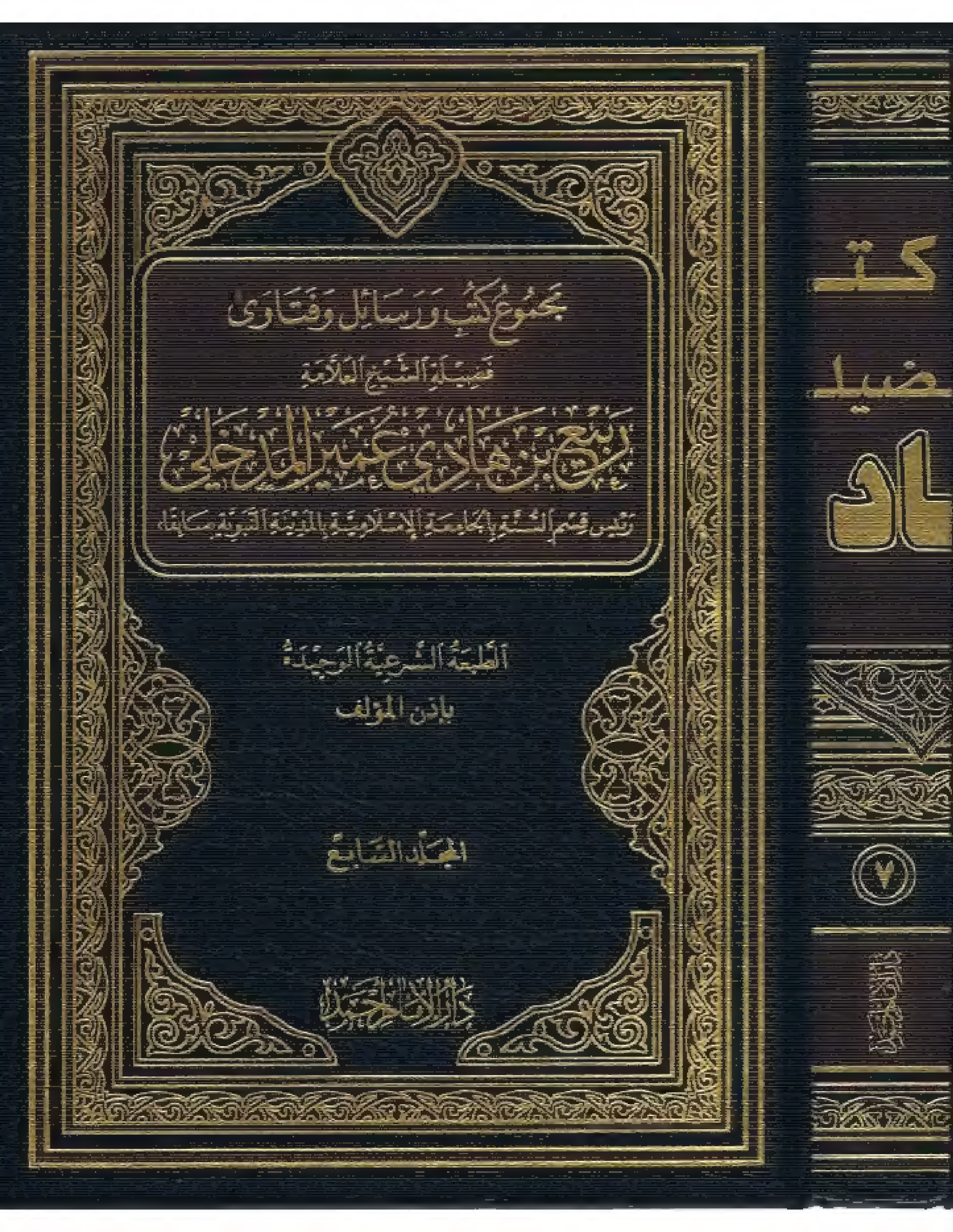


مجموع كتب ورسائل وفتاوى
فضيلة الشيخ العلامة
ربيع بن هادي عمير المدخلي
رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقاً
الطبعة الشرعية الوحيدة
بإذن المؤلف
المجلد السابع
دار الإمام أحمد
٧

موسوعة مؤلفات ورسائل وفتاوى

العلامة المحدث المجاهد ربيع بن هادي المدخلي

(٧)

١ - الحد الفاصل بين الحق والباطل

٢ - العواصم مما في كتب سيد قطب من القواصم

٣ - نظرات في كتاب (التصوير الفني في القرآن الكريم) لسيد قطب

٤ - ينبوع الفتن والأحداث الذي ينبغي للأمة معرفته ثم ردمه

٥ - أطوار سيد قطب في وحدة الوجود

٦ - من أصول سيد قطب الباطلة المخالفة لأصول السلف الصالح

٧ - التوضيح لما في خطاب محمد قطب عن كتب أخيه من التصريح

٨ - نقد كتاب الثقافة الإسلامية

٩ - نظرة سيد قطب إلى أصحاب رسول الله ﷺ

١٠ - سيد قطب هو مصدر تكفير المجتمعات الإسلامية



الحد الفاصل

بين الحق والباطل

«حوار مع بكر ابي زيد»

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقًا

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة حق وإنصاف وتأييد

قال العلامة المحدث محمد بن ناصر الدين الألباني في انتقاد الشيخ ربيع بن هادي المدخلي لعقائد سيد قطب ومنهجه:

«كل ما رددته على سيد قطب حق وصواب، ومنه يتبين لكل قارئ مسلم على شيء من الثقافة الإسلامية أن سيد قطب لم يكن على معرفة بالإسلام بأصوله وفروعه.

فجزاك الله خير الجزاء أيها الأخ (ربيع) على قيامك بواجب البيان والكشف عن جهله وانحرافه عن الإسلام»[1].

* * *

كل ما رددته على سيد قطب حق وصواب، ومنه
يتبين لكل قارئ مسلم على شيء من الثقافة الإسلامية أنه
سيد قطب لم يكن على معرفة بالإسلام بأصوله وفروعه
فجزاك الله خير الجزاء أيها الأخ (الربيع) على قيامك بواجب البيان
والكشف عن جهله وانحرافه عن الإسلام

---

(١) قالها العلامة الألباني معلقًا على خاتمة كتاب: «العواصم مما في كتب سيد قطب من القواصم».

المقـدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد:

فقد صدرت أربع ورقات قبل سنوات نسبت إلى الشيخ بكر أبو زيد؛ فلما سألته عنها تبرم بها وبمن نشرها، وقال لي: هؤلاء يريدون أن يفرقوا بين الأحبة.

وسأله عنها الشيخ زيد بن محمد بن هادي المدخلي فسب من ينشرها، واعتذر لدى آخرين أنها سرقت منه ونشرت من غير رضاه.

وإلى الآن لم يعترف بها رسميًا ولم يرض عن طبعها ونشرها، فهي إذن بمثابة لقيط ليس لها أب شرعي!

وحق لكل عاقل أن يخجل منها؛ لأن من تنسب إليه يرفض الاعتراف بها، وحق لمن تنسب إليه أن يخجل منها؛ لأنها تذب عن باطل وعن ضال كبير جمع كبريات الضلالات المخزية ومنها الطعن في رسول من أعظم رسل الله، ومن أعظم أولي العزم كليم الله ونجيه موسى ﷺ، ومنها الطعن في معظم أصحاب رسول الله ﷺ وعلى رأسهم عثمان رضي الله عنه، بل تكفير بعضهم ورميهم بالنفاق والكذب والرشوة وشراء الذمم إلى آخر سبِّه الشنيع لأصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم-.

فقل ما شئت من ذم لهذه الأوراق التي سميت زورًا بالنصيحة الذهبية ونشرت في العالم بكثافة عجيبة، فمن مذامها: أنها أضعف من بيت العنكبوت لخلوها من الحق والعلم والعدل، فلم تنصف من طعن فيهم سيد قطب من الأنبياء وأصحاب

رسول الله ﷺ ولم تنصف الإسلام؛ إذ نسب إليه سيد قطب شر العقائد وأضلها من القول بالحلول ووحدة الوجود وتعطيل صفات الله، والاستهانة بمعجزات محمد ﷺ، ومن نسبته الاشتراكية الماركسية إلى الإسلام ومن إهانته للإسلام بقوله: «إنه يصوغ من الشيوعية والمسيحية مزيجًا كاملًا يتضمن أهدافهما ويزيد عليهما بالتناسق والاعتدال»، إلى غير ذلك من الضلال.

ولكن أتباع كل ناعق قد جعلوا منه قديسًا أعطوه مرتبة من لا يسأل عما يفعل، فمن أجله يوالون ومن أجله يعادون، فجعلوا أنفسهم في أحط مراتب البشر فلا عقل لهم يردعهم ولا ينهجون نهج الإسلام في ولائهم وبرائهم وأحكامهم ومواقفهم، وهذا شأن الرعاع في كل زمان ومكان، وبأمثالهم يحارب الرسل والمصلحون ودعاة الحق في كل زمان ومكان، ومن خلالهم تبرز الأقماء فيحتلون مراتب العظماء، ثم يتحول هؤلاء الأقماء إلى طواغيت يحارب من أجلهم دين الله الحق ودعاته.

وإنها لداهية دهياء أن يرتكس كثير من شباب الأمة في هذه الهوة العميقة ثم لا ينبعث منهم من ينهنه بقيتهم من التردي في هذه الهوّة.

وأخيرًا، وجدت نفسي مضطرًا إلى الإذن بطبع هذا الكتاب: «الحد الفاصل»؛ بيانًا للحق ونصرًا له ودمغًا لباطل سيد قطب الذي ينشر باسم الإسلام، وردعًا لبغي أوليائه المناصرين للباطل والذابين عن أهله.

وكان هذا مني بعد طول انتظار لموقف منصف من بكر أبو زيد يعلن فيه إدانة من يقوم بنشر أوراقه وباسم النصيحة الذهبية ويتبجح بها؛ فلم يفعل فاضطررت لنشر ردي بعد أن أعذرت إلى بكر أبو زيد وإلى كل من قد يعتب.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

ربيع بن هادي عمير المدخلي

في ١٤/٥/١٤٢١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى فضيلة المكرم الشيخ الدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد، وفقه الله وأعاده الله إلى حظيرة الحق والصواب:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

أما بعد:

فقد وصل إلي خطابكم المؤرخ بـ (٢٠/١/١٤١٤هـ) والواقع في أربع صحائف في ليلة أربع عشرة من رمضان المبارك عام (١٤١٤هـ) أي: بعد سبعة أشهر وأربع وعشرين ليلة من تاريخ كتابته، لا عن طريق فضيلتكم ولكن عن طريق الحزبيين القطبيين وإخوانهم من أهل البدع الضالين.

فإذا بالكتاب يحمل في طياته من البلايا ما يندى له الجبين من الطعون الباطلة الظالمة لمن يدافع عن كتاب ربِّ العالمين وسنة سيد المرسلين ومنهج الأنبياء في التوحيد ومنهج السلف الصالحين.

ومن يصد عدوانِ المبتدعين عن بعض النبيين والصحابة الأكرمين، وثالث الخلفاء الراشدين، وعن خلفاء بني أمية الفاتحين، والمحطمين لعروش ودول الكافرين والغائظين للروافض والزنادقة والملحدين، الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «لا يزال هذا الدين عزيزًا منيعًا إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش»[1] أي: الأكرمين.

لقد أساء هذا الخطاب الذي حشي وشحن بالأباطيل كل مؤمن صادق يحب الحق والكتاب والسنة ومنهج الأنبياء والسلف الصالحين، وأفرح وأنعش أهل الفتن والشغب الثائرين على الحق وأهله وعلمائه والشاغبين عليهم من كل حزبي تائه ويدعي تافه.

---

(١) أخرجه مسلم في الإمارة حديث (١٨٢١)، وأخرجه البخاري نحوه في الأحكام حديث (٧٢٢٢)، وأحمد نحوه (٥/ ٨٧).

لقد كان سيد قطب نفسه أقرب إلى الحق والإنصاف من هؤلاء الشاغبين، حيث يقول: «إن منهج الله ثابت، وقيمه وموازينه ثابتة، والبشر يبعدون أو يقربون من هذا المنهج، ويخطئون ويصيبون في قواعد التصور وقواعد السلوك، ولكن ليس شيء من أخطائهم محسوبًا على المنهج، ولا مغيرًا لقيمه وموازينه الثابتة.

وحين يخطئ البشر في التصور أو السلوك، فإنه يصفهم بالخطأ وحين ينحرفون عنه فإنه يصفهم بالانحراف ولا يتغاضى عن خطئهم وانحرافهم -مهما تكن منازلهم وأقدارهم- ولا ينحرف هو ليجاري انحرافهم! ونتعلم نحن من هذا، أن تبرئة الأشخاص لا تساوي تشويه المنهج! وأنه من الخير للأمة المسلمة أن تُبقي مبادئ منهجها سليمة ناصعة قاطعة، وأن يوصف المخطئون والمنحرفون عنها بالوصف الذي يستحقونه

-أيًا كانوا- وألا تبرر أخطاؤهم وانحرافاتهم أبدًا، بتحريف المنهج، وتبديل قيمه وموازينه؛ فهذا التحريف والتبديل أخطر على الإسلام من وصف كبار الشخصيات المسلمة بالخطأ أو الانحراف.. فالمنهج أكبر وأبقى من الأشخاص»[1].

على أي أساس توجب نشر تلك الكتب، كتب سيد قطب التي شحنت بالبدع والضلالات الكبرى والأباطيل والانحراف والترهات، وتمدحها وتغض الطرف عن قبائحها ومخازيها.

وما هذا التوقيت العجيب لهذا الخطاب المريب في شهر رمضان المبارك شهر الصيام والقيام والعبادة والتلاوة والإخلاص لرب العالمين، وفي بلد الله الحرام والمسجدين الشريفين وغيرهما شغلت الناس به وأشعلت القلوب والنفوس بنيران الفتن فطار به الجهلة الأغبياء أشرًا وبطرًا.

* * *

(١) انظر كتاب: «في ظلال القرآن» (١/ ٥٣٢) من تفسير سورة آل عمران.

قصة محزنة

كان الشيخ بكر جنديًا مناضلًا عن السنة، وكان له جهاد مشكور في نصرته السنة وأهلها، وإن كان في جهاده قد يتصدى للضعفاء الغرباء الذين ليس لهم شوكة ولا قوة مثل: الصابوني وأبي غدة اللذين لا يتأثر بكتاباتهما أهل السنة، بل يحتقرونها ويرفضونها، ويتحاشى من لهم شعبية وأنصار يغضبون لهم، مثل الغزالي والبوطي وسيد قطب وعلوي مالكي والمودودي وغيرهم، يتحاشى هؤلاء مهما بلغ أذاهم للسنة وأهلها، ومهما بلغ خطرهم على السنة والعقيدة وأهلهما، ولاسيما سيد قطب الذي اقتحم منهجه الخطير الشباب السلفي، واخترقهم أشد أنواع الاختراق، بل دمر كثيرًا من تجمعاتهم.

ومع هذا فلو بَرَدَ عمله على ما تقدم لبقي محمودًا مشكورًا عند أهل السنة؛ لكن مع الأسف لم يفاجأ أهل السنة به إلا وهو في الضفة الأخرى؛ ضفة أنصار البدع وحماتها والذابين عن زعمائها ومناهجهم وأفكارهم.

فلم يشعروا أهل السنة إلا وقد وجه لهم أول قذيفة[1] هزت مشاعرهم وجعلتهم يقلبون أكفهم دهشة وحيرة وتعجبًا، ثم قرروا الإغضاء عنه والسكوت المطبق عنه أملًا أن يندم ويعود إلى صوابه بمحاسبة نفسه ومراقبته لربه، ثم إذا بهم يفاجأون مرة أخرى بقذيفة كبرى[2] أكبر من أختها؛ فكان وقعها أشد، وأثرها أنكى فعظمت الدهشة، وكثر الاستنكار، فمن حاثٍ على الرد عليه ومن مستعدٍّ للرد عليه.

وعلم الله أنني رفضت الرد عليه مع كثرة الإلحاح عليّ والحث لي على ذلك، بل كنا وسائر المشايخ نهدئ الشباب ونقول لهم: هو أخونا ومنا؛ فعليكم بالصبر، ولقد عتبت عليه في مكتبه بالطائف فزعم أنه لا يقصد ولا يقصد، ووعدني بالبيان الذي يذهب اللبس عن الناس ويبين لهم، يقصد أناسًا ليسوا من أهل السنة، ولا يدافع إلا عن علماء السنة؛ الشيخ الإمام ابن باز حفظه الله ومد في عمره

---

(١) هي كتابه: «لا جديد في الصلاة».

(٢) إشارة إلى كتابه: «تصنيف الناس».

وإخوانه.

ومع علمه باستغلال أهل الشغب والفتن لكتابه المذكور في الطعن في أناس من أهل السنة والدفاع عن الحزبيين القطبيين أنصار أهل البدع، مع علمه بهذا كله لم يف بوعده لي ولا لغيري، ومر على وعده مدة طويلة وأهل الفتن يشغبون بكتابه هذا على أهل السنة والحق في طول هذه البلاد المترامية الأطراف وعرضها شرقها وغربها شمالها وجنوبها.

بل امتدت هذه الفتنة إلى البلاد الأخرى، ولم يكفه كل هذا من انتشار فتنته من جهة ومن صبر وسكوت أهل السنة المظلومين من جهة أخرى، بل وجه لأهل السنة هذه القذيفة الثالثة[1] التي هي أكبر من أختيها.

قد يقول بعض الناس: إنها موجهة إلى شخص واحد، فما دخل أهل السنة فيها.

وأقول: اسألوا أهل السنة المحضة وهم كثير في هذه البلاد وفي الشام واليمن والهند وباكستان وغيرها من البلدان:

هل هذه القذيفة ضدهم وضد عقيدتهم ومنهجهم، أو هي لنصرتهم ونصرة عقيدتهم ومنهجهم وشد لأزرهم؟! أليست هي ضد كتاب يدافع عن عقيدتهم في الله؟! ويدافع عن أصحاب رسول الله؟! إلى آخر القضايا التي تضمنها الكتاب؛ فكيف لا يدركون هذا الواقع وكيف لا يستاءون منه أشد الاستياء؟

ماذا حوت أوراق الشيخ بكر؟

يمكن أن نسمي هذه الأوراق بالصفحات الظالمة:

١- لأنها اشتملت على الباطل والإثم وخلت خلوًا كاملًا من العلم وأساليب العلماء، وحشيت بالتلبيس الذي خدع الشباب الحزبي ورسخ في نفوسهم ما غرسه فيهم دعاة الباطل من تقديس من لا يجوز تصنيفه إلا في أئمة الضلال الجامعين

---

(١) إشارة إلى خطابه هذا.

للبدع الكبرى التي قل أن تجتمع إلا فيمن طبع الله على قلوبهم وأصمهم وأعمى أبصارهم، ولا يستمر على تقديسه والذب عنه بعد أن فيض الله من يكشف عواره وبين ضلاله إلا كل من سقط من عين الله : ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾[الحج : ١٧].

٢- ولأنها قد تعمد صاحبها الإجمال والإطلاق كما هو شأن كل ناصر للباطل مدافع عنه، تعميه الأدلة ويعجز عن النقد العلمي الصحيح ومقارعة الحجة بالحجة فيلجأ إلى التمويه والإجمال والغمغمة، ولا يفرح بهذه الأساليب إلا الغثاء الذين لا يدركون هوان الباطل وحقارته، ولا يدركون قيمة الحق الأبلج ونضارته ومكانته.

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى-:

فعليك بالتفصيل والتبيين فالـ إطلاق والإجمال دون بيان
قد أفسدا هذا الوجود وخبطا الـ أذهان والآراء كل زمان

وسبحان الله!! كيف لم يستفد الشيخ بكر على الأقل من كتابي ابن القيم : «النونية»، و«الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» وهما إنما يعالجان بعض ما عند سيد قطب؟!

فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!!

وبخصوص ردي هذا عليه فما كنت أحب أن أرد عليه، ولتلافي ذلك فقد اتصلت به هاتفيًا وسألته عن كتابة هذه الأوراق، هل هو كتبها أو غيره؟! فإن كان هو كتبها فليعتذر، وإن كان غيره فليتبرأ منها وأعطيته مهلة أسبوعين، ثم كلمه عدد من الأفاضل لعله يعتذر، منهم الشيخ صالح الفوزان كما بلغني، ومنهم الشيخ زيد محمد هادي، والشيخ علي حسن عبد الحميد.

ولَمّا كان لكتاب: «التصنيف» ولهذا «الخطاب» من الآثار الخطيرة على الشباب في بلدان كثيرة، كالمملكة العربية السعودية، والكويت، والإمارات العربية، وقطر، والجزائر وغيرها من البلدان التي شغلتني وشغلت غيري بالاتصالات والشكاوى المرة للآثار الكبيرة التي نشأت عن توزيع هذه الأوراق

بكثافة لم يعهد لها نظير وفرح أهل الفتن بها، وارتفعت رءوسهم بعد انتكاسها.

رأيت أنه لابد من الرد الحاسم، الذي أسأل الله أن يكشف به الغمة، ويرفع به منار الحق، ويدحض به الباطل ويضع به الأمور في نصابها.

لفتات نظر

١- ومما يلفت النظر: أن هجمات أهل البدع في هذه الأيام قد اشتدت على أهل السنة والحديث؛ ولاسيما على شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وأئمة الدعوة في نجد من مثل الخليلي الخارجي، ومثل السقاف الصوفي الجهمي، ولم يحرك الشيخ بكر ولا الحزبيون أي ساكن.

٢- أنهم لا يتحركون في نشر وإشاعة الكتب التي تدافع عن ابن تيمية وابن القيم وأئمة الدعوة بل قد يغيظهم ذلك، وقد حاربوا كتاب: «براءة أهل السنة» للشيخ بكر أيام صدوره.

٣- لقد طعن سيد قطب في نبي من أنبياء الله وفي عثمان وإخوانه من صحابة رسول الله ﷺ فلم يهز مشاعر الحزبيين ولا وجدانهم، فسبحان الله من كان يظن بل من كان يتخيل مهما اشتط به الخيال أن يصبح أبناء التوحيد حماة ومدافعين عن عقائد الجهمية والخوارج والروافض والمعتزلة والفلاسفة المتمثلة في عقائد سيد قطب ومنهجه؟!

يا أبناء التوحيد المدافعين عن نحل سيد قطب أفيقوا من رقدتكم، ثم دعوا هذه المحاماة المخزية عن هذا الضلال لأبناء قم والنجف وسائر عواصم البدع والضلال، ونزهوا بلاد التوحيد والسنة عن الدفاع عن أئمة البدع والضلال وبدعهم.

إن هذا الموقف ليدل على مدى الدمار الذي نزل بأبناء التوحيد والسنة في بلاد التوحيد والسنة على أيدي القطبيين وغيرهم من أحزاب الهوى والضلال؛ فاللهم أنقذهم من براثنهم.

ومن المؤسف جدًا: أنهم طاروا فرحًا بخطاب الشيخ بكر وملئوا به الدنيا لأنه

دفاع عن سيد قطب المخالف لعقيدة السلف ومنهجهم والطاعن في أصحاب رسول الله ﷺ، وسيظلون مع الأسف بالمرصاد لمن ينتقد سيد قطب ولو قدَّم على كل قضية ألف حجة وحجة، وعلى أهبة الاستعداد لنشر الأباطيل المدافعة عنه، إلا أن يتداركهم الله برحمته ولطفه؛ فاللهم ارحمهم والطف بهم.

كتبه

ربيع بن هادي عمير المدخلي

المدينة النبوية- ١٤١٤هـ

قال الشيخ بكر أبو زيد:

«بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الأخ الشيخ: ربيع بن هادي مدخلي الموقر.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد:

فأشير إلى رغبتكم قراءة الكتاب المرفق: «أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره» هل من ملاحظات عليه، ثم هذه الملاحظات هل تقضي على هذا المشروع فيطوى ولا يروى، أم هي مما يمكن تعديلها فيترشح الكتاب بعدُ للطبع والنشر، ويكون ذخيرة لكم في الأخرى، بصيرة لمن شاء من عباده في الدنيا، لهذا أبدي ما يلي: . . .

ثم شرع في إبداء ملاحظاته . . . إلخ»[1].

أقول: إني أرسلت الكتاب المذكور إلى عدد من العلماء ومنهم: شيخنا سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ محمد بن صالح العثيمين، والشيخ صالح الفوزان، والشيخ محمد ناصر الدين الألباني، والشيخ عبد المحسن العباد، والشيخ محمد أمان الجامي، والشيخ زيد محمد هادي المدخلي، والشيخ أحمد يحيى نجمي، والشيخ بكر أبو زيد راغبًا في إبداء ملاحظاتهم على أخطاء إن كانت حصلت مني، كما هو شأن البشر الذين لم تعط العصمة لأحد منهم إلا للأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام-؛ ولم أطلب من أحد منهم القضاء على هذا الكتاب المبارك الذي امتاز -والحمد لله- بالصدع بالحق ونصرته ودحض الباطل وإزهاقه.

---

(١) (ص١) من خطابه.

استنكــار

فمن المستنكر جدًا من الشيخ بكر قوله: «هل يقضى على هذا المشروع فيطوى ولا يروى»؟

وهل يطلب مثل هذا الطلب إنسان يعقل؟!

سبحان مقلب القلوب!!

اسألوا أيها القراء العلماء الذين ذكرتهم آنفًا هل طلبت منهم هذا المطلب؟!

تأييد قوي من العلماء

ولقد جاء التأييد القوي من عدد من العلماء الأفاضل، وفرح بهذا الكتاب المبارك كل سلفي صادق في الشرق والغرب من علماء وطلاب علم، وكثير من المخدوعين بسيد قطب وكتاباته، ولا أشك أنه قد شرق به كثير من أهل الأهواء الذين يرفضون الحق ويتشبثون بالباطل، فهؤلاء لا يسعنا إلا أن نرثي لحالهم ونرحمهم ثم نستذكر قول الله تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٥].

كان الأولى بالشيخ بكر أن يحاول القضاء على كتب ضم بعضها التطاول على نبي الله موسى كليم الله ونجيه والوجيه عنده مثل بدعة: «التصوير الفني»، وضم بعضها الطعن في عثمان بن عفان الخليفة الراشد، وفي الصحابة الكرام الذين عاشوا في عهده وعلى رأسهم عبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص -رضي الله عنهم أجمعين-.

وضم بعضها تعطيل صفات الله - تبارك وتعالى - ووحدة الوجود وتكفير الأمة إلى آخر الدواهي التي ضمتها كتب سيد قطب، كان هذا هو الأولى به وهو منهج السلف ومنهجهم العظيم الذي حفظ الله به الحق وأهان به الباطل وأذله.

انزعاج الشيخ بكر في غير موضعه واتهامه باطل

قال الشيخ بكر مبديًا أولى ملاحظاته: «١- نظرت في أول صفحة منه -فهرس الموضوعات-؛ فوجدتها عناوين قد جمعت في سيد قطب رحمه الله أصول الكفر والإلحاد والزندقة، القول بوحدة الوجود، القول بخلق القرآن، يجوز لغير الله أن يشرع، غلوه في تعطيل صفات الله تعالى، لا يقبل الأحاديث المتواترة[1]، يشكك في أمور العقيدة التي يجب الجزم بها... إلى آخر العناوين التي تقشعر منها جلود المؤمنين، وأسفت على أحوال علماء المسلمين في الأقطار الذين لم ينبهوا على هذه الموبقات، وكيف الجمع بين هذا وبين انتشار كتبه في الآفاق انتشار الشمس، وعامتهم يستفيدون منها حتى أنت في بعض ما كتبت، عند هذا أخذت بالمطابقة بين العنوان والموضوع فوجدت الخبر يكذبه الخبر، ونهايتها بالجملة عناوين استفزازية تجذب القارئ إلى الوقيعة في سيد رحمه الله وأما القارئ الذي عنده قدر يسير من البصيرة فإنه إذا قرأ الموضوع داخل الكتاب سيجد عنده ردة فعل قوية نحو ما كتبت وعودة الحنين إلى كتب سيد -رحمه الله تعالى- وإني أكره لي ولكم ولكل مسلم مواطن الإثم والجناح، وإن من الغبن الفاحش إهداء الإنسان حسناته إلى من يعتقد بغضه وعداوته»[2].

ما ذنب ربيع إذا كان سيد قد اختار هذا المنهج؟

أقول:

أولًا: ما ذنب ربيع إذا كان سيد قطب قد اختار هذا المنهج الخلقي لنفسه

---

(١) هذا العنوان أصله هكذا: «سيد لا يقبل أخبار الآحاد الصحيحة بل ولا المتواترة» فلا أدري لأي غرض بتره الشيخ بكر، وقد ضربت أمثلة في الأضواء للعقائد التي يتأولها سيد على طريقة الجهمية ولا يلتفت فيها إلى الأدلة القرآنية ولا الأحاديث النبوية المتواترة. راجع (ص٢٠٥) من «أضواء إسلامية»، وبينت أقوال علماء الإسلام في أخبار الآحاد التي تلقتها الأمة بالقبول أنها تفيد العلم ولم يعبأ بها سيد في مجال الاعتقاد. انظر (ص٢٠٤) من الكتاب المذكور.

(٢) (ص ١) من خطاب الشيخ بكر.

فسجل هذه الموبقات وسطرها بقلمه في ثنايا كتبه التي وصفتها بأنها انتشرت في الآفاق انتشار الشمس[١]، سطرها اختيارًا لها واحتفاء بها باختياره ومنتهى حريته وطواعيته.

لا لوم على ربيع في نقد مؤلفات ادرك خطرها:

وإذا كان ربيع قد أدرك هذه الموبقات وأدرك أخطارها ثم وفقه الله لنقدها وتفنيدها بالحجج الدامغة والبراهين الساطعة من كتاب الله وسنة رسول الله وكلام السلف الصالح، فهل يلام على القيام بهذا الواجب الكفائي عند أولي الألباب ويخذل أو يشكر ويؤازر وينصر؟ انطلاقًا من أمر الله بالتعاون على البر والتقوى، وانطلاقًا من أمر الله ورسوله بنصرة هذا الدين العظيم وأهله.

ثانيًا: لقد صرح الشيخ بكر أنه وجد هذه الموبقات في فهرس الكتاب.

وإن في طليعة الفهرس وفي طلائع الكتاب:

١- أدب سيد قطب مع نبي الله موسى.

٢- موقف سيد من عثمان وأصحاب رسول الله ﷺ، وكنت قد أخبرته قبل أن أقوم بتأليف الكتاب بطعن سيد في عثمان ومعظم الصحابة في كتاب: «العدالة الاجتماعية» واستشرته في عنوان للكتاب فيه قوة وصراحة، ثم أعرضت عنه مراعاة وتأليفًا للضعفاء من القراء فلم يعارض في هذا الأمر؛ فما باله لم يعرج على هذين العنوانين في هذا السرد؟ ولماذا حاد عنهما؟

ولماذا لم يأبه بتطاول سيد على مقام ومكانة نبي عظيم ورسول كريم كليم؟!

ولماذا لم يأبه بطعن سيد قطب في الخليفة الراشد عثمان بن عفان وإخوانه من الصحابة الكرام؟!

لماذا لم تحرك فيه كوامن العقيدة، ومنها حب أصحاب رسول الله ﷺ واحترامهم والقيام بواجب الذب عنهم، وعلى أقل تقدير نصرة من يذب عن

(١) الظاهر- أنه شبه انتشارها بانتشار الشمس في الإضاءة والإشراق والنفع الكبير

أعراضهم الشريفة؟!

تأييد السلفيين لكتاب: «براءة أهل السنة»

لقد كتبت كتاب: «براءة أهل السنة»، ردًا لطعون أبي غدة في شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وذبًا عن عرضهما وعن أعراض علماء آخرين، فأيدك كل سلفي، وشرق بذلك كل حزبي خلفي، وناهضوا كتابك القيم الآنف الذكر وإلى اليوم لا يزال غصة في حلوقهم.

فما بالك يا فضيلة الشيخ بكر، ويا أيها السلفي تغض طرفًا وتضرب صفحًا وتطوي كشحًا عن تطاول سيد على نبي كريم ورميه بنقائص لو رميت أنت بها لأقمت الدنيا ولم تقعد!!

ولماذا تضرب صفحًا عن تطاوله على الخليفة الراشد عثمان ينال من شخصيته، ويسقط خلافته، ويثلب إخوانه من الصحابة الكرام؟! كل هذا لم يهز سلفيتك

ولا مشاعرك ولم يقشعر منه جلدك؟

أتثأر وتهيج للجاني ثوران الأسود؟ فتجعل الحق باطلًا والباطل حقًّا والمسيء محسنًا والمحسن مسيئًا قبيح الصورة شائه الفعال سيئ المقال.

ما عهدنا سلفيًا يغضب لأهل الباطل والبدع

فوالله ما عهدنا سنيًا سلفيًا غضب لأهل البدع والباطل مثلك ولا عرفنا أحدًا ثأر لأهل البدع والباطل مثل ثأرك[1]، وكان اللائق بك على الأقل أن تخلي الميدان لأهل البدع يصولون ويجولون فيه بالباطل والبهت لنصرة الأباطيل والضلالات والترهات.

ثالثًا: من مآخذ الشيخ بكر عليَّ: أني قلت عن سيد قطب أنه لا يقبل

---

(١) نقل شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الاستقامة (١/ ٢٥٥): «وقيل لأبي بكر بن عياش: من السني؟ قال: الذي إذا ذكرت الأهواء لم يغضب لشيء منها».

الأحاديث المتواترة؛ فأحب أن أبين: موقف سيد قطب من السنة النبوية ومن كلام الرسل -عليهم الصلاة والسلام- وأنه فكر بشري.

لقد عنونت الفصل الرابع عشر من كتاب: «أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره» بقولي: «سيد لا يقبل أخبار الآحاد في العقيدة، بل لا يقبل الأحاديث المتواترة».

وأوردت تحت هذا العنوان قول سيد قطب في تفسير سورة الفلق: «وقد وردت روايات بعضها صحيح ولكنه غير متواتر وأحاديث الآحاد لا يؤخذ بها في أمر العقيدة، والمرجع هو القرآن، والتواتر شرط للأخذ بالأحاديث في أصول الاعتقاد».

فاستنكر الشيخ بكر هذا العنوان استنكارًا غريبًا، ولم يستنكر على سيد قطب هذه القاعدة الخطيرة التي تطارد أحاديث صحيحة كثيرة في أبواب الاعتقاد، وذكرت أنه لا يحتج حتى بالأحاديث المتواترة في أبواب الاعتقاد مثل: استواء الله على عرشه، وأحاديث صفة المجيء، وأحاديث رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة، وأحاديث نزول عيسى بل يتأول الآيات القرآنية في هذه العقائد؛ فسبحان الله رب العرش العظيم.

وإنا لنأسف على الشيخ بكر أشد الأسف ماذا سيكون موقفه إذا علم أن لسيد نظرة إلى السنة النبوية بل إلى كلام الرسل جميعًا -بما في ذلك محمد رسول الله ﷺ- بأنه فكر بشري فاستمعوا إلى سيد قطب يقول:

«وإن الفكر البشري، ممثلًا ابتداء من فكر الرسول ﷺ أو فكر الرسل كلهم باعتبار أنهم جميعًا أرسلوا بهذا التصور في أصله لم يشارك في إنشائه، وإنما تلقاه تلقيًا ليهتدي به ويهدي، وإن هذه الهداية عطية من الله كذلك يشرح لها الصدور وإن وظيفة الرسول -أي رسول- في شأن هذا التصور، هي مجرد النقل الدقيق والتبليغ الأمين وعدم خلط الوحي الذي يوحى إليه بأي تفكير بشري، أو كما يسميه الله سبحانه بالهوى»(١).

---

(١) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته (ص٥٠).

أقول: إن نهي الرسول ﷺ عن كتابة السنة لا لأنها فكر بشري -حاشى رسول الله ﷺ وسنته من ذلك- وإنما ذلك لمقاصد أخرى مذكورة في موضعها ويعرفها أهل العلم والسنة والهدى، إن سنة رسول الله ﷺ فوق هذا المستوى الذي يتصوره سيد بمراحل طويلة بعيدة لا يرقى إليها تصوره.

ويقول سيد: «وهذا التوكيد على مصدر هذا التصور هو الذي يعطيه قيمته الأساسية وقيمته الكبرى... **فهو وحده مناط الثقة في أنه التصور المبرأ من النقص، المبرأ من الجهل، المبرأ من الهوى... هذه الخصائص المصاحبة لكل عمل بشري، والتي نراها مجسمة في جميع التصورات التي صاغها البشر ابتداء من وثنيات وفلسفات، أو التي تدخل فيها البشر من العقائد السماوية السابقة...**»[1].

أقول: لم يستثن سيد الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام-، ولم يستثن سنة رسول الله ﷺ من هذه العيوب.

وأقول: إن القرآن والكتب المنزلة على رسل الله لكذلك وفوق ذلك من المكانة، لكن سنة رسول الله ﷺ الثابتة عنه هي كذلك مناط ثقة المؤمنين مبرأة من النقص مبرأة من الجهل مبرأة من الهوى، وكذلك أقوال الرسل -عليهم الصلاة والسلام-.

إن هذا لإسقاط متعمد للثقة بسنة رسول الله ﷺ وهذه هي نظرة أهل البدع والضلال من الجهمية والمعتزلة والقرآنيين إلى سنة رسول الله ﷺ الذي قال الله في حقه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤].

وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]. إن هذا الموقف من سيد قطب يُسلكه فيمن قال فيهم رسول الله ﷺ: «**ألا إني أوتيت الكتاب ومثله**

---

(١) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته (ص٥١).

معه، ألا يوشك رجل شبعان متكئًا على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي ولا كل ذي ناب من السبع ولا لقطة معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها. . .»[١] الحديث.

وفي ابن ماجه: «ألا وإن ما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله».

ومن قال فيهم رسول الله ﷺ: «لا ألفين أحدكم متكئًا على أريكته يأتيه الأمر مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول: لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه»[٢].

ويقول سيد قطب في «المقومات»[٣]: «ثانيًا: إننا نعتقد -بالدراسة الطويلة- أن هذا القرآن فيه غناء كامل في بيان الحقائق التي يقوم عليها التصور الإسلامي، فلا يحتاج إلى إضافة من خارجه في هذا البيان، ونحب أن يتعود قارئ هذا البحث أن يلجأ إلى القرآن وحده ليجد فيه تبيانًا لكل شيء، ومن ثَمَّ فإن النصوص القرآنية هنا هي الموضوع ذاته وليست عنصرًا مساعدًا كما اعتاد الناس أن يجدوها في كثير من البحوث الإسلامية، ومن ثَمَّ فلابد للقارئ أن يعتمد عليها في تفهم الموضوع الأساسي للبحث ولا يتخطاها ولا يعتبرها عنصرًا إضافيًا، فهي مادة البحث الأساسية وعلى ضوء هذا البيان نمضي في عرض قصة التوحيد في الرسالات من القرآن».

أقول: فأين سنة رسول الله ﷺ لماذا لا ترى اللجوء إلا إلى القرآن وحده وتلغي سنة رسول الله ﷺ؟

وإذا كان أهل الضلال والبدع قد جعلوا القرآن عنصرًا مساعدًا فهل يكون رد الفعل هو إلغاء السنة؟

---

(١) أخرجه أبو داود في السنة حديث (٤٦٠٤)، وابن ماجه نحوه رقم (١٢)، والترمذي العلم حديث (٢٦٦٤) وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. وهو حديث صحيح، وقد صححه الألباني في المشكاة (١٦٣).

(٢) أخرجه أبو داود السنة حديث (٤٦٠٥)، وابن ماجه المقدمة حديث (١٣)، والترمذي العلم حديث (٢٦٦٣) وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) (ص٨٦).

إن كلًا من نصوص القرآن والسنة أصولًا وحججًا وبراهين عند الله -تبارك وتعالى- وعند رسوله ﷺ وعند أئمة الإسلام وعلماء السنة والحق المعتبرين.

فمن أنت حتى تأتي بهذا المنهج المضاد لمنهج الله ورسوله وأئمة الإسلام؟!

لم يعتبر سيد سنة رسول الله ﷺ عنصرًا من عناصر المقومات والتوحيد حتى ولو إضافيًا، ولهذا لم تر عيناي حديثًا واحدًا في كتبه: «الخصائص»، و«المقومات»، و«الظلال» فيما يتعلق بالعقائد، وقد يستشهد بها في الأحكام.

رابعًا: زعمت أنك أسفت على أحوال علماء المسلمين في الأقطار الذين لم ينبهوا على هذه الموبقات، وكيف الجمع بين هذا وبين انتشار كتبه في الآفاق انتشار الشمس وعامتهم يستفيدون منها، حتى أنت في بعض ما كتبت.

أسباب سكوت من سكت من علماء السنة عن الرد على سيد قطب

أقول: إن العلماء قسمان: أهل سنة، وأهل بدعة، فأما أهل السنة -وبهم العبرة- فالظاهر أنهم لم يقرءوا كتب سيد ولم يستفيدوا منها.

لقد قلت لي شفاهًا: إن كتاب الظلال أهدي لك وأنت في المرحلة الثانوية، فلم تساعدك نفسك على قراءته فوضعته على الرف منذ ذلك الوقت إلى حين حدثتني بهذا الحديث، وهأنت تقول في (ص٤) من هذه الوريقات التي أناقشها «وأعتذر عن تأخر الجواب؛ لأنني من قبل ليس لي عناية بقراءة كتب هذا الرجل وإن تداولها الناس»، فلماذا لم تحظ كتب سيد قطب بعنايتك وأنت الرجل الطموح؟ ولماذا يبقى كتاب الظلال هذا الزمن الطويل قابعًا على الرف لا تستفيد منه؟ ولا ينال أدنى حظ من عنايتك؟

لابد لذلك من أسباب وأسباب وحواجز وحواجز عقدية وفكرية ومنهجية، أضف إلى ذلك الأساليب الغريبة التي تكد ذهن القارئ وترج دماغه، فكان ينبغي أن تقيس علماء السنة على نفسك فتتصور أنهم لم يقرءوها كما لم تقرأها أنت، وأن الأسباب التي صرفتهم هي الأسباب التي صرفتك؛ لأن الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف، وقد يكون عندهم أسباب أخرى منها

مثلًا: اعتقاد أنه جاهل وعنده ضلالات فصرفوا النظر عن قراءتها والعناية بها، ولو قرءوها لأدركوا ما فيها من الموبقات ولحذروا الناس منها.

ردود العلماء من السلفيين وغيرهم على سيد قطب

وهناك من رد على سيد كما فعل الشيخ السلفي عبد الله الدويش رَحِمَهُ اللَّهُ انتقد كتاب: «الظلال» قبل سنوات وسجل نقده في كتاب سماه: «المورد الزلال في التنبيه على أخطاء الظلال» ذكر فيه من أخطاء سيد ثمانين ومائة مسألة، وألف الأخ السلفي سليم الهلالي كتابًا كبيرًا في نقد سيد قطب قبل سنوات، وانتقد سيدًا كل من يوسف القرضاوي، وأبو الحسن الندوي، وعلي جريشة، وفريد عبد الخالق في قضايا التكفير وبعضهم في التهوين من شأن الشرك، وانتقده مجموعة من الإخوان المسلمين تحت إشراف المرشد العام للإخوان المسلمين حسن الهضيبي في كتاب: «دعاة لا قضاة»، وانتقده الشيخ السلفي محمد ناصر الدين الألباني في وحدة الوجود، وانتقده محمود محمد شاكر وآخرون في طعنه في الصحابة وعثمان ومعاوية.

وانتقده محمد الحمود النجدي في: «القول المختصر المبين في مناهج المفسرين» (ص٨٤) في ترجمة سيد قطب فقال: اسم الكتاب: في ظلال القرآن.

عقيدته: أوَّل بعض الصفات مثل: الاستواء، والعلو، والكلام، والمحبة، واليد، وقال: «لم أعثر على أحاديث في شأن الكرسي والعرش تفسر وتحدد المراد مما ورد منها في القرآن».

وقال عند قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر ٦٧]. قال: «وكل ما ورد في الكتاب والسنة من هذه إنما هو تقريب للحقيقة، فالله -تبارك وتعالى- وضعها في أسلوب يقرب ويمثل».

قال النجدي: «وهذه عبارة الزمخشري».

ثم قال محمد الحمود النجدي: «وذكر في تفسير قوله تعالى في سورة الحديد: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]، وكذا في تفسير سورة

الإخلاص كلامًا يؤخذ منه القول بوحدة الوجود . . .

ثم قال : وقد اعتُذر عنه في ذلك ، أنه شغله أمر الدعوة والحركة لإقامة حكم الله في الأرض ، فلم يطلع على ما كتبه أئمة السلف في هذا الباب» .

وهذا اعتراف من المعتذرين عنه ببطلان كلامه ، ثم أعتذار عنه بالجهل بمنهج السلف وأنا أستبعد إطلاق هذا الجهل ؛ فمن مراجع سيد : تفسير ابن جرير وتفسير ابن كثير ، فلابد أن يكون قد رأى فيهما ما يقرر منهج السلف فيأباه ثم يذهب إلى مذهب الخلف ، وله إشارات إلى عدم رضاه بمنهج السلف[1] .

وانتقده كذلك محمد سرور زين العابدين في كتابه : «دراسات في السيرة النبوية» (ص٣٢١) .

وقال محمد توفيق بركات في كتاب : «سيد قطب خلاصة حياته . . . إلخ»[2] :

«سنحاول في هذه الصفحات التالية بعون الله بيان أهم ما يوجه إلى سيد قطب رحمه الله من نقد سواء كان بنية حسنة أو بنية غير حسنة ، محاولين قدر المستطاع . . . وفي حدود علمي أنه لم يظهر كاتب مسلم -في عصرنا هذا- تعرض لمثل ما تعرض له سيد قطب من حيث الارتقاء به إلى درجات عليا ، أو الحط بمنزلته إلى درجات دنيا ، وما دمنا في صدد الوجه الثاني ، فلنلم بخطوط بارزة مما قيل فيه على وجه الإجمال :

١- قيل فيه : إنه النبي الجديد لجماعة إسلامية معينة .

٢- وقيل فيه : إنه لا يعرف ماذا يخرج من رأسه ، دفعته قوة العاطفة وسلاسة اللغة إلى كلام لا طائل وراءه وليس له معنى محدد .

٣- وقيل : إنه رجل خيالي يطلق أحكامه في الهواء ، ويطير في أجواء نفسية عليا ، فلا يعرف مقتضيات الواقع على الوجه الصحيح .

٤- وقيل : إنه كان يجتهد في أحكام شرعية جوهرية دون أن يكون له أي

---

(١) انظر في تفسير سورة الحديد (٦/ ٣٤٨٠) حيث قال : «والقول بأننا نؤمن بالاستواء ولا ندرك كيفيته لا يفسر قوله : ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ﴾ والأولى أن نقول : إنه كناية عن الهيمنة كما ذكرنا» .

(٢) (ص ١٧٦-١٧٧) ط دار التوحيد ، بيروت .

إلمام بالفقه .

٥- وقيل فيه : إنه يريد إنشاء حاجز عالٍ بين المسلمين والفقه الإسلامي .

٦- وقيل فيه : إنه يريد أن يقطع الناس عن كتب التفسير لكلام عاطفي في الظلال .

٧- وقيل فيه : إنه يكفر المسلمين بحيث لا يترك إلا عددًا محدودًا من البشر في دائرة الإسلام .

٨- وقيل فيه كثير غير ذلك» .

فهل علمت بهذه الردود والانتقادات والتنبيهات التي قام بها هؤلاء؟!

وهل سيزول عنك هذا الأسف على أحوال علماء المسلمين في الأقطار الذين زعمت أنهم لم ينبهوا على هذه الموبقات؟

لا أدري إني أخاف أن تزعجك هذه الردود وفي الوقت نفسه ؛ أسأل الله لك العافية ، وأن يردك إلى الحق والصواب ردًّا جميلًا .

وأما علماء البدعة ؛ فهم الذين انتشر فيهم انتشار الشمس أو انتشار الوباء ، ومع فرحهم به فقد انتقده بعضهم .

رابعًا : زعمت أنك أخذت بالمطابقة بين العنوان والموضوع فوجدت الخُبْر يكذبه الخَبَر ، ونهايتها بالجملة عناوين استفزازية تجذب القارئ العادي إلى الوقيعة في سيد -رحمه الله تعالى- ، وأما القارئ الذي عنده قدر يسير من البصيرة فإنه إذا قرأ الموضوع داخل الكتاب سيجد عنده ردة فعل قوية نحو ما كتبت وعودة الحنين إلى كتب سيد -رحمه الله تعالى- .

أقول : أولًا : إنني لأرثي لحال رجل حمل راية السنة ردحًا من الزمن أن يصل به الأمر إلى هذه الحال الغريبة العجيبة من المجازفات في الأحكام والجرأة على الطعن بالباطل ، وتحريك الفتنة بعد أن استسلمت للنوم عجزًا عن مقارعة الحق .

* * *

علماء افذاذ وجدوا في الكتاب ما يطابق فيه الخَبَر الخُبْر

على رسلك يا فضيلة الشيخ؛ فإن الواقع جملة وتفصيلًا يقدح في أحكامك الحائدة عن الحق المتحيزة إلى الباطل وأهله، ويدحض هذه الأوهام التي تتخيلها؛ فقد قرأ الكتاب من هو أعلم وأوسع مدارك وأعمق فهمًا منك ومن لهم قدر كبير من البصيرة والبصر، فلم تحصل لهم ردة فعل والحمد لله، هؤلاء الأفذاذ النحارير العدول قرءوا الكتاب فوجدوا أن الخبر يطابق الخبر ويصدقه ويؤكده، ذلك أن الكثير من عقائد سيد وأفكاره ضلال في ضلال وباطل في باطل، ونصوصه التي عرضت في الكتاب ظاهرة واضحة في البطلان لا تخفى إلا على معاند.

إن هؤلاء الأفذاذ بعضهم صدع بهذه الحقيقة شفويًّا مواجهة وعبر الهواتف من داخل البلاد وخارجها، وبعضهم وصلت إليَّ تقاريظهم تحمل التصديق والتأييد والثناء العاطر، فهم -إن شاء الله- من خيار شهداء الله في الأرض ومن خيار الطائفة الناجية المنصورة الذين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي وعد الله -تبارك وتعالى-.

ثانيًا: كأنه يسرك الحنين إلى كتب سيد وترعبك إدانة سيد بما جناه على نفسه وعلى الإسلام وعلى صحابة رسول الله ﷺ.

هل يسرك الحنين إلى العدالة الاجتماعية وفيها ما فيها من البلايا؟!

أيسرك أن تحن نفوس أناس عندهم قدر يسير أو كبير من البصيرة إلى كتاب: «العدالة الاجتماعية» «الاشتراكية»؟! وهو يدور فيه على ثلاثة محاور مدمرة:

الأول: الاشتراكية التي حرف سيد نصوص القرآن والسنة وقواعد الشريعة من أجل تقريرها وقسر الأمة عليها.

الثاني: الطعن في الخليفة الراشد عثمان ومن عاصره من الصحابة وخيار التابعين، والطعن في الدولة الأموية وإخراجها والدولة العباسية عن حدود الإسلام نهائيًا في سياسة الحكم وسياسة المال، ومدحه للثوار على عثمان وتفضيلهم عليه... إلى طعون كثيرة ومريرة وخطيرة.

والثالث: تكفير الأمة الإسلامية.

أيسرك الحنين إلى: «الظلال» وقد حشاه ببوائق من العقائد وأفكار الضلال.

أيسرك الحنين إلى كتاب بدعة «التصوير الفني» وقد تطاول فيه على نبي عظيم من الأنبياء الكرام؟! وعطل فيه صفات الله العليا ارتكانا إلى طاغوت المجاز والتخييل والتصوير الفني الذي أساء فيه إلى القرآن الكريم(١)، وتحرر فيه من قداسة القرآن وأطلق لنفسه العنان.

استمع إليه يقول: «ولكننا نجد في هذه السور -كما نجد في سواها من السور المكية والمدنية على السواء- مثلًا من ذلك الجمال الفني الذي ضربنا له الأمثال.

وإننا لنستطيع أن ندع -مؤقتًا- قداسة القرآن الدينية، وأغراض الدعوة الإسلامية، وأن نتجاوز حدود الزمان والمكان، ونتخطى الأجيال والأزمان، لنجد بعد ذلك كله هذا الجمال الفني الخالص، عنصرًا مستقلًا بجوهره، خالدًا في القرآن بذاته، يتملاه الفن في عزلة عن جميع الملابسات والأغراض»(٢).

أقول: من هذا المنطلق منطلق التحرر من قداسة القرآن الدينية تناول سيد قطب نبي الله موسى ﷺ متجاهلًا نبوته ومكانته عند الله وعند المؤمنين وأساء كثيرًا إلى القرآن، والله ﷻ ما أنزل القرآن إلا لهداية البشر، الهداية الدينية، والهداية إلى الآداب والأخلاق الدينية الإسلامية لا للفن، فلا يرضى الله -تبارك وتعالى- لأحد يتحدث عن فقه القرآن أو لغته، بل ولا عن أي علم من العلوم غير القرآنية أو الإسلامية أن يتحرر من الدين ولا من قداسة القرآن الدينية، وعلى أي أساس استند سيد قطب في هذا الانفلات من قداسة القرآن الدينية ويدعي المغالطون من

---

(١) بمثل قوله فيه في (ص ٩٧-٩٨) «﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ الآيات. في وسط هذا الروع الذي يبثه ذلك العرض العسكري الذي تشترك فيه جهنم بموسيقاه العسكرية المنتظمة الدقات، المنبعثة من البناء اللفظي للمشهد الأسر، وبين العذاب والوثاق النموذجي يقال لمن آمن: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ الآية.. إلى أن يقول: والموسيقى حول المشهد مطمئنة متموجة رخية في مقابل تلك الموسيقى القوية العسكرية» وله هراء كثير بمثل هذا الكلام الساقط في الظلال.

(٢) التصوير الفني في القرآن (ص ٢٤).

القطبيين رجوعه عما هَذَى به في كتابه بدعة «التصوير الفني».

فنقول: كلا ليس الأمر كما تدعون؛ فإن واقعه يشهد بخلاف هذا الادعاء، وهذا أحد الغلاة فيه يدلي بهذه الحقيقة ألا وهو صلاح الخالدي فيقول في كتاب: «نظرية التصوير الفني عند سيد قطب»: «نصيحة للشباب المسلم في الإقبال على كتاب التصوير الفني:

إني أتوجه بنصيحة إلى تلاميذ سيد قطب ومريديه من الشباب المسلم العامل المجاهد...

أدعوهم فيها إلى الإقبال على كتابي: «التصوير الفني في القرآن»، و: «مشاهد القيامة في القرآن» يقرءونهما ويتذوقون ما فيهما من متعة فنية جمالية، ويدركون الجمال الفني في القرآن كما بينه سيد قطب فيهما!

إن الكثيرين من الشباب المؤمن يعتبر هذين الكتابين لا فائدة منهما للعاملين المجاهدين لأن سيد قطب ألفهما في حياته الأدبية! وهذا وهم؛ فإن الجمال الفني في التصوير القرآني لا يدرك إلا بعد قراءة هذين الكتابين، وإن إدراك هذا الجمال ضروري للعامل المجاهد ليعرف الكثير من الكنوز المذخورة في دستوره الفريد الحبيب! ثم إن سيد قطب لم يزل معتمدًا كتابه «التصوير الفني» ومعتزًا به حتى آخر أيام حياته، فكثيرًا ما كان يحيل عليه في الطبعة المنقحة من الظلال، وهذه الإحالات دعوة منه إلى الدعاة المجاهدين للرجوع إلى كتابه هذا والإقبال عليه»[1].

فماذا سيقول المغالطون؟

على رسلك يا صاحب: «حكم الانتماء»، و: «الرد على المخالف»، و: «هجر المبتدع»، ورفقًا بنفسك فلا تجمح بك العواطف العمياء نحو سيد وعقائده وأفكاره.

خامسًا: زعمت: «أنك تكره لنفسك ولي ولكل مسلم مواطن الإثم والجناح، وأن من الغبن الفاحش إهداء الإنسان حسناته إلى من يعتقد بغضه وعداوته».

سبحان الله ماذا تريد بهذا التوجيه؟

---

(١) (ص٤٠١).

أتريد إغلاق باب من أعظم أبواب الجهاد والذب عن حياض الحق والسنة من أجل سيد قطب؟!

أترى في اجتهادي في الذب عن الصحابة الكرام وردي لاشتراكيته وغضبي لنبي الله موسى ﷺ ودحض تأويلاته الباطلة إهداء لحسناتي إلى من فعل كل هذه الأفاعيل؟

فهل وصلت إلى التوبة والندم من ردودك على أبي غدة والصابوني؟ وهل وصلت إلى أن في ردودك عليهما إهداء لحسناتك؟ اللهم غفرًا ولطفًا.

ليت ذنوبنا كلها من هذا الباب باب الجهاد بالرد على أهل البدع، فدع عنك التخذيل أيها الرجل ولا تناقض كلامك الحق في كتابك: «الرد على المخالف» (ص٦٩)، واثبت على الحق ولا تتزلزل ولا تضطرب، واسأل الله أن يثبت قلبك على الحق.

محاربة الشيخ بكر سابقًا لظاهرة التخذيل

قلتَ: «المبحث الرابع: ظاهرة التخذيل.

مضى ما يتم به ثلج اليقين من أن حراسة الدين بالرد على المخالف من الجهاد الواجب والدفاع اللازم. . في إطار حرمات المسلمين المشمولة بحفظ الضروريات الخمس لحياتهم وهي: الدين، النفس، المال، العقل، العرض.

وأن هذه العقيدة الجهادية من معاقد الإسلام الجارية لدى أهل السنة والجماعة، فهي سمة بارزة وعلامة فارقة بينهم وبين المخالفين، ومن (فضائلها) لدى العلماء: الإنفاق من ساعات العمر، للرد على إخوان الباطل كلٌ بما وسعه من علم ومعرفة يزن بهما ما يجوس خلال الديار، ويخالط الأفكار من عدوان ومنكر، وبدعة وهوى حتى يصيره هباء ولا يزال ركب الإيمان على هذا الصراط ومن اهتدى».

وقلت فيه -تاب الله عليك-: «والتخذيل لا يسري في أمة إلا وتسعى في إسقاط نفسها بنفسها وتوجد من تقصيرها وتخذيل الناصحين فيها معاول لهدمها».

نقل الشيخ بكر لكلام شيخ الإسلام في عقوبة من يذب عن أهل البدع وتعليقه عليه

ثم قلتَ كلامًا شديدًا في المخذلين، ثم قلتَ أيضًا أيها الفاضل: «وهذا كلام في غاية النفاسة والدقة لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- إذ يقول: ويجب عقوبة كل من انتسب إليهم، أو ذب عنهم، أو أثنى عليهم، أو عظم كتبهم، أو عرف بمساعدتهم، ومعاونتهم، أو كره الكلام فيهم، أو أخذ يعتذر لهم بأن هذا الكلام لا يدري ما هو؟ أو قال: إنه صنف هذا الكتاب، وأمثال هذه المعاذير التي لا يقولها إلا جاهل أو منافق، بل تجب عقوبة كل من عرف حالهم ولم يعاون على القيام عليهم؛ فإن القيام على هؤلاء من أعظم الواجبات، لأنهم أفسدوا العقول و الأديان على خلق من المشايخ والعلماء والملوك والأمراء وهم يسعون في الأرض فسادًا، ويصدون عن سبيل الله...»[1].

وقلت أيها الشيخ تعليقًا على كلام شيخ الإسلام رحمه الله:

«وإذا كانت الأشباح التي تحمل نفوسًا محشوة بمرض الشبهة وما تلقيه بين يدي الأمة من أمراض متنوعة هي أسوأ داء ينزل في ساحة المسلمين، ويتجول بينهم، ويدمر طلائعهم، فإن المسلم الموحد ليصاب بأذى مضاعف من المقرنين بالتخذيل، إذا خفقت في الصف ريحهم، فما أن يقبض عالم قبضة من الهداية ليرمي بها بدعة وعماية إلا وترى في الصف نزرًا رغبت بطونهم ملتمين بملاءاتهم، أشغلتهم دنياهم عن آخرتهم دأبهم (الموالسة) يرمون بالتخذيل، والتحطيم، صبرة بلا كيل ولا وزن، فيبسطون ألسنتهم بالنقد حينًا، والاستعداء أحيانًا، وينزلون أنفسهم في (روزنة)، يفيضون منها الحكمة والتعقل، والذكاء الخارق في أبعاد الأمور، وهكذا من أمور ما إن تفور إلا وتغور؟ وهم في الحقيقة المخذولون المنزوون عن الواقع، الفراررون من المواجهة، وارثوا التأويل الخاطئ لقول الله

---

(١) وقد وقع الشيخ بكر في الذب عن سيد والثناء عليه وعلى أسلوبه وعظم كتبه وأوجب الاستفادة منها وساعد أنصاره بكتاب: «التصنيف»، بل وبكتاب: «لا جديد في الصلاة» وهذا (الخطاب) وتكلف المعاذير عن سيد ولم يعاون في القيام عليه وعلى أنصاره المتشربين لمنهجه وكره نقده والكلام فيه بل ذعر من ذلك ذعرًا شديدًا.

تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾.

التخذيل المشوب بالإعراض عن مواجهة الباطل من تحريف الكلم عن مواضعه عند الشيخ بكر سابقًا، ثم وقع في ذلك لاحقًا

«فهذا التخذيل المشوب بالإعراض عن مواجهة الباطل من باب تحريف الكلم عن مواضعه، والمعرض عن رد الباطل بعد تذكيره يخشى أن يدخل في الذين إذا ذكروا بآيات ربهم يخرون عليها صمًّا وعميانًا... إلا أن التخذيل في هذه المسيرة الآثمة كما أنه انصراف عن معاضدة العدل، ونصرة الحق، وتعرية لفرسان الدعوة وهز لموقفهم، فهو مظاهرة للمجرمين، من المبتدعين والمفسدين، والله سبحانه قد نهى عن ذلك فقال: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ﴾... والحاصل أن (التخذيل) يواجه المجاهدين بألسنتهم وأقلامهم وسنانهم... لكنه مع حامله كصحوة الموت يتقلص ويضمحل بين غمضة عين وانتباهها والعاقبة للمتقين، وهذه سنة الله الجارية بالنصر والتأييد لكل حامل حق وبخاصة (حراس الشريعة) الذين ينفون عن دين الله كل هوى وبدعة فيكون قولهم الأعلى ومقامهم الأسنى»[1].

وكذلك قلتَ في موضع آخر تعليقًا على كلام شيخ الإسلام السابق: «فرحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية وسقاه من سلسبيل الجنة آمين؛ فإن هذا الكلام في غاية الدقة والأهمية وهو وإن كان في خصوص مظاهرة (الاتحادية) لكنه ينتظم جميع المبتدعة؛ فكل من ظاهر مبتدعًا، فعظمه أو عظم كتبه، ونشرها بين المسلمين ونفخ به وبها وأشاع ما فيها من بدع وضلال، ولم يكشفه فيما لديه من زيغ واختلال في الاعتقاد -إن من فعل ذلك- فهو مفرط في أمره، واجب قطع شره لئلا يتعدى على المسلمين.

وقد ابتلينا بهذا الزمان بأقوام على هذا المنوال يعظمون المبتدعة وينشرون مقالاتهم، ولا يحذرون من سقطاتهم وما هم عليه من الضلال، فاحذروا أبا الجهل المبتدع هذا؛ نعوذ بالله من الشقاء وأهله»[2].

---

(١) «الرد على المخالف» (ص٧١-٧٤).
(٢) «هجر المبتدع» (ص٤٨ - ٤٩).

دعوة الشيخ بكر إلى قراءة كتب السلف وكتبه السلفية

أقول: أعد النظر في كلام شيخ الإسلام ثم في تعليقك عليه وتأملهما طويلًا، وتأمل بقية كتاباتك في هذا الكتاب وغيره لعل ذلك يساعدك مساعدة فعالة على العودة إلى جادة الحق وإلى القمة الجهادية التي تربعتها في نصرة الحق والسنة، ولعل ذلك يساعدك مساعدة قوية في إدراك فداحة ما آل إليه أمرك بكتابة: «تصنيف الناس بين الظن واليقين» وهجومك الشرس على من يكافح وينافح الباطل والضلال وأهلهما وستميت في إعلاء كلمة الحق ونصرها في خطابك هذا، فلم تكتف بمجرد التخذيل كما وصفت به من وصفت بل ذهبت إلى أبعد من ذلك وهو الذب والدفاع عن الباطل وأهله بحرقة وعنف.

من هم الذين يفرحون بكتابات الشيخ بكر الأخيرة؟

وإذا أردت أيها الأخ أن تعرف حقيقة الأمر وجليته فاعرف جيدًا من هم الذين يفرحون ويأشرون ويبطرون بكتاباتك الأخيرة؟!

إنهم الحزبيون أهل البدع والأهواء؛ فهم والله زبائنك اليوم.

فواحسرتاه عليك إن تماديت في هذا المضمار الخطير راكبًا متن عمياء، ضاربًا في مجاهل البيداء.

قال الشيخ بكر (ص١): **«نظرت فوجدت هذا الكتاب يفتقد (أصول البحث العلمي)، الحيدة العلمية، منهج النقد، وأمانة النقل والعلم، عدم هضم الحق؛ أما أدب الحوار، وسمو الأسلوب، ورصانة العرض فلا تمتُّ إلى الكتاب بهاجس».**

خطاب الشيخ بكر هو الذي يفتقد أصول البحث العلمي

أقول: سبحان الله، إن كل ما قاله الشيخ بكر ينطبق تمام الانطباق على خطابه هذا، فقد اشتملت على قلة أوراقها على عيوب مخجلة من افتقاد أصول البحث العلمي، ومن الحيدة عن منهج الحق، وعن أمانة النقل والعلم وخذلان الحق...، أما أدب الحوار فقد ابتعد عنه كل البعد في هذا الخطاب، فلعله لم

يخطر على بال، أما سمو الأسلوب ورصانة العرض فسلوا العقلاء المنصفين عنهما في كتاباتي، وأحمد الله أن كتاباتي محببة عند أهل الحق جميعًا تسر المؤمنين وتغيظ المبطلين، وتمتاز -والحمد لله- بجودة العرض وقوته ورصانته وقوة الحجة والبرهان، بعيدة عن التشدق والتقعر ورص الألفاظ الغريبة والوحشية التي يظنها الجهلاء أنها بلاغة وهي عي وفهاهة.

قال الشيخ بكر بعد تلك السموم التي نفثتها نفسه: «وإليك التدليل».

أقول -أنا ربيع-: ارهفوا أسماعكم وشدوا أبصاركم لهذا التدليل العجيب.

اتهام باطل

قال: «أولًا: رأيت الاعتماد في النقل من كتب سيد قطب رَحِمَهُ اللَّهُ من طبعات سابقة مثل: «الظلال» و«العدالة الاجتماعية» مع علمكم كما في حاشية (ص٢٩)[1] وغيرها أن لها طبعات معدلة لاحقة، والواجب حسب أصول النقد والأمانة العلمية تسليط النقد -إن كان- على النص من الطبعة الأخيرة لكل كتاب؛ لأن ما فيها من تعديل ينسخ ما في سابقتها وهذا غير خافٍ -إن شاء الله- على معلوماتكم الأولية لكن لعلها غلطة طالب حضر لكم المعلومات ولما يعرف هذا»؟!

أقول: يا شيخ، لقد أقحمت نفسك في ميدان تجهله غاية الجهل[2]، فلا يمكن

---

(١) ما في حاشية (٢٩) من (الأضواء) يدين الشيخ بكر من جهتين:

الأولى: أني صونتها بقولي: «طعنه -أي: سيد- في عثمان وفي رءوس قريش من الصحابة» وسقت لسيد في هذه الصحيفة ست طعنات في عثمان والصحابة، وهذا كافٍ لحفز أي مسلم للغضب لأصحاب رسول الله ﷺ لا لمن يطعن فيهم فضلًا عن طعن سيد قطب الكثير في كتاب العدالة.

الثانية: أني أحلت على العدالة في هذه الطعون على طبعتين الثانية عشرة، والخامسة لبيان إصرار سيد قطب على طعنه في الصحابة إلى أن مات، وإصرار ناشري فكره على ذلك ثم بينت فرقًا لفظيًّا في هذا الموقع لا يغير من جوهر الطعن، فأخذ الشيخ بكر من هذا حجة عليَّ في زعمه في الاعتماد على الطبعات الأولى فاعتبروا يا أيها المسلمون ووا أسفاه.

(٢) قلت: هذا بناء على زعمه أنه لا يقرأ في كتب سيد قطب، فإن كان هو من قُرَّاء كتب سيد ثم أخفى ذلك حتى فهو يتحمل مسئولية ذلك.

أن تجيد فيه الكر والفر، ولابد أن تكون الصريع الأول فيه؛ فأنت لا تعرف فيما يبدو عقائد سيد قطب ولا أفكاره ولا طبعات كتبه ولا أي الطبعات اعتمدت، ولا هل حصل من سيد تعديل أو لا؛ كل ذلك تجهله جهلًا مطبقًا يرثى لك فيه غاية الرثاء، ومع كل ذلك لم تفكر في العواقب الوخيمة التي ستترتب على هذا الاقتحام المحفوف بالمخاطر؛ فلم تأخذ أي أهبة لمعركة ربما كنت تعتقد أنها حاسمة وفاصلة، بل تناولت القضايا والأمور الخطيرة بأطراف أناملك فكانت النتيجة ضد ما تخيلت؛ فكنت أول صريع لهذا البغي، وعلى الباغي تدور الدوائر.

وأقول: الآن هل قرأت كتابي: «الأضواء» قراءة جادة متأنية، ورأيت الإحالات فيه فرجعت إلى طبعات كتب سيد القديمة والأخيرة[1] فتأكدت فعلًا أنني تحريت مكرًا وخيانة الطبعات القديمة المنسوخة وأعرضت عن الطبعات الأخيرة الناسخة لألصق بسيد عقائد وأفكار قد تاب منها ورجع عنها؟

إن كنتُ فعلت ذلك فإن أصول المنهج العلمي الذي تدعي أن كتابي يفتقدها يفرض عليك أن تدلل وتبرهن على ذلك ببيان النسخ التي اعتمدت عليها وبيان صفحاتها وتاريخ طبعها، وذكر الكلام الناسخ الذي تاب فيه سيد وأناب إلى الله في الطبعات المتأخرة من مثل طعنه في عثمان ﷺ وإسقاط خلافته في كتاب: «العدالة» ومثل تعطيل صفات الله تعالى في كتاب: «الظلال»، و«التصوير الفني في القرآن»، ومثل الاشتراكية في «العدالة الاجتماعية»، و«معركة الإسلام والرأسمالية»، ومثل تكفير الأمة في «الظلال»، و«العدالة الاجتماعية»، و«الإسلام ومشكلات الحضارة»، ومثل وحدة الوجود في «الظلال»[2].

وهكذا سائر القضايا؛ وإذ لم تفعل ولن تستطيعه لا أنت ولا الإخوان المسلمون ولا القطبيون جميعًا، بل ولا الطوائف الضالة جميعها التي تبجل سيد

---

(١) كتبت هذا أول الأمر في شهر رمضان ثم راجعت إشارته إلى حاشية (ص٢٩) من مخطوطة الأضواء في ٢٦ من شوال، لوقفت على أمر مذهل، فعلقت عليه بما رأيته في الفقرة السابقة، وعلى كل حال فأمر هذا الرجل يحير الألباب ولغز من الألغاز!!

(٢) والمدمنة حولها في «المقومات» و«الخصائص».

قطب وتدين فكره، لن تستطيعوا جميعًا أن تثبتوا ما ادعيته من أنك رأيت الاعتماد في النقل من كتب سيد -رحمه الله تعالى- على طبعات سابقة منسوخة مثل: «الظلال»، و«العدالة الاجتماعية»، ولا أن تثبتوا رجوعه عن بدعه وضلالاته التي شَحَنَ بها كتبه.

بيان بالطبعات التي اعتمدتُ عليها في نقل أقوال سيد قطب

وإليك البيان بالطبعات التي اعتمدتها في نقل أقوال سيد قطب:

١- كتاب: «الظلال» الطبعة الثالثة عشرة (١٤٠٧ هـ) دار الشروق.

٢- «التصوير الفني في القرآن» الطبعة العاشرة (١٤٠٨ هـ) دار الشروق.

٣- «العدالة الاجتماعية» الطبعة الثانية عشرة (١٤٠٩ هـ) دار الشروق.

٤- «العدالة الاجتماعية» الطبعة الخامسة[1]، بدون.

٥- «نحو مجتمع إسلامي»، الطبعة الثامنة (١٤٠٨ هـ) دار الشروق.

٦- «معركة الإسلام والرأسمالية»، الطبعة العاشرة (١٤٠٨ هـ) دار الشروق.

٧- «السلام العالمي والإسلام»، الطبعة الثامنة (١٣٩٩هـ) دار الشروق.

٨- «معالم في الطريق»، الطبعة الخامسة عشرة (١٤١٢هـ) دار الشروق.

هذه هي طبعات كتب سيد قطب التي اعتمدتها في النصوص التي ضمنتها كتابي: «أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره»، وهي طبعات متأخرة، فإذا جاريبا دعوى الشيخ بكر من أن ما في الطبعات المتأخرة من أقوال سيد ناسخ لما في الطبعات المتقدمة فإنني أكون قد اعتمدت أقوال سيد الناسخة التي وردت في الطبعات المتأخرة، وأكون قد التزمت بأصول البحث العلمي وأخذت بأصول النقد، فسلطت النقد على النصوص الواردة في الطبعات المتأخرة وأكون قد التزمت بأمانة النقل والعلم، وكل ذلك قد قمت به ولله الحمد والشكر والثناء الحسن.

---

(١) جمعت بين هاتين الطبعتين للعدالة لبيان أن سيد قطب لم يتراجع عن طعنه في عثمان وغيره وأن تعديل بعض العبارات وهي نادرة لم يغير من الحقيقة شيئًا

ووالله لأن أخر من السماء إلى الأرض أهون علي من أن أكذب على الله أو على مسلم.

ووالله لأن أخر من السماء فأموت ألف مرة أهون عليَّ من أن أخون أحدًا ولو كافرًا فضلًا عن مسلم، وأهون علي من أن أخل بأمانة النقل والعلم.

يا قوم نحن في واد وأنتم في واد آخر.

نحن نعمل جاهدين لتصفية الإسلام من الأخلاط الفاسدة والأوشاب القاتلة من الخرافات والضلالات، ثم لجمع كلمة المسلمين على الإسلام الصافي الخالص من ألوان الباطل والضلال، فنقابل من أقرب الناس إلينا مشريًا بالاتهامات الظالمة والإشاعات الغاشمة.

وأخيرًا أقول للشيخ بكر وغيره:

إنني قد بذلت جهدًا كبيرًا في الوقوف على التوبة الواضحة النصوح من سيد قطب عن أفكاره وعقائده فلم أجد شيئًا من ذلك، فإن وجدت ذلك واضحًا تراجعت عن نقدي له، ويجب أن يكون اللوم والتأديب والعقوبة على من يكتم هذه التوبة الصادقة وينشر أقواله وعقائده الفاسدة المنسوخة، ويجب أن يدان بالخيانة لله ولكتابه والغش والخيانة للمسلمين خاصتهم وعامتهم.

وإن لم توجد تلكم التوبة والرجوع الواضح الصادق فعلى الشيخ بكر وكل الغلاة في سيد قطب أن يستحوا من الله ومن المسلمين العقلاء الناصحين الذين يحترمون عقولهم فيكفوا شرهم عن الإسلام والأمة ويتركوا المغالطات والتلاعب بعقول الشباب ودفعهم إلى التشبث بالباطل ودفعهم إلى محاربة الحق وأهله، وأن يتوبوا إلى الله من تربية الشباب على مذهب: عنزة ولو طارت، وعلى مذهب القائل:

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

وعلى الشباب أن يحترموا دينهم وضمائرهم وعقولهم، ويحترموا المنهج الإسلامي الذي يربي على الرجولة وحب الحق واحترامه وبغض الباطل واحتقاره واحتقار دعاته واتهامهم في دينهم وأمانتهم، والحذر كل الحذر من شرورهم وفتنهم ومكائدهم.

والقاعدة: اعرف الحق تعرف به الرجال، ولا تعرف الحق بالرجال.

دفع اتهام باطل حول تأليف كتاب: «الأضواء»

أما قول الشيخ بكر: «لكن لعلها غلطة طالب حضر لكم المعلومات»، فلا أدري ماذا يقصد بهذه الطعنة؟! إن كان يريد أن الطالب يساعدني في التأليف فهو اتهام مغرض يحاسبه الله عليه، ولعله هو وأمثاله أولى به، وأنا بريء منه ولن أرضى لغيري أن يشاركني في تأليفي لكلمة واحدة، وأسلوبي معروف جدًا لا يخفى على الأذكياء الألباء، وإن كان يقصد أن غيري قد يساعدني في تبييض بعض النصوص فهذا ليس بعيب؛ لأن الاستعانة بمن ينسخ المسودة للمؤلف كالاستعانة بالطابع -كاتب الآلة- سواء بسواء، ولا يعيب بمثل هذا من يدري ما يقول.

والراجح أن مقصوده هو الأول فحسبه الله، والله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، هو الملتقى، ولا يرمي بالتهم جزافًا إلا إنسان فرغ قلبه من خشية الله ومراقبته، وما أكثر هذه النوعيات.

وقد تبين للقارئ النبيل جرأة هذا الرجل على المجازفات المقيتة وإرسال الكلام على عواهنه، و لكن ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣]، وقد وقع ذلك والحمد لله به وبأمثاله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ [الحج: ٣٨]، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج: ٤٠]. اللهم اجعلنا من أنصارك والمجاهدين في سبيلك الصابرين على الأذى ابتغاء وجهك.

حماس الشيخ بكر لسيد قطب افقده توازنه فاقشعر جلده وهرع لإنقاذه ولم يزعجه طعن سيد في الصحابة ولا غيرهم

قال الشيخ بكر أبو زيد: «ثانيًا: لقد اقشعر جلدي حينما قرأت في فهرس هذا الكتاب، قولكم: سيد قطب يجوز لغير الله أن يشرع: (١٣٩-١٤٢).

فهرعت إليها قبل كل شيء، فرأيت الكلام بمجموعه نقلًا واحدًا لسطور

معدودة من كتابه: «العدالة الاجتماعية»، وكلامه لا يفيد هذا العنوان الاستفزازي، ولنفرض أن فيه عبارة موهمة أو مطلقة فكيف نحولها إلى مؤاخذة مكفرة تنسف ما بنى عليه سيد -رحمه الله تعالى- حياته ووظف له قلمه من الدعوة إلى توحيد الله في الحكم والتشريع ورفض سن القوانين الوضعية، والوقوف في وجوه الفعلة لذلك، إن الله يحب العدل والإنصاف في كل شيء، ولا أراك -إن شاء الله تعالى- إلا في أوبة إلى العدل والإنصاف»[1].

أقول: انظر إلى هذا الرجل الذي قضى شطرًا كبيرًا من حياته يحمل راية السنة ويشن الغارات على البدع والمبتدعين كيف أصبح في حال يرثى له فيها، اقشعر جلده غيرة على سيد قطب! ولم يقشعر جلده غيرة على تعطيل صفات الله! ولم يقشعر جلده غيرة على الخليفة الراشد عثمان وقد طعنه سيد طعنات نجلاء ظالمة وأسقط خلافته! ولم يقشعر جلده غضبًا لنبي الله وصفيه وكليمه موسى -عليه الصلاة والسلام- إذ تنقصه سيد قطب! ولم يقشعر جلده غضبًا للذين طعن فيهم من أصحاب رسول الله ﷺ ومنهم الزبير، وسعد، وعبد الرحمن بن عوف! ولم يقشعر جلده من طعن سيد قطب للدولة الأموية وإخراجها من حدود الإسلام نهائيًا في سياسة الحكم والمال، وهذا منه تكفير لها لأنه يكفر بالحاكمية وحدها بدون ضابط! ولم يقشعر جلده من تكفيره للأمة من قرون!

وكم لسيد من الطوام والدواهي، كل ذلك لم يهز مشاعر هذا الرجل الغيور على سيد قطب.

يقول بكر: «إن الله يحب العدل والإنصاف في كل شيء»، ولم يطالب سيد قطب بالعدل والإنصاف لا في حق الله ولا في حق نبي من أنبيائه ولا في حق الصحابة ولا في حق الدولة الأموية ولا في حق الأمة كلها، ويرغي ويزبد ويقذف ويرمي ويقشعر جلده ويهرع قبل كل شيء إلى هذا العنوان لا ليعرف الحقيقة والواقع، بل ليدين من ينتقد سيد قطب ويناقشه بالحق والعدل والإنصاف إن شاء الله.

---

(١) (ص٢).

قصة عجيبة في لقاء مع الشيخ بكر

لهذا العنوان ولعنوان آخر هو «سيد قطب يقول بخلق القرآن» قصة عجيبة، ومحكمة هزلية، إن صح التعبير في قصة طويلة مرعبة حاصلها: أني اجتمعت بالشيخ بكر في المدينة وكان معي ولدي أحمد وأظن أن ابنه الأكبر كان معنا، فدار النقاش حول هذا العنوان والكتاب، فزعم الشيخ أنني ظلمت سيد قطب، ومن خلال النقاش اعترف أنه لم يقرأ إلا بعضه، فقلت له: فلنقرأ بقية الفصل لأني ضربت فيه مثلين لتجويز سيد قطب لغير الله أن يشرع لم يقرأهما، والمثالان هما: أنه لا مانع من وضع نظام دولي يلغي الرق، ذكره سيد في عدة مواضع من الظلال، وقوله بالاشتراكية الغالية، وأن بيد الدولة أن تنتزع الملكيات والثروات جميعًا وتعيد توزيعها من جديد ولو كانت هذه الملكيات قد قامت على الأسس التي يعترف بها الإسلام ونمت بالوسائل التي يبررها الإسلام، وله غيرها في هذا الباب.

فرفض أن يقرأ الفصلين وحكم على الكتاب بالإلغاء غضبًا فقط لسيد قطب، ولم يبالِ بكل ما ارتكبه سيد قطب في حق الله والإسلام والصحابة والأمة، فقلت له عندما شاهدت هذا الموقف المريب المهول: لقد تبوأت أعلى منصب في القضاء فهل يجوز أن تحكم على كتابي كله بسبب قراءتك لقطعتين من فصلين فضحك!!! ولم يحر جوابًا إلا الإصرار على الباطل على حكمه الباطل الذي لا أعرف له نظيرًا في المحاكمات العلمية.

فاعتبروا يا أولي الأبصار من علماء وقضاة! أكتفي بهذا القدر وأحيل القارئ المنصف إلى الكتاب وإلى الفصلين المذكورين[1].

أما قوله: «فهرعت إليها قبل كل شيء، فرأيت الكلام بمجموعه نقلًا واحدًا لسطور معدودة من كتابه: «العدالة الاجتماعية» وكلامه لا يفيد هذا العنوان الاستفزازي، ولنفرض أن فيه عبارة موهمة أو مطلقة، فكيف نحولها إلى مؤاخذة مكفرة تنسف ما بنى عليه سيد رَحِمَهُ اللَّهُ حياته ووظف له قلمه من الدعوة إلى توحيد الله

---

(١) (ص ١٣٥-١٤١) و (ص ٢٠٧-٢١١) من أضواء إسلامية.

في الحكم والتشريع ورفض من القوانين الوضعية، والوقوف في وجه الفعلة لذلك، إن الله يحب العدل والإنصاف».

مآخذ على الشيخ بكر منها عدم نقله للكلام الذي يناقشني فيه وكل مناقشاته كذلك

أقول: على هذا الكلام مآخذ منها ما ذكرناه آنفًا، ومنها: أن الشيخ بكرًا لم يذكر هذا الكلام الذي نقلته عن سيد من «العدالة الاجتماعية» وقد صرح فيه سيد بجواز التشريع والاستفادة من كل ما أتمته البشرية من تشريعات ونظم اجتماعية لا تخالف أصوله أصول الإسلام... إلى آخر كلامه الذي ستراه ويريد بذلك ما شرعته أوربا وأمريكا وروسيا[1]، وكيف تتفق أصول الكفر والإلحاد مع أصول الإسلام، وسيد يهدف إلى الأنظمة الاشتراكية وغيرها ومن ذلك إلغاء الرق -وهو كلام صريح في تجويز التشريع-، لذا تهرب الشيخ بكر عن نقله ليروج على القارئ الغر.

قوله. «ولنفرض أن فيه عبارة موهمة أو مطلقة فكيف نحولها إلى مؤاخذة مكفرة...» إلخ وهذا هو عين الاستفزاز بالباطل لا بالحق، ومنها أنه لا يصح قول الشيخ بكر أنه لم يجد تحت هذا العنوان إلا نقلًا واحدًا، وذلك أني تعقبت سيدًا في عدد من الفقرات لأبين سوء تطبيقه للقواعد التي قالها وأن عمله تشريع باطل.

سيد قطب يقول بالاشتراكية وبجواز إلغاء الرق وهذا تشريع

منها: خلاصة رأيه في الاشتراكية الغالية التي قررها في كتاب: «العدالة الاجتماعية»، وفي كتاب: «معركة الإسلام والرأسمالية»، وكتاب: «السلام العالمي» فلم أورد أقواله في الاشتراكية لأمرين:

الأول: لكثرتها.

والثاني: أني عقدت فصلًا خاصًا لمناقشته في الاشتراكية بعد هذا الفصل

---

(١) انظر (ص ٢٢٦) من كتاب: «من هنا نعلم» للغزالي.

مباشرة في كتاب: «الأضواء».

ومن الفقرات المشار إليها: فقرة بينت فيها أن سيد قطب يرى جواز تشريع إلغاء الرق، وأنه يجوز للعالم أن يتعارف على نظام آخر غير الاسترقاق، وبينت أن سيد قطب قرر هذا التشريع في تفسيره: «في ظلال القرآن» في أربعة مواضع في تفسير سورة البقرة، وفي تفسير سورة التوبة، وفي تفسير سورة المؤمنون، وفي تفسير سورة محمد، وأحلت على هذه المواضع كلها في حاشية الكتاب؛ فهذه عبارة عن عدد من النقول من غير العدالة عند من يفهم وينصف، فكيف يستجيز الشيخ بكر أن يقول إنه لم يجد إلا نقلًا واحدًا من كتاب العدالة ويزيد الطين بلة بعدم ذكر هذا النص الذي ينتقده.

عدم التزام الشيخ بكر بمنهج النقد لا في هذا الموضع فحسب بل في هجومه كله

فأين هو من قوله: «والواجب حسب أصول النقد والأمانة العلمية تسليط النقد -إن كان- على النص من الطبعة الأخيرة...» إلخ[1].

ولتأكيد كلامي هذا وتوضيح عدم التزام الشيخ بكر بمنهج النقد السليم أحببت أن أرفق هذا الفصل بكامله بهذا النقاش فاقرأه واعرف الحقيقة، وقد صورت ذلك من المسودة وطابق بينها وبين المطبوعة من الأضواء لتزداد ثقة.

[2]يرى سيد قطب أنه يجوز لغير الله أن يشرعوا قوانين لتحقيق حياة إسلامية صحيحة مع أنه يكفر من لم يحكم بما أنزل الله مطلقًا ويتشدد في ذلك.

قال: «فإذا انتهينا من وسيلة التوجيه الفكري بقيت أمامنا وسيلة التشريع القانوني لتحقيق حياة إسلامية صحيحة تكفل فيها العدالة الاجتماعية للجميع، وفي هذا المجال لا يجوز أن نقف عند مجرد ما تم في الحياة الإسلامية الأولى، بل يجب الانتفاع بكافة الممكنات التي تتيحها مبادئ الإسلام العامة وقواعده

---

(١) (ص١) من خطابه.

(٢) يبدأ هذا النص المنقول من أضواء إسلامية من هنا وينتهي نهاية (ص٤٢).

المجملة فكل ما أنتجه البشرية من تشريعات ونظم اجتماعية ولا تخالف أصوله أصول الإسلام، ولا تصطدم بفكرته عن الحياة والناس يجب ألا نحجم عن الانتفاع به عند وضع تشريعاتنا ما دام يحقق مصلحة شرعية للجميع أو يدفع مضرة متوقعة، ولنا في مبدأ المصلحة المرسلة ومبدأ سد الذرائع وهما مبدأان إسلاميان صريحان ما يمنح ولي الأمر سلطة واسعة لتحقيق المصالح العامة في كل زمان ومكان»[١].

قلت: وعلى هذا مآخذ:

١- كأن سيدًا يرى أن الإسلام غير كامل ولا وافٍ بمتطلبات الأمة الإسلامية.

٢- يمكن لأي دولة تنتمي للإسلام أن تأخذ كل ما تهواه من القوانين الوضعية بحجة تحقيق المصالح ودرء المفاسد، وبحجة أنها لا تتنافى مع أصول الإسلام ولو كانت مصادمة لأصوله ونصوصه.

٣-يرى سيد أخذ كل ما أنتجه البشرية من تشريعات ونظم اجتماعية إذا لم تخالف أصول تلك التشريعات وأصول تلك التنظيمات أصول الإسلام ولا تصطدم بفكرته عن الحياة، أي: لا تحرم التشريعات والنظم الكافرة على المسلمين إلا في حالة مصادمة أصولها أصول الإسلام، فإذا خالفت أصول التشريعات الكافرة والتنظيمات الكافرة نصوص الإسلام في الكتاب والسنة والأمور الفرعية التي دلت عليها تلك النصوص فلا حرج فيها ولا تحريم بل يجب الأخذ والحال هذه بتلك التشريعات والتنظيمات الكافرة، وكذلك إذا خالفت تفريعات تلك القوانين والنظم أصول الإسلام فلا حرج فيها بل يجب الأخذ بها لأنها فروع صادمت أصول الإسلام وذلك لا يضر وإنما الضرر فقط في مصادمة الأصول الكافرة للأصول الإسلامية.

وبهذا التأصيل والتقعيد الذي يضعه سيد تنفتح أبواب التلاعب بدين الله لكل طاغية يريد التلاعب بالإسلام وبالأمة الإسلامية؛ فيمكنه جلب قوانين أوربا

---

(١) العدالة (ص ٢٦١) الطبعة الخامسة.

وأمريكا تحت ستار هذه التأصيلات التي وضعها سيد قطب.

وانطلاقًا من هذه القواعد التي وضعها سيد:

١- أخذ بالاشتراكية الغالية؛ فتوصل إلى أنه بيد الدولة أن تنتزع كل الممتلكات والثروات من أهلها وتعيد توزيعها من جديد ولو قامت على أسس إسلامية.

٢- ومن هذا المنطلق يرى أنه لا مانع من وضع نظام دولي يلغي الرق الذي شرعه الإسلام فيقول في تفسير سورة التوبة: «وفي الرقاب[1] وذلك حين كان الرق نظامًا عالميًا تجري المعاملة فيه على المثل في استرقاق الأسرى بين المسلمين وأعدائهم، ولم يكن للإسلام بُدٌّ من المعاملة بالمثل حتى يتعارف العالم على نظام آخر غير الاسترقاق».

وهكذا يرى سيد أنه يجوز قيام نظام عالمي ينسخ ما قرره الإسلام في الكتاب والسنة وأجمع على مشروعيته المسلمون في أبواب الجهاد والزكاة والكفارات والفضائل وغيرها في الرق وعتق الرقاب، لماذا؟ لأن هذا كله لم يصطدم بأصل من أصول الإسلام في زعمه، وكذلك استباحته مصادرة وتأميم ثروات المسلمين وملكياتهم الاستباحة المستوردة من الاشتراكيين الغربيين ومن أنظمتهم وقوانينهم التي يجب الأخذ بها لأنها تحقق مصالح وتدرأ مفاسد ولو صادمت نصوصًا قاطعة في تحريم ذلك، ولأنها لم تصطدم بأصول الإسلام في زعمه.

أما مصادمتها لنصوص الكتاب والسنة وإجماع المسلمين على حرمة أموال المسلمين، فهذا أمر هين عند سيد قطب فلا يلتفت إليه.

وكل هذا مجاراة لأهواء الغربيين وما أكثر وأشد ما يقع في هذا الميدان -أي: ميدان مجاراة الغربيين- ولو قامت له ولأمثاله دولة لرأيت العجب العجاب من القوانين والتشريعات التي تحل الحرام وتحرم الحلال انطلاقًا من هذه القواعد

---

(١) في ظلال القرآن (٣/ ١٦٦٩) وقد قرر هذا في تفسير سورة البقرة في الظلال (١/ ٢٣٠)، وفي تفسير سورة المؤمنون (٤/ ٢٤٥٥)، وفي تفسير سورة محمد (٦/ ٣٢٨٥).

التي تؤدي إلى هدم الإسلام باسم الإسلام، وبرأ اللّٰه الإسلام من ذلك.

فأين التركيز على أنه لا حاكم إلا اللّٰه، ولا مشرع إلا الله؟

وأين ما قام على هذا من تكفير المجتمعات الإسلامية كلها لأنها تخضع لغير حاكمية اللّٰه وتشريعاته في نظره؟! فاعتبروا يا أولي الألباب.

ملاحظة:

يجب على المسلمين جميعًا أن يدينوا ويعتقدوا أنه لا مشرع إلا الله؛ فلا حلال إلا ما أحله اللّٰه، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا واجب إلا ما فرضه، ولا مندوب ولا مكروه إلا ما قام عليه دليل من كتاب اللّٰه وسنة رسوله.

فمن أبطل واجبًا أو أحل حرامًا؛ فقد جعل نفسه ندًّا لله ورد ما شرعه اللّٰه -إذا كان عالمًا بذلك متعمدًا- وخرج بهذا التشريع من دائرة الإسلام.

أما الأمور الدنيوية المباحة: فإذا احتاج المسلمون حكامًا ومحكومين إلى تنظيمها وضبطها فلا مانع من ذلك، وعلى ذلك أدلة منها: قوله ﷺ في تأبير النخل: «أنتم أعلم بدنياكم»، ومنها: إنشاء عمر للديوان بإشارة من الصحابة وتأييد منهم.

والمصالح المرسلة تدور في هذا المجال ما لم تصطدم بنص من نصوص القرآن والسنة أو إجماع الأمة.

ثم أعجب لقول الشيخ بكر: «ولنفرض أن فيه عبارة موهمة أو مطلقة، فكيف نحولها إلى مؤاخذة مكفرة تنسف ما بنى عليه سيد -رحمه اللّٰه تعالى- حياته ووظف له قلمه من الدعوة إلى توحيد اللّٰه تعالى في الحكم والتشريع ورفض سن القوانين الوضعية...» إلخ.

أقول: هل رأيتني صرحت بتكفيره في موضع واحد من كتابيَّ اللذين ناقشت فيهما سيد قطب حتى تجزع هذا الجزع وتهول هذا التهويل؟! أتظنني من جنس سيد قطب والقطبيين في إطلاق التكفير جزافًا على الأفراد والجماعات دون مراعاة لمنهج السلف الذي يشترط للتكفير شروطًا صعبة، منها: إقامة الحجة على من ارتكب أمرًا مكفرًا، ومنها: توفر شروط التكفير وانتفاء موانعه؟

أما رأيت مؤاخذاتي الشديدة لسيد قطب ومناقشاتي له في جرأته على تكفير الأمة بالحاكمية فقط لا بالشرك الأكبر ولا بغيره من المكفرات التي يُكفِّر بها العلماء بعد توفر الشروط؟ لقد ناقشته في فصل طويل استغرق تسعًا وثلاثين صفحة تحت عنوان: «سيد قطب يكفر المجتمعات الإسلامية»، كما ناقشته مناقشة أخرى في حوالي ست عشرة صفحة في المعاصي الكبيرة والصغيرة التي يسميها هو وأخوه وأتباعه أوثانًا؛ جهلًا منهم وغلوًا وذلك تحت عنوان: «الشرك وعبادة الأوثان عند سيد ومن سار على نهجه».

أتنام قرير العين أمام هذه الفعلات النكراء البالغة نهاية الجهل ونهاية الظلم للمسلمين ويقشعر جلدك وتهرع في جزع وهلع لإنقاذ سيد فحسب، ولا تحرك ساكنًا لأفاعيل سيد النكراء وأفاعيل من يسير على نهجه من أهل الفتن التي تضطرب منها الدنيا، ثم من العجائب أن ترى أن مناقشتي له تنسف ما بنى عليه حياته من الدعوة إلى توحيد الله في الحكم والتشريع.

فهل أنا تجنيت عليه وقوَّلته ما لم يقل؟ وهل عرفت دعوته إلى توحيد الله في الحكم والتشريع في ضوء دراسة واعية متأنية؟ ما أظنك قمت بهذا، وإنما هي ألفاظ سمعتها -حسب تقديري- من أتباعه الغلاة فيه فرددتها.

يؤكد هذا: اعترافك أنك ما قرأت كتب سيد قطب، ولو قرأت كتاباته قراءة سلفي واع متجرد لأدركت ما يلي:

أولًا: أن تفسيره من أشد أنواع التحريف لآيات التوحيد؛ فإنه يصرفها عن توحيد العبادة إلى توحيد الحكم والتشريع أو السياسة أو الربوبية، مخالفًا بذلك تفاسير أئمة التفسير المعتبرين وتفسير أئمة التوحيد، بل تفسيره لآيات التوحيد تفسير سياسي منحرف.

ثانيًا: تفسيره لآيات التوحيد بالإضافة إلى تحريفها قد أحيا خلاله مذهب غلاة الخوارج في التكفير الفوضوي الذي لا خطام له ولا زمام ولا شروط ولا قواعد ولا ضوابط، وما أكثر عيوب تفسيره وما أشد أخطاره؛ فاتق الله في شباب الأمة ولا تغرر بهم ولا تُحِلهم على غير مليء».

قول سيد بوحدة الوجود والحلول والجبر ودفاعه عن عقيدة النيرفانا الهندوكية البوذية

قال الشيخ بكر: «ومن العناوين الاستفزازية قولكم: «قول سيد قطب بوحدة الوجود» (ص٩٤-١٠٩)، إن سيدًا -رحمه الله تعالى- قال كلامًا متشابهًا حلق فيه بالأسلوب في تفسير سورتي الحديد والإخلاص، وقد اعتمد عليه بنسبة القول بوحدة الوجود إليه، وأحسنتم حينما نقلتم قوله في تفسير سورة البقرة من رده الواضح الصريح لفكرة وحدة الوجود، ومنه قوله: ومن هنا تنتفي من التفكير الإسلامي الصحيح فكرة وحدة الوجود».

أقول: أولًا: إني لست الرجل الوحيد الذي أدان سيدًا بالقول بوحدة الوجود، فإن هناك علماء قد أدانوه بالقول بوحدة الوجود ومنهم: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

ثانيًا: أن كلامه صريح واضح في القول بوحدة الوجود في تفسيره للسورتين المذكورتين وليس بكلام متشابه.

فقوله في تفسير سورة الحديد بعد كلام ذكره: «وما كاد يفيق من تصور هذه الحقيقة الضخمة التي تملأ الكيان البشري وتفيض، حتى تطالعه حقيقة أخرى لعلها أضخم وأقوى، حقيقة أن لا كينونة لشيء في هذا الوجود على الحقيقة، فالكينونة الواحدة الحقيقية هي لله وحده سبحانه» واضح صريح في القول بوحدة الوجود

وقوله في تفسير السورة المذكورة: «وكل شيء لا حقيقة له ولا وجود حتى ذلك القلب ذاته إلا ما يستمده من تلك الحقيقة الكبرى» أصرح في وحدة الوجود وأعمق من قول بعض أهل وحدة الوجود: إن الوجود إشعاع ذاتي للخالق الذي اعتبره سيد نفسه من أقوال أهل وحدة الوجود في تفسير سورة البقرة في (١/ ٧٥) من الطبعة الأولى، وهو موجود في سائر الطبعات للظلال.

ثم لما جاء إلى تفسير سورتي الحديد والإخلاص قرر وحدة الوجود بأقوى أسلوب وأوضحه واعتبره كمالًا، ومما يؤكد أنه يقرر وحدة الوجود التي يقول بها

ملاحدة الصوفية: قوله بعد تقريرها: «ولقد أخذ المتصوفة بهذه الحقيقة الأساسية الكبرى وهاموا بها وفيها وسلكوا إليها مسالك شتى:

١- بعضهم قال: إنه يرى الله في كل شيء في الوجود.

٢- وبعضهم قال: إنه رأى الله من وراء كل شيء في الوجود.

٣- وبعضهم قال: إنه رأى الله فلم ير شيئًا غيره في الوجود، وكلها أقوال تشير إلى الحقيقة إذا تجاوزنا ظاهر الألفاظ القاصرة».

فماذا تريد بعد هذا التقرير؟!

وماذا تريد بعد هذا التفصيل ونسبة هذه الأقوال إلى المتصوفة الذين عرفوا بالقول بالحلول وبوحدة الوجود.

فالقول الأول: قول الحلولية.

والقول الثالث: قول أهل وحدة الوجود.

والثاني. لا أدري من هم القائلون به من ضلال الصوفية.

ثم إن سيدًا يرى أن هذه الأقوال كلها تشير إلى الحقيقة، فهب أنك تكابر وتعاند في قوله بوحدة الوجود فهل ستكابر في قوله بالحلول وإقرار أهله عليه.

وكذلك قرر سيد قطب وحدة الوجود في تفسير سورة الإخلاص ومن كلامه في هذا الموضع: «ومتى استقر هذا التصور الذي لا يرى في الوجود إلا حقيقة الله فستصحبه رؤية هذه الحقيقة في كل وجود آخر انبثق عنها، وهذه درجة يرى فيها القلب يد الله في كل شيء يراه، ووراءها الدرجة التي لا يرى فيها شيئًا في الكون إلا الله لأنه لا حقيقة هناك يراها إلا حقيقة الله». فهذا كلام يتأرجح بين القول بالحلول وبين القول بوحدة الوجود، وقد نسب ذلك إلى المتصوفة مرة أخرى.

أطوار سيد قطب في وحدة الوجود

أولًا: نعق بها وهو في سن الكهولة في حدود عام (١٩٣٥م) أي في حدود (١٣٥٥هـ) في ديوانه الشعري حيث يقول في قصيدته «إلى الشاطئ المجهول» والتي منها هذه الأبيات:

(إلى الشاطئ المجهول والعالَم الذي ... حننْتُ لِمَرآه إلى الضفة الأخرى
إلى حيث لا تدري إلى حيث لا ترى ... معالم للأزمان والكون تُستَقْرى
إلى حيث (لا حيث) تميز حدوده! ... إلى حيث تنسى الناسَ والكونَ والدَّهرا
وتشعر أنَّ (الجزء) و(الكل) واحد ... وتمزج في الحس البداهة والفكرا
فليس هنا (أمس) وليس هنا (غد) ... ولا(اليوم) فالأزمان كالحلقة الكبرى
وليس هنا (غير) وليس هنا (أنا)[1] ... هنا الوحدة الكبرى[2] التي احتجبت سرًّا)

ديوان سيد قطب (ص١٢٣).

يقول سيد قطب في شرحه لهذه الأبيات في مقدمة كتابه ديوان سيد قطب (ص٣٠-٣١):

«الجسم والزمن والوحدة:

القُوى الروحية -عند الشاعر- هي التي تربطه بالوحدة الكونية الكبرى[3] كما تقدم، في حين تَقصُرُ القوى العقليةُ عن ذلك، وهو يرى أن الشعورَ بالزمن نتيجةٌ لوجودِ الجسمِ والقوى الواعية، وأن الروح تحسُّ بالوجود المطْلقِ[4]، لا يقيده الزمن وبالبداهة لا يقيده المكان.

ولذلك فهو حينما خلع الجسم وخلع الحِجا في (الشاطئ المجهول) رأى أنْ ليس هناك (حيث) ولا (أمس) ولا (اليوم) ولا (الغد) ولا (غير) ولا (أنا) . . . إلخ.

(١) السوية والغيرية اصطلاحان صوفيان مأخوذان من كلمتي: سوى وغير، والصوفي الحق في دين الصوفية من يوقن أنه لا سوى ولا غير، أي: يرى الكل عينًا واحدة. انظر: هذه هي الصوفية (ص١٥)
والقارئ يرى أن سيد قطب قد أضاف اصطلاحات أخرى، فليس هنا أمس وليس هنا غد وأن الكل والجزء واحد ولا حيث. . . إلخ.

(٢) الوحدة الكونية الكبرى هي وحدة الوجود.

(٣) انظر التعليق السابق.

(٤) هذه العبارة يقولها أهل وحدة الوجود.

ولكنه رأى (الأزمان كالحَلْقَةِ الكبرى) ورأى (الوحدة التي احتجبت سرًّا).

وكذلك في قصيدة (الليلات المبعوثة)[1] حين تجرد لم يَرَ للزمان مَعْلَمًا ولا رسمًا ورأى كل شيء كرمز الدوام.

وله أبيات في (ص٩١) من ديوانه عنوانها: «عبادة جديدة» نعق بها في عام (١٩٣٧م) منها:

لك يا جمال عبادتي ... لك أنت وحدك يا جمالْ

ومنها:

وأرى الألوهة فيك تُو ... حي بالعبادة في جلالْ
ما أنت إلّا مظهرٌ ... منها تُوشِّيه بالعبادة في جلالْ
فإذا عَبدتُك لم أكنْ ... يا حُسْنُ مِنْ أهل الضّلالْ
بل كنتُ محمود العقيـ ... ـدةِ في الحقيقةِ والخيالْ
أحْنُو لمن تعنُو له ... كلُّ النفوسِ بلا مثالْ
مُتفرِّقًا في الكون في ... شتى المراثي والخِلالْ[2]
فإذا تركَّزَ هاهنا ... بَطَلَ التَّمحُّلُ والجِدالْ

وفي شيخوخته في حدود سنة (١٩٤٦م) أو سنة (١٩٤٧م) تحمس للدفاع عن عقيدة النيرفانا؛ فمدحها وذب عنها وعن أهلها، وهي تتضمن أخبث عقائد الوثنيين الهندوك والبوذيين من مثل وحدة الوجود وعقيدة التناسخ[3] تحت عنوان: «استنباد

---

(١) هذه القصيدة لا ندري متى قالها، وهي واحدة من الأدلة على لهج سيد قطب بوحدة الوجود.

(٢) فسر الخلال بقوله: الخلال: منفرج ما بين الشيئين جاسوا خلال الديار: ساروا وترددوا بينها، والمراد منتشر في كل ما نرى وما بين الأشياء وبعضها.

(٣) عُرفت النيرفانا في الموسوعة الميسرة (٢/ ١١٧٠-١١٧١) الصادرة عن الندوة العالمية للشباب: «النيرفانا» كلمة غامضة معناها النجاة، ويعني بها نجاة الروح التي ظلت على صلاحها أثناء دورتها التناسخية المتعاقبة حيث لم تعد في حاجة إلى تناسخ جديد، وبذلك يحصل لها النجاة من الجولان وتتحد بالخالق الذي صدرت عنه وتفنى فيه، والرقاة أو الحصول على النجاة من أسمى الأهداف للحياة عند الهندوس والبوذيين. يقول كرشنا: من يعرف ظهوري وأعمالي التجاورية لا يولد ثانية عند تركه الجسد

عصري» انتقد سيد قطب الدكتور حسين فوزي فقال بعد مقدمة تحدث فيها عن السندباد والسندبادات ثم قال: «والدكتور حسين فوزي هو سندبادنا اليوم، وهو رجل ندب لرحلة علمية في البحر الأحمر والمحيط الهندي ضمن بعثة عالمية لدراسة أحياء البحر الأحمر والمحيط، وقد طوَّف مع البعثة على باخرة مصرية طوال تسعة أشهر في البحر والبر في الجزر والقارة وزار معابد الهند وسيلان وسواها من الجزر المنثورة في المحيط ثم عاد» وتحدث عن كتاب ألفه في هذه الرحلة سماه: «سندباد عصري» أودعه ملاحظاته الإنسانية وانفعالاته الوجدانية واستجاباته العاطفية.. إلخ.

ثم ذهب يتكلم عن هذا الرجل بكلام يطول ذكره ولا فائدة في ذكره، والذي يهمنا من هذا المقال هو حديثه عن النيرفانا ودفاعه عنها وعن أهلها علمًا بأن كلامه هذا في مرحلة إسلامياته كما يصفه أنصاره ومحبوه.

١- قال: «وإذا شاهد فيلمًا هنديًا يمثل الروح الهندية المتسامحة التي تنتهي من الصراع على الحقوق الخاصة إلى الزهد في أعراض الدنيا والاتجاه إلى عبادة الروح الأعظم قال: أدركت ناحية من نواحي الضعف في بعض الحركات الروحية

= في هذا العالم المادي، بل يدخل مقامي السرمدي.

ويذكر الدكتور محمد ضياء الأعظمي في فصول من أديان الهند أنه من ثمرات النيرفانا: «فناء الشخصية والاتحاد بالجوهر الذاتي برم آتما، ومن هنا جاء إحراق الموتى تخلصًا من الجسم المادي لتعلو الروح إلى العالم العلوي، والنار هي إحدى مظاهر الألوهية أكني، وهي بدورها تقرب إلى برمشور الذات العلي، ولا يحصل على النيرفانا عند البوذية إلا بعد اقتلاع الشهوة اقتلاعًا تامًا. يقول بوذا في آخر دروسه: الذي يؤمن بالبوذية والجماعة والدين يحل له النيرفانا. بل كان يحث أتباعه على تحصيلها حتى آخر لحظات حياته فيقول في آخر وصاياه: فعليكم أيها التلاميذ مجاهدة النفس جهاد المخلص الجاد للحصول على النيرفانا.

أما الجينيون فيعتقدون أنه بحصول الأرواح على النيرفانا تبلغ درجة الإله وهذا الأمر يفسر انتشار الرهبنة في هذه الديانات، وقد تأثر غلاة المتصوفة أمثال: الحلاج وابن عربي ومن تابعهما بهذه العقيدة الوثنية الباطلة التي تلغي اليوم الآخر والثواب والعقاب بالإضافة إلى إلغاء توحيد الله -جلَّ وعلا-، وقد أظهروا مقالات كفرهم بالقول بالفناء والاتحاد ووحدة الوجود». اهـ

وانظر: فصول في أديان الهند (ص١٢٤)، والثقافة الإسلامية - المستوى الرابع - تأليف: محمد قطب، ومحمد المبارك، ومصطفى كامل (ص١١٩).

حين تدخل ميدان السياسة العلمية».

في هذا المقطع مدح للروح الهندية الضالة الملحدة بالتسامح والزهد في أعراض الدنيا والاتجاه إلى عبادة الروح الأعظم، وفي وصف الله بأنه الروح الأعظم ضلال مبين يرفضه الإسلام، وفي وصف الهنادك بأنهم يعبدون الله واعتقاده بعبادتهم ضلال آخر.

٢- ثم قال: «وإذا سمع زميله الإنجليزي يقول عن النيرفانا أي: الفناء في الروح الأعظم وهو الغاية التي يطمح إليها الهندي من وراء حرمانه وآلامه: دعنا من هذا فلا قِبَل لي بهذا الهجص وتلك الشعوذة يا عم حسن، لم يجد في نفسه أية حماسة للرد على هذا الكلام، وهكذا وهكذا مما قد يبالغ فيه فيصل إلى حد الزراية والسخط الشديدين على الروح الشرقية بوجه عام».

في هذا المقطع تعريف للنيرفانا بأنها الفناء في الروح الأعظم أي بأنها وحدة الوجود، ولوم وعدم للدكتور حسين فوزي على إقراره لزميله الإنجليزي على الطعن في هذه العقيدة واعتباره إياها هجصًا وشعوذة قال: «فلم يجد في نفسه أي حماسة للرد على هذا الكلام»، فالنصراني على كفره وضلاله أدرك تفاهة هذه العقيدة وخستها، وقد أقره حسين فوزي على هذا الوصف الذي لا يكفي في ذم هذه العقيدة الملحدة.

وسيد قطب تأخذه الغيرة لها فيعذم الرجلين على نقدها والاستهانة، بها فيقول المسكين متألمًا لهذه العقيدة: «وهكذا وهكذا» إلخ.

٣- ثم يقول: «ومهما افترضنا للسندباد من الأعذار في قسوة الأوضاع الاجتماعية والمظاهر البائسة التي شاهدها في الهند، فقد كنا نرجو أن يكون أوسع أفقًا وأكثر عطفًا وأعمق اتصالًا بروح الشرق الكامنة وراء هذه المظاهر والأوضاع، والروح الصوفية المتسامحة المشرقة بنور الإيمان».

في هذا المقطع يبين في أسى شديد ما كان ينتظره ويرجوه من حسين فوزي؛ فيقول: «فقد كنا نرجو أن يكون أوسع أفقًا»، ثم ويا للهول يصف أخبث عقيدة وأكفرها بأنها المتسامحة المشرقة بنور الإيمان.

٤- ثم يقول: «إنه يقول عن لوحة الكنج المقدس: لم يكن الإغريقي ليصور نبعًا مقدسًا.. إلخ، أجل! وهذا هو مفرق الطريق بين الشرق والغرب؛ في الشرق قداسة تمت إلى القوة العظمى المجهولة، وفي الغرب حيوية تمت إلى المشهود الحاضر المحسوس.

وليس لي أن أفضل هذا أو ذاك؛ فكلاهما جانب من جوانب النفس الإنسانية الكبيرة التي تهش لكليهما على السواء، إن لم تؤثر في حسابها الروحي والفني جانب المجهول على جانب المشهود».

في هذا المقطع يصف الكنج -وهو نهر يعبده الهنادك- بأنه نهر مقدس، ويصف عبادة الهنادك وطقوسها الكافرة بالقداسة التي تمت إلى القوة العظمى المجهولة، فيصف الله بالقوة العظمى المجهولة؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله، وفي قوله: «وليس لي أن أفضل هذا أو ذك» نوع من الاعتراف بوحدة الأديان، وقد قال في مناسبة أخرى: «إن الإسلام يصوغ من الشيوعية والمسيحية معًا مزيجًا كاملًا يتضمن أهدافهما ويزيد عليهما بالتناسق والاعتدال» [معركة الإسلام والرأسمالية (ص٦١)]، وله في «السلام العالمي» مدح للعقيدة النصرانية.

٥- ثم يقول: «وهو يسخر بعقيدة النيرفانا كسخرية زميله الإنجليزي الذي يقول: ما كنت أحسب أن دينًا يعد بتمة الفناء! ووجه الخطأ هو اعتبار النيرفانا فناء! إنها كذلك في نظر الغربي الذي يصارع الطبيعة وينعزل عنها، فأما الهندي الذي يحس بنفسه ذرة منسجمة مع الطبيعة، ويعدها أما رءوما، فيرى في فنائه في القوة العظمى[1] حياة وبقاء وخلودًا، وعلينا أن نفهم هذا ونعطف عليه ولا نراه بعين الغربيين، وهو يبدو في أرفع صورة في (ساد هانا تاجور) فلنقف خشعًا أمام هذا السمو الإلهي، ولو لحظات» !!

في هذا المقطع تأخذ سيد قطب الغيرة على النيرفانا وأهلها ويأخذه الحماس؛ فيرى نقد حسين فوزي والإنجليزي للنيرفانا سخرية ويخطئ نظرتهما إليها، ويريد

---

(١) وهذا تصريح بالقول بوحدة الوجود.

أن يبين وجه الخطأ بل قام في زعمه ببيان هذا الخطأ فيقرر بذكائه وحدة الوجود ويمدحها ويمدح أهلها بأسلوبه العريب، فتصل به عاطفته الجياشة بالحنان والعطف على هذه الديانة وأهلها إلى قوله: «وعلينا أن نفهم هذا ونعطف عليه. . .» إلخ، وهكذا يقرر سيد قطب النيرفانا ويمدحها ويمدح أهلها ويعتبر كفرهم وزندقتهم وإلحادهم سموًّا إلهيًّا، ويدعو نفسه والناس إلى الوقوف أمام هذا السمو الإلهي خاشعين.

وبعد هذا أريد أن يعرف الناس ما هي النيرفانا ثم ليحكم العقلاء المنصفون على سيد قطب وعلى حماسه لها ولأهلها ودفاعه عنها وعنهم.

وفي حدود سنة (١٩٥١م) تظاهر بنفي القول بوحدة الوجود في أول تفسير سورة البقرة في ظلال القرآن بأسلوب بارد لا ندري ما باعثه.

وفي نهاية الخمسينات[1] عاد مع الأسف إلى تقرير عقيدة وحدة الوجود والقول بالحلول والجبر في أواخر تفسيره الظلال في تفسير سورة الحديد؛ فقال في تفسير قول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

١- قال سيد قطب: «وما يكاد يفيق من تصور هذه الحقيقة الضخمة التي تملأ الكيان البشري وتفيض، حتى تطالعه حقيقة أخرى لعلها أضخم وأقوى، حقيقة أن لا كينونة لشيء في هذا الوجود على الحقيقة، فالكينونة الواحدة الحقيقية هي لله وحده سبحانه، ومن ثم فهي محيطة بكل شيء عليمة بكل شيء، فإذا استقرت هذه الحقيقة الكبرى في القلب؛ فما احتفاله بشيء في هذا الكون غير الله ﷻ؟! وكل شيء لا حقيقة له ولا وجود، حتى ذلك القلب ذاته، إلا ما يستمده من تلك الحقيقة الكبرى، وكل شيء وهم ذاهب، حيث لا يكون ولا يبقى إلا الله المتفرد بكل مقومات الكينونة والبقاء، وإن استقرار هذه الحقيقة في قلب ليحيله قطعة من هذه الحقيقة، فأما قبل أن يصل إلى هذا الاستقرار؛ فإن هذه الآية القرآنية حسبه ليعيش

(١) انظر كتاب «سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد» للخالدي (ص٥٤٦)، حيث ذكر إكمال سيد قطب لتفسيره في ظلال القرآن في نهاية الخمسينات.

في تدبرها وتصور مدلولها، ومحاولة الوصول إلى هذا المدلول الواحد».

موقف علماء الإسلام من الأقوال الصوفية التي قالها وقررها سيد قطب

وقد انتقد علماء الإسلام هذه المذاهب الصوفية الخبيثة وضللوا قائليها وحكموا عليهم بالكفر والزندقة، وما تكفير الحلاج واتفاق علماء عصره على تكفيره ورميه بالزندقة والفتوى بقتله بخاف على طلاب العلم.

وما فتاوى عشرات العلماء بزندقة ابن عربي وابن الفارض وابن سبعين والطوائف التي تتبعهم، الفتاوى التي جمعها البقاعي تلميذ الحافظ ابن حجر إلا من أجل هذه الأقوال الضالة التي يقررها ويمدحها ويطربها سيد قطب وينسبها إلى أهلها، ولا يبعد أنه يقصد بهؤلاء المتصوفة الحلاج وابن عربي وابن سبعين ولعله ما استقى هذه المعلومات المفصلة إلا من كتبهم[1].

فهل يليق بعالم ينتمي إلى مذهب السلف أن ينبري للدفاع عن صاحب هذه الأقوال الضالة الواضحة في الضلال المتحدي لفتاوى علماء الإسلام والمدمر لجهودهم لاسيما جهود شيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه؟!

وهل يليق به أن يسلك هذه المسالك الملتوية؟! فلا ينقل كلام سيد الصريح الصارخ بالحلول ووحدة الوجود والجبر ابتزازًا لعقول القراء لاسيما الشباب الذي لا يعرف جلية الأمر وحقيقته، بل يكتفي بقوله: «إن سيدًا قال كلامًا متشابهًا حلَّق فيه بالأسلوب» اعتذار ممزوج بالمدح.

فهل ترى هذا التحليق في أجواء الحق صاعدًا إلى السماء أو هو تحليق في أجواء الباطل من الحلول ووحدة الوجود والضياع؟!!

---

(١) ولا يبعد أن يكون قد تأثر بفكر إقبال الصوفي المائل إلى وحدة الوجود؛ فإن سيد قطب ممن قرأ فكر إقبال، انظر (ص١٥-٢١) من خصائص التصور وإن كان يخالفه في الصياغة الفلسفية، وانظر كتاب «دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة» لصلاح الدين مقبول أحمد (ص١٠٩).

لماذا نقلت قول سيد قطب في وحدة الوجود من سورة البقرة؟!

تقول أيها الفاضل: «وأحسنتم حينما نقلتم قوله في تفسير سورة البقرة من رده الواضح الصريح لفكرة وحدة الوجود ومنه قوله: ومن هنا تنتفي عن التفكير الإسلامي الصحيح فكرة وحدة الوجود»[1].

أقول: نعم أسأل الله أن يجعلني محسنًا في كل أقوالي وأفعالي ومنها مناقشاتي لسيد قطب، واعلم أنني ما نقلت كلامه هذا دفاعًا عنه لأنني حينئذ أكون غشاشًا ملبسًا على المسلمين أمر دينهم، وإنما نقلته لأدحض مغالطات وتلبيسات القائلين بأن هذا الكلام في تفسير سورة البقرة إنما قاله في الطبعة الثانية فيكون ناسخًا لقوله في تفسير سورتي الحديد والإخلاص في الطبعة الأولى؛ فدحضت هذا القول الباطل الملبس بأن الأمر على العكس، وأن ما قرره في تفسير سورة البقرة سابق لقوله بوحدة الوجود في تفسير سورتي الحديد والإخلاص.

إذا كان قد قرر ما في تفسير البقرة في الطبعة الأولى فجاء ما في سورتي الحديد والإخلاص وما أشار به في سورة الكوثر ناسخًا لِمَا في سورة البقرة على اصطلاح القطبيين، وعلى اصطلاحكم أنتم الذي ذكرتموه في الصفحة الأولى من هذه المذكرة التي أناقشكم فيها.

تناقض أهل وحدة الوجود ومنهم ابن عربي لم يمنع العلماء من الحكم عليهم بأنهم أهل وحدة وجود

ولقد بينت لكم في كتابي: «أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره» (ص١٦٣- ١٦٤) أن تناقضات أهل وحدة الوجود وعلى رأسهم ابن عربي لم تمنع علماء الإسلام من الحكم عليهم بأنهم أهل وحدة وجود وحلول؛ فارجع إن شئت.

وانظر قول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وابن عربي له أربع عقائد:

---

(١) لعل القارئ يلمس برودة رد سيد قطب لوحدة الوجود.

الأولى: عقيدة أبي المعالي وأتباعه مجردة عن حجة.

الثانية: تلك العقيدة مبرهنة بحججها الكلامية.

والثالثة: عقيدة ابن سينا وأمثاله الذين يفرقون بين الواجب والممكن.

والرابعة: التحقيق الذي وصل إليه وهو أن الوجود واحد»[١].

فلم تحل عقائده الثلاث دون الحكم عليه بأنه إمام وحدة الوجود.

ليس في المقومات ردٌ شافٍ على أهل وحدة الوجود بل له عبارات فيه هي عبارات غلاة الصوفية أهل وحدة الوجود

وتقول: «وأزيدكم: أن في كتابه مقومات التصور الإسلامي رد شاف على القائلين بوحدة الوجود، لهذا فنحن نقول: غفر الله لسيد كلامه المتشابه الذي جنح فيه بأسلوب وسع فيه العبارة، والمتشابه لا يقاوم النص الصريح القاطع من كلامه، لهذا أرجو المبادرة إلى شطب هذا التكفير[٢] الضمني لسيد رَحِمَهُ اللَّهُ وإني مشفق عليكم»[٣].

أقول: أولًا: لقد بحثت سابقًا ولاحقًا في الكتاب المذكور فلم أجد فيه هذا الرد الشافي على أهل وحدة الوجود[٤]، وإذا كنت أنت وقفت عليه فلماذا لم تنقله لتكون حجتك أقوى ولعله يدفعني إلى شطب كلامي

ثانيًا: لماذا أخر القائمون على نشر كتب سيد قطب نشر هذا الكتاب سنوات طويلة لعلها تزيد على خمس عشرة أو عشرين سنة، وفيه هذا الأمر العظيم الذي يدفع عن سيد القول بوحدة الوجود وما كان يحق لهم نشر هذا الباطل دون إعلان وإشهار ما في مقومات التصور، بل كان يجب على الأقل تعليق هذا الرد الشافي

---

(١) كتاب النبوات (ص ١١٩-١٢٠).

(٢) لم أكفر سيد قطب لا من قريب ولا من بعيد وقد بينت هذا آنفًا، فتذكر

(٣) (ص ٢).

(٤) بل إن سيدًا ليدندن فيه في بعض المواضع حول وحدة الوجود والحلول.

على كلام سيد الخطير في سور الحديد، والإخلاص، والكوثر.

ثالثًا: إن عدم إظهار هذا القول وإبرازه وإيقاف الناس عليه يدفعنا إلى شبه الجزم بعدم وجوده في المقومات.

وأخيرًا:

آسف أشد الأسف على إنسان يدعي السلفية يقحم نفسه في هذه المآزق من الدفاع عن أهل البدع بأسلوب غريب لا يلتزم بالإنصاف ولا بمنهج النقد الصحيح؛ فلا يسلط النقد على النصوص التي يتعلق بعناوينها، بل ولا يذكر تلك النصوص وهذا مهيع أهل الباطل فلا حول ولا قوة إلا بالله.

أما زعمكم أن كلامه في تفسير سورتي الحديد والإخلاص متشابه لا يقاوم ما قاله من النص القاطع الصريح في تفسير سورة البقرة فقد رددت على سابقيك به وهم عبد الله عزام، والخالدي، والقحطاني في كتابي: «الأضواء».

وأزيدكم: بأن كلامه في سورتي الحديد والإخلاص نص واضح في القول بالحلول ووحدة الوجود، وقد ألغى ما قرره في سورة البقرة من نفي وحدة الوجود عن التفكير الإسلامي فعل ذلك باختياره وسطره بقلمه واشتهر عنه من سنوات طويلة قبل أن يعرف الناس قوله في تفسير البقرة، وحينما اكتشفه أنصار سيد قطب ادعوا أنه كتبه في الطبعة الثانية ناسخًا به ما في الطبعة الأولى، والذي قرره في تفسير سورتي الحديد، والإخلاص منسوخ كما زعموا، فدحضنا هذا الزعم بما كتبناه في «الأضواء» وبما ذكرناه في هذا المبحث آنفًا.

كلمة حق عن كتاب: «مقومات التصور الإسلامي وخصائص التصور» لابد منها

أولًا على هذه التسمية:

فهل الإسلام تصور؟! وهل يجوز أن نصف الله -تبارك وتعالى- بالتصور؟

إن الإسلام وحي منزل من الله عمدته كتاب الله الذي هو كلامه وعلمه وتنزيله، وسنة رسول الله ﷺ الوحي الثاني، والحكمة التي أوحاها الله إلى رسوله

وعلمه إياها، فلا يجوز أن نصف نصوص الكتاب والسنة وبراهينهما وأدلتهما بالتصورات عياذًا بالله؛ فهذه التسمية فيها إساءة إلى الله حيث يصفه بالتصور[1].

١- يقول سيد في خصائص التصور الإسلامي[2]: «ينبغي استجاشة ضمير الإنسان لتحقيق غاية وجوده الإنساني كما يرسمها هذا التصور الرباني، ينبغي أن ترجع البشرية إلى ربها وإلى منهجه الذي أراده لها وإلى الحياة الكريمة الرفيعة التي تتفق مع الكرامة التي كتبها الله للإنسان والتي تحققت في فترة من فترات التأريخ.

على ضوء هذا التصور، عندما استحال واقعًا في الأرض... ولقد وقع -في طور من أطوار التأريخ الإسلامي- أن احتكت الحياة الإسلامية الأصلية المنبثقة من التصور الإسلامي الصحيح».

أقول: إن مقصد سيد هنا طيب، لكن لا يجوز بحال أن يعبر عن الإسلام بأنه تصور رباني ولا تصور إنساني؛ تعالى الله وتنزه أن يوصف بالتصور، وحاشى الإسلام كتابًا وسنة أن يكون تصورات.

٢- ويقول سيد قطب: «للتصور الإسلامي خصائصه المميزة التي تفرده من سائر التصورات، وتجعل له شخصيته المستقلة وطبيعته الخاصة التي لا تلتبس بتصور آخر ولا تستمد من تصور آخر، إنه تصور رباني جاء من عند الله بكل خصائصه وبكل مقوماته وتلقاه الإنسان كاملًا بخصائصه هذه لا ليزيد عليه شيئًا، ولا لينقص كذلك منه شيئًا»[3].

٣- ويقول: «... وهو من ثَمَّ تصور غير متطور في ذاته، إنما تتطور البشرية في إطاره وترتقي في إدراكه... وهذا الإطار يسعها دائمًا، وهذا التصور يقودها،

---

(١) قال الجرجاني في التعريفات (ص٥٩) ط. دار الكتب العلمية
«١- التصور: حصول صورة الشيء في العقل
٢- والتصور: هو إدراك الماهية من غير أن تحكم عليها».
فهل يوصف الله -تبارك وتعالى- بشيء من هذين؟! وهل يوصف القرآن الكريم كلام الله وسنة رسوله الوحي الثاني بواحد من هذين؟! تعالى الله وتنزه دينه عن ذلك!
(٢) (ص ٨-٩)
(٣) الخصائص (ص ٤٥).

لأن المصدر الذي أنشأ هذا التصور هو نفسه المصدر الذي خلق الإنسان . . . وهو الذي جعل في هذا التصور من الخصائص ما يلبي هذه الحاجات المتطورة في داخل هذا الإطار»[١].

وله كلام كثير من هذا النوع منه:

٤- «ثم يتميز التصور الإسلامي بعد ذلك عن التصور الاعتقادي في عمومه بأنه-كما أسلفنا- تصور رباني، صادر من الله للإنسان . . .».

٥- «وينص المصدر الإلهي الذي جاءنا بهذا التصور وهو القرآن الكريم على أنه كله من عند الله، هبة للإنسان من لدنه، ورحمة له من عنده»[٢].

ثانيًا: ليس في «المقومات» رد شافٍ على القائلين بوحدة الوجود، فإذا كنت تعتبر الفصل في الكلام بين الخالق والمخلوق، فهذا موجود بكثرة عند القائلين بوحدة الوجود، وهذا الفصل موجود عند سيد قطب في الظلال وغيره ولم تنكره، لكن هذا الفصل هنا وهناك كما لم يغن شيئًا عند علماء السنة عن القائلين بوحدة الوجود، فلن يغني شيئًا عن سيد قطب حتى توجد منه التوبة الصريحة والرد الصريح والبراءة الصريحة، فكيف ولم يحصل شيء من ذلك بل له دندنة حول وحدة الوجود في «المقومات» التي تدعي أن فيها ردًّا شافيًا على القائلين بوحدة الوجود وكذلك: «الخصائص».

ثالثًا: إن كلًّا من «الخصائص»، و«المقومات» عبارة عن ردود فعل لفلسفات وثنية وغيرها، على بحوثه فيهما صبغة فلسفية مكسوة بثوب الإسلام، يتحدث فيها عن وجود الله: الربانية . . . الثبات . . الشمول . . . التوازن . . . الإيجابية . . . الواقعية . . . التوحيد.

هذه موضوعات «الخصائص».

أما «المقومات» فيتحدث فيها عن الألوهية، والعبودية، وحقيقة الألوهية،

---

(١) الخصائص (ص ٤٥).
(٢) الخصائص (ص٥٠)

وحقيقة الكون، وحقيقة الحياة، وحقيقة الإنسان، وهذه مجالات الفلاسفة جال فيها سيد على طريقة الفلاسفة الإسلاميين، لا على طريقة أهل السنة[1].

والكتابان يحتاجان إلى دراسة واسعة مفصلة لا مجال لها في هذا البحث.

والممكن الآن أن نقول: إن سيدًا يطلق حقيقة الألوهية على وجود اللَّه وعلى ربوبيته، ويستشهد بالآيات الدالة على الربوبية على ذلك وهذا الخبط لا يرضي السلفي ويزيد الخلفي جهلًا على جهله، وله في هذا المجال تعبيرات صوفية وفلسفية لا يقرها منهج السلف.

١- مثل قوله: «ثم يستمر في تعريف الناس بحقيقة الألوهية، متجلية هذه المرة في الأحداث الكونية والظواهر الطبيعية ومتجلية كذلك في تسبيح الرعد والملائكة».

٢- و يقول: «اللَّه هو الأول والآخر والظاهر والباطن، واللَّه هو الخالق والرازق -وساق كثيرًا من أسماء اللَّه الحسنى وأفعاله -... ثم قال: وبهذا كله وجدت في الأرض وفي دنيا الناس حقيقة أخرى، حقيقة الربانية متمثلة في ناس من البشر، وجد الربانيون الموصولون باللَّه العائشون باللَّه ولله، الذين ليس في قلوبهم وليس في حياتهم إلا اللَّه.

وجدت حقيقة الربانية هذه في الناس حينما وجدت حقيقة الألوهية بصورتها هذه في عالم الناس حينما وجدت بهذه القوة، وبهذا الوضوح وبهذا العمق وبهذا الشمول وبهذه الإحاطة التي تحجب كل وجود غيرها، وتكسف كل مؤثر سواها وترد الأمر كله -كما هو في حقيقته- لله وحينما وجدت حقيقة الربانية هذه في دنيا الناس ووجد الربانيون الذين هم الترجمة الحية لهذه الحقيقة حينئذ انساحت الحواجز الأرضية والمقررات الأرضية والمألوفات الأرضية، وصنع اللَّه ما صنع في الأرض وفي حياة الناس بتلك الحفنة من العباد الذين تمثلت فيهم تلك الحقيقة

---

(١) وليته بدلًا من البحث في هذه المجالات يبحث في أصول الإسلام والإيمان المعروفة عند أهل السنة كأصول الإسلام الخمسة وأصول الإيمان الستة، ثم هل حقيقة الكون وحقيقة الحياة وحقيقة الإنسان إلخ من أصول الإيمان عند المسلمين؟! أو هي قضايا إسلامية تبحث لا على أنها أصول.

الكبيرة التي ليس وراءها حقيقة إلا ما اتصل بها واستمد منها فأصبح له وجود مؤثر في هذا الوجود»[١].

فهذه همهمة صوفية تدندن حول معتقدات وتصورات الصوفية القائلين بالحلول ووحدة الوجود والغلو في الأشخاص والمبالغات والتهاويل التي يرفضها الإسلام ويحاربها.

٣- ويقول: «إن المنهج القرآني في التعريف بحقيقة الألوهية يجعل الوجود كله معرضًا رائعًا تتجلى فيه هذه الحقيقة -كما أسلفنا- إنها تتجلى تارة في آثار المشيئة الإلهية المبدعة في الكون والحياة عامة الشاهدة بالوحدانية والفاعلية والعلم والحكمة والتدبير والإحاطة والهيمنة والكفالة»[٢].

وهذه تعبيرات صوفية يجب الابتعاد عنها وإن أمكن تأويلها.

٤- ويقول عن إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-: «ثم نراه وهو يشتاق بعد إذ وجد ربه في قلبه وفي الوجود من حوله أن يلامس قدر اللَّه وهو يعمل في هذا الوجود . . . ، ثم نراه وهو يواجه أباه وقومه بحقيقة ما هم عليه وبحقيقة ربه التي يجدها في قلبه وفي الوجود من حوله حيث تتجلى هذه الحقيقة في صورة رائقة رائعة شفيفة لطيفة»[٣].

٥- ثم نقف مع إبراهيم ومعه إسماعيل -عليهما السلام- في الموقف الفريد الذي تتجلى فيه في قلبيهما (حقيقة الألوهية) في بهائها الرائع وفي تلألئها الباهر حتى ما يبقى غيرها وحتى ما يتجلى سواها»[٤] على أن الآيات التي يفسرها هذا التفسير الصوفي الغالي لا يوجد فيها أي متعلق لمثل هذا اللون من التفسير الصوفي الباطل.

٦- ويقول: «والمنهج القرآني يزحم الشعور الإنساني بحقيقة الألوهية ويأخذ

(١) المقومات (١٩١ - ١٩٢)
(٢) المقومات (ص٢٠٤).
(٣) المقومات (ص٢٢٦)
(٤) المقومات (ص٢٢٧).

على النفس أقطارها جميعًا بهذه الحقيقة وهو يتحدث عن ذات الله سبحانه وصفاته وآثار قدرته وإبداعه، فتتمثل في الضمير البشري تلك الحقيقة حقيقة الذات الخالقة لكل شيء المالكة لكل شيء المحيطة بكل شيء . . . . ، وإحاطتها بالكون والناس في كل وضع وفي كل حال بحيث تستشعر النفس -كما هو الأمر في الواقع- أن لا ملجأ من الله إلا إليه، وأن ليس منه مهرب ولا فوت، وأن ليس سواه عون ولا سند، وأن ليس هناك وجود لشيء -قائم بذاته- إلا ذات الله سبحانه القوامة على جميع الخلائق الحادثة الفانية»[1].

٧- ومن تعبيراته التي يدندن فيها حول الفكر الفلسفي الصوفي قوله في «الخصائص»[2] متحدثًا عن الكينونة الإنسانية ومجال إدراكها وتصورها: «. . . حقيقة أن المجال الذي يتناوله هذا التصور بما فيه من حقيقة الذات الإلهية وصفاتها، ومن تعلق إرادة الله بالخلق وكيفيته أكبر وأوسع من الكينونة الإنسانية بجملتها، فهو مجال السرمدية الأزلية الأبدية الكلية المطلقة والكينونة الإنسانية لكل ما هو مخلوق حادث متحيزة في حدود من الزمان والمكان لا تملك مجاوزتها على الإطلاق، ولا تملك من باب أولى الإحاطة بالكلي المطلق بأي حال.

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ [الرحمن: ٣٣].

﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

ومن ثَمَّ فلا قدرة لكينونة البشرية بجملتها -لا الفكر وحده- على العمل خارج هذه الحدود إنما وظيفتها أن تتلقى من الذات الإلهية المطلقة المحيطة بالوجود، وأن تتلقى في حدود طبيعة الإنسان وفي حدود وظيفته».

فهذه من تعبيرات صوفية وحدة الوجود وفلاسفتها.

مما يؤكد هذا: قول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في مثل هذه الأقوال

(١) المقومات (ص ١٨٨-١٨٩).

(٢) (ص٥٣)

الصوفية: «وفيهم -يعني: أهل وحدة الوجود- من يفرق بين الإطلاق والتعيين كما يقوله القونوي ونحوه؛ فيقولون: إن الواجب هو الموجود المطلق لا بشرط، وهذا لا يوجد مطلقًا إلا في الأذهان، ومن قال: إن الباري هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق كما يقوله ابن سينا وأتباعه فقوله أشد فسادًا؛ فإن المطلق بشرط الإطلاق لا يكون إلا في الأذهان لا الأعيان، فقول هؤلاء بموافقة من هؤلاء الذين يلزمهم التعطيل شر من قول الذين يشبهون أهل الحلول»[1].

وقال -رحمه الله تعالى-: «ولا ريب أن أصل كلامهم بل وكلام نفاة العلو والصفات مبني على إبطال التركيب وإثبات بسيط كلي مطلق مثل الكليات، وهذا الذي يثبتونه لا يوجد إلا في الأذهان، والذي أبطلوه هو لازم لكل الأعيان، فأثبتوا ممتنع الوجود في الخارج، وأبطلوا واجب الوجود في الخارج»[2].

فقارن بين عبارات فلاسفة وحدة الوجود التي ينتقدها شيخ الإسلام وبين ضلالها وبين كلام سيد قطب، وبيِّن هل يستقي هذا الفكر والتعبير من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وكلام أئمة الإسلام أو من كلام هؤلاء الملاحدة الضلال؟!

٨- ويتحدث في «المقومات» عن الإنسان فيغلو فيه جدًا؛ فهو في نظره خليفة الله وهو نفخة من روح الله، ويَفهَم من هذه الخلافة خلاف ما يقوله علماء الإسلام ويَفهَم من قول الله عن آدم: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩] خلاف ما يدل عليه نصوص القرآن والسنة وخلاف ما فهمه أهل السنة والحق.

يقول سيد قطب في «المقومات»[3]: «إن الإنسان مخلوق خاص ذو كيان متميز، تميزه في ازدواج عناصر تكوينه مستخلف في الأرض مزود بخصائص الخلافة، وأولى هذه الخصائص الاستعداد للمعرفة النامية المتجددة ومجهز لاستقبال المؤثرات الكونية والانفعال بها، والاستجابة لها، ومن مجموع انفعالاته واستجاباته يتألف نشاطه الحركي للتعمير والتغيير والتعديل والتحليل

(١) إبطال وحدة الوجود (ص ٣٧-٣٩).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٤/ ٢٥٣).

(٣) (ص ٣٦١- ٣٦٢).

والتركيب والتطوير في مادة هذا الكون وطاقاته للنهوض بوظيفة الخلافة».

وعلى هذا يكون اليهود والنصارى والشيوعيون قد حققوا أهداف الخلافة أكثر من الصحابة والتابعين وتابعيهم خير القرون، ونهضوا بأعبائها أكثر من الأنبياء والرسل والصحابة الكرام وخير القرون؛ فنعوذ بالله من هوى يقود إلى مثل هذا الباطل.

ويقول: «إن الفردوس الأخروي -في التصور الإسلامي- هو الجزاء الإلهي على إصلاح الحياة الأرضية، والإحسان في القيام بالخلافة، وإصلاح الحياة الأرضية يبدأ من إصلاح النفس، وينتهي بإصلاح حال المجتمع كله وإقامة أمره على منهج الله، وإحسان القيام بالخلافة يبدأ من كشف النواميس والأرزاق والمدخرات التي أودعها الله هذا الكوكب يوم خلق الأرض وقدر فيها أقواتها، وينتهي إلى تسخير هذا كله في تنمية الحياة وترقيتها وتوزيعه بالعدل[1] الذي قرره الله ... وكذلك يتقرر أن الترقي الوجداني الديني -في الإسلام- يصبح هو الضمان الأول والحافز العميق للترقي في الحضارة المادية واستخدام الطاقات والقوى والأرزاق والمدخرات الكونية في نطاق المنهج الرباني للتصور والحركة، وتلتئم غاية الوجود الإنساني -وهي الحياة- مع تنمية الحياة وترقيتها، بل تصبح تنمية الحياة وترقيتها هي العبادة وهي جواز المرور إلى الفردوس الأخروي وإلى رضوان الله»[2].

أقول: إذا كان إحسان الخلافة يبدأ من كشف النواميس والأرزاق والمدخرات، وإذا كان الترقي في الوجدان هو الحافز العميق للترقي في الحضارة المادية باستخدام الطاقات والقوى والأرزاق... إلخ؛ فيكون الأنبياء والعلماء والخلفاء الراشدون والصحابة الكرام على هذا لم يحسنوا في خلافتهم لأنهم لم يبدؤها بكشف النواميس والأرزاق والمدخرات... إلخ، ولا حَفَزَهم الوجدان الديني للترقي في الحضارة المادية!

(١) يشير إلى المذهب الاشتراكي العالمي.
(٢) (ص٣٦٣-٣٦٤).

ويكفي للدلالة على بطلان هذه الأقوال وخطرها مثل هذه اللوازم الخطيرة التي تثير الشبه حول الأنبياء وسادة هذه الأمة الذين لا تجد لهم مثل هذه الأقوال ولا نجد في حياتهم مثل هذه الأعمال التي اعتبرها سيد هي العبادة وجواز المرور إلى الفردوس، ونعوذ بالله من القول على الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ ردًا على غلاة الصوفية الزاعمين مثل مزاعم سيد قطب: «وقد ظن بعض القائلين الغالطين كابن عربي أن الخليفة هو الخليفة عن الله مثل نائب الله، وزعموا أن هذا بمعنى أن يكون الإنسان مستخلفًا ... وقد أخذوا عن الفلاسفة قولهم: الإنسان هو العالم الصغير، وهذا قريب، وضموا إليه أن الله هو العالم الكبير بناء على أصلهم الكفري في وحدة الوجود، وأن الله هو عين وجود المخلوقات، فالإنسان من بين المظاهر هو الخليفة الجامع للأسماء والصفات... والله لا يجوز له خليفة.

ولهذا قالوا لأبي بكر: يا خليفة الله، فقال: (لست بخليفة الله، ولكني خليفة رسول الله ﷺ حسبي ذلك) بل هو سبحانه يكون خليفة لغيره. قال رسول الله ﷺ «اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل...» وذلك لأن الله حي شهيد مهيمن قيوم رقيب حفيظ غني عن العالمين، ليس له شريك ولا ظهير ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه.

والخليفة إنما يكون عند عدم المستخلف بموت أو غيبة ويكون لحاجة المستخلف إلى الاستخلاف، وسمي خليفة لأنه خلف عن الغزو وهو قائم خلفه، وكل هذه المعاني منتفية في حق الله تعالى وهو منزه عنها؛ فإنه حي قيوم شهيد لا يموت ولا يغيب، وهو غني يرزق ولا يُرزَق، ولا يجوز أن يكون أحد خلفًا منه ولا يقوم مقامه؛ إنه لا سمي له ولا كفؤ له؛ فمن جعل له خليفة فهو مشرك به»[1].

أما القول بأن الإنسان نفخه من روح الله واعتبار روحه أزلية، فقد ذكر ابن القيم أن هذا من أقوال الزنادقة والنصارى والروافض[2].

---

(١) الفتاوى الكبرى (٢/ ٥٥٣)

(٢) انظر كتاب: «الروح» لابن القيم (ص١٩٤-١٩٥)، وكتاب: «أضواء إسلامية» (ص١٧٧-١٧٩).

وأخيرًا؛ فمباحث «المقومات» يتفق كثير منها مع مباحث سيد في «الظلال»، وقد تكون مأخوذة منه، مثل قضية التكفير دون اعتماد على منهج السلف[1] وتعطيل صفة الاستواء[2]، والغلو في الحاكمية على حساب التوحيد؛ إذ يفسر دعوات الأنبياء تفسيرًا سياسيًا[3]، ومثل تشككه في السموات فلا يدري ما المراد بها[4]، واعتقاده أن إبراهيم كان على دين قومه، عبادة الأوثان والكواكب حتى هداه الله[5].

فهذه بعض الملحوظات على كتابي: «الخصائص»، و«المقومات» وهما من المؤلفات التي ختم بها مؤلفاته وحياته.

والكتابان لا يزالان بحاجة إلى دراسة شاملة، ولعل في زواياهما خبايا خطيرة، عافى الله المسلمين منها ومن أضرارها وغوائلها.

فلسفة سيد قطب ونظرياته الصوفية

لسيد قطب اهتمام بالفلسفات ونظريات التصوف من بداية حياته الفكرية والفلسفية، فهذه مقدمته لديوانه: «الشاطئ المجهول» التي صاغها بقلمه يشهد فيها على نفسه بتلك الفلسفات وتلك النظريات الصوفية الغالية التي ارتطم فيها من أول حياته الفلسفية، واستمر عليه يدندن حولها في كتاباته الإسلامية في: «الظلال»، و«المقومات»، و«الخصائص» ولم يشر من قريب ولا من بعيد إلى رجوعه عنها.

يؤكد هذا: ما قاله عبد الباقي محمد حسين الذي جمع ديوان سيد قطب ووثقه وقدم له، قال في ثنايا اعتزازه بتراث سيد قطب وأدبه، وبيان أن سيد قطب لم يرجع عنه ولم يتخل عنه: «ولم يرد نص مكتوب ولا نقل موثق عن سيد قطب يفيد تخليه عن أدبه، وكان بإمكانه هذا»[6].

---

(١) انظر: (ص ١٦٨-١٧١).

(٢) انظر: (ص٣١٤).

(٣) انظر ما أشرنا إليه من صفحات في رقم (١) و (ص١٣٣-١٤٠)

(٤) انظر: (ص ٣٢٦-٣٢٧).

(٥) انظر: (ص ٢٧٩).

(٦) ديوان سيد قطب (ص١٧).

أقول: نعم، لم يتبرأ سيد قطب من هذه النظريات والفلسفات الباطلة؛ لأنها ظلت مترسبة في نفسه وعقله فتبرز في نتاجه الأخير المسمى بالإسلاميات هنا وهناك في «الظلال»، و«الخصائص»، و«المقومات» ولا يبعد أن يكون الرجل ظل راضيًا عنها معتزًا بها، ولو أحس بخبثها وقبحها وخطرها -لاسيما وحدة الوجود- في يوم من الأيام لبادر إلى الإعلان ببراءته منها ولسارع إلى هدمها ونسفها والطعن فيها وفي أهلها والتحذير والتنفير منها شأن أي عاقل فضلًا عن مسلم يرى نفسه مجددًا ومنقذًا للأمة من وهدتها، بل لألّف في ذلك المؤلفات، أما والرجل لم يفعل شيئًا من ذلك، بل ظل يدور ويدندن حول تلك الفلسفات والنظريات ويطالعنا بها بين حين وآخر في إسلامياته[1] فمن الاستخفاف بعقول الناس، ومن المغالطات الكبيرة أن يقال: إنه قد رجع عنها؛ فهاك حديث سيد قطب عن فلسفته ونظرياته.

قال عبد الباقي محمد حسين[2]: «مقدمة الديوان كتبها الأديب الناقد سيد قطب بيراعه الثاقب ولمسته الحريرية عام (١٩٣٤) في مقدمة ديوانه (الشاطئ المجهول) آثرنا إثباتها في أول الديوان للاستفادة من رأي الشاعر وأفكاره فيها».

وقال عبد الباقي: «المقدمة بقلم الناقد سيد قطب:

تمهيد: أعرف مؤلف هذا الديوان؛ معرفة وثيقة عميقة، قد لا يتأتى لأي سواي أن يعرفها! ولقد صاحبته زهاء[3] سنوات عشر أو أكثر قليلًا، وراقبت خوالجه[4] وسرائره وخبرت اتجاهاته وميوله؛ وكونت لي رأيًا عنه، أقرب ما يكون إلى حقيقته.

ولقد كان يشجر بيننا الخلاف على كثير من الخوالج والقصائد، ولكنا كنا نلتقي عن قريب أو بعيد، إلا أمرًا واحدًا، لا نزال مختلفين فيه أشد الاختلاف، ذلك أنه راض عن مجموعة هذا الديوان، أما أنا فلست راضيًا عنها إلا بمقدار،

---

(١) بل هو - كما قيل في الغزالي - دخل في جوف الفلسفة ولم يخرج منها.

(٢) الحواشي في هذه الأوراق لعبد الباقي محمد حسين.

(٣) زهاء: ما يقرب من.

(٤) خوالجه: خواطره ونزعاته.

وما أزال أتطلع إلى مثل عليا، كما آخذ عليه بعض أنواع الضعف والخطأ، وما يشبه الضعف والخطأ في بعض الأفكار وبعض الألفاظ!

وفي هذه المقدمة سأستعرض آراء الشاعر واتجاهاته، ثم أذكر مآخذه وعيوبه محاولًا ألا تؤثر صحبتي الطويلة له، والصداقة العميقة بيننا، في تحليلي لديوانه!!

الشعر والنظريات العلمية والفلسفية:

في الفصل الأول من هذا الديوان[1]، وفي كثير من قصائد الفصول الأخرى تطالع القارئ نظريات علمية وفلسفية كثيرة، ولكنها لم تحتفظ بسَمْتها[2] العلمي وشخصيتها المحددة، بل استحالت صورة من صور الشعر فيها موسيقيته وعليها مسحته ولها سحنته[3].

وليس هنا عداء بين الشعر والفلسفة والعلم؛ فليس الثلاثة أندادا[4] حتى يشجر بينها العداء! إنما الشعر أوسع مجالًا من العلم! ومن الفلسفة أيضًا، ولن يعسر عليه حين يبلغ حدًّا مناسبًا من النضوج أن يلتهمهما جميعًا، ويعتصرهما دمًا، ويمثلهما غذاء، يقوي من بنيته وإن لم يحس بوجوده! ولن تنكر على الشعر إلمامه بالحقائق العلمية والفلسفية فيما يلم به من حقائق أخرى تناسب طبيعته؛ إلا إذا قصرنا طرق (المعرفة) على القوى الواعية في الإنسان، وهذا مبدأ لم يسلم من المآخذ، حتى في أكثف العصور مادية، وكثير من المدارس السيكولوجية[5] الحديثة، تحسب للقوى المجهولة في النفس الإنسانية حسابًا كبيرًا، وفي مقدمتها (مدرسة التحليل النفسي).

وهأنذا ألخص بعض هذه المسائل، التي تعرض للقارئ في هذا الديوان، والتي أدركها الشاعر بالإحساس والتأمل تارة، وبالاستغراق والتجرد تارة؛ فالتقت بعد ذلك بنظريات علمية وفلسفية مقررة، واتفقت معها أو اختلفت، لأنها

---

(١) كما جاء في ديوان الشاطئ المجهول.

(٢) بسمتها: بما تميزت به.

(٣) السحنة: الهيئة واللون.

(٤) الند: المثل والنظير.

(٥) السيكولوجية: علم النفس.

لم تتقيد بها، ولم تأت عن طريقها وحده.

الجسم والعقل والروح:

القول بالتباين بين الجسم والروح، قديم متداول في الفلسفة القديمة، والشاعر ميال إلى الأخذ بالروح العامة لهذه الفلسفة القديمة، وإن لم يأخذ بنصوصها في الفصل بين هذين العنصرين، لاعتقاده بوحدة الوجود.

وبالتحديد يرى أن هناك شيئين متميزين «جسمًا وروحًا» ولكن بينهما اتصالًا ... أما ما يستحق الالتفات فهو أنه يفرق بعد ذلك بين القوى العقلية والقوى الروحية في الإنسان، وبتعبير أدق: القوى الواعية، والقوى الملهمة -وليست هي الغرائز- القوى المجهولة الكُنْه والوظيفة، والتي تعمل دون شعور بها؛ للسمو بالإنسانية.

ويرى أن العقل يستطيع أن يكفل للإنسانية حياتها اليومية وما يقرب منها ولكنه يقصر عن اتصالها بالمثل العليا الغامضة، وبالعوالم المجهولة، كما يقصر عن إدماجها في الوحدة الكونية الكبرى، والحقيقة الثابتة المتصلة، التي تبعد عن الفواصل من أمثال: «قبل، وبعد، ماض، وحاضر، ومستقبل، أنا، وغير... » إلخ.

وفي قصيدة الشاطئ المجهول، وهي أولى قصائد الديوان تفصيل لهذا البحث، كما أن فيها ظاهرة أخرى؛ وهي عدم ثقة الشاعر بالقوى الواعية؛ وشدة إيمانه بالروح وما يتصل بها من بداهة[1] واستغراق وتجرد وصوفية.

لقد حجب العقل الذي نستثيره ... حقائق جلت عن حقائقنا الصغرى

هنا عالم الأرواح فلنخلع الحجا[2] ... فنغنم فيه الخلد والحب والسحرا

الجسم والزمن والوحدة:

القوى الروحية -عند الشاعر- هي التي تربطه بالوحدة الكونية الكبرى كما تقدم، في حين تقصر القوى العقلية عن ذلك، وهو يرى أن الشعور بالزمن؛ نتيجة لوجود الجسم والقوى الواعية، وأن الروح تحس بالوجود المطلق لا يقيده الزمن،

(١) وضوح الأفكار والقضايا بحيث تفرض نفسها على الذهن في الفلسفة.

(٢) الحجا: العقل.

وبالبداهة[١] لا يقيده المكان.

ولذلك فهو حينما خلع الجسم وخلع الحجا في (الشاطئ المجهول) رأى أن ليس هناك (حيث) ولا (أمس) ولا (اليوم) ولا (الغد) ولا (غير) ولا (أنا)... إلخ.

ولكنه رأى (الأزمان كالحلقة الكبرى) ورأى (الوحدة التي احتجبت سرًّا)، وكذلك في قصيدة (الليلات المبعوثة) حين تجرد لم ير للزمان معلمًا ولا رسمًا ورأى كل شيء كرمز الدوام.

وقد يكون لهذا الإحساس علاقة بنظرية النسبية[٢] لأنشتين، كما قد يكون له علاقة بنظريات التصوف الإسلامي ولكنه الإحساس المستقل للشاعر الذي يشعر به، ويكرره في كثير من قصائده.

ويبدو شعوره بالوحدة الكونية بشكل واضح في قصيدة: «الإنسان الأخير» حين يستيقظ والكون قد خلا من الأحياء.

فَفِي نفسه ما يشبه الموت سكرة ... ومن حوله موت نمته المقابر

وفي نفسه من مثلها كل ذرة ... فهاتيك أشلاء[٣] وهذي خواطر

وفي قصيدة: «خبيئة[٤] نفسي» إذ يقول:

خبيئة نفسي في ثناياك معرض ... لما لقيته الأرض في الجولان

وإنك طلسم[٥] الحياة جميعها ... وصورتها الصغرى بكل مكان

ويبدو شعوره بوحدة الإنسانية في مواضع كثيرة، منها أن يجعل الإنسان الأخير يحاول كشف أسرار الغيب إكمالاً للجهاد الإنساني لهذه الغاية:

---

(١) بالبداهة. بالتفكير السليم.

(٢) نظرية النسبية: النظرية التي يتوصل فيها على أساس مبدأ النسبية إلى معرفة ما تفضي إليه من نتائج ونظرية النسبية لأنشتين: العلاقة بين الزمن والكتلة والتي يطلق عليها أنها تتغير طبقًا لزيادة السرعة.

(٣) أشلاء. مفردها شلو، والأشلاء. أجزاء الجسم بعد الموت والبلى.

(٤) خبيئة: المخبوء.

(٥) الطلسم في علم السحر: الشيء الغامض.

فيا ليته يدري بما خلف ستره فيختم سفر[1] الناس في الكون ظافر

وفي قصيدة التجارب، يبدو إيمانه بوحدة الشعور فقد صور شقيًا وُهب ماضيًا سعيدًا؛ فلم يطق عليه صبرًا وعاد ماضيه الشقي توحيدًا لشعوره!

الإحساس بالزمن، ومحاولة الخلود:

تبدو ظاهرة؛ تستحق الالتفات في شعر هذا الديوان، فكثير منه يدل على إحساس متيقظ بالزمن ومروره والأسف على انقضائه، والتنبه إلى قصر الحياة، ومحاولة خلودها أو امتدادها على الأقل ويملأ الإحساس بالزمن كثير من فصول الديوان المختلفة؛ ففي فصل: «الظلال والرموز» يبدو هذا الإحساس على أشده في قصيدة: «البعث».

وقال سيد قطب[2]: إلى الشاطئ المجهول[3].

تطيف بنفسي وهي وسنانة[4] سكرى هواتف في الأعماق سارية تترى[5]

هواتف قد حجبن يسرين خفية هوامس لم يكشفن في لحظة سترا

ويعمرن من نفسي الْمَجاهل والدجى ويَجتين من نفسي المعالم والْجَهرا

وفيهن من يوحين للنفس بالرضا وفيهن من يلهمنها السخط والنكرا

ومن بين تلك الْهَواتف ما اسمه حنين ومنهن التشوق والذكرى

أهبن بنفسي في خفوت وروعة وسرن بهمس وهي مأخوذة سكرى

سواحر تقفوهن[6] نفسي ولا ترى من الأمر إلا ما أردن لَهَا أمرا

إلَى الشاطئ الْمَجهول والعالِم الذي حننت لمرآه إلَى الضفة الأخرى

إلَى حيث لا تدري إلَى حيث لا ترى معالم للأزمان والكون تستقرا

(١) سفر: كتاب

(٢) (ص١٢٣)

(٣) نشرت في (١٩٤٣).

(٤) وسانة. أخذت في النعاس، وهو مبدأ النوم.

(٥) تترى. متتابعة

(٦) تقفوهن. تتبعهن

إلى حيث (لا حيث) تَميز حدوده ... إلى حيث تنسى الناس والكون والدهرا
وتشعر أن (الجزء) و(الكل) واحد ... وتَمزج في الحس البداهة والفكرا
فليس هنا (أمس) وليس هنا (غد) ... ولا(اليوم) فالأزمان كالحلقة الكبرى
وليس هنا (غير) وليس هنا (أنا) ... هنا الوحدة الكبرى التي احتجبت سرا
خلعت قيودي وانطلقت مُحلقا ... وبي نشوة الْجَبار يستلهم الظفرا
أهوّم في هذا الْخُلود وأرتقي ... وأسلك في مسراه كالطيف إذ أسرى
وأكشف فيه عالـمًا بعد عالم ... عجائب ما زالت مُمنعة بكرا
لقد حجب العقل الذي نستشيره ... حقائق جلت عن حقائقنا الصغرى
هنا عالم الأرواح فلنخلع الحجا ... فنغنم فيه الخلد والحب والسحرا

مخالفة سيد قطب لعلماء السنة والتوحيد في تفسير لا إله إلا الله

قال الشيخ بكر: «وهنا أقول لجنابكم الكريم بكل وضوح: إنك تحت هذه العناوين: «مخالفته في تفسير لا إله إلا الله للعلماء وأهل اللغة» (٤٢-٤٤)، «وعدم وضوح الربوبية والألوهية عند سيد» (٤٥-٤٧).

أقول -أيها المحب الحبيب-: لقد نسفت بلا تثبت جميع ما قرره سيد -رحمه الله تعالى- من معالم التوحيد، ومقتضياته ولوازمه التي تحتل السمة البارزة في حياته الطويلة، فجميع ما ذكرتم يلغيه كلمة واحدة وهي: توحيد الله تعالى في الحكم والتشريع من مقتضيات كلمة التوحيد، وسيد رَحِمَهُ اللَّهُ ركز على هذا كثيرًا لَمَّا رأى من الجرأة الفاجرة على إلغاء تحكيم شرع الله من القضاء وغيره وإحلال القوانين الوضعية بدلًا عنها، ولا شك أن هذه جرأة عظيمة ما عهدتها الأمة الإسلامية في مشوارها الطويل قبل عام ١٣٤٢هـ»[١].

أقول:

أولًا: إن اقتصاركم على العناوين وحيدتكم عن ذكر النصوص ثم مناقشتها

---

(١) (ص٢).

مناقشة علمية أصبح سمة بارزة من سمات هذا الخطاب، فكأنكم تحسون بالعجز عن مواجهة هذه النصوص الدامغة فتفرون عنها إلى مكان بعيد، ثم تعودون في الخفاء إلى العناوين تقذفونها بالعبارات المجملة والتعميمات المفمغمة؛ لأن الهدف الأساسي هو كسب عواطف أحلاس سيد قطب ودغدغة عواطفهم وإشعارهم بأنهم انتصروا مهما كان هذا الانتصار ولو كان على الحق وأهله، على مذهب: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا» لا بالمعنى الإسلامي.

ولو كان الهدف الإنصاف وبيان الحق لما خضتم أساسًا في هذا البحث، ولو كان الأمر ملتبسًا عليكم وغامرتم فيه لكان الأولى بكم التزام شيء من المنهج العلمي في النقد دون ابتزاز لحرية القراء الذين يريدون أن يعرفوا الحقائق ويريدون التمييز بين الحق والباطل، أما هواة سيد قطب؛ فإن الأسلوب المحبب إليهم؛ هو هذا الأسلوب الذي دأبتم عليه مع الأسف.

ثانيًا - كان يجب أن تذكر معالم التوحيد التي شادها سيد قطب ثم نسفتُها ليتبين للناس أن انتقاد سيد قطب هدم لمعالم التوحيد، وكان يجب أن تبين لوازم التوحيد ومقتضياته التي نسفتُها جنبًا إلى جنب مع معالم التوحيد الأمور العظيمة التي هي السمة البارزة في حياة سيد الطويلة.

أؤكد رجائي أن تقوم بهذا الأمر العظيم، إبراز معالم التوحيد وقواعده المثلى من كلام سيد قطب لإيقاف من ينتقدونه عند حدهم، ولتربية الأمة جمعاء على هذه المعالم والقواعد.

أما أنا فلا أعرف هذا لسيد قطب، ولا أعتقد أن هذا هو السمة البارزة لحياة سيد الطويلة، والذي أعرفه عن حياة سيد أنه قضى جل حياته الطويلة في التلمذ على العقاد ثم على طه حسين، وعضوًا في حزب الوفد العلماني مدة خمسة عشر عامًا، وفي حيرة وشكوك حتى في وجود الله مدة خمسة عشر عامًا، وعاكفًا على دراسة الفلسفات الغربية وثقافات الأوربيين والأمريكان وغيرهما وقد صرح بهذا بنفسه وصرح بذلك أصدقاؤه الذين ترجموا له[1].

---

(١) انظر كتاب الخالدي: «سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد» من (ص ٢١٣-٢٤٥) تحت عنوان. مع=

لا صلة لسيد بالتوحيد ولا بعلم التوحيد ولا بكتب التوحيد فلهذا هو يتخبط

ولا صلة له بالتوحيد ولا بعلماء التوحيد ولا بكتب التوحيد؛ ولهذا تراه يخبط خبط عشواء في معاني الألوهية والربوبية وفي صفات الله وغيرها من القضايا الخطيرة في دين الله؛ لأنه هجم على تفسير كتاب الله بدون فقه ولا عقيدة صحيحة بل ركام من العقائد الباطلة، ولا يعول على أقوال مفسري السلف في قضايا التوحيد والعقيدة، ولا يعول عليهم في تفسير لا إله إلا الله لهذا كان تفسيره لآيات التوحيد نوعًا من التحريف.

فكيف يفهم معاني لا إله إلا الله؟!

وكيف يدرك الفرق بين الربوبية والألوهية؟!

وكيف ينجو من العقائد الضالة؟!

أرجو ترك الغلو في هذا الرجل وغيره والابتعاد عن نشر هذا الغلو الممجوج في صفوف المسلمين؛ فإن الأمة اليوم تجني ثمارًا مرة، وتعب سمومًا فتاكة من أفكار هذا الرجل وأمثاله، هي بحاجة إلى من يسعى بجد في إنقاذها مما هي فيه من هذه البلايا.

أمثلة من تفسير سيد قطب لكلمة التوحيد وآيات التوحيد

ثالثًا: لقد قدمت في كتابي: «أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره» أمثلة كافية تبين أن تفسيره لـ لا إله إلا الله تفسير بدعي يؤكد تفسير مبتدعة أهل الكلام، فهو يفسر «لا إله إلا الله»:

١- بأنه لا حاكم إلا الله «حاكمية تتمثل في قضائه وقدره كما تتمثل في

= سيد قطب في رحلة ضياعه، وانظر الكتاب نفسه من (ص ١٣٥-١٦٤) تحت عنوان: سيد قطب وعباس محمود العقاد، وفي أمريكا كان عضوًا في عدد من النوادي الكنسية كما ذكر ذلك عن نفسه في كتاب «الإسلام ومشكلات الحضارة».

شرعه»[1].

٢- ويفسر لا إله إلا الله بأنه لا شريك له في الخلق والاختيار [2]، وهذه إنما هي من معاني الربوبية لا من معاني الألوهية.

٣- وإن الإله هو المستعلي المستولي المتسلط[3] وقد ذكرت تفسيرها الصحيح من تفسيري الإمامين ابن جرير وابن كثير[4].

٤- ويقول سيد قطب: «فلقد كانوا -أي: العرب- يعرفون من لغتهم معنى «إله»، ومعنى: لا إله إلا الله .... كانوا يعرفون أن الألوهية تعني الحاكمية العليا...»[5].

٥- ويقول أيضًا: «لا إله إلا الله، كما كان يدركها العربي العارف بمدلولات لغته: لا حاكمية إلا لله، ولا شريعة إلا من الله، ولا سلطان لأحد على أحد؛ لأن السلطان كله لله»[6].

فأين المعنى الحقيقي لـ: لا إله إلا الله الذي جاء به الرسل جميعًا، ودان به الصحابة وعلماء الأمة إلا المتكلمين من أصناف أهل البدع الذين جاراهم سيد قطب بل زاد عليهم.

إن معنى لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله، عند كل من ذكرنا إلا عند أهل البدع.

وللحاكمية والخالقية والربوبية أدلتها التي لا ينكرها إلا كافر ملحد فتأخذ هذه المعاني من أدلتها، وذلك كاف شاف في الدلالة عليها ولا ضرورة لهذا التحريف السياسي والعقدي الذي يرتكبه سيد قطب، هذا التحريف المؤدي إلى ضياع توحيد

---

(١) العدالة الاجتماعية (ص١٨٢) الطبعة الثانية عشرة.

(٢) في ظلال القرآن (٥/ ٢٧٠٧) تفسير سورة القصص.

(٣) في ظلال القرآن (٦/ ٤٠١٠) تفسير سورة الناس.

(٤) انظر: «أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره» (ص٦٠-٦١).

(٥) في ظلال القرآن (٢/ ١٠٠٥).

(٦) في ظلال القرآن (٢/ ١٠٠٦)

الألوهية المؤدي إلى الشرك الأكبر.

٦- يقول في تفسير سورة هود: «فقضية الألوهية لم تكن محل خلاف، إنما قضية الربوبية هي التي كانت تواجهها الرسالات، وهي التي تواجهها الرسالة الأخيرة إنها قضية الدينونة لله وحده بلا شريك، والخضوع لله وحده بلا منازع، ورد أمر الناس كلهم إلى سلطانه وقضائه وشريعته وأمره، كما هو واضح من هذه المقتطفات من قطاعات السورة جميعًا».

٧- ويقول كذلك في تفسير هذه السورة: «وما كان الخلاف على مدار التأريخ بين الجاهلية والإسلام، ولا كانت المعركة بين الحق والطاغوت على ألوهية الله للكون وتصريف أموره في عالم الأسباب والقوانين الكونية، إنما كان الخلاف وكانت المعركة على من هو رب الناس الذي يحكمهم بشرعه ويصرفهم بأمره ويدينهم بطاعته».

انظر هذا الجهل وهذا التخبط الذي يحول آيات توحيد الألوهية والعبادة إلى الربوبية وإلى الحاكمية؛ فتكون النتيجة إخفاء معالم توحيد الألوهية الذي هو موضوع الآيات التي يفسرها والذي هو موضوع دعوات الرسل، وذلك يدفع القارئ الغبي إلى اعتقاد أن دعوات الرسل إنما كانت صراعًا مع الحكام فقط على الحاكمية على غرار دعوة سيد قطب لا لهداية البشر وإنقاذهم من براثن الشرك الأكبر!

وله تخبط كثير وكثير، مما يدل على أنه رجل غريب على التوحيد لا يُحسن حتى التطفل على مائدته فضلًا عن كونه يُشَيِّد معالمه كما يدعي له ذلك من يدعي.

إن تفسير سيد لـ: لا إله إلا الله، وتفسيره لآيات توحيد الألوهية نسف حقيقي لمعالم التوحيد، ودفن لخطورة الشرك الأكبر، ولا يدرك هذا إلا من فهم التوحيد حق الفهم وتخصص فيه دراسة له ودعوة إليه وذبًا عن حياضه، لا من ضيع حياته في الحيرة والضياع والتلمذة على طه حسين والعقاد، وضيع عمره في عضوية حزب الوفد العلماني، وفي دراسات الفلسفات الملحدة، ثم في آخر عمره يهجم على تفسير كتاب الله ويهجم على تفسير التوحيد والشرك بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ولا يدرك هذا من أسلم زمامه لسيد قطب وأمثاله واتبع هواه وكان أمره فرطًا.

سيد يعتقد ان توحيد الألوهية هو عين توحيد الربوبية ويعتقد ان توحيد الربوبية هو توحيد الحاكمية وبهذا ينسف توحيد الألوهية

ألا يكفي هذا للقول بأن سيد قطب يخالف العلماء في تفسير لا إله إلا الله؟! وأنه لا يفرق بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية؛ فهو يعتقد أن توحيد الألوهية هو عين توحيد الربوبية ويعتقد أن الربوبية هي الحاكمية، ويفسر آيات توحيد الألوهية ودعوات الرسل على هذا الأساس، ويفسر كلمة التوحيد على هذا الأساس؛ فتكون النتيجة نسف توحيد الألوهية الذي هو محور الصراع بين الرسل جميعًا وبين أممهم.

فأي جناية على التوحيد وأي تحريف أشد على القرآن والإسلام من هذا التحريف؟!

وأي جهل لقضية القضايا أشد من هذا الجهل؟!

وإنّي لأرثي لحال هؤلاء المساكين الذين لا يميزون بين الغث والسمين

ولا يفهمون معنى لا إله إلا الله أو يفهمونه فهمًا هزيلًا لا يغني عنهم فتيلًا عندما يطلب منهم مقارعة الحجة بالحجة، أو عند الصراع بين الحق والباطل، فإن هذا الصنف لابد أن ينحاز إلى أهل الباطل حينما يحمى الوطيس وتحمر الحدق ويقولون: ﴿نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ [المائدة: ٥٢].

قول سيد بخلق القرآن حقيقة ثابتة لا غبار عليها

قال الشيخ بكر: «خامسًا: ومن عناوين الفهرس: قول سيد بخلق القرآن، وأن كلام الله عبارة عن الإرادة (٨٨-٩٣) لما رجعت إلى الصفحات المذكورة لم أجد حرفًا واحدًا يصرح فيه سيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذا اللفظ: «القرآن مخلوق». كيف يكون هذا الاستسهال للرمي بهذه المكفرات، إن نهاية ما رأيت له تمدد في الأسلوب كقوله: «ولكنهم لا يملكون أن يؤلفوا منها -أي: الحروف المقطعة- مثل هذا الكتاب؛

لأنه من صنع الله لا من صنع الناس»، وهي عبارة لا نشك في خطئها، لكن هل نحكم من خلالها أن سيدًا يقول بهذه المقولة الكفرية -خلق القرآن-، اللهم إني لا أستطيع تحمل عهدة ذلك»[1].

أقول: يبدو أن الشيخ بكرًا يتقطع غيرة وحماسًا لسيد قطب!!

ولم أر فيه أي أثر للغيرة السنية السلفية على العقيدة الإسلامية التي مرغها سيد في أوحال التعطيل والتحريف، ولم نر منه أي غيرة لنبي الله وكليمه موسى!

ولم نر منه أي أثر للغيرة على أصحاب رسول الله ﷺ. ولم نر... ولم نر... إلى آخر الموضوعات التي ناقشنا فيها فظائع سيد قطب على الإسلام وعقائده ومبادئه وتشريعاته، فما هي الأسباب؟! وما هي الأسرار من وراء كل هذا؟!

فلشدة غيرة هذا الرجل وحماسه جعل كل همه في الدفاع عن سيد وتبرئة ساحته وإخراج صفحات له بيضاء تسر الناظرين لها من القطبيين وأضرابهم ومن يقدس سيد قطب من المبتدعين والخرافيين، والزج بمن يتجرأ على قداسة هذا الرجل في أقفاص الاتهام وإبراز صفحات كتابه الذي تطاول فيه على قداسة هذا الرجل صفحات سوداء!

في هذا الفصل لَبَس الشيخ بكر الفقيه منظار الظاهرية الجامد على الحروف والألفاظ والمتعامي عن المقاصد والمعاني والعلل؛ فكانت النتيجة الحاسمة في ضوء هذا المذهب تبرئة ساحة سيد من القول بخلق القرآن كبراءة الإمام أحمد من هذه العقيدة الفاسدة.

وقد أكون مخطئًا في نسبته في هذه القضية إلى الظاهرية! فلعل عنده مؤلفات لسيد قطب يرد فيها على القائلين بخلق القرآن! أو قد يكون له مقالات دَبَّجَها للرد على الفرق الضالة القائلة بخلق القرآن وغيره! أو يكون له جولات وصولات في ثنايا مؤلفاته المنتشرة انتشار الشمس لم أقف عليها! وقد تكون هذه كلها!!

فدفعه كل هذا أو بعضه بالإضافة إلى الورع الشديد إلى تبرئة ساحة سيد من هذه المقولة!

---

(١) (ص٢-٣).

وإني لأرجو المبادرة بإسعافي وإخراجي من هذه الورطة الكبيرة التي أوقعني فيها ظلمي وجرأتي على سيد قطب، فإن لم يجد فليعذرني القارئ ولاسيما السلفي.

وليعلم القارئ أنني قد وقفت على إطلاق سيد قطب على القرآن أنه صنعة الله وأنه مصنوع من قبل عشرين سنة، ولم أقدم على وصفه بأنه يقول بخلق القرآن حتى تجمعت لدي الأدلة القوية الواضحة من كلام سيد نفسه ومن سيرته التي سَوَّغت لي أن أصفه بهذا الوصف سالكًا بذلك طريق السلف في النصح للمسلمين وكشف دسائس وفكر المبتدعين.

بعض الأدلة على أن سيد قطب يقول بخلق القرآن

فمن تلكم الأدلة:

١- أنه من معطلة الصفات؛ صفات الله -جلَّ وعلا-، ولا يَمُتُّ إلى أهل السنة المثبتين بأي صلة في هذا الباب؛ فقد عطل صفة استواء الله على عرشه[1]، وصفة مجيئه يوم القيامة، وصفة اليدين، وينكر وجود عرش الله وكرسيه أو يشك فيهما، ويعطل صفتي القبض والبسط، ورفع عيسى إلى السماء.

وقد سردت أقواله وناقشتها في كتابي: «أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره» من (ص٦٧-٧٢)، فهل ينتظر ممن هذه حاله أن يُجَرِّم من يقول بخلق القرآن وهل ينتظر منه السير على سنن أهل السنة والجماعة في القول بأن القرآن كلام الله غير مخلوق وأن القول بخلق القرآن كفر أو حتى بدعة؟!

ولهذا لم نجد له كلمة واحدة تصرح أو تلمح ولو من بعيد بأن القرآن كلام الله غير مخلوق.

٢- أنه يمتاز بالحذر الشديد من أن توجه إليه سهام النقد؛ فيستعمل في القضايا

---

(١) انظر تفسير سورة طه (٤/ ٢٣٢٨) من كتاب الظلال عند تفسير قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ حيث قال: «الاستواء على العرش كناية عن غاية السيطرة والاستعلاء، فأمر الناس إذن إليه وما على الرسول إلا التذكرة لمن يخشى، ومع الهيمنة والاستعلاء الملك والإحاطة».

التي يرى نفسه مخالفًا فيها أهل السنة أو لغيرهم من العلماء العبارات المطاطة التي لا يدركها كثير من الناس ولا يدركها إلا من له معرفة وبصيرة نافذة؛ فهو بهذا الأسلوب يدفع عن نفسه سهام النقد.

فمثلًا صرح الإخوان المسلمون بإيمانهم بالاشتراكية التي يصفونها بأنها إسلامية وألفوا فيها المؤلفات يحرفون فيها نصوص القرآن والسنة، فكان للنقاد منهم موقف فانتقدوهم ووصفوهم بالشيوعية، كما صرح بشيء من ذلك محمد الغزالي في كتابه: «الإسلام المفترى عليه»، فأدرك سيد قطب هذا فعمل له غاية الاحتياط لما ألف كتابه: «العدالة الاجتماعية» فسمى الكتاب بهذا الاسم وقرر فيه الاشتراكية بأقوى الأساليب التي يوهم الناس فيها أنه يستدل بالقرآن والسنة وقواعد الشريعة، ولم يذكر لفظ الاشتراكية في كل تقريراته للاشتراكية لا في العدالة ولا في غيرها، ولا سمى الكتاب بالاشتراكية مع أنه كما أشار الخالدي[1] وضع اسم العدالة الاجتماعية بديلًا للشيوعية و الاشتراكية

و لا تستبعد هذه الأساليب من سياسي محنك أمضى عمره في السياسة.

٣- لا أتصور أن سيدًا في حياته الطويلة العلمية والسياسية لم يسمع قط بأنه وقعت فتنة كبيرة بين أهل السنة والجماعة وبين المعتزلة في قضية القرآن حيث يقول أهل السنة بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، وتقول المعتزلة بأن القرآن مخلوق.

فاستعان المعتزلة بقوة السلطان فاستغلوا سلطة ثلاثة من الخلفاء العباسيين: المأمون، والمعتصم، والواثق في اضطهاد أهل السنة بالسجن والقتل والتشريد وغير ذلك من ألوان الاضطهاد، الأمر الذي اشتهر وانتشر في أوساط العامة والخاصة إلى يومنا هذا ذلك الأمر الذي لا يجهله من هو دون سيد بمراحل في

---

(١) قال الخالدي في كتابه. «سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد» (ص٢٧٤): «وألهمه الله استخدام هذا المصطلح العدالة الاجتماعية، وبذلك رفض المصطلحين الشائعين في الأوساط الاجتماعية والإصلاحية وهما: الشيوعية والاشتراكية». وإن كان الخالدي يقصد المدح والإشادة بهذا التصرف لكن الحقيقة ما أشرت إليه.

الثقافة والاطلاع.

٤- إني وجدت لسيد قطب أقوالًا في الظلال وغيره ينكر فيها أن الله يتكلم، ويرى أن كلام الله هو مجرد الإرادة، مثل قوله في كتاب: «السلام العالمي والإسلام» (ص١٥):

أ- «عن إرادة هذا الإله الواحد يصدر الكون بطريق واحد، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾، فلا واسطة بين الإرادة الموجدة والكون المخلوق، ولا تعدد في الطريقة التي يصدر بها هذا الكون كله عن الخالق الواحد، إنها مجرد الإرادة التي يعبر عنها القرآن بكلمة: (كن)، وتوجه هذه الإرادة كاف وحده لصدور الكون عنها».

فما معنى هذا الكلام، وهل يصدر هذا الباطل ممن يؤمن بأن الله يتكلم متى شاء وإذا شاء؟!

ب- ويقول في ظلال القرآن: «فقوله تعالى إرادة[1]، وتوجه الإرادة ينشئ الخلق المراد» وهذا تعطيل واضح لصفة كلام الله التي صرح بها القرآن والسنة ودان بها السلف.

ج- ويقول في الظلال أيضًا: «ولقد صدر هذا الكون عن خالقه عن طريق توجه الإرادة المطلقة القادرة: (كن)، فتوجه الإرادة إلى خلق كائن ما كفيل وحده بوجود هذا الكائن على هذه الصورة المقدرة له بدون وسيط من قوة أو مادة، أما كيف تتصل هذه الإرادة التي لا نعرف كنهها بذلك الكائن المراد صدوره عنها فذلك هو السر الذي لم يكشف للإدراك البشري عنه، لأن الطاقة البشرية غير مهيأة لإدراكه».

فقوله: بدون وسيط؛ إنكار لصفة الكلام.

ويقول في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه:١١-١٢]: «نودي بهذا البناء للمجهول فما يمكن تحديد مصدر النداء، ولا اتجاهه، ولا تعيين صورته، ولا كيفيته، ولا كيف سمعه موسى أو تلقاه،

(١) أي ليس بكلام.

نودي بطريقة ما فتلقى بطريقة ما، فذلك من أمر الله، الذي نؤمن بوقوعه ولا نسأل عن كيفيته؛ لأن كيفيته وراء مدارك البشر وتصورات الإنسان»

هذه النصوص من سيد قطب واضحة قاطعة بأن الله لا يتكلم ولا يخلق بالقول كما هو صريح القرآن وعقيدة أهل السنة والجماعة، وإنما يخلق بمجرد الإرادة بدون وسيط، والوسيط المنفي هنا المقصود به القول والكلام في الدرجة الأولى، وهل من يقول: إنها مجرد الإرادة المعبر عنها القرآن بكلمة: (كن) وأن توجه الإرادة كاف وحده لصدور الكون عنها، وهل من يقول: فقوله تعالى إرادة، وتوجه الإرادة ينشئ الخلق المراد، وتوجه الإرادة المطلقة القادرة (كن) فتوجه الإرادة إلى خلق كائن ما كفيل وحده بوجود هذا الكائن بدون وسيط من قوة أو مادة.

هل من يقول مثل هذه الأقوال الواضحة في نفي الكلام عن الله ومَن واقعه ما ذكرناه آنفًا يؤمن بأن القرآن كلام الله غير مخلوق على طريقة أهل السنة والجماعة؟!

إن دون إثبات أنه يؤمن أن الله يتكلم وأن القرآن كلام الله غير مخلوق لسيد قطب، إن دون ذلك لخرط القتاد.

بناء على كل ما سبق من تصريحات وقرائن تعطي العلم: جزمتُ بأن سيد قطب يقول بخلق القرآن، وأنه يقصد بقوله: «والشأن في هذا الإعجاز هو الشأن في خلق الله جميعًا، وهو مثل صنع الله في كل شيء...» القول بأن القرآن مخلوق، بل هذا السياق وحده يرشح للحكم عليه بأنه يقول بخلق القرآن، ويمسك بخناق من ينفي عنه ذلك.

فهل يرى العاقل المنصف أي مسوغ لقول الشيخ بكر: «كيف يكون هذا الاستسهال للرمي بهذه المكفرات»، مستنكرًا عليَّ قولي أن سيدًا يقول بخلق القرآن؟!

فلو كان حكمي هذا المبني على تلك الأدلة والبراهين الناصعة والقرائن القوية استسهالًا ثم أصدر هذا الحكم لما صح حكم على أحد لا في العقائد ولا في غيرها ولما قامت الحجة على أحد ولسادت السفسطة والمذاهب الباطلة.

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

أما استدلالكم بأن عظيمة قد قال في القرآن مثل قول سيد قطب فمن العجائب، فمن قال إن قول عظيمة وأقوال أمثاله حجة، وتذكر قول شيخ الإسلام: إنه لا يحتج بقول أحد من الناس، وإنما يحتج لهم، ولو صح الاحتجاج بقول بعض الأئمة فمن هو عظيمة حتى يحتج مثلكم بأقواله؟ فهل عرفت إمامته في الدين؟ ومن هم الذين أشرفوا على طبع كتابه وأقروا فيه هذا القول الباطل؟ أهم أئمة الإسلام أم هم تلاميذ سيد قطب؟ ولو كانوا منسوبين إلى جامعة الإمام التي امتحنت كغيرها بهذه النوعيات التي تنصر الباطل في الظلام وتمرره تحت ستار هذه الجامعات التي ما قامت إلا لنصرة الحق ونشره والذب عنه.

اتهامات جريئة

قال الشيخ بكر: «وأكتفي بهذه من الناحية الموضوعية وهي المهمة ومن جهات أخرى أبدي ما يلي:

١- مسودة هذا الكتاب تقع في (١٦١) صفحة بقلم اليد، وهي بخطوط مختلفة، ولا أعرف منه صفحة واحدة بقلمكم حسب المعتاد، إلا أن يكون اختلف خطكم أو اختلط عليَّ أم أنه عهد بكتب سيد قطب -رحمه الله تعالى- لعدد من الطلاب فاستخرج كل طالب ما بدا له تحت إشرافكم أو إملائكم لهذا، فلا أتحقق من نسبته إليكم إلا مما كتبته على طرته أنه من تأليفكم، وهذا عندي كاف في التوثيق بالنسبة لشخصكم الكريم»[1].

أقول: إن كتاب: «أضواء إسلامية» تأليفي وصياغتي، أما اختلاف خطوطه فنعم كانت عيني تؤلمني فاحتجت إلى من يساعدني في تبييض بعضه، بل احتجت أثناء تأليفه إلى تصوير بعض الورقات من كتب سيد قطب، فصورتها لأناقشها بنفسي وبأسلوبي ونقدي وصياغتي بل قد احتجت في نادر من الأحيان إلى من ينسخ لي حديثًا فأقوم أنا بتخريجه من مصادره وبيان درجته والحكم عليه، وكل هذا أمر

---

(١) (ص٣)

سائغ شائع بين العلماء قديمًا وحديثًا لا يعاب به أحد، ولا يستجيز مسلم ولا غيره أن ينسب كتابًا حصلت فيه مساعدة من هذا النوع إلى غير مؤلفه، ولا يستجيز أحد تعييره.

وإن العلماء الكبار ليذهبون إلى أكثر من هذا من البصراء والأكفاء؛ فمن الأكفاء: الإمام الترمذي، والسهيلي صاحب الروض الأنف، ومن البصراء: الإمام البخاري، ويعقوب بن شيبة، وأبو داود -رحمهم الله-.

قال الخطيب: «قال الأزهري: وبلغني أن يعقوب كان في منزله أربعون لحافًا، أعدها لمن كان يبيت عنده من الوراقين لتبييض المسند ونقله، ولزمه على ما خرج من المسند عشرة آلاف دينار»[1].

ومن الأكفاء المؤلفين شيوخنا الأجلاء: الشيخ محمد بن إبراهيم، والشيخ عبد الله بن حميد، والشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ولم يغمز هؤلاء العلماء ولا أولئك أحد ممن يفهم ويعقل مع أن ما قدم لي من المساعدة لا يعد شيئًا بالنسبة إلى ما يُعان به العلماء المذكورون آنفًا، وكم من الرسائل الجامعية يعلن أصحابها جزيل الشكر في صالات المناقشات لكل من مد لهم يد المساعدة ولا ينكر على أحد منهم ولا يوجه إليهم لوم.

فما بال الشيخ بكر يطعن ويهوش بشيء يعرف هو أنه لا يجوز عقلًا ولا شرعًا ولا عادة الطعن به، ولعله من أكثر الناس ممارسة لهذا وأشدهم احتياجًا إليه.

أما قول الشيخ بكر: «ولا أعرف منه صفحة واحدة بقلمكم حسب المعتاد إلا أن يكون اختلف خطكم أو اختلط علي».

أقول: إن خطي لم يختلف وما أظنه اختلط عليكم.

وإلى القراء الصفحات التي هي بخطي أو شاركني في تبييضها بعض الناس:

أولًا: صحائف كلها بخط يدي وهو يعرفه كما اعترف بذلك (ص٨/ ١٥/ ١٦/ ١٧/ ١٨/ ٢٥/ ٢٨/ ٢٩/ ٣٠/ ٣٢/ ٣٣/ ٣٤/ ٣٥/ ٣٦/ ٣٧/ ٤١/ ٤٣/ ٤٨)،

(١) تاريخ بغداد (١٤/ ٢٨١)، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٧٧).

وهذه تعليق على أسطر مصورة من كتاب: «معالم في الطريق»، و(٥٢/ج، ٥٢/د، ٥٣/أ، ٥٤، ٦٢، ٦٩، ٧٠، ٧٦، ٨٣، ٨٧، ٩٠، ٩١، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٨، ١٠٩، ١١٤/ب، ١١٧، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٦، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٥٢، ١٥٣)، ومجموع هذه الثلاث يعادل صفحة واحدة (١٥٥، ١٥٧، ١٥٨) إلا ثلثي سطر ١٥٩، هذه ست وستون صفحة خالصة بخطي إلا بعض سطر من صفحة ١٥٨ كما ترى.

فما الذي أعمى بكرًا أبا زيد عن كل هذه الصحائف حتى لو كان استعرض الكتاب مجرد استعراض؟ إنه الهوى والرغبة الجامحة في الطعن والتشويه، وإن هذا العمل وأمثاله لا يصدر إلا من قلب مريض بالهوى أعاذنا اللّٰه والمسلمين من الهوى وأمراض القلوب والنفوس.

ومع كل ما ارتكبه من ظلم يقول: «إن اللّٰه يحب العدل والإنصاف في كل شيء» كبر مقتًا عند اللّٰه أن تقولوا ما لا تفعلون، ثم هب أن الكتاب كله من أوله إلى آخره بقلم غيري فهل يعتبر عاقل منصف ذلك طعنًا.

وإذا أملى عالم على طالب أو طلاب أو كلف طالبًا بنقل حديث أو قول من كتاب ثم خرجه ذلك العالم وشرحه واستنبط منه العقائد والفقه أو نقد ذلك القول وبين فيه وجوه الضلال والانحراف أيكون ذلك الطالب شريكًا في التأليف؟

وهناك صحائف شاركني بعض الطلاب في تبييضها (ص٦، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٢٦، ٢٧، ٣١، ٣٨، ٣٩، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٥٢، ٥٨، ٥٩، ٦٣، ٦٤، ٦٤/ج، ٦٦، ٦٧، ٧٣، ٧٧، ٧٨) والباقي مصوَّرة من كتاب الندوي (٨١، ٨٥، ٩٧، ٩٨، ١٠٦، ١١١، ١١٢، ١١٤/أ، ١١٥، ١١٦، ١١٨، ١٣٥، ١٣٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٤، ١٦٠) هذه أربعون صفحة حصلت مشاركة في تبييضها على تفاوت، فبعضها بيض معظمها بقلمي وبعضها معظمها بقلم غيري[1]، والقليل من

(١) والأصل الخطي الذي صورت للشيخ بكر منه هو الذي صورت منه لبعض المشايخ، وهو موجود لديهم يشهد على ما سلناه ويزيف دعواه.

الصفحات الكاملة تبييض غيري، ولا عيب في ذلك كما سلف لكن من المستغرب جدًا أن الشيخ يتعامى عن كل هذا الذي يعرفه ويعيب بما يعلم أنه ليس بعيب.

قال الشيخ بكر: ٢١- مع اختلاف الخطوط إلا أن الكتاب من أوله إلى آخره يجري على وتيرة واحدة، وهي أنه بنفس متوترة وتهيج مستمر ووثبة تضغط على النص حتى يتولد منه الأخطاء الكبار، وتجعل محل الاحتمال ومشتبه الكلام محل قطع لا يقبل الجدل، وهذا نكث لمنهج النقد: الحيدة العلمية»[1].

أقول: على هذا المقطع مآخذ:

الأول: أن فيه مناقضة لما في المقطع السابق من الادعاء المبطن من أنني عهدت إلى عدد من الطلاب فاستخرج كل طالب ما بدا له تحت إشرافي، أي أن مؤلفي الكتاب غيري تحت إشرافي، وإذا كان الأمر كما تزعم فكيف تجري كتاباتهم على وتيرة واحدة، وقد فاوت الله بين البشر في صورهم وطباعهم وأخلاقهم وأساليبهم في الكتابة؟ فلابد أن تظهر الفوارق بين أساليب هؤلاء المشتركين إن كان قد وقع اشتراك، وإن جريان الكلام على وتيرة واحدة كاف لنسف هذا الزعم الباطل.

الثاني: أن الكتاب أرفع وأعلى قدرًا شكلًا ومضمونًا وغاية وأسلوبًا من أن يكون فيه شيء مما وصفته به، وقد عرف قدره ومنزلته وفرح به أهل الحق في كل مكان ونزل عليهم نزول الغيث المريع بعد جدب طويل، وهو موجود وفي متناول يد كل منصف، ولن يؤيدك على هذا الكلام إلا من أنهكه الهوى، بل بلغني الثناء عليه ممن كان من المتحزبين ثم أفاق من غيبوبته.

الثالث: قد برهنا لكم أننا لم نؤاخذ سيد قطب إلا بصريح كلامه وواضحه، أما المتشابهات والمحتملات فما أكثرها فقد ضربنا عنها صفحًا، بل قد ضربنا صفحًا عن كثير من زلاته الواضحة.

ومثل هذا التهويش الذي لا يعجز عنه أحد قد قيل في كلام أكابر العلماء

(١) (ص٣).

وفحولهم المتَّسمين بالعدل والإنصاف والعلم الغزير، فكم من طاعن في الإمام أحمد، وعثمان بن سعيد الدارمي، وعبد الله بن أحمد وابن خزيمة، وابن تيمية، وابن القيم، وابن عبد الوهاب وأمثالهم، وكم من مدافع عن أهل الباطل من مثل ابن عربي والتلمساني وابن الفارض والحلاج، فلي أسوة بأئمة الإسلام الصادعين بالحق والمنافحين عنه، ولقد حكمت أيها الشيخ على الكتاب من أوله إلى آخره بهذه الأحكام المشوهة.

ولقد اعترفت عندي أنك لم تقرأ إلا قطعتين من فصلين وطلبت منك بإلحاح تكملة الفصلين فأبيت أشد الإباء، ثم الآن تُشعر القراء بأنك قرأت الكتاب من أوله إلى آخره، وسواء صح هذا أو ذاك فكلاهما عليك لا لك، فإن كنت قرأته كله فمستحيل أن يكون كتاب من أوله إلى آخره مثل ما وصفت، ولو كان مؤلفه يهوديًا أو نصرانيًا أو رافضيًا، فكيف بمسلم سلفي؟!

وما عرفنا ناقدًا يجازف مثل هذه المجازفات، وإن كنت قرأت القطعتين المشار إليهما فقط، ثم حكمت على الكتاب كله كما واجهتني بذلك كفاحًا، فما عرفنا حاكمًا حكم بمثل هذا الحكم، ولقد آذيت نفسك أشد الأذى بمثل هذه المجازفات، وإني لأرثي لحالك ومشفق عليك، ولا أريد أن أتناول أسلوبك في مؤلفاتك فإني لو أردت ذلك لوجدت مجالًا فسيحًا للنقد بحق.

الشيخ بكر بين الإفراط والتفريط

قال الشيخ بكر: «٣- من حيث الصياغة إن قارنا بينه وبين أسلوب سيد - رحمه الله تعالى - فهو في نزول، وسيد قد سما، وإن اعتبرناه من جنابكم الكريم فهو أسلوب إعدادي لا يناسب إبرازه من طالب علم حاز العالمية العالية.

لابد من تكافؤ القدرات في الذوق الأدبي، والقدرة على البلاغة والبيان وحسن العرض، وإلا فليكسر القلم»[1].

أقول: إني أشك في كثير من الفقرات في هذا البحث وأستبعد أن تكون من

(١) (ص٣).

أفكار بكر وصياغته التي عهدتها وغيري، وعلى كل فقد تخللت هذه فقرات بحثه ورضي أن تنتشر باسمه فهو يتحمل مسئوليتها.

أسلوب رادع للغلاة في سيد ألجئت إليه فليحتمله القارئ

أريد أن أوضح قضية سمو سيد قطب في صياغة الكلام والأسلوب المعجز، فسيد يحب السمو والتحليق في الآفاق الغابرة حتى ليتراءاه مريدوه، كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق، وساعده على هذا السمو والتحليق في الآفاق العليا البعيدة -في نظر مريديه- وجود محطات فضائية كثيرة جدًّا؛ فلا يكاد ينتهي وقود التحليق بعد إقلاعه من محطة ما إلا وتواجهه محطة أخرى، فهو لأجل ذلك في تحليق وسمو دائبين.

فمثلًا شحن مركبته من محطة التنقص لنبي الله موسى الكليم، وحلق في أجواء من يؤذي الأنبياء ويتنقصهم، وما كاد ينتهي به الوقود فإذا بمحطة الروافض تستقبله فيشحن مركبته من وقودها للطعن في أصحاب رسول الله ﷺ، ثم حلق في هذه الأجواء طويلًا جدًّا لأنه أخذ شحنات هائلة من الوقود، وهكذا في خلال هذا السمو والتحليق مر بمحطات كثيرة وأجواء عريضة فسيحة من التجهم والاعتزال وحظ من وحدة الوجود، والتحليق في أجواء تكفير الأمة.

فإن كان الشيخ بكر قد قرأ الكتاب كله كما يشير إلى ذلك قوله في الفقرة السابقة لهذه الفقرة وهو: «إلا أن الكتاب من أوله إلى آخره يجري على وتيرة واحدة»، فلابد أن يكون قد رأى تنقصه لنبي الله موسى وإيذاءه.

عشرة أمثلة من ذم سيد قطب لنبي الله موسى -عليه الصلاة والسلام- وإيذائه فهل هذا سمو؟

يمثل قوله: ١- «لنأخذ موسى؛ إنه نموذج للزعيم المندفع العصبي المزاج»،

٢- وقوله: «وهنا يبدو التعصب القومي، كما يبدو الانفعال العصبي».

٣- وقوله: «وسرعان ما تذهب هذه الدفعة العصبية فيثوب إلى نفسه شأن

العصبيين أيضًا».

٤- ويقول: «﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص:١٨] وهو تعبير مصور لهيئة معروفة: هيئة المتفزع المتلفت».

٥- ويقول: «وينسيه التعصب والاندفاع استغفاره وندمه وخوفه وترقبه».

٦- ويقول: «فلندعه هنا لنلتقي به في فترة ثانية من حياته بعد عشر سنوات، فلعله قد هدأ وصار رجلًا هادئ الطبع حليم النفس، كلا فها هو ذا ينادى من جانب الطور الأيمن أن ألق عصاك فألقاها فإذا هي حية تسعى، وما يكاد يراها حتى يثب جريًا لا يعقب ولا يلوي .. إنه الفتى العصبي نفسه، ولو أنه قد صار رجلًا فغيره يخاف نعم، ولكنه كان يبتعد منها ويقف ليتأمل هذه العجيبة الكبرى»

أعوذ بالله من سوء الأدب مع العلماء، فكيف بالأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-.

٧- يقول: «ثم لندعه فترة أخرى لنرى ماذا يصنع الزمن في أعصابه ... ثم حدث ما لا تحتمله أية أعصاب إنسانية بله أعصاب موسى».

و أعوذ بالله مرات وكرات، كيف يصور هذا النبي الكريم في أدنى درجات العصبيين.

٨- ويقول فيه ﷺ: «عودة العصبي في سرعة واندفاع».

٩- ويقول: «ثم هاهو ذا يعود فيجد قومه قد اتخذوا لهم عجلًا إلَهًا وفي يديه الألواح التي أوحاها الله إليه فما يتريث وما يني ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ وإنه ليمضي منفعلًا يشد رأس أخيه ولحيته ولا يسمع له قولًا».

١٠- ويقول معلقًا على قول الله تعالى عن موسى: ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ [طه:٩٧] «هذا في حنق ظاهر وحركة متوترة»[1].

أقول: بهذا الأسلوب الساقط الهابط يترجم لنبي الله موسى القوي الأمين

---

(١) راجع التصوير الفني من (ص٢٠٠) إلى (ص٢٠٣).

الصابر العظيم على أشد ألوان الأذى، فهل هذا عند الشيخ بكر من السمو والتحليق.

ولو وصف أحط الناس بعبارة واحدة من هذه العبارات السيئة السخيفة لاستشاط غضبًا وأنفة لرجولته، وهل تحتمل أنت أيها الشيخ مثل هذه الترجمة أو بعضها؟ كلا ثم كلا.

قال سيد قطب هذه السفاهات في كتابه بدعة التصوير الفني وهو من إسلامياته، ويعد عند أتباعه من روائعه، وفيه من البلايا والدواهي ما يندى له الجبين، وظل هذا الكتاب يطبع وينشر كرات ومرات في حياة سيد قطب وإلى يومنا هذا.

كانت مناقشتي في الأضواء لسيد علمية ومهذبة

ولقد ناقشته في كتابي: «أضواء إسلامية» مناقشة علمية مؤدبة مهذبة، ولم أسمح لنفسي أن أصفه بشيء مما وصف به نبي اللّٰه موسى -عليه الصلاة والسلام-، فيأتي مثل الشيخ بكر فيصف كلام سيد قطب بالسمو، وكلامي بالنزول.

لقد هزلت حتى بدا من هزالِهَا كلاها وحتى سامها كل مفلس

منزلة نبي اللّٰه موسى -عليه الصلاة والسلام- عند اللّٰه وعند رسوله وعند المؤمنين

لقد اعتبر رسول اللّٰه ﷺ نبي اللّٰه موسى قمة وقدوة في الصبر، روى الإمام البخاري[1] رَحِمَهُ اللَّهُ عن الصحابي الجليل عبد اللّٰه بن مسعود رضي الله عنه قال: «قسم رسول اللّٰه ﷺ قسمًا، فقال رجل: إن هذه القسمة ما أريد بها وجه اللّٰه، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه، ثم قال: **يرحم اللّٰه موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر**».

فهذا رسولنا الكريم ﷺ وصف موسى بأنه كان صبورًا حليمًا، يصبر على

---

(١) الصحيح، حديث (٣١٥٠، ٣٤٠٥).

الأذى الكثير ويجعل منه أسوة وقدوة في الصبر، وسيد قطب يرميه بأنه عصبي المزاج، متوتر الأعصاب، بل النموذج للزعيم المندفع العصبي المزاج، والله يحكي وصفه بالقوي الأمين، فغضبه لله وأخذه برأس أخيه يجره إليه، وقوله للسامري: ﴿وَانظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾[طه ـ ٩٧] دليلان على قوته في دين الله لا على عصبيته.

وكل ما وصفه الله به أدلة على كرامته ومنزلته عند الله لا على ما وصفه به سيد قطب، والله يقول له: ﴿إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾ [الأعراف: ١٤٤].

ويقول: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ [طه: ١٣].

ويقول: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه ـ ٣٩].

ويقول: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ [طه: ٤١]. فيتجاهل سيد قطب كل هذا، وينتزع له من الآيات الدالة على عظيم منزلته عند الله أنه نموذج للزعيم المندفع العصبي المزاج ... إلى آخر إساءاته التي رماه بها، وكل هذا وأضعاف أضعافه من الضلالات والدواهي عند الغلاة في سيد قطب لا يضر ولا يهز مكانته بل يوصف كلامه فيها بالسمو، وكلام من يناقشه بالنزول؛ أي: أنه كلام ساقط هابط.

هذه بعض أحكام من يريدون أن يقيموا دولة العدالة والخلافة الراشدة ويرفعوا شعار أنه لا حكم إلا لله، فهل هؤلاء الذين لا ينصفون الله والإسلام ولا يعطون العدل لمقام النبوة والصحبة ولا للدولة الأموية والعباسية، ويشيدون بطواغيت من طواغيت العصر أينتظر منهم أن يقوموا بالعدل وأن يقيموا دولة العدالة؟ أضف إلى ذلك ما يتمتعون به من الإرهاب الفكري ضد من يقول كلمة الحق والعدل وتشويه سمعة كل من ينتقد أخطاءهم بالدعايات الظالمة والإشاعات الكاذبة التي يخجل منها أشد الناس ضلالًا وانحرافًا.

* * *

شروط الشيخ بكر تقتضي تكسير أقلام العلماء
أمام هجمات أدباء أهل الضلال والبدع على الحق وأهله

يقول الشيخ بكر: «لابد من تكافؤ القدرات في الذوق الأدبي، والقدرة على البلاغة والبيان، وحسن العرض، وإلا فليكسر القلم»[1].

أقول: معنى هذا أن نكبل العلماء من الفقهاء والمحدثين والمفسرين وأن نكمم أفواههم وأن نكسر أقلامهم؛ فلا يجوز لهم أن يعترضوا على الأدباء أو ينتقدوا أخطاءهم وضلالاتهم، فإذا طعن أديب رافضي أو معتزلي أو ملحد أو علماني، وسكت عنه الأدباء الذين يكافئونه في القدرات، والذوق الأدبي، والقدرة على البلاغة والبيان والتقعر والتشدق فيجب على الفقهاء والمحدثين الذين لم يتخصصوا في الأدب أن يسكتوا، وإلا فلتكمم أفواههم ولتكسر أقلامهم، ويقال للأدباء وأصحاب القدرات في الذوق الأدبي.. إلخ.

خَلَا لك الْجَو فبيضي واصفري ونقري ما شئت أن تنقري

يا شيخ بكر أنت تدعو في كتبك إلى حراسة الدين فمتى كان الأدباء مثل: واصل بن عطاء، والجاحظ، وأبي نواس، والمعري، والمتنبي، وطه حسين، والزيات، وهيكل، وأضرابهم وأشياعهم من حراس الدين؟!

وإن معظم من تصدى للانحرافات وضلالات أهل البدع والأدباء أصحاب الأذواق الأدبية لا تبعد أساليبهم وقدراتهم في الذوق الأدبي عن أساليب وقدرات ربيع.

واقرأ كتب السنة كلها تجد صدق ذلك فهل نشطب عليها ونلغيها بناء على حكمكم هذا؟!

وإذا كان الشيخ بكر قد قرأ الكتاب فرآه من أوله إلى آخره فلا بد أن يكون قد رأى طعن سيد قطب وثلبه لأصحاب رسول الله ﷺ فهل رأى أسلوب سيد قد سما في هذا الميدان وأسلوبي قد هبط؟

---

(١) (ص٣).

أربعة أمثلة من أمثلة كثيرة[1]
للطعن في الخليفة الراشد عثمان وإخوانه من الصحابة وبني أمية

١- قال سيد قطب: «ونحن نميل إلى اعتبار خلافة علي ﷺ امتدادًا طبيعيًا لخلافة الشيخين قبله، وأن عهد عثمان كان فجوة بينهما»[2].

وقال: «ونحن نميل إلى اعتبار خلافة علي ﷺ امتدادًا طبيعيًا لخلافة الشيخين قبله، وأن عهد عثمان الذي تحكم فيه مروان كان فجوة بينهما»[3]. أراد أن يلطف فزاد الطين بلة، فهذا وذاك كله إسقاط لخلافة عثمان، وطعن في عرضه وشخصيته وزاد في الأخير ما يعتقده سيد والروافض أن عثمان كان سيقة لمروان.

٢- ويؤكد هذا الطعن في خلافة عثمان وشخصيته فيقول: «إنها المحنة حقًا أن عليًا لم يكن ثالث الخلفاء جاء علي ليرد التصور الإسلامي للحكم إلى نفوس الحكام ونفوس الناس، جاء ليأكل الشعير تطحنه امرأته بيدها ويختم على جراب الشعير»[4].

قلت معلقًا عليه في أضواء إسلامية تعليقًا خفيفًا قد بسطته في كتاب خاص في الدفاع عن عثمان والصحابة الذين طعن فيهم: «وفي هذا المقطع إسقاط لخلافة عثمان واعتبارها محنة حقة، وأن التصور الإسلامي للحكم قد فسد أو فقد، وجاء علي ﷺ ليصلح ذلك التصور الذي فسد، أو ليرد ذلك التصور المفقود!».

وأضيف الآن: لعل سيدًا يرى عهد عثمان في الحكم كان عهدًا جاهليًا، فهل يرى الشيخ بكر أن طعن سيد هنا قد سما، وأن دفاعي عن عثمان أسلوب نازل؟ وأعاد سيد قطب هذه الطعون وكررها مرات على نحو من هذا المنوال.

---

(١) انظر: «أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره» من (ص٣٢ - ٥١) فقد أدين سيد قطب فيها بطعون كثيرة، وانظر كتاب «مطاعن سيد قطب في أصحاب رسول الله ﷺ» فكله دفاع عن أصحاب رسول الله ﷺ.

(٢) «العدالة الاجتماعية» (ص٢٠٦) الطبعة الخامسة.

(٣) «العدالة الاجتماعية» (ص٢٧٢) الطبعة الثانية عشرة.

(٤) «العدالة الاجتماعية» (ص١٩١) الخامسة، (١٦٢) الثانية عشرة.

٣- ويقول: «والذين يرون في معاوية دهاء وبراعة لا يرونها في علي رضي الله عنه ويعزون إليها غلبة معاوية في النهاية إنما يخطئون تقدير الظروف كما يخطئون فهم علي وواجبه، لقد كان واجب علي الأول والأخير أن يرد للتقاليد الإسلامية قوتها، وأن يرد إلى الدين روحه، وأن يجلو الغاشية التي غشت هذا الروح على أيدي أمية في كبرة عثمان ووهنه...»[1].

لا شك أنَّ من ينظر إلى عهد عثمان بهذا المنظار الأسود أن يتصوره عهدًا جاهليًّا، فإذا ذهبت روح الدين الذي جاء به خاتم الأنبياء فلا شك أن قد ودع الحياة وخلفته الجاهلية الجهلاء.

٤- ويقول: «ولقد كان من جراء مباكرة الدين الناشئ بالتمكين منه للعصبة الأموية على يدي الخليفة الثالث أن تقاليده العملية لم تتأصل على أساس من تعاليمه النظرية لفترة أطول، وقد نشأ في عهد عثمان الطويل في الخلافة أن تنمو السلطة الأموية ويستفحل أمرها في الشام وغير الشام، وأن تتضخم الثروات نتيجة لسياسة عثمان......

مضى عثمان إلى رحمة الله وقد خلف الدولة الأموية قائمة بالفعل بفضل ما مكن لها في الأرض وخاصة في الشام، وبفضل ما مكن للمبادئ الأموية المجافية لروح الإسلام من إقامة الحكم الوراثي والاستئثار بالغنائم والأموال والمنافع... وليس بالقليل، ما يشيع في نفوس الرعية إن حقًّا وإن باطلًا أن الخليفة يؤثر أهله ويمنحهم مئات الألوف، ويعزل أصحاب رسول الله ليولي أعداء رسول الله، ويبعد مثل أبي ذر لأنه أنكر الترف الذي يخب فيه الأثرياء، فكانت النتيجة أن تثور نفوس، وأن تنحلَّ نفوس، تثور نفوس الذين أشربت نفوسهم روح الدين إنكارًا وتأثمًا -أي: تلاميذ ابن سبأ-، وتنحلُّ نفوس الذين لبسوا الإسلام رداء ولم تخالط بشاشته قلوبهم، والذين تجرفهم مطامع الدنيا»[2].

انظر إلى ما تمتع به هذا الكلام من سمو؟! الخليفة الثالث باكر الدين الناشئ

---

(١) «العدالة الاجتماعية» (ص١٩٣-١٩٤) الخامسة، (١٦٣-١٦٤) الثانية عشرة

(٢) «العدالة الاجتماعية» (ص١٦١) الثانية عشرة، (١٩٠) الخامسة.

بالتمكين للعصبة الأموية فلم يترك الفرصة لتقاليده العملية أن تتأصل على أسس من تعاليمه النظرية، بل باكرها وبادرها بالتطويح بها بعيدًا عن أسسها النظرية.

توارى سيد من وراء الترحم على عثمان ليوجه له ولبني أمية وللصحابة قذيفة قطبية مدمرة فقال: «مضى عثمان إلى رحمة الله وقد خلف الدولة الأموية قائمة بالفعل، بفضل ما مكن لها في الأرض وبخاصة في الشام، وبفضل ما مكن للمبادئ الأموية المجافية لروح الإسلام من إقامة الملك الوراثي»، وهذا مبدأ كسروي، قيصري، دكتاتوري، ينافي الديموقراطية.

«والاستئثار بالمغانم والأموال والمنافع»، وهذا مبدأ جاهلي رأسمالي يناقض الاشتراكية «ويؤثر أهله ويمنحهم مئات الألوف، ويعزل أصحاب رسول الله ليولي أعداء رسول الله»، وهذه جاهلية تشن حربًا على مبادئ الإسلام وأسسه لتمكن للمبادئ الأموية المجافية لروح الإسلام في الأرض، ولتباكر بل باكرت الدين الناشئ بالإجهاز عليه والحيلولة بينه وبين التمكن والتأصل على تعاليمه النظرية.

وبحلول هذه الكوارث بالإسلام «ثارت نفوس الذين أشربت نفوسهم روح الدين إنكارًا وتأثمًا» وعلى رأسهم ابن سبأ، وانحلت نفوس الذين لبسوا الإسلام رداء ولم تخالط بشاشته قلوبهم وقد جرفتهم «المطامع».

وهم بنو أمية وفيهم عدد من الصحابة، وبقية الصحابة الكرام منهم بقية العشرة المبشرين بالجنة، ثم خيار التابعين، فارفعوا رءوسكم اعتزازًا أيها القطبيون بهذا السمو والتحليق الذي قام به سيدكم في أجواء فضاء الرفض، انظروا صُعدًا، وارنوا بأبصاركم إلى سيدكم وقد سما وحلق إلى هذا المستوى السحيق، وهكذا يكون السمو!! وهكذا يكون تجديد الإسلام! فسيروا على دربه وترسموا خطواته!!

وله سمو وتحليق وتجديد في فضاء الجهمية، والمعتزلة، والخوارج، والعقلانيين، والاشتراكيين، وأشياء... وأشياء ذكرنا بعضها في كتاب: «أضواء إسلامية»، وذكر الشيخ عبد الله الدويش في كتابه: «المورد الزلال» أشياء، وذكر

غيرنا أشياء وبقيت أشياء لا تزال مخزنة في مخازن كتبه ولاسيما الظلال، يحتاج استخراجها إلى رجال ورجال.

طعن سيد قطب في معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما
وطعنه في أصحاب رسول الله ﷺ في عهدهما
وطعنه في خيار التابعين في هذا العصر الزاهر

قال سيد قطب في كتابه: «كتب وشخصيات» (ص٢٤٢-٢٤٣): «إن معاوية وزميله عمرًا لم يغلبا عليًا لأنهما أعرف منه بدخائل النفوس، وأخبر منه بالتصرف النافع في الظرف المناسب، ولكن لأنهما طليقان في استخدام كل سلاح، وهو مقيد بأخلاقه باختيار وسائل الصراع.

وحين يركن معاوية وزميله إلى الكذب والغش والخديعة والنفاق والرشوة وشراء الذمم لا يملك علي أن يتدلى إلى هذا الدرك الأسفل، فلا عجب ينجحان ويفشل، وإنه لفشل أشرف من كل نجاح».

هذه ست طعنات في هذين الصحابيين الجليلين، كل واحدة منها تدين سيد قطب بالرفض في منهج أهل السنَّة والجماعة.

وقال: «على أن غلبة معاوية على علي، كانت لأسباب أكبر من الرجلين، كانت غلبة جيل على جيل، وعصر على عصر، واتجاه على اتجاه؛ كان مد الروح الإسلامي العالي قد أخذ ينحسر، وارتد الكثيرون من العرب إلى المنحدر الذي رفعهم منه الإسلام، بينما بقي علي في القمّة لا يتبع هذا الانحسار، ولا يرضى بأن يجرفه التيار، من هنا كانت هزيمته وهي هزيمة أشرف من كل انتصار».

في هذا المقطع طعن حاقد لذلكم العصر الزاهر الذي عدّه رسول الله ﷺ من خير القرون، والذي وقع بينهم إنما هو ناشئ عن اجتهاد، للمصيب منهم أجران وللمخطئ أجر.

وهذا هو منهج السلف الصالح وأهل العلم والتقى والهدى، ومن خالفهم فيه فهو من أهل الضلال ولاسيما من تفوّه بمثل هذا الكلام الجائر الحاقد ولاسيما

قوله: «وارتد الكثيرون من العرب إلى المنحدر الذي رفعهم منه الإسلام، بينما بقي علي في القمة» فقد رمى الكثيرين من العرب بالردة فلم يستثن إلا عليًا وأهل هذا العصر هم الصحابة وخيار التابعين، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وقد يقال: إنما يقصد معاوية ومن معه، فيقال: إن عبارته أعم وأشمل، وهب أنه يقصد معاوية ومن معه؛ فهل يرضى هذا المنطق إلا غلاة الروافض؟

وقال: «فلقد كان انتصار معاوية هو أكبر كارثة دهمت روح الإسلام التي لم تتمكن بعد من النفوس، ولو قد قدّر لعلي أن ينتصر لكان انتصاره فوزًا لروح الإسلام الحقيقية: الروح الخلقية العادلة، المترفعة التي لا تستخدم الأسلحة القذرة في النضال.

ولكن انهزام هذه الروح ولَمّا يمض عليها نصف قرن كامل، وقد قضي عليها فلم تقم لها قائمة بعد -إلا سنوات على يد عمر بن عبد العزيز- ثم انطفأ ذلك السراج، وبقيت الشكليات الظاهرية من روح الإسلام الحقيقية لقد تكون رقعة الإسلام قد امتدت على يدي معاوية ومن جاء بعدهم، ولكن روح الإسلام قد تقلصت، وهزمت، بل انطفأت».

وهذا المقطع يجلي نظرة سيد قطب إلى ذلكم العصر الزاهر عصر عزّة الإسلام وعصر الفتوحات الإسلامية العظيمة وعصر هداية الشعوب إلى نور الإسلام ذلكم العصر الذي لا يفوقه إلا عهد الخلفاء الراشدين.

فلا قيمة عند سيد قطب لامتداد رقعة الإسلام لأن روح الإسلام قد تقلصت وهزمت بل انطفأت، ولا ندري ما هي روح الإسلام عنده أهي وحدة الوجود أم هي الرفض أم الاشتراكية؟ ويكفيه أنه قد صادم شهادة الرسول ﷺ لهذا العصر وما قبله وما بعده.

فشهادة الرسول ﷺ تتجلى في قوله: «خير الناس: قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم . . .» الحديث.

وقوله: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها».

وقوله: «إن قومًا من أمتي يركبون ثبج هذا البحر» وكان في عهد عثمان.

وشهادات التاريخ كثيرة، منها قول ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «فكانت سوق الجهاد قائمة في بني أمية ليس لهم شغل إلا ذلك، قد علت كلمة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها وبرها وبحرها، وقد أذلوا الكفر وأهله وامتلأت قلوب المشركين من المسلمين رعبًا؛ لا يتوجه المسلمون إلى قطر من الأقطار إلا أخذوه، وكان في عساكرهم وجيوشهم في الغزو الصالحون والأولياء والعلماء من كبار التابعين في كل جيش منهم شرذمة عظيمة ينصر الله بهم دينه» البداية والنهاية (٩/ ٨٧).

وأخيرًا رمى سيد قطب في هذه الصحيفة معاوية بالميكافيلية وأنه سبق ميكافيلي إلى روح الميكافيلية بقرون.

فهل آن لمقدسي هذا الرجل أن يحترموا أصحاب رسول الله ﷺ وينزلوهم منزلتهم التي أنزلهم الله ورسوله والمؤمنون، وأن ينزلوا هذا الرجل منزلته التي يستحقها كأمثاله من الطاعنين في أصحاب محمد ﷺ الذين ما عرف التاريخ البشري مثلهم،

ولا كان ولا يكون بعدهم مثلهم ولا يفضلهم إلا الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-؟

رمتني بدائها وانسلت

قال الشيخ بكر: «٤- لقد طغى أسلوب التهييج والفزع على المنهج العلمي للنقد، وافتقد أدب الحوار».

أقول: رمتني بدائها وانسلت، وهذه صفات بحثك هذا الذي ضرب أروع الأمثلة في هذه الصفات وغيرها، ولماذا لم تضرب أمثلة من الكتاب لكي يتأكد الناس من صدق ما تقول؟

وقال: «٥- في الكتاب من أوله إلى آخره تهجم، وضيق عطن، وتشنج في العبارات».

أقول مرة أخرى: رمتني بدائها وانسلت، وكأنك قد أعددت قاموسا للسباب

والشتائم لتكتفي به عن النقد العلمي وأدب الحوار وتسليط النقد على النصوص بالحجج والبراهين كما هو دأب أهل العلم والإنصاف.

قال الشيخ بكر: «٦- وهذا الكتاب ينشط الحزبية الجديدة التي أنشأت في نفوس الشبيبة جنوح الفكر بالتحريم تارة والنقد تارة، وأن هذا بدعة أو ذلك مبتدع وهذا ضلال وذلك ضال ولا بينة كافية للإثبات، وولَّدت غرور التدين والاستعلاء حتى كأنما الواحد عند فعلته هذه يلقي حِملًا عن ظهره، وقد استراح من عناء حمله، وأنه يأخذ بحجز الأمة عن الهاوية، وأنه في اعتبار الآخرين قد حلق في الورع والغيرة على حرمات الشرع المطهر، وهذا في الحقيقة هدم وإن اعتبر بناء عالي الشرفات، فهو إلى التساقط ثم التبرد في أدراج الرياح العاتية».

أقول: أولًا: لا علاقة لكتابي بما ذكرت، بل إن الكتاب يهدف إلى إنقاذ الشباب من التحزب لسيد قطب وأفكاره التي أنشأت حزبيات كثيرة وشغلتهم عن دينهم ودنياهم، وكل الناس عامتهم وخاصتهم يعلمون هذا ويعلمون حق العلم أن جماعات التكفير، وجماعات الجهاد، وجماعة التبين والتثبت، والحزب السروري، أو القطبي إنما نشأت وترعرعت على أفكار سيد قطب التي دوَّنها في: الظلال، والمعالم، والإسلام ومشكلات الحضارة ... وغيرها، يَعُبُّ منها الشباب وينهلون وبسمومها يتغذون ويرتوون.

وقلما تجد شابًا يريد الإسلام إلا واحتوته هذه الأحزاب ووجهته إلى كتب سيد ليعب من سمومها الفتاكة، ثم لتحول بينه وبين الإسلام الحق ومنهج الله الحق، بل جعلت منهم خصومًا تحارب المنهج السلفي الحق، وتلاحق الشباب السلفي في مشارق الأرض ومغاربها لتصرفهم عن دين الحق إلى منهج سيد قطب محرك الفتن والشغب والإرهاب والتحزب مع الأخذ بتقية الباطنية وتظاهرهم بمحاربة التحزب.

يؤكد ما أقول: الواقع المرير، ويؤكده شهادات من يستطيع أن يقول: على الخبير سَقطتَ، مثل يوسف القرضاوي، وانظر كتابه: «أولويات الحركة الإسلامية»، و«الصحوة»، وفريد عبد الخالق، وانظر كتابه: «الإخوان المسلمون

في ميزان الحق» وعلي جريشة، وانظر كتابه: «الاتجاهات الفكرية المعاصرة»، وكل هؤلاء من أصدقاء سيد، ولا يتهمهم أحد بعداوة ولا تَجَنٍّ، والواقع مرة أخرى يشهد لما قالوه ولما قلته أنا ولما يقوله من يواجه الواقع ولا يغالط ولا يدس رأسه في الرمال وعورته بادية في وضح النهار للأطفال والنساء والرجال.

ثانيًا: لقد كان لك ماضٍ جيد في انتقاد البدع وأهلها بصفة عامة وانتقاد التقليد والتحزب أقرت عيون أهل السنة والحق مثل: «هجر المبتدع»، و«الرد على المخالف»، و«حكم الانتماء»، وألفتم كتيبات في انتقاد أشخاص معينين أقل بدعًا وأقل خطرًا من سيد قطب بما لا يقاس، وكتبهم أقل شرًّا وخطرًا من سيد قطب بما لا يقاس، وأيدك السلفيون انطلاقًا من منهج السلف الصالح، فماذا يكون خطر الصابوني وكتبه، الرجل الذي لا يعرف له أتباع ولم ينشأ على كتبه حزب؟

وقل مثل ذلك في أبي غدة الذي جعلته شغلك الشاغل فإن كان انتقاد أي مبتدع ينشط الحزبية فإن انتقاداتك العامة والخاصة قد أسهمت إلى حد بعيد في تنشيطها وتطويرها ودفع أصحابها إلى جنوح الفكر بالتحريم والتبديع والتضليل بدون بينة فما هو جوابك وما موقفك منها الآن؟! وكيف توفق بين قولك هذا وبين تلك الجهود في محاربة البدع والمبتدعين؟! بل ما موقفك من تحذير الرسول والصحابة والسلف الصالح من البدع والمبتدعين، واعتبار السلف التحذير منهم وكشف عوارهم أفضل من الضرب بالسيوف؟

ألا ترى نفسك أيها الشيخ أنك تمر بأصعب مرحلة في حياتك، وألا ترى أن قولك هذا يهدم ما شيدته في خدمة السنة ونصرة الحق، أنصحك بالعودة إلى قراءة كتب السلف وقراءة كتبك والابتعاد عن بطانة السوء وجلساء السوء؛ فإنهم كما قال رسول الله ﷺ: «ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة»[1].

---

(١) هذا بعض حديث متفق عليه من حديث أبي موسى ولفظه من البخاري: «مثل الجليس الصالح والجليس السوء: كحامل المسك ونافخ الكير؛ فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحًا خبيثة» انظر: البخاري (٥٥٣٤)، ومسلم (٢٦٢٨).

سحب سوداء كثيفة تتصاعد
من حرائق كتاب تصنيف الناس وهذا الخطاب

وإني لأرى دخان الحريق يتصاعد مثل السحب السوداء الكثيفة من كتابك: «تصنيف الناس» ومن خطابك هذا المتجني، فكتابك: «تصنيف الناس» فيه مخالفة لقول الرسول الكريم ﷺ: **«افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة. قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: من كان على ما أنا عليه وأصحابي»**[1].

وصنف السلف الناس إلى خوارج وروافض ومعتزلة ومرجئة وجهمية، وقسموا كل فرقة -صنف- إلى فرق، وصُنِّفت في ذلك الكتب بناء على واقع تلك الفرق -الأصناف-.

أيلغي أهل السنة والجماعة عقولهم وعقيدتهم ومنهجهم ويكممون أفواههم ويكسرون أقلامهم عن أهل البدع ويشهدون زورًا وإفكًا للفرق الضالة بأنهم كلهم على الحق والسنة اقتداء بالإخوان المسلمين وفصائلهم؟

أيحني السلفيون رءوسهم خوفًا من قنابل الإرهاب الفكري «تصنيف الناس بين الظن واليقين» فيذهبون إلى حزب الإخوان المسلمين الذي يضم تحت جناحيه الروافض، والخوارج، وغلاة الصوفية، والقبوريين، ويمد يده إلى تحالفات الشيوعيين والعلمانيين؟

أيذهب السلفيون إلى الطوائف ليقبلوا رءوسهم معتذرين إليهم
من تصنيفهم وهم الذين صنفوا أنفسهم؟!

أيذهب السلفيون إلى رؤساء هذا الحزب ليقبلوا رءوسهم مستغفرين تائبين من تصنيف الناس، وتائبين مستغفرين من مجرد ذكر البدعة والمبتدعين؟!!

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٤ - كتاب السنة)، وأحمد (٤/ ١٠٢) وغيرهما، وهو حديث صحيح بمجموع طرقه.

وهل يقومون بجولات إلى حزب التبليغ وأحزاب القطبيين يقسمون لهم جهد أيمانهم أنهم سوف يذوبون في غمارهم ولن ينبسوا ببنت شفة في انتقادهم مهما أمعنوا في الابتعاد عن منهج السلف، ومهما أمعنوا في تقديس الأشخاص، ومهما أمعنوا في محاربة المنهج السلفي ومحاربة أهله، وتدمير تجمعاته، واحتلال مؤسساته في مشارق الأرض ومغاربها؟!!

ومهما صنفوهم وصنفوا علماءهم إلى جواسيس وعملاء وجهلاء بالواقع وإلى أصحاب رتب وشارات كما في كتاب: «التصنيف»[1] المتباكي من التصنيف خوفًا وجزعًا على أحزاب المصنفين ظلمًا وعدوانًا ومظاهرة لهم على السلفيين الطائفة الناجية المنصورة التي لا يضرها من خذلها ولا من خالفها حتى يأتي أمر الله -تبارك وتعالى-.

إن الذي نشط الحزبية الجديدة والقديمة ورفع رءوس أصحابها بعد أن نكست، وأعطاها دفعات قوية بعد أن ركنت إلى الجحور هو كتاب: «التصنيف» لا كتاب: «أضواء إسلامية» الذي يعلم الله أن صاحبه لم يؤلفه إلا لإخماد الفتن وإلا لإنقاذ الشباب منها ومن التحزب المقيت المحارب لمنهج السلف الذي يجمع ولا يفرق، فجاء كتاب التصنيف لإنعاش الحزبية المقيتة وانتشالها من وهدتها وإيقاظها من رقدتها، وأكبر دليل على ذلك: أن الحزبيين هم الذين يركضون في نشره وتوزيعه بكميات هائلة داخل هذه المملكة وخارجها في الوقت الذي يشنون فيه حربًا ضروسًا على كتاب: «أضواء إسلامية» وصنوه: «مطاعن سيد قطب في أصحاب رسول الله ﷺ».

وكم هي الجهود التي بذلها الحزبيون في إفشال الكتابين لإدراكهم العميق أن هدف الكتابين هدف إسلامي صحيح هو إنقاذ الشباب من التحزب الباطل وتقديس أهله ودعاته، وهاهما الكتابان موجودان وقد شهد لهما العدول الصادقون أنهما دفاع عن الحق ودفاع عن منهج السلف، ودفاع عن أصول الإسلام ومبادئه الأصيلة الشريفة، وليس بداعٍ إلى الحزبية ومنشط ولا منشط لها كما هو هدف كتاب:

(١) (ص٦)

«تصنيف الناس» وداعم هذا الكتاب وداعم أهدافه هو خطابكم هذا، ولن تجدي المغالطات عند الله وعند أولي الألباب والبصائر، ولن تنطلي على أولي النهى مهما أمعن المغالطون في مغالطاتهم ومهما تستر الحزبيون خلف أسوار تقيّتهم.

براءة كتابي مما وصمه به الشيخ بكر

قال الشيخ بكر: «هذه سمات ست تمتع بها الكتاب فآل غير ممتع، هذا ما بدا لي حسب رغبتكم، وأعتذر عن تأخر الجواب لأنني من قبل ليس لي عناية بقراءة كتب هذا الرجل وإن تداولها الناس، لكن هول ما ذكرتم دفعني إلى قراءات متعددة في عامة كتبه، فوجدت في كتبه خيرًا كثيرًا، وإيمانًا مشرقًا، وحقًا أبلجًا[1]، وتشريحًا فاضحًا لمخططات العداء للإسلام على عثرات في سياقاته واسترسال بعبارات ليته لم يفه بها، وكثير منها ينقضها قوله الحق[2] في مكان آخر، و الكمال عزيز».

أقول: أولًا: قد تقدم للقارئ ما يهدم هذه الاتهامات، وبراءة الكتاب من هذه السمات، وإن خطاب الشيخ هذا أحق بهذه الصفات.

وجهة نظر في قراءات الشيخ بكر لكتب سيد قطب

ثانيًا: إني أشك في هذه القراءات لكتب سيد قطب التي يدعيها الشيخ بكر؛ فالمدة قصيرة جدًا وكتب سيد كثيرة، يوضح هذا أنه كان فراغي من تأليف كتاب: «أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره» في أربع خلون من ذي القعدة عام (١٤١٣هـ)، وبعد مدة أرسلت نسخًا منه لعدد من الفضلاء منهم الشيخ بكر، ويغلب على ظني أن هذا الإرسال كان قبيل الحج، ثم مرت مدة استبطأت فيها جواب الشيخ بكر أبي زيد فسألته هل وصل إليكم الكتاب فأجاب بأنه لم يصل إليه الكتاب، وعندها طلبت من أخيه الشيخ عبد العزيز أن يرسل الكتاب إلى الشيخ

---

(١) كذا!

(٢) لم أجد هذا الحق الذي ينقض أباطيل سيد قطب، بل أجد التأكيد لهذه الأباطيل من كتاب إلى كتاب، ثم لماذا تجزم بأن حقه ينقض باطله وعلى أي منهج يلزم هذا الادعاء؟! ولماذا لا تقول العكس؟! أو على الأقل تتورع فتتوقف.

بكر، فلا أدري بعد هذا متى تم إرسال الكتاب، ومتى وصل إليه ومتى قرأ الشيخ الكتاب، ومتى قام بهذه القراءات المتعددة! فالوقت قصير جدًا كما يظهر للقارئ؛ حيث انتهى من كتابة طعونه في (٢٠/ ١/ ١٤١٤هـ).

ولعل بداية القراءة كانت قريبة جدًا من هذه النهاية كيوم أو يومين، فما ادعاه خارج عن العادات والمعقول، اللهم إلا أن تكون قراءته تسبق سرعة الصواريخ أو على طريقة ذلك الصوفي الذي ادعى أنه قرأ سبعين ألف ختمة في طوافه على البيت في سبعة أشواط، على الاصطلاح الصوفي: «طي الزمان وبسط اللسان»، فإذا أحسنا الظن بالشيخ وتمحلنا له شيئًا من المعاذير فيمكن أن يقال: إنه قرأ من كل كتاب بضعة صفحات، أو بضعة أسطر من باب تحلة القسم، فعلى هذا التوجيه أو نحوه يكون لكلامه شيء من الوجاهة، ولكن لا يعطي له أي مسوغ شرعي للحكم على كتابي بما ذكر لا سيما وقد اعترف عندي أنه لم يقرأ إلا قطعتين من فصلين وأبى أن يكملهما[1]، ولا يعطي أي مسوغ شرعي للحكم لكتب سيد قطب بما ذكره من الخير الكثير والإيمان المشرق، والحق الأبلج؛ لأن الوقت غير كافٍ والقراءة غير كافية؛ لاسيما إذا علمنا أن كتب سيد قطب تتكون من مجلدات كثيرة ومؤلفات كثيرة بين الصغير والكبير.

فمن أراد أن يحكم بعدل وإنصاف يرى أن هذا الوقت الذي أصدر فيه الشيخ بكر هذه الأحكام لا يكفي للحكم على كتاب واحد ككتاب العدالة فضلًا عن الظلال الذي يتكون من ست مجلدات كبيرة، وطلاب العلم يعرفون هذه الأشياء.

فإذا اتضح هذا فللعاقل المنصف أن يقول: إن الشيخ قد غامر وجازف في هذه الأحكام وبالتالي فهي مرفوضة كل الرفض وباطلة إلى أبعد حدود البطلان، وعلى الشيخ بكر أن يتوب إلى الله بعد أن يندم أشد الندم لاسيما وهو في أحكامه هذه قد نصر الباطل ومجّده وروّج له، وذم الحق الواضح الأبلج وخذله، الذي كان يمده الشيخ بكر في كتبه السابقة من باب حراسة الدين والنصيحة للإسلام والمسلمين.

ثالثًا: قول الشيخ بكر: «على عثرات في سياقاته واسترسال بعبارات ليته

---

(١) إلا أن يكون قد أخفى قراءته عني.

لم يفه بها».

أقول: إن التعبير عن بدع سيد قطب الكبيرة والخطيرة بمثل هذه العبارات مجافٍ للنصح للإسلام والمسلمين بعيد عن أساليب أئمة السلف ومنهجهم في قمع البدع وأهلها وإهانتهم، فما الفرق إذن بين سيد قطب -الذي جمع فأوعى من البدع الكبرى ما لم يجمع كثير من أئمة البدع الكبرى- وبين أئمة الإسلام والسنة فإنه لم يسلم أحد منهم من عثرات بل حتى أصحاب رسول الله ﷺ ليسوا بالمعصومين من العثرات بالإجماع، ولماذا لا يسمي الشيخ بكر بدع الكوثري وأبي غدة والصابوني عثرات وهم أقل بدعًا وأقل خطرًا من سيد قطب؟ إن ذا لمن العجب!

قال الشيخ بكر: «والرجل كان أديبًا نقادة ثم اتجه إلى خدمة الإسلام من خلال القرآن العظيم، والسنة المشرفة والسيرة النبوية المشرفة، فكان ما كان من مواقف في قضايا عصره، وأصر على موقفه في سبيل الله تعالى وكشف عن سالفته وطلب منه أن يسطر بقلمه كلمات اعتذار وقال كلمته الإيمانية المشهورة: إن إصبعًا أرفعه للشهادة لن أكتب به كلمة تضارها، أو كلمة نحو ذلك»[(١)].

تضاؤل خدمة سيد للقرآن أمام بدعه وتحريفه ثم موقفه من السنة

أقول: ما قيمة خدمته للقرآن وقد شحن كتابه: «الظلال» بالبدع الكبرى القديمة والحديثة، وبالتحريف لآيات الصفات، وبتحريف دعوات الأنبياء إلى التوحيد إلى صراع سياسي، كما شحنه بتكفير الأمة بناء على هواه وعلى منهج غلاة الخوارج، فمن يمدح تفسيره فليمدح تفسير الخوارج والروافض وغلاة التصوف.

وما هي خدمته للإسلام من خلال السنة المشرفة وهو لا يعول عليها في أبواب الاعتقاد بزعمه الجهمي أنها أخبار آحاد، بل هو لا يعول على السنة المتواترة في هذه الأبواب، بل لا يحتج بالأحاديث الصحيحة المتواترة الدالة على المعجزات التي جعلها الله من دلائل صدق الرسول ﷺ ما جاء به ويرى أنها لم تتخذ معجزة

(١) (ص٤)

مصدقة للرسالة وإنما جعلت فتنة للناس وابتلاء، ويرى أن المعجزة الوحيدة للرسول ﷺ هي القرآن فقط على طريقة العقلانيين من أفراخ أوربا.

وإن القتل باسم شعارات إسلامية ليس كالقتل على حقيقة الإسلام، فكم قُتل من الخوارج والروافض وغلاة الصوفية باسم شعارات إسلامية مع ضلالهم في فهم الإسلام وهم كما قال رسول الله ﷺ: «شر قتلى تحت أديم السماء»[١].

وقال فيهم ﷺ: «يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»[٢].

وقد قتل رجل تحت راية رسول الله ﷺ في خيبر أو حنين -على خلاف في الرواية- فقال نفر من أصحاب رسول الله ﷺ: فلان شهيد. فقال رسول الله ﷺ: «كلا إني رأيته في النار في بردة غلها أو عباءة»[٣].

وقتل عبد رسول الله في خيبر، جاءه سهم، فقالوا: هنيئًا له الشهادة فقال: «كلا إن الشملة التي غلها لتلتهب عليه نارًا»[٤].

وقال الخليفة الراشد عمر بن الخطاب في خطبة نهى فيها عن المغالاة في المهور: وأخرى تقولونها لمن قُتِل في مغازيكم هذه ومات قتل فلان شهيدًا، وعسى أن يكون قد أثقل عجز دابته، أو أردف راحلته ذهبًا وورقًا يبتغي الدنيا، فلا تقولوا ذلك، ولكن قولوا كما قال رسول الله ﷺ: «من قتل أو مات في سبيل الله فهو في الجنة»، قال الحاكم: هذا الحديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه[٥]، وأكده الذهبي بقوله: رواه عدة عن ابن سيرين.

والكلمة المشهورة المنسوبة لسيد قطب لم تأتنا من طريق الثقات العدول، فالله أعلم بصحتها، وقد أشاعها أهل الأهواء للمتاجرة بها، ولرمي شباب الأمة في هوة

(١) رواه أحمد (٥/ ٢٥٣، ٢٥٦)، وابن ماجه، المقدمة، حديث (١٧٠) ولفظه: «هم شرار الخلق والخليقة» من حديث أبي ذر.
(٢) رواه مسلم في كتاب الزكاة حديث (١٠٦٤).
(٣) رواه مسلم في الإيمان حديث (١١٤).
(٤) رواه مسلم في الإيمان حديث (١١٥).
(٥) المستدرك (٢/ ١٧٦).

الغلو في سيد، وقد حصل الكثير من ذلك، فالعالم الحاذق الفقيه الناصح يسد أبواب الفتن وذرائعها ولا يشارك أهل الفتن والأهواء فيما يضر الأمة في دينها.

قال الشيخ: «فالواجب على الجميع: الدعاء له بالمغفرة والاستفادة من علمه، وبيان ما تحققنا خطأه فيه، وإن خطأه لا يوجب حرماننا من علمه، ولا هجر كتبه»[(١)].

أقول: أهكذا يكون الفقه في الدين أيها الشيخ؟!! الواجب على الجميع الدعاء له بالمغفرة والاستفادة من علمه!! فلا تكتفي مثلًا باستحباب أو جواز الدعاء له بالمغفرة والاستفادة من علمه، بل ذهبت إلى إيجاب هذين الحكمين، وظاهر كلامك أن هذا الوجوب يشمل الأمة جمعاء، فهو من فروض الأعيان على الأمة حسب قولك، وإذن فلا يبقى فرد من أفراد المسلمين، ولا جماعة من الجماعات إلا وهم يلهجون بالدعاء لسيد قطب، ولا يبقى أحد إلا ويجب عليه اقتناء كتب سيد قطب ليستفيد من علم سيد، وإن بعض ما تقوله يدخل قائله في باب خطير من أبواب الغلو والقول على الله بغير علم وبغير الحق.

ولقد اختلف علماء الأمة في وجوب الصلاة على النبي ﷺ في التشهد -بعد إجماعهم على أنه لا تجب على المكلف في العمر إلا مرة- فذهب جمهورهم إلى أنه لا تجب الصلاة على النبي ﷺ في التشهد بل تستحب[(٢)].

---

(١) (ص٤).

(٢) قال القاضي عياض رحمه الله في الشفاء (٢/ ٦١-٦٣) اعلم أن الصلاة على النبي ﷺ فرض على الجملة، غير محدد بوقت لأمر الله تعالى بالصلاة عليه، وحمل الأئمة والعلماء له على الوجوب وأجمعوا عليه، وحكى أبو جعفر الطبري أن محمل الآية عنده على الندب وادعى فيه الإجماع، ولعله فيما زاد على مرة، والواجب منه الذي يسقط به الحرج ومأثم ترك الفرض مرة كالشهادة له بالنبوة، وما عدا ذلك فمندوب مرغب فيه من سنن الإسلام وشعار أهله، قال القاضي أبو الحسن بن القصار . . قال القاضي أبو عبد الله محمد بن سعيد . ذهب مالك وأصحابه وغيرهم من أهل العلم أن الصلاة على النبي ﷺ فرض بالجملة بعقد الإيمان لا يتعين في الصلاة، وأن من صلى عليه مرة واحدة من عمره سقط الفرض عنه، ثم ذكر مذهب الشافعي رحمه الله في إيجاب الصلاة على النبي ﷺ في التشهد في الصلاة وعقب عليه بقوله. ولا سلف له في هذا القول ولا سنة، ونقل عن الخطابي أنه قال: إن الصلاة على النبي في التشهد ليست بواجبة وهو قول جماعة الفقهاء إلا الشافعي ولا أعلم له فيها قدوة

وذكر استدلاله على ذلك قد يعتذر الشيخ بكر ويقول. قصدي بالكلام كذا ولم أقصد كذا فنقول. ليس لنا إلا الظاهر والله يتولى السرائر.

فكيف بغير النبي ﷺ، وكيف بأئمة البدع؟ وأدخلت في الوجوب بيان ما تحققنا خطأه فيه فهل أديت شيئًا من هذا الواجب أو بينت بعض ما أخطأ فيه البيان الواضح أو حتى سكت عمن يقوم ببيان بعض هذا الواجب؛ لأن ربيعًا إنما قام ببعض هذا الواجب وينتظر أمثالكم إكمال ما بقي من الواجبات؟

وأسأل الشيخ بكرًا من هو المرجع في تحقق أخطاء سيد قطب أهم المتجردون من الأهواء والتحزب، أم هم الغلاة فيه المتحزبون له الذين يرون باطله حقًا، وحق غيره -ولو كان منتصرًا لدين الله- باطلًا؟!

أيها الشيخ، إن الحارث المحاسبي والكرابيسي أفضل من سيد قطب وأعلم بدين الله وبسنة رسول الله ﷺ، وكتبهما أنظف وأبعد عن البدع الكبرى بمراحل، ومع ذلك فقد طُعن فيهما وفي كتبهما التي تضمنت البدع وحذر منها أئمة الإسلام وعلى رأسهم الإمام أحمد وأبو زرعة الرازي ولم يخالفهما أحد، وأيد ذلك الحافظ الذهبي فقال: «قال الحافظ سعيد بن عمرو البرذعي: شهدت أبا زرعة وقد سئل عن الحارث المحاسبي وكتبه فقال للسائل: إياك وهذه الكتب، هذه كتب بدع وضلالات عليك بالأثر، فإنك تجد فيه ما يغنيك، قيل له: في هذه الكتب عبرة، فقال: من لم يكن له في كتاب الله عبرة، فليس له في هذه الكتب عبرة، بلغكم أن سفيان ومالكًا والأوزاعي صنفوا هذه الخطرات والوساوس، ما أسرع الناس إلى البدع!

مات الحارث سنة ثلاث وأربعين ومائتين وأين مثل الحارث، فكيف لو رأى أبو زرعة تصانيف المتأخرين؟ كالقوت لأبي طالب وأين مثل القوت! كيف لو رأى بهجة الأسرار لابن جهضم وحقائق التفسير؟ لطار لُبه، كيف لو رأى تصانيف أبي حامد الطوسي في ذلك على كثرة ما في الإحياء من الموضوعات، كيف لو رأى الغنية للشيخ عبد القادر؟!»[1].

أقول: رحم الله أبا زرعة والذهبي وأئمة الإسلام الغيورين على السنة المبغضين للبدع وأهلها.

---

(١) الميزان (١/ ٤٣١)

كيف لو رأى هؤلاء الأئمة كتب سيد قطب وأمثاله، كيف لو رأوا من يدافع عن كتب سيد قطب، بل يطريها ويوجب الاستفادة منها؟!

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في «الطرق الحكمية»[1]: «فصل: كذلك لا ضمان في تحريق الكتب المضلة وإتلافها. قال المروذي: قلت لأحمد: استعرت كتابًا فيه أشياء رديئة، ترى أن أحرقه؟ قال: نعم. فأحرقه، وقد رأى النبي ﷺ بيد عمر كتابًا اكتتبه من التوراة وأعجبه موافقته للقرآن فتمعر وجه رسول الله ﷺ حتى ذهب به عمر إلى التنور فألقاه فيه، فكيف لو رأى رسول الله ﷺ ما صنف بعده من الكتب التي يعارض بها ما في القرآن؟! والله المستعان، وقد أمر النبي ﷺ من كتب عنه شيئًا غير القرآن أن يمحوه، ثم أذن في كتابة سنته ولم يأذن في غير ذلك وكل هذه الكتب المتضمنة لمخالفة السنة غير مأذون فيها بل مأذون في محوها وإتلافها وما على الأمة أضر منها، وقد حرّق الصحابة جميع المصاحف المخالفة لمصحف عثمان لما خافوا على الأمة من الاختلاف، فكيف لو رأوا هذه الكتب التي أوقعت الخلاف والتفرق بين الأمة؟!» .

ثم قال ابن القيم: «والمقصود: أن هذه الكتب المشتملة على الكذب والبدعة يجب إتلافها وإعدامها، وهي أولى بذلك من إتلاف آلات اللهو والمعازف، وإتلاف آنية الخمر، فإن ضررها أعظم من ضرر هذه، ولا ضمان فيها كما لا ضمان في كسر أواني الخمر وشق الزقاق» .

وقال الإمام ابن القيم في كتابه القيم «زاد المعاد في هدي خير العباد»: «وقوله: «فتيممت بالصحيفة التنور» . فيه المبادرة إلى إتلاف ما يخشى منه الفساد والمضرة في الدين، وأن الحازم لا ينتظر به ولا يؤخره، وهذا كالعصير إذا تخمر، وكالكتاب الذي يخشى منه الضرر والشر، فالحزم المبادرة إلى إتلافه وإعدامه»[2] .

أقول: سبحان الله!! كم تعلق الشيخ بكر أبو زيد بالإمام ابن القيم وكتبه؟! وكم اعتنى بكتب هذا الإمام؟!

---

(١) (ص٢٨٢)
(٢) (٣/ ٥٨١)

ثم يسير مغرِّبًا في هذه القضية بينما ابن القيم يسير مُشَرِّقًا، ابن القيم يوجب إتلاف الكتب المشتملة على البدع التي لا تَلْحَق كتب سيد قطب في الضلال والضرر، والشيخ بكر أبو زيد يوجب قراءة كتب سيد قطب المتضمنة للبدع الكبرى والطوام المردية!

هل يرى الشيخ بكر وجوب الاستفادة من كتاب: «العدالة الاجتماعية» لسيد قطب!

وأسأل الشيخ بكر: هل توجب قراءة كتاب «العدالة الاجتماعية»؟! وقد تضمن في كل طبعاته ولاسيما الطبعات الأخيرة ثلاث بدع كبرى:

١- الاشتراكية.

٢- الطعن في أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم، وانتقم ممن يطعن فيهم-.

٣- إخراج الدولة الأموية والعباسية عن حدود الإسلام نهائيًا في سياسة الحكم والمال، وهذا تكفير لهما على منهج سيد قطب، ثم تكفير الأمة؟!

فَجُل الكتاب يدور على هذه المحاور، وما أظن ابن القيم رأى كتابًا من تلك الكتب التي أوجب إتلافها أسوأ من هذا.

سَارَتْ مُشَرِّقَةً وَسِرْتُ مُغَرِّبًا شَتَّانَ بَيْنَ مُشَرِّقٍ وَمُغَرِّبِ

أين أنت اليوم من حراسة الدين؟!

أليس حكمك هذا الذي يوجب قراءة كتب سيد قطب المتضمنة لأخطر البدع، من حراسة كتب البدع والضلال والذب عنها؟!

* * *

الفرق الكبير بين الهروي والجيلاني وبين سيد قطب وبين بيان ابن تيمية وابن القيم للحق وبين تلبيس الشيخ بكر

قال الشيخ بكر: «واعتبر -رعاك الله- حاله بحال أسلاف مضو أمثال أبي إسماعيل الهروي والجيلاني، كيف دافع عنهما شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- مع ما لديهما من الطوام؛ لأن الأصل في مسلكهما نصرة الإسلام والسنة، وانظر منازل السائرين للهروي رَحِمَهُ اللَّهُ ترى[1] عجائب لا يمكن قبولها، ومع ذلك فابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ يعتذر عنه أشد الاعتذار ولا يجرمه فيها وذلك في شرحه مدارج السالكين»[2].

أقول: أولًا: أين الثرى من الثريا؟!

فأبو إسماعيل كان سيفًا مسلولًا على المخالفين، وجذعًا في أعين المتكلمين، وطودًا في السنة لا يتزلزل وقد امتحن مرات. قال ذلك الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ في تذكرة الحفاظ.

وقال الذهبي أيضًا: «قال ابن طاهر وسمعته يقول بِهُراة: عرضت على السيف خمس مرات لا يقال لي: ارجع عن مذهبك لكن يقال لي: اسكت عمن خالفك فأقول: لا أسكت، وسمعته يقول: أحفظ اثني عشر ألف حديث أسردها سردًا»[3].

وألف «الأربعين»، وكتاب: «الفاروق في الصفات»، وكتاب: «ذم الكلام وأهله»، وكتاب: «تكفير الجهمية»، ولقد كان هذا الرجل سيفًا مسلولًا على من هم مثل سيد قطب.

فكم نازل سيد قطب أهل البدع من الروافض والمعتزلة والخوارج والجهمية والصوفية الضالة؟ لقد أدلى مع كل فرقة بدلاء لا بدلو واحد!

---

(١) كذا، والصواب: «تر».

(٢) (ص٤).

(٣) تذكرة الحفاظ (ص ١١٨٤).

وكم ألف سيد من الكتب في نقد البدع الكبرى؟! لا شيء من ذلك، بل تجده يغترف منها ويخب في البدع ويضع فيها، ثم لا تحتج أيها الشيخ بابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فإن دوافع ابن القيم غير دوافعك، وفهمه لمذاهب الصوفية غير فهمك، وأهدافه غير أهدافك.

إن أهل وحدة الوجود قد استغلوا كلام أبي إسماعيل الهروي المتشابه ووجهوه إلى وحدة الوجود الخبيثة، فرأى ابن القيم بفهمه الثاقب وبصيرته النافذة أن هؤلاء الزنادقة قد افتروا على الهروي من جهة، وأنهم ساعون في تضليل المسلمين بكلام رجل له منزلة عظيمة عند الأمة بما له من عقيدة صحيحة دوَّنها في كتاب: «الفاروق»، وفي كتاب: «ذم الكلام» وبما له من صراع مرير مع الأشاعرة وغيرهم ممن خالف السلف في المنهج والمعتقد؛ فابن القيم يوجه كلام أبي إسماعيل المتشابه توجيها صحيحًا بعلم وخبرة واسعة بالكلام والمذاهب لا بالعواطف العمياء.

وهو مع كل هذا لا يترك أبا إسماعيل من وخز ونقد وغَمْز، ولأضرب للقارئ أمثلة من نقد ابن القيم اللاذع للهروي خلال ست صفحات فقط من كتاب: «مدارج السالكين».

قال رَحِمَهُ اللهُ في (١/ ١٤٧) «وقد خبط صاحب المنازل في هذا الموضع وجاء بما يرغب عنه الكمل من سادات الكمل والواصلين إلى الله».

وقال في (١/ ١٤٨) بعد أن بين الفرق الواضح بين كلام أبي إسماعيل وبين كلام أهل عقيدة وحدة الوجود: «فرحمة الله على أبي إسماعيل، فتح للزنادقة باب الكفر والإلحاد فدخلوا منه، وأقسموا بالله جهد أيمانهم إنه لمنهم وما هو منهم، وغره سراب الفناء فظن أنه لجة في بحر المعرفة وغاية العارفين وبالغ في تحقيقه وإثباته فقاده قسرًا إلى ما ترى».

وقال في (١/ ١٥٢) بعد أن دفع تعلق الاتحادي بكلام أبي إسماعيل: «وإنما مراده انتفاء الحاجب عن درجة الشهود لا عن حقيقة الوجود، لكنه باب الإلحاد، هؤلاء الملاحدة منه يدخلون».

وقال في (١/ ١٥٣): «قوله: الدرجة الثالثة: الفناء عن شهود الفناء...» فشرح الإمام ابن القيم رحمه الله هذا الكلام لأبي إسماعيل ثم تعقبه بقوله. «وسنذكر إن شاء الله أن العبد لا يدخل بهذا الفناء والشهود في الإسلام فضلًا أن يكون به من المؤمنين فضلًا أن يكون به من خاصة أولياء الله المقربين؛ فإن هذا شهود مشترك لأمر أقر به عباد الأصنام وسائر أهل الملل أنه لا خالق إلا الله».

فهذا كلام ابن القيم في بضع صفحات فكم من الانتقادات في ثلاث مجلدات؟

وأقول: فرق بين أبي إسماعيل وبين سيد قطب كبير وشاسع، وفرق كبير بين عقيدة سيد قطب وأبي إسماعيل صاحب: «الفاروق»، و«ذم الكلام»، و«تكفير الجهمية»، وفرق كبير بين إمام في السنة والحديث يبني عقيدته عليهما ويوالي ويعادي على ذلك وبين جاهل بها لا يعوّل عليها في أبواب الاعتقاد ويحرفها ويسير على نهج أهل البدع والضلال؛ فهذا يُصنف فيمن هو على شاكلته مثل الجعد ابن درهم وعمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وبشر المريسي وغيرهم من أهل البدع الكبرى.

وفرق بين تقرير سيد لوحدة الوجود وبين قول أبي إسماعيل بالفناء عن الشهود الذي هو خطأ جسيم ويفتح للزنادقة باب الإلحاد.

فهل يصح قول الشيخ بكر عن ابن القيم: إنه يعتذر عن أبي إسماعيل أشد الاعتذار ولا يجرمه؟

وهل من النصيحة للشباب أن يُظْهِر هذا الكلام، ويُخْفي انتقاده المر لأبي إسماعيل الذي لم يقل ربيع مثله في سيد قطب، لقد جنيت أيها الشيخ على الإمام ابن القيم وغررت بالشباب.

وأما شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- فله نقد قوي لأبي إسماعيل الهروي، ثم بعد هذا النقد قد يعتذر له لأسباب قوية من علمه وجهاده للبدع وفي نصرة السنة، ولا يمكن أن يعتذر لمثل سيد قطب؛ لماضيه المظلم[1] ولحياته كلها

---

(١) مهذا سيد في مرحلة الإسلاميات من حياته يقول: «كنت ليلة في إحدى الكنائس ببلدة (جريلي) بولاية (كولورادو) فقد كنت عضوًا في عدة نواد كنسية في كل جهة عشت فيها ما بين (واشنطن) في الشرق=

التي يتخبط فيها في البدع الضلالات.

قال رحمه الله في «منهاج السنة»[1] عن الهروي وكتابه: «منازل السائرين»: «وقد ذكر في كتابه «منازل السائرين» أشياء حسنة نافعة وأشياء باطلة، ولكن هو فيه ينتهي إلى الفناء في توحيد الربوبية ثم إلى التوحيد الذي هو حقيقة الاتحاد... ثم ساق كلامًا طويلًا من منازل السائرين في تقسيم التوحيد، ثم ناقشه فيه نقاشًا علميًا يليق بعلمه ومكانته -أي: ابن تيمية رحمه الله-.

ثم قال: وأما الفناء الذي يذكره صاحب المنازل فهو الفناء في توحيد الربوبية، لا في توحيد الإلهية، وهو يثبت توحيد الربوبية مع نفي الأسباب والحِكَم كما هو قول القدرية المجبرة كالجهم بن صفوان ومن اتبعه، والأشعري وغيره»[2].

فانظر إلى هذا النقد الصريح الواضح الجلي لما في كلام الهروي من الانتهاء إلى حقيقة الاتحاد[3] ثم إلى القول بالجبر.

وبعد هذا النقد الواضح الجلي الذي جَلَّى خلاله هاتين الحقيقتين قال: «وشيخ الإسلام، وإن كان رحمه الله من أشد الناس مباينة للجهمية في الصفات، وقد صنف كتابه: «الفاروق في الفرق بين المثبتة والمعطلة»، وصنف كتاب: «تكفير

= و(كالبوربا) في الغرب» انظر كتاب «سيد قطب الأديب الناقد» وأحال على كتاب: «الإسلام ومشكلات الحضارة» لسيد قطب (ص٨٢-٨٣).

فماذا كان سيد يعمل في هذه التراهي الكنسية؟!

(١) (٥/ ٣٤٢).

(٢) (٥/ ٣٥٨).

(٣) لشيخ الإسلام قول آخر قد بيَّن مقصوده هنا بالانتهاء إلى الاتحاد: قال رحمه الله في المنهاج (٥/ ٣٨٣) «وأما أهل الاتحاد العام فيقولون: ما في الوجود إلا الوجود القديم وهذا قول الجهمية، وأبو إسماعيل لم يرد هذا، فإنه صرح في غير موضع من كتبه بتكفير هؤلاء الجهمية الحلولية الذين يقولون إن الله بذاته في كل مكان، وإنما يشير إلى بعض ما يختص به بعض الناس ولهذا قال: ألاح منه لائحًا إلى أسرار طائفة من صفوته».

فهذا يبين أن مقصوده بقوله: «ثم إلى التوحيد الذي هو حقيقة الاتحاد أن ما بعد إلى لم يدخل فيما قبلها مثل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧] لاسيما مع وجود القرينة وهي كلامه هذا الأخير المبين لمقصوده في كلامه الأول». راجع مغني اللبيب لابن هشام في معنى (إلى) (١/ ٧٤، ٧٥).

وعلى كل فقد انتقده شيخ الإسلام نقدًا صحيحًا كما رأيت، وسترى.

الجهمية»، وصنف كتاب: «ذم الكلام وأهله» وزاد في هذا الباب حتى صار يوصف بالغلو في الإثبات للصفات، لكنه في القَدَر على رأي الجهمية نفاة الحكم والأسباب، والكلام في الصفات نوع، والكلام في القدر نوع، وهذا الفناء عنده لا يجامع البقاء، فإنه نفي لكل ما سوى حكم الرب بإرادته الشاملة التي تخصص أحد المتماثلين بلا مخصص»[1].

ثم استمر يناقش أقوال الهروي في الجبر ويطعن طعنًا شديدًا في الجبرية القائلين بتلك الأقوال التي يقولها الهروي، فمن هذه المناقشات المرة الصعبة قوله ناقدًا للهروي ومن على مذهبه في الجبر: «وقول القائل: «يسلك سبيل إسقاط الحدث»[2] إن أراد أني أعتقد نفي حدوث شيء فهذا مكابرة وتكذيب بخلق الرب وجحد للصانع، وإن أراد أني أسقط الحدث من قلبي، فلا أشهد محدثًا -وهو مرادهم- فهذا خلاف ما أمرت به وهو خلاف الحق، بل قد أمرت أن أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأشهد حدوث المحدثات بمشيئته، بما خلقه من الأسباب، ولما خلقه من الحكم وما أمرت ألا أشهد بقلبي حدوث شيء قط»[3]، ثم استمر ينتقد كلام الهروي نقدًا شديدًا لاذعًا يتخلله وصف بالضلال والجهل وبالحلول والاتحاد[4].

نعم بعد إدانة كلام الهروي والحكم عليه بما يستحقه قد يتلمسان[5] الأسباب لعذره لأدلة قوية من علمه وجهاده لأهل البدع والضلال وبالمؤلفات الواسعة في بيان الحق ونصره وهدم البدع والضلال، ثم بعد ذلك كله يبقى القارئ حرًا فإما يقتنع بهذا العذر وإما لا يقتنع، فلا إلزام بهذا ولا ذاك.

فهل أنت صدعت بالحق في عقائد سيد قطب تأسيًا بعلماء السلف؟! ثم تأسيًا بشيخي الإسلام ابن تيمية وابن القيم، ثم اجتهدت اجتهادًا صحيحًا يرضي الله -

(١) المنهاج (٥/ ٣٥٨).
(٢) وهذه العبارة للهروي في المنازل. انظر: منهاج السنة (٥/ ٣٤٤) سطري (٦، ٧).
(٣) المنهاج (٥/ ٣٦٨).
(٤) المنهاج (٥/ ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٢)
(٥) أي: ابن تيمية وابن القيم.

تبارك وتعالى- فلم تَرَ أي فارق بين سيد قطب والهروي والجيلاني وأمثالهما ممن لهم علم واسع بالسنة ومنهج السلف والذب عنهما والدعوة إليهما والولاء والبراء فيهما فترجح لك في ضوء هذا الاجتهاد إلحاق سيد قطب بهما؟

أو أنك لم تفعل شيئًا من ذلك فيكون لنا الحق أن نسمي فعلك هذا وكلامك الذي تعلقت فيه بالإمامين ابن تيمية وابن القيم تلبيسًا تعضد به نصرتك للباطل ودفاعك عن الباطل والبدع الكبرى!

فكم من الفوارق الهائلة بين موقفك أيها الشيخ وبين موقفي الشيخين وبين أهدافهما وأهدافك ونصيحتهما وبيانهما وتلبيسك؟

أيها الشيخ، لم أجزم كجزمهما في الحكم على أقوال الهروي ولم أطعن في كلام سيد قطب كطعنهما في كلام الهروي. فلماذا تكتم هذا كله، ولماذا تنزعج كل هذا الانزعاج من كلامي وتطعن في وفيه بما لم يقله سلفي في مبتدع يدافع عن البدع والضلال وبما لا يجرؤ عليه أهل الفتن والأهواء في الدفاع عن سيدهم؟

أما الجيلاني فلا أذكر لشيخ الإسلام دفاعًا عن طوامه، والذي أعرفه عن الجيلاني أن عقيدته في الأسماء والصفات على منهج السلف.

وأعرف عن شيخ الإسلام ابن تيمية أنه يحتج بكلامه في القدر ونقل عنه أنه قيل له: «هل كان لله ولي على غير اعتقاد أحمد بن حنبل؟ فقال: ما كان ولا يكون». الاستقامة (١/ ٨٦).

وهذا يدل على حسن معتقده واحترامه لمنهج السلف، وقد درس عليه عبد الغني المقدسي وابن قدامة، وما رأيا عليه إلا خيرًا ولم يطعنا فيه.

وقال ابن رجب: «وللشيخ عبد القادر رَحِمَهُ اللَّهُ كلام حسن في التوحيد والصفات والقدر، وفي علوم المعرفة موافق للسنة» انظر الذيل على طبقات الحنابلة (١/ ٢٩٦)، وقد وقفت على معتقده في كتابه المسمى بـ: «الغنية» فوجدته سلفيًّا، يثبت الأسماء والصفات وغيرها من المعتقدات على منهج السلف ويرد على الشيعة والروافض والجهمية والجبرية والسالمية وغيرهم على منهج السلف[1].

---

(١) راجع كتاب الغنية (١/ ٨٣-٩٤).

فأين سيد قطب الذي أخذ كثيرًا من مذاهب هذه الفرق؟!

ولعل هذا الكتاب أدنى مؤلفاته، وقد ترجم له الذهبي في السير ونقل عنه أنه قال: «أسلم على يدي أكثر من خمسمائة، وتاب أكثر من مائة ألف»[1].

ونقل عنه أقوالًا وأعمالًا مستغربة، ثم قال في آخر ترجمته من السير[2]: «وفي الجملة الشيخ عبد القادر كبير الشأن، وعليه مآخذ في بعض أقواله والله الموعد، وبعض ذلك مكذوب عليه».

وذكر ابن رجب في «الذيل» أن رجلًا ألف مجلدين في كرامات عبد القادر كلها كذب، والشيخ بكر يعرف موقف السلف من أهل البدع ولاسيما الإمام مالك، والإمام الشافعي، والإمام أحمد، والإمام البخاري، والإمام أبا زرعة، وأبا حاتم، وعبد الله بن أحمد، وابن خزيمة، وغيرهم ومنهم الإمامان ابن تيمية وابن القيم، والإمام محمد بن عبد الوهاب، وأنجاله وأحفاده وتلاميذه، وقد نقل عنهم الشيخ بكر شدتهم على أهل البدع في كتابيه: «هجر المبتدع»، و«الرد على المخالف» وغيرهما، وبعد كل هذا يطالعنا هذه الأيام بالدفاع المستميت الطائل عن رجل من أخطر أهل البدع ويجادل عنه وعن كتبه بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير!

الشيخ بكر يحرم نشر كتابي وطبعه مع إيجابه الاستفادة من كتب البدع والضلال كتب سيد قطب!!

قال الشيخ بكر: «وفي الختام: فإني أنصح فضيلة الأخ في الله بالعدول عن طبع هذا الكتاب: «أضواء إسلامية» وأنه لا يجوز نشره ولا طبعه لما فيه من التحامل الشديد والتدريب القوي لشباب الأمة على الوقيعة في العلماء وتشذيبهم والحط من أقدارهم والانصراف عن فضائلهم، واسمح لي -بارك الله فيك- إن كنت قسوت في العبارة فإنه بسبب ما رأيته من تحاملكم الشديد، وشفقتي عليكم ورغبتكم الملحة بمعرفة ما لدي نحوه»[3].

---

(١) وكم ضل بسيد قطب من أهل المنهج السلفي وغيرهم.

(٢) (٢٠/ ٤٥١).

(٣) (ص٤).

مناقشته في ذلك:

أقول: أولًا: إن هذه نصيحة فريدة من نوعها لم يصدر مثلها من سلفي يحب الحق ويبغض البدع، وحاشاهم أن يوجهوا مثل هذه المصيبة والداهية الدهياء.

ثانيًا: كيف سمحت لك نفسك بالقول بوجوب الاستفادة من كتب حُشيت بالباطل والبدع الكبرى، منها التجهم ومنها الطعن في أصحاب رسول الله ﷺ، والنيل من نبي الله موسى، ومنها الاشتراكية، ومنها ومنها... بحيث لا أعرف أصلًا من أصول الإسلام الكبار سلم من تشويه سيد قطب وتحريفه في كتبه هذه التي توجب الاستفادة منها؟!

كيف استجزت ذلك؟!

وكيف استجزت تحريم طبع ونشر كتاب: «أضواء إسلامية» وهو ينافح ويذب عن دين الله وعن سنة رسول الله ﷺ وعن العقيدة الإسلامية وعن أصحاب رسول الله ﷺ؟!

إن كنت لم تدرك هذا ولا ذاك فاعط القوس باريها، فلكل ميدان رجال، ورجال هذا الميدان منهم الكثير قد عرف الحقيقة حقيقة فكر سيد وعقيدته في كتبه، وحقيقة كتاب: «أضواء إسلامية» وصنوه: «مطاعن سيد قطب في أصحاب رسول الله ﷺ» وقالوا ما يجب قوله من تأييد كتاب الأضواء[1] تأييدًا قويًا عن علم ومعرفة وإدراك في ضوء كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومنهج السلف الصالح.

ثالثًا: ليس في كتابي تحامل على سيد قطب، بل التحامل والتطاول في كتبه على العقيدة الصحيحة وعلى نبي الله موسى وعلى أصحاب رسول الله ﷺ وعلى علماء الإسلام وعلى الأمة حيث يكفرها ويعتبر مساجدها معابد جاهلية، وكتابي ألف لكشف هذا التطاول والتحامل وليس فيه كما تزعم تدريب قوي لشباب الأمة على الوقيعة في العلماء وتشذيبهم والحط من أقدارهم[2].

---

(١) وجاءتني أيضًا تأييدات قوية لكتاب مطاعن، لكنها غير مكتوبة.

(٢) لعله يشير إلى عمل الحداديين يريد إلصاقهم بنا وحاشى أهل السنة منهم ومن أفعالهم، وقد بينت أنا وغيري من أهل السنة حقيقتهم وحقيقة منهجهم الفاسد في رسائل وأشرطة ولعل الحزبيين الذين يناصرونهم ويدافع عنهم الشيخ بكر كانوا من ورائهم.

فكل ما تقوله متوفر بغزارة في أشرطة وكتب من تربى على كتب سيد قطب وفكره ومنهجه السياسي، فكل من خالفهم من العلماء وطلاب العلم وغيرهم عميل وجاسوس ومنافق وعلماني، وأهون ما يرمون به من خالفهم هو أنه لا يفقه الواقع، فما أهان العلم والعلماء ودرّب الشباب تدريبًا قويًا على الوقيعة في العلماء أحد مثل القطبيين الذين هببت مذعورًا للدفاع عنهم في كتابك: «تصنيف الناس»، وفي خطابك هذا الذي تدافع فيه عن سيد قطب، وهو في الحقيقة دفاع عن القطبيين وتحقيق لأهدافهم ولهذا نشروه هنا وهناك وملئوا به الدنيا.

فإن كنت تعتقد في هؤلاء أنهم على الحق فاطلب منهم نشر وتوزيع كتبك السلفية مثل: «الرد على المخالف»، و«هجر المبتدع»، و«خصائص الجزيرة»، و«حكم الانتماء» بالكثافة والنشاط اللذين نشروا بهما: «التصنيف»، و«الخطاب الظالم».

رابعًا: أما قسوتكم التي اعترفتم بها؛ فلو كانت غضبًا لله وانتصارًا للحق لسامحتكم فيها، ولكنها غضب لأهل الباطل وانتصار لهم، وذلك مرده إلى الله الحكم العدل، وما أظنه يترككم إلا أن تتوبوا إليه وتصلحوا وتبينوا للناس ما وقعتم فيه من ظلم واعتداء وما لبّستُم به عليهم في أمور دينهم.

خامسًا: هل رغبت أنا إليكم وألححت عليكم في نصرة الباطل والذب عنه؟ وهل رغبت وألححت عليكم في شتمي ورميي بالخيانة العلمية ظلمًا وعدوانًا؟

رغبت إليكم وإلى العديد من العلماء في إبداء الملاحظات العلمية، فهلّا سلكت سبيل أهل العلم في النقد البناء والملاحظات العلمية القائمة على الحجة والبرهان في توضيح ما عسى أن تجده من خطأ؟

كلّا ثم كلّا . . .

وأخيرًا فأقول عن ردودي على سيد قطب وأشياعه: وإني لاتأسى بقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأستفيد منه: «فلولا أن أصحاب هذا القول كثروا وظهروا وانتشروا وهم عند كثير من الناس سادات الأنام، ومشايخ الإسلام، وأهل التوحيد والتحقيق؛ لم يكن بنا حاجة إلى بيان فساد هذه الأحوال وإيضاح هذا الضلال،

ولكن يعلم أن الضلال لا حد له وأنه إذا ضلت[1] العقول لم يبق لضلالها حد معقول»[2].

فمثل هذه الأمور هي التي دفعتني إلى بيان ما عند سيد قطب من البدع والضلال رغبة في الجزاء من رب السموات والأرض ذي الإكرام والجلال.

* * *

(١) في الأصل: كررت، ولا يظهر له معنى وكأنه من تصحيف النساخ

(٢) إبطال وحدة الوجود (ص ١١٨).

الخاتمة

لقد تبين مما كتبته في: «أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره»، ومما عرضته في كتاب: «مطاعن سيد قطب في أصحاب رسول الله ﷺ»، ومما عرضته في هذا البحث: «الحد الفاصل بين الحق والباطل»، ومما كتبه الشيخ عبد الله الدويش، ومما كتبته وقاله غيره أن كتب سيد قطب:

١- في ظلال القرآن.

٢- العدالة الاجتماعية.

٣- بدعة (التصوير الفني).

٤- الخصائص.

٥- المقومات.

٦- معركة الإسلام والرأسمالية.

٧- معالم في الطريق.

٨- الإسلام ومشكلات الحضارة.

قد اشتملت على بدع كبرى كثيرة مردية، وأنها أخطر على شباب الأمة من السموم الفتاكة والأسلحة المدمرة؛ لأنها تدمر العقل والعقيدة فهل ينتظر فساد أكبر:

١- من تعطيل صفات الله.

٢- ومن إفساد معنى لا إله إلا الله.

٣- ومن تحريف آيات التوحيد ودعوات الرسل إلى السياسة.

٤- وهل ينتظر جرأة وسوء أدب أكبر من ذم نبي كريم من أنبياء الله أولي العزم.

٥- ومن الطعن في الخليفة عثمان وفي أصحاب رسول الله ﷺ.

٦- ومن الدندنة حول وحدة الوجود في «الظلال»، و«الخصائص»، و«المقومات».

٧- ومن تكفير الأمة من قرون وغرس الأحقاد في نفوس من تأثروا بمنهجه على الأمة وعلمائها.

٨- ومن تحريف نصوص الإسلام وقواعده إلى الاشتراكية الغالية.

٩- ومن اعتبار سنة رسول الله ﷺ واعتبار كلام الأنبياء من أفكار البشر التي لا يعول عليها ولا يوثق بها، إلى غير ذلك من الطوام والدواهي التي ضمنها سيد قطب كتبه؟

فيا علماء الإسلام، أنتم ورب السماء والأرض مسئولون أمام الله عن شباب الأمة، فما الذي يمنعكم أن تقولوا كلمة الحق الواضحة الصريحة في كتب هذا الرجل وعقائده وفكره؟

ولقد ظهرت آثارها المدمرة لا في عقول وعقائد الخرافيين فحسب؛ بل في عقول أبناء من أكرمهم الله بالمنهج السلفي الحق، وفي كل ناشئ سليم الفطرة يطلب الإسلام الحق عقيدة وشريعة.

أنتم معشر العلماء وورثة الأنبياء يدرك العاقل اللبيب أن على عواتقكم مسئوليات وأعباء جسيمة تشغلكم عن دراسة فكر سيد قطب وأمثاله، ولو تعلمون ما تحتويه كتب هذا الرجل من الطوام والبلايا والفتن وعلمتم تأثير تياره المدمر الواسع الانتشار في شباب الأمة ولاسيما التجمعات السلفية لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا، ولرأيتم أن من أوجب الواجبات دراسة فكره لإزالة خطره عن شباب الأمة وشره.

ويجب أن يعلم علماؤنا الأفاضل: أن لأهل الأهواء والتحزب أساليب رهيبة لاحتواء الشباب والتسلط والسيطرة على عقولهم ولإحباط جهود المناضلين في الساحة عن المنهج السلفي وأهله.

من تلكم الأساليب الماكرة: استغلال سكوت بعض العلماء عن فلان وفلان، ولو كان من أضل الناس فلو قدم الناقدون أقوى الحجج على بدعه وضلاله فيكفي

عند هؤلاء المغالطين لهدم جهود المناضلين الناصحين التساؤل أمام الجهلة فما بال فلان وفلان من العلماء سكتوا عن فلان وفلان؟! ولو كان فلان على ضلال لما سكتوا عن ضلاله؟! وهكذا يلبسون على الدهماء؛ بل وكثير من المثقفين.

وغالب الناس لا يعرفون قواعد الشريعة ولا أصولها التي منها: أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات، فإذا قام به البعض سقط عن الباقين.

ومن أساليبهم: انتزاع التزكيات من بعض العلماء لأناس تدينهم مؤلفاتهم ومواقفهم ونشاطهم بالبعد عن المنهج السلفي ومنابذة أهله وموالات خصومه وأمور أخرى.

ومعظم الناس لا يعرفون قواعد الجرح والتعديل، وأن الجرح المفصل مقدم على التعديل؛ لأن المعدل يبني على الظاهر وعلى حسن الظن، والجارح يبني على العلم والواقع كما هو معلوم عند أئمة الجرح والتعديل.

وبهذين الأسلوبين وغيرهما يحبطون جهود الناصحين ونضال المناضلين بكل سهولة ويحتوون دهماء الناس بل كثير من المثقفين، ويجعلون منهم جنودًا لمحاربة المنهج السلفي وأهله والذب عن أئمة البدع والضلال.

وما أشد ما يعاني السلفيون من هاتين الثغرتين التي يجب على العلماء سدهما بقوة وحسم لما ترتب عليها من المضار والأخطار.

ولقد عرضت لكم كثيرًا من عقائد سيد قطب عرضًا أمينًا ووضعته بين أيديكم فقوموا لله مثنى وفرادى لدراسة هذه المشاكل الخطيرة، وقدموا الحل الصحيح السليم الذي ينقذ شباب الأمة من هذا الكابوس الجاثم على صدورهم.

أما أنا الفقير الضعيف فالذي أدين الله به: أنه يجب حماية شباب الأمة وعقيدتها من كتب هذا الرجل وفكره المدمر بحظر هذه الكتب.

ووالله إن هذه المسألة لمسألة المسائل، وإنه يجب الاهتمام بها ووضع الحل الحاسم الذي يرضي رب الأرض و السماء.

اللهم وفق علماءنا لإنقاذ أبنائنا وشبابنا، وجنب علماءنا واحمهم من

مغالطات المخذلين الماكرين، ووفق علماءنا الصادعين بالحق في كل مجال لأن يصدعوا به في هذا المجال الخطير بل الأخطر؛ إنك سميع الدعاء.

كان الفراغ منه في يوم الجمعة الموافق ٢٠ من شهر شوال سنة (١٤١٤هـ).

أسأل الله أن يجعله تبصرة للمؤمنين والمخدوعين وأن يجعله ذخرًا لي عند لقائه.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

* * *

العواصم

مما في كتب سيد قطب من القواصم

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقًا

بوزيد بلقاسم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وصفيه وخليله، الداعي إلى دين الحق وإلى صراط مستقيم، هدانا الله به من الضلالة، وأخرجنا به من ظلمات الجهالة، ظلمات الشرك، وظلمات الفواحش والبدع والمنكرات، وظلمات الأخلاق الرديئة من الكذب والغش والدجل والشعوذة والسحر والكهانة، وزكانا بالتوحيد الخالص لله رب العالمين، والإيمان القوي الصادق، وربانا على الصدق، وبايعنا على قول الحق أينما كنا، وحذرنا من الكذب والفجور.

فقال ﷺ: «**عليكم بالصدق؛ فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا، وإياكم والكذب؛ فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا**»[1].

وشدد فيه أيما تشديد حتى جعله من آيات النفاق؛ فقال ﷺ: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**»[2].

ومن جزاء الكذاب ما أخبرنا به هذا النبي الكريم صاحب الخلق العظيم: «**رأيت رجلين أتياني... قالا: الذي رأيته يشق شدقه، فكذاب يكذب بالكذبة تحمل عنه حتى تبلغ الآفاق، فيصنع به إلى يوم القيامة**»[3].

وما أكثر الكذابين اليوم على حملة الدعوة السلفية ودعاتها، وما أقدرهم على

---

(١) مسلم (البر والصلة، حديث ٢٦٠٧ / ١٠٥)، ونحوه في البخاري في (الأدب، حديث ٦٠٩٤)

(٢) البخاري (الأدب، حديث ٦٠٩٥)

(٣) البخاري (الأدب، حديث ٦٠٩٦).

الشائعات التي تحمل عنهم حتى تبلغ الآفاق، يصدون بها الناس عن سبيل الله ويبغونها عوجًا، ينصرون بذلك الأباطيل والترهات والبدع المدمرة للعقيدة الصحيحة، والمناهج الصحيحة، والأخلاق الفاضلة.

وألزمنا بالنصيحة، فقال ﷺ: «**الدين النصيحة -ثلاثًا-**»، قلنا: لمن؟ قال: «**لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[1].

فقل لي بربك هل من يهون من شأن المنهج السلفي -منهج الله الشامل دينا ودولة- ويدعي الشمولية والكمال لمناهج ضالة فاسدة، تقوم على أصول البدع، وتضم أصناف أهل البدع من روافض وخوارج ومرجئة ومعتزلة، بل تتسع لأكثر من هذه، فتحالف -بل تندمج- مع الأحزاب العلمانية والشيوعية هنا وهنا في مختلف البلدان، هل من يفعل ذلك يكون ناصحًا لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم؟

إنني أريد بما أسطر هنا وهناك النصح لمن يعقل عن الله ورسوله، ومن يحترم الدين العظيم، دين الهدى والحق الذي أرسل الله به محمدًا ﷺ وفي الوقت نفسه يحترم عقله، وينأى بنفسه وبدينه وبعقله وبشرفه ورجولته أن يسقط في الهوة التي ارتطم فيها اليهود والنصارى باتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله.

قال تعالى مخبرًا عن واقعهم الأسود المزري: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[2].

ويخشى العاقل البصير بدينه الذي يأخذ العبر من القرآن والسنة وتأريخ الأمم -بل تأريخ هذه الأمة- أن تفضي هذه الفعلة الخطيرة من زحلقة الشباب عن المنهج السلفي بتشويه صورته وصور أهله، وتحسين وتلميع مناهج البدع والضلال، وتلطيف بدعهم الكبرى المخزية، ورفع أهلها إلى مراتب المجتهدين، وإطراء كتبهم

---

(١) مسلم، الإيمان، حديث (٥٥)، وأحمد (٤/١٠٢ - ١٠٣)، وأبو داود، أدب، حديث (٤٩٤٤).
(٢) التوبة. ٣١.

وتوجيه الشباب إليها وتربيتهم على ما حوته من بلايا لا يدركونها ظانين أنها الحق.

يخشى العاقل المعتبر أن يفضي ما ذكرناه إلى أن يتحقق فيهم قول الرسول الكريم ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم»[1].

ولقد حذرنا رسولنا الكريم -صلوات الله عليه وسلامه- من الغش، وتبرأ من الغشاشين؛ فعن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ مر على صبرة طعام، فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللًا، فقال: «ما هذا يا صاحب الطعام؟». قال: أصابته السماء يا رسول الله. قال: «أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس؟ من غش فليس مني».

وفي رواية عنه: «من حمل علينا السلاح فليس منا، ومن غشنا فليس منا»[2].

هذا من غش المسلمين في دنياهم، فكيف بمن يغش الناس في دينهم ويزين لهم الباطل ويزخرفه ويلمعه وأهله، ويشوه الحق وأهله، ويستخدم وسائل رهيبة قد تعجز عنها شياطين الجن وقد لا يحسنونها، وينفذ خططًا رهيبة جهنمية لتحقيق أهدافه الباطلة؟!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الغش في الديانات: «فأما الغش في الديانات، فمثل البدع المخالفة للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة من الأقوال والأفعال.

مثل: إظهار المكاء والتصدية في مساجد المسلمين.

ومثل: سب جمهور الصحابة، وجمهور المسلمين، أو سب أئمة المسلمين ومشايخهم وولاة أمورهم المشهورين عند عموم الأمة بالخير.

ومثل: التكذيب بأحاديث رسول الله ﷺ التي تلقاها أهل العلم بالقبول.

---

(١) البخاري، الاعتصام، حديث (٧٣٢٠)، ومسلم (العلم، حديث ٢٦٦٩).

(٢) مسلم (الإيمان، حديث ١٠٢)، وأحمد (٢/ ٤٢٢)، وأبو داود في (البيوع، حديث ٣٤٥٢) كلاهما بلفظ: «ليس منا من غش».

ومثل: رواية الأحاديث الموضوعة المفتراة على رسول الله ﷺ.

ومثل: الغلو في الدين بأن ينزل البشر منزلة الإله[١].

ومثل: تجويز الخروج عن شريعة النبي ﷺ.

ومثل: الإلحاد في أسماء الله وآياته، وتحريف الكلم عن مواضعه، والتكذيب بقدر الله، ومعارضة أمره ونهيه بقضائه وقدره.

ومثل: إظهار الخزعبلات السحرية، والشعبذة الطبيعية، وغيرها التي يضاهى بها ما للأنبياء والأولياء من المعجزات والكرامات، ليصد بها عن سبيل الله، أو يظن بها الخير فيمن ليس من أهله.

وهذا باب واسع يطول وصفه.

فمن ظهر منه شيء من هذه المنكرات: وجب منعه من ذلك وعقوبته عليها إذا لم يتب حتى قُدِرَ عليه، بحسب ما جاءت به الشريعة من قتل، أو جلد، أو غير ذلك.

وأما المحتسب، فعليه أن يعزر من أظهر من ذلك قولًا أو فعلًا، ويمنع من الاجتماع في مظان التهم، فالعقوبة لا تكون إلا على ذنب ثابت، وأما المنع والاحتراز فيكون مع التهمة، كما منع عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يجتمع الصبيان بمن كان يتهم بالفاحشة.

ومثل هذا الاحتراز عن قبول شهادة من يتهم بالكذب، والتمان المتهم بالخيانة، ومعاملة المتهم بالمطل»[٢].

---

(١) من أقبح أنواع الغلو ما نراه اليوم في سيد قطب:
الذي تطاول على مقام النبوة بانتقاص نبي الله موسى بما لا يقبله أتباع سيد في سيد نفسه، بل رفضوا نقده العلمي بالحق والحجج والبراهين.
وتطاول على أصحاب رسول الله ﷺ بما لا يقبلون دونه في حزبهم، فضلًا عن رمحاء هذا الحزب.
وجمع من أشتات البدع ما لم يجتمع لكثير من رءوس البدع
وكثير من هؤلاء الغلاة يتمسح بمنهج السلف، ويكثر من: قال ابن تيمية وقال ابن تيمية. فليطبقوا ما يقوله ابن تيمية وما قاله السلف قبله في أهل البدع إن كانوا صادقين.

(٢) «الحسبة في الإسلام»، الطبعة السلفية (ص٢٦).

رحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية، ورحم الله سلفنا الصالح جميعًا.

انظر إلى هذا الكلام الرصين الجزل في بيان أنواع الغش في الديانات.

فماذا فات سيد قطب مما ذكره شيخ الإسلام؟! اللهم إلا القليل، وقد عوض ما فاته بأشياء ذكرتها في «أضواء إسلامية»، وفي مطاعنه في الصحابة، وفي «الحد الفاصل».

وأضيف اليوم جديدًا في هذا الكتيب الذي سترى فيه ما لا يطاق من القول على الله وفي دينه بغير علم، ومن الطعن في العلماء بما لم يسبق أن سمعته أذناك أو قرأته في كتاب من الكتب.

فإن قلت: لماذا كل هذا مع سيد قطب؟

فأجيبك: لماذا وقع أكثر من هذا أضعافًا مضاعفة مع الجهم بن صفوان، والجهمية، ومع عمرو بن عبيد، وواصل بن عطاء، وأبي هاشم الجبائي، والجاحظ، وثمامة بن أشرس، ومع الروافض ورءوسهم، والجبرية ورءوسهم، والمرجئة ورءوسهم، والصوفية ورءوسهم، بل والأشعرية ورءوسهم منذ ذرت قرون هذه البدع إلى يومنا هذا.

واقرأ كتب الجرح والتعديل والكتب التي خصصت للجرح.

واقرأ كتب السنة (العقائد الصحيحة)، وانظر ماذا قالوا في أهل البدع وأئمتهم ودعاتهم وطوائفهم.

واقرأ كتب المقالات، وكتب الملل والنحل حتى لمن وقعوا في بدع حيث لم يسعهم السكوت عما يرونه باطلًا.

فقد انتقدوا الفرق والأشخاص، وبينوا ما وقعت فيه كل فرقة من ضلال وانحراف عن الحق الذي جاء به محمد رسول الله ﷺ.

فقد ذكر العلماء من رءوس أهل الضلال مثل:

١- غيلان بن أبي غيلان الدمشقي، كان يدعو إلى القدر؛ فقتله هشام بن عبد الملك، فكتب إليه رجاء بن حيوة: بلغني يا أمير المؤمنين أنه دخل عليك شيء من

قتل غيلان وصالح، وأقسم لك يا أمير المؤمنين أن قتلهما أفضل من قتل ألفين من الروم والترك»[(١)].

٢- الجعد بن درهم، عداده في التابعين، مبتدع ضال، زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا، ولم يكلم موسى تكليمًا، فقُتل على ذلك بالعراق يوم النحر، والقصة مشهورة.

٣- معبد الجهني، أول من تكلم في القدر.

ذكر عبد القاهر بن طاهر البغدادي هؤلاء الثلاثة من القدرية، ثم قال: «وتبرأ منهم المتأخرون من الصحابة كعبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله، وأبي هريرة، وابن عباس، وأنس بن مالك، وعبد الله بن أبي أوفى، وعقبة بن عامر، وأقرانهم، وأوصوا أخلافهم بألا يسلموا على القدرية، ولا يصلوا على جنائزهم، ولا يعودوا مرضاهم»[(٢)].

وذكر العلماء فرق الضلال ورءوسها بكل ما يستحقونه من المقت والطعن، وما أثروه عنهم من خبث المعتقد.

فذكروا البكرية أتباع بكر بن أخت عبد الواحد بن زيد، والضرارية أتباع ضرار بن عمرو، والجهمية أتباع جهم بن صفوان، والهشامية أتباع هشام بن الحكم أو أتباع هشام الجواليقي، والزرارية أتباع زرارة بن أعين، واليونسية أتباع يونس القمي، هذه من فرق الروافض.

وتحدثوا عن فرق الخوارج؛ كالأزارقة أتباع نافع بن الأزرق الحنفي، والنجدات أتباع نجدة بن عامر الحنفي، والصفرية أتباع زياد الأصفر، والصلتية أتباع صلت بن عثمان وقيل: الصلت بن أبي الصلت، والحمزية أتباع حمزة بن أكرك، والإباضية أتباع عبد الله بن إباض، وهم فرق.

وعن فرق المرجئة؛ كالنجارية أتباع الحسين بن محمد النجار، والبرغوثية

---

(١) «الضعفاء» للعقيلي (٣/ ٤٣٧).

(٢) «الفرق بين الفرق» (ص١٨-٢٠).

أتباع محمد بن عيسى الملقب برغوث، واليونسية أتباع يونس بن عون، والغسانية أتباع غسان المرجئ، والتومنية أتباع أبي معاذ التومني، والثوبانية أتباع أبي ثوبان المرجئ، والمريسية أتباع بشر المريسي.

وعن مرجئة الفقهاء؛ كحماد بن أبي سليمان، وأتباعه من أهل الكوفة.

وعن الخطابية، والكرامية، والمشبهة، وسائر أصناف أهل البدع، فلم يسكت أئمة السنة عن أهل البدع أفرادًا أو جماعات.

بل حتى من وقع في بدعة لم يسكت عنهم، وألف عدد من هذا الصنف مؤلفات في طوائف أهل البدع، وبين زيغهم وضلالهم سواء كانت هذه البدع مكفرة أو غير مكفرة.

إن دافع ذلك البيان الواسع الذي يأخذ حيزًا كبيرًا من المكتبات الإسلامية، بل تزخر به المكتبات الإسلامية هو النصيحة لله، ولكتابه، ولرسوله ﷺ ولأئمة المسلمين وعامتهم.

هذا المبدأ يشعر به ويحس به حتى من وقع في بدع، فما بالك بأهل السنة المحضة.

وليتذكر المطلع الناصح كم كتب شيخ الإسلام ابن تيمية من الكتب نقدًا للأشعرية وحدهم، فما «الواسطية»، و«الحموية»، و«التدمرية»، و«درء تعارض العقل والنقل»، و«تلبيس الجهمية» إلا بعض من جهوده وجهاده في نقد الأشعرية مع أنه يراها أقرب الطوائف إلى السنة، ولم يسكت هذا الإمام الناصح عن الروافض والخوارج والمعتزلة وغيرهم من الفرق.

فهل يجب السكوت عن فكر الإخوان المسلمين وقد حوى جل أو كل ما ذكره شيخ الإسلام فيما نقلناه عنه آنفًا؟

وهل يجوز السكوت عنه وقد استخدم أخطر أساليب الغزو الفكري، وأخطر خططه لغزو مؤسسات المنهج السلفي ومعاقله الشامخة؟!

وإن من أخطر وأفتك أسلحة هذا الغزو هي كتب سيد قطب، ونسج الهالات الضخمة حول شخصيته وفكره ومنهجه وكتبه.

فهل السكوت عن كل هذا من النصيحة والأمانة، ومن الاعتصام بالكتاب والسنة، والأخلاق الفاضلة، والآداب الراقية، أو هو من الغش والخيانة؟!

قد يعذر من لا يعرف ذلك ولا يدركه لسبب من الأسباب التي يعذره الله بها، أما أنا وقد عرفت ذلك فقد آليت على نفسي لأقومن بذلك الواجب ما استطعت إلى ذلك سبيلًا؛ فرارًا من جريمة الغش الكبرى في الدين، الغش لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

وفرارًا من جريمة الكتمان وعواقبه الوخيمة التي توعد الله بها الكاتمين في قوله العظيم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۙ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[1].

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾[2].

إن من يشحن تفسير كتاب الله بالبدع والأهواء والتحريف، وإن من يؤلف كتبًا يشحنها كذلك بالبدع والأهواء القديمة والحديثة باسم الإسلام؛ يعتبر متجرئًا على كتاب الله وسنة رسوله، وآراؤه وأفكاره مشوهة للحق الذي نزل الله الكتاب به، صارفة للناس عن الحق الذي تضمنه الكتاب والسنة التي هي بيان هذا الكتاب، وذلك موجود في كتب هذه الفرقة، ولاسيما كتب سيد قطب.

وإني لأذكر الذين يعرفون كل هذا ويؤيدون هذه الدعوة من قريب أو بعيد بقول

(١) البقرة: ١٥٩-١٦٠.

(٢) البقرة: ١٧٤-١٧٦.

الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ (١).

إنني أنطلق في عملي هذا من منطلق النصيحة لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم، متبعًا لكتاب الله وسنة رسوله في التحذير من الضلال والبدع، ومتأسيًا بالسلف الصالح -رضوان الله عليهم- في جهادهم، ونصحهم لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، والرد على أهل البدع جهاد.

أقول ذلك وإن ساءت ظنون المبطلين والمخذلين، وإن كثرت إشاعات المرجفين، فهذه سنة الله في خلقه، صراع بين الحق والمنافحين عنه، وبين دعاة الباطل وأنصار الباطل: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾ (٢).

وأقول للمخدوعين المغشوشين: استخدموا عقولكم بجد وعزم وإخلاص وصدق، وحاكموا ما يقدمه الناصحون لكم شفقة عليكم ورحمة بكم إلى كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ ومنهج السلف الصالح، وكل ذلك -والحمد لله- متوفر بين أيديكم، فما وجدتموه موافقًا لكل ما ذكرت فاقبلوه، لا لأجل فلان وفلان، بل لأنه الحق، وما وجدتموه من خطأ فاضربوا به عرض الحائط كائنًا من كان قائله.

وأخرجوا أنفسكم وعقولكم من الزنزانات والجدران المظلمة التي وضعكم فيها من لا يرقب فيكم إلًّا ولا ذمة، من سماسرة السياسة والحزبية الذين لا يهمهم إلا تحقيق مطامعهم وأهدافهم السياسية.

واتقوا الله في أنفسكم، فإنكم بهذا الاستخذاء والتبعية العمياء لا تضرون إلا أنفسكم، ولا نملك إلا البيان الواضح والنصيحة التي أوجبها الله، ولم يأل الناصحون فيكم جهدًا، ولم يدخروا وسعًا.

وأزيدكم وأبلغ في النصيحة فأقول لكم: اقرءوا كتاب الله، وسنة نبيه ﷺ وما دونه سلف الأمة الصالح وأئمتها في ذم التعصب والتحزب والهوى والبدع وأهلها؛ لعل ذلك يساعدكم على الخروج مما أوقعكم فيه المخادعون.

---

(١) آل عمران: ٧١.

(٢) الأحزاب: ٦٢.

أسأل الله الكريم أن يوفق شباب هذه الأمة وشيبها لاتباع الحق، وموالاة أهله، ولبغض الباطل والهوى والبدع وأهلها، خاصة المعاندين المخاصمين للحق وأهله؛ إن ربي لسميع الدعاء.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وكتبه
ربيع بن هادي عمير المدخلي
المدينة النبوية ١٤١٥هـ



الباب الأول:
آراء تشريعية لسيد قطب

الفصل الأول: قول سيد قطب بالاشتراكية وبجواز إلغاء الرق

مع أن سيدًا يكفر من لم يحكم بما أنزل الله مطلقًا، ويتشدد في ذلك، فإنه يرى أنه يجوز لغير الله أن يشرع قوانين لتحقيق حياة إسلامية صحيحة.

قال:

«فإذا انتهينا من وسيلة التوجيه الفكري، بقيت أمامنا وسيلة التشريع القانوني لتحقيق حياة إسلامية صحيحة تكفل فيها العدالة الاجتماعية للجميع.

وفي هذا المجال لا يجوز أن نقف عند مجرد ما تم في الحياة الإسلامية الأولى، بل يجب الانتفاع بكافة الممكنات التي تتيحها مبادئ الإسلام العامة وقواعده المجملة.

فكل ما أنمته البشرية من تشريعات ونظم اجتماعية، ولا تخالف أصوله أصول الإسلام، ولا تصطدم بفكرته عن الحياة والناس، يجب ألا نحجم عن الانتفاع به عند وضع تشريعاتنا، مادام يحقق مصلحة شرعية للمجتمع، أو يدفع مضرة متوقعة.

ولنا في مبدأ المصالح المرسلة ومبدأ سد الذرائع، وهما مبدآن إسلاميان صريحان ما يمنح ولي الأمر سلطة واسعة لتحقيق المصالح العامة في كل زمان ومكان»[1].

وعلى هذا مآخذ:

١- كأن سيدًا يرى أن الإسلام غير كامل ولا واف بمتطلبات الأمة الإسلامية.

٢- يمكن لأي دولة تنتمي للإسلام أن تأخذ كل ما تهواه من القوانين الوضعية بحجة تحقيق المصالح ودرء المفاسد، وبحجة أنها لا تتنافى مع أصول الإسلام،

---

(١) «العدالة الاجتماعية» (ص٢٦١، الطبعة الخامسة).

ولو كانت مصادمة لأصوله ونصوصه.

٣- يرى سيد أخذ كل ما أنتجه البشرية من تشريعات ونظم اجتماعية إذا لم تخالف أصول تلك التشريعات وأصول تلك التنظيمات أصول الإسلام، ولا تصطدم بفكرته عن الحياة.

أي: لا تحرم التشريعات والنظم الكافرة على المسلمين إلا في حالة مصادمة أصولها أصول الإسلام، فإذا خالفت أصول التشريعات الكافرة والتنظيمات الكافرة نصوص الإسلام من الكتاب والسنة والأمور الفرعية التي دلت عليها تلك النصوص، فلا حرج فيها، ولا تحريم، بل يجب الأخذ والحال هذه بتلك التشريعات والتنظيمات الكافرة.

وكذلك إذا خالفت تفريعات تلك القوانين والنظم أصول الإسلام، فلا حرج فيها، بل يجب الأخذ بها؛ لأنها فروع صادمت أصول الإسلام، وذلك لا يضر، وإنما الضرر فقط في مصادمة الأصول الكافرة للأصول الإسلامية.

وبهذا التأصيل والتقعيد الذي يضعه سيد تنفتح أبواب التلاعب بدين الله لكل طاغية يريد التلاعب بالإسلام وبالأمة الإسلامية، فيمكنه جلب قوانين أوربا وأمريكا تحت ستار هذه التأصيلات التي وضعها سيد قطب.

وانطلاقًا من هذه القواعد التي وضعها سيد:

١- أخذ بالاشتراكية الغالية، فتوصل إلى أنه بيد الدولة أن تنتزع كل الممتلكات والثروات من أهلها، وتعيد توزيعها من جديد، ولو قامت على أسس إسلامية.

٢- ومن هذا المنطلق يرى أنه لا مانع من وضع نظام دولي يلغي الرق الذي شرعه الاسلام؛ فيقول في تفسير سورة التوبة: ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾[1]، وذلك حين كان الرق نظامًا عالميًا تجري المعاملة فيه على المثل في استرقاق الأسرى بين

(١) «في ظلال القرآن» (٣/ ١٦٦٩)، وقد قرر هذا في تفسير سورة البقرة في «الظلال» ٢٣، وفي تفسير سورة المؤمنون (٤/ ٢٤٥٥)، وفي تفسير سورة محمد (٦/ ٣٢٨٥).

المسلمين وأعدائهم، ولم يكن للإسلام بدٌّ من المعاملة بالمثل، حتى يتعارف العالم على نظام آخر غير الاسترقاق.

وهكذا يرى سيد أنه يجوز قيام نظام عالمي ينسخ ما قرره الإسلام في الكتاب والسنة، وأجمع على مشروعيته المسلمون في أبواب الجهاد والزكاة والكفارات والفضائل وغيرها في الرق وعتق الرقاب!

لماذا؟! لأن هذا كله لم يصطدم بأصل من أصول الإسلام -في زعمه-.

أما مصادمتها لنصوص الكتاب والسنة، وإجماع المسلمين على حرمة أموال المسلمين فهذا أمر هين عند سيد قطب، فلا يلتفت إليه.

وكل هذا مجاراة لأهواء الغربيين، وما أكثر وأشد ما يقع في هذا الميدان -أي: مجاراة الغربيين-.

ولو قامت له ولأمثاله دولة لرأيت العجب العجاب من القوانين والتشريعات التي تحل الحرام، وتحرم الحلال، انطلاقًا من هذه القواعد التي تؤدي إلى هدم الإسلام باسم الإسلام، وبرأ الله الإسلام من ذلك.

فأين التركيز على أنه لا حاكم إلا الله؟! ولا مشرع إلا الله؟!

وأين ما قام على هذا من تكفير المجتمعات الإسلامية كلها لأنها تخضع لغير حاكمية الله وتشريعاته في نظره؟!

فاعتبروا يا أولي الألباب!!

ملاحظة:

يجب على المسلمين جميعًا أن يدينوا ويعتقدوا أنه لا مشرع إلا الله؛ فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا واجب إلا ما فرضه، ولا مندوب ولا مكروه إلا ما قام عليه دليل من كتاب الله وسنة رسوله.

فمن أبطل واجبًا، أو أحل حرامًا؛ فقد جعل نفسه ندًّا لله، ورد ما شرعه الله -إذا كان عالمًا بذلك متعمدًا-، وخرج بهذا التشريع من دائرة الإسلام.

أما الأمور الدنيوية المباحة، فإذا احتاج المسلمون حكامًا ومحكومين إلى

تنظيمها وضبطها، فلا مانع من ذلك، وعلى ذلك أدلة:

منها: قوله ﷺ في تأبير النخل: «أنتم أعلم بدنياكم».

ومنها: إنشاء عمر للدواوين في هذا المجال ما لم تصطدم بنص من نصوص القرآن والسنة أو إجماع الأمة.

* * *

الفصل الثاني: الإسلام عند سيد يصوغ مزيجًا من النصرانية والشيوعية

يقول سيد قطب -مع الأسف-:

«ولابد للإسلام أن يحكم؛ لأنه العقيدة الوحيدة الإيجابية الإنشائية التي تصوغ من المسيحية والشيوعية معًا مزيجًا كاملًا يتضمن أهدافهما جميعًا، ويزيد عليهما التوازن والتناسق والاعتدال»[١].

أقول:

أولًا: هذا الكلام ليس ببعيد عن القول بوحدة الأديان، فإن تنزلنا جدلًا فإنه يسلك في أقوال من يقول بجواز تعدد مصادر التشريع من العلمانيين الذين يعارضهم من يعارضهم من المسلمين بأن المصدر الوحيد للتشريع هو الإسلام فقط، ولا يسلمون للعلمانيين حتى بالقول بأن المصدر الرئيسي للتشريع هو الإسلام.

إن كلام سيد قطب هنا مطلق فلم يقيده بالجانب التشريعي، فإذا تأوله المتأولون وتمحل له المتمحلون فيقال لهم: اعترفوا على الأقل أن كلامه هنا يفيد أن المسيحية والشيوعية مصدران رئيسان للتشريع.

فإن أصروا وعاندوا فنقول لهم: تأولوا كلام كل أهل الضلال جميعًا؛ فإنهم كلهم يدعون الإسلام، ولا يقبل منكم تأويل أباطيل سيد قطب وحده إلا بوحي من الله تعالى يخصصه ويميزه على كل من يقول الباطل ويتكلم بالهوى، ولا وحي بعد محمد ﷺ.

وأخبروني بعد ذلك أي فرق بين من يتأول كلام وأباطيل سيد قطب، وبين من يتأول لغلاة الروافض، والصوفية، وطه حسين، وغيرهم من أهل الضلالات

---

(١) «معركة الإسلام والرأسمالية» (ص٦١).

الكبرى؟!

ثانيًا: في أي واد طوحت بك السياسة يا سيد قطب عن احترام الإسلام وتنزيهه عن مثل هذا القول الباطل؟!

أين أنت من قول الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]؟

أين أنت من قول الله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]؟

أين أنت من قول الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]؟

أين أنت من قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]؟

عن جابر بن عبد الله ﷺ أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه على النبي ﷺ فغضب فقال: **«أمتهوكون فيها يا بن الخطاب! والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيًا ما وسعه إلا أن يتبعني»**[1].

أين أنت من كمال الإسلام وشموليته التي يدركها ويؤمن بها كل فقيه مسلم من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؟

أهذه هي الحاكمية التي تدعو إليها: المزج الكامل بين الشيوعية والنصرانية ثم تطبيقها على المسلمين؟

إن المصلحين من علماء الإسلام ليدعون جاهدين إلى تخليص الإسلام مما شابه من أخطاء المسلمين، بل من أخطاء علماء المسلمين، فكيف يأتي سيد قطب بمثل هذه الدعاوى الخطيرة التي بلغت النهاية في خطورتها، ومن أشدها هذه

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٣٨٧)، وحسنه العلامة الألباني لكثرة طرقه، انظر الإرواء (٦/ ٣٤ - ٣٨)، حيث ذكره من طريق عدد من الصحابة وعن عدد من مصادر السنة.

الدعوى بأن الإسلام يصوغ من الشيوعية والنصرانية. . . إلخ.

وسئل الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين -حفظه الله ومتع بحياته-: ما رأيكم فيمن يقول: لابد للإسلام أن يحكم؛ لأنه العقيدة الوحيدة الإيجابية الإنشائية التي تصوغ من المسيحية والشيوعية معًا مزيجًا كاملًا يتضمن أهدافهما ويزيد عليهما بالتناسق والاعتدال والتوازن؟!

فقال -حفظه الله- مجيبًا:

نقول له: إن المسيحية دين مبدل مغير من جهة أحبارهم ورهبانهم، والشيوعية دين باطل لا أصل له في الأديان السماوية، والدين الإسلامي دين من الله ﷻ منزل من عنده لم يبدل ولله الحمد، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1].

ومن قال: إن الإسلام مزيج من هذا وهذا. فهو إما جاهل بالإسلام، وإما مغرور بما عليه الأمم الكافرة من النصارى والشيوعيين.

وكذلك سئل العلامة الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري عن هذه المقالة فاعتبرها دعوة إلى وحدة الأديان.

وهذا نص السؤال والجواب وعليه ختمه وتوقيعه:



فضيلة الشيخ المحدث إسماعيل بن محمد الأنصاري -حفظكم الله-.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . . . . وبعد:

ما رأيكم في رجل يدعي العلم ودرس في الغرب يقول:

«إن الإسلام هو العقيدة التي تصوغ من الشيوعية والمسيحية مزيجًا كاملًا يحقق أهدافهما ويزيد عليهما بالتوازن والاعتدال»؟

(١) الحجر: ٩.

ما حكم هذا القول؟

باسم الله، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه.

وبعد:

فإن كلمة ذلك المدعي المذكور كلمة تدعو إلى وحدة الأديان وإلى التقريب بينها، وقد رد أئمة العلماء على القائل بها في كتبهم المعتبرة، ومن ضمن تلك الكتب ما يلي:

(١) كتاب «الرد على المنطقيين» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٢٨٢).

(٢) الجزء الأول من «الفتاوى الكبرى» لشيخ الإسلام ابن تيمية(ص٤-٥) في الرد على من قال: (كل يعمل في دينه الذي يشتهي).

(٣) الاقتضاء في[1] الرد على البكري (ص٢١٥) من قال: (المعبود واحد وإن اختلفت الطرق).

(٤) «مدارج السالكين» لابن القيم (ج٣/ ص٤٨٤).

(٥) «منهاج السنة» لابن تيمية.

(٦) «رسالة الحميدية في زمن السلطان عبد الحميد».

(٧) «رد العراقي على الدعوة إلى وحدة الأديان» (ص١١١) من مصرع التصوف.

إسماعيل بن محمد الانصاري

الأحد ١٢/١١/١٤١٤هـ

وسئل الشيخ حماد بن محمد الأنصاري عن هذه المقالة، فأجاب:

إن كان قائل هذا الكلام حيًا فيجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا قتل مرتدًا، وإن كان قد مات فيجب أن يبين أن هذا كلام باطل، ولا نكفره؛ لأننا لم نقم عليه الحجة[2].

---

(١) كذا.

(٢) في ليلة الأحد الموافق ٣ من شهر محرم عام ١٤١٥هـ قرأت على الشيخ/ حماد بن محمد الأنصاري هذا الكلام هاتفيًا.

وسئل علماء آخرون عنها وكانت لهم إجابات قوية.

ثالثًا: ومما تجدر الإشارة إليه أن سيد قطب وإن كان قد يطعن في النصارى واليهود وغيرهما، فغالبًا ما يكون هذا الطعن من الناحية السياسية، ولكنه في نفس الوقت إذا أغرق في السياسة يظهر منه أمور قد تكون مترسبة في نفسه لم يستطع الخلاص منها.

مثل قوله في مدح الإسلام في زعمه: «فكرة الإسلام عن وحدة البشرية، ونفيه لعصبية الجنس واللون والوطن، واعتقاده في وحدة الدين في الرسالات كافة، واستعداده للتعاون مع شتى الملل والنحل في غير عزلة ولا بغضاء، وحصره لأسباب الخصومة والحرب في الدفاع عن حرية الدعوة، وحرية العقيدة والعبادة»[1].

فما المراد بوحدة البشرية هنا؟

والجواب: أنه لا يتحدث عن وحدة البشرية القائمة على دين الإسلام.

وما المقصود من وحدة الدين في الرسالات كافة؟

هل هو يتحدث عن أخوة الأنبياء في عقيدة التوحيد، أو يريد استمالة اليهود والنصارى في هذا العصر، كما يتحدث ساسة اليهود والنصارى إلى المسلمين بمثل هذا الأسلوب؟

يؤكد ما أقول قول سيد: «واستعداده -أي: الإسلام- للتعاون مع شتى الملل والنحل في غير عزلة ولا بغضاء» أي: في تلاحم ومحبة وود.

* * *

(١) «نحو مجتمع إسلامي» (ص١٣٢).

الفصل الثالث:
فكرة العالمية أو الأخوة الإنسانية

ويتحدث عن الهندوكية فلا يقدح فيها من جهة شركها ووثنيتها، وإن كان في بعض الأحيان قد يطعن في هذه الوثنية، لكن حديثه هنا عجيب؛ إنه يدعو إلى فكرة الماسونية فكرة الأخوة الإنسانية.

فيقول[1]:

«والمجتمع الهندوكي بدوره يكاد يكون مجتمعًا مقفلًا كالمجتمع اليهودي؛ لأن تقسيم البرهمية للطبقات في هذا المجتمع وعزلها كل طبقة عن الأخرى عزلًا كاملًا، بحيث لا يمكن اجتياز الفواصل الحديدية بين هذه الطبقات... لا يسمح لغير الهنود أن يعتنقوا الديانة الهندوكية، ولا يسمح بفكرة الأخوة العالمية، التي تهيئ لقيام مجتمع عالمي مفتوح للجميع».

وهكذا يرى أكبر نقص في المجتمع الهندوكي أنه مجتمع مقفل، وكذلك المجتمع اليهودي، وكأنه يشجعهما على الانفتاح، ونشر ديانتهما في العالم انطلاقًا من حرية الأديان.

وكذلك يأخذ على الهندوكية أنها لا تسمح بفكرة الأخوة العالمية التي يدعو إليها سيد قطب.

ويقول سيد قطب عن المسيحية:

«أما المجتمع المسيحي -إذا صح هذا التعبير- فالمسيحية لا تحكمه، والنظم فيه لا تعتمد على العقيدة، إنما تعتمد أساسًا على القوانين الوضعية، حيث تقف العقيدة في عزلة عن المجتمع، تحاول أن تعمل في ضمير الفرد وحده، ويدعي أن قوة النظام الاجتماعي لا تمهل الفرد يستمع إلى صوت الضمير ما لم يكن هذا

---

(١) «نحو مجتمع إسلامي» (ص١٣٢).

النظام ذاته قائمًا على العقيدة التي تعمر الضمير. . .

وهذا الانعزال بين العقيدة والنظام في العالم الذي يسمى العالم المسيحي، يحرم الفرد ذلك التناسق الذاتي بين ضميره والنظام الذي يعيش في ظله، كما يحرم المجتمع تلك الإيحاءات السامية المنبعثة من روح الدين. . .

وعلى أي حال، فهذا موقف اضطراري في العالم المسيحي؛ لأن المسيحية لم تتضمن شريعة تنظم المجتمع عن طريق القانون، ومن هنا ذهبت كل دعوات المسيحية إلى السماحة الإنسانية هباء، وغلبتها روح الاستعمار الخبيثة، المنبعثة من النعرة القومية المنعزلة داخل الحدود الجغرافية»[1].

أقول: لو حكمت العقيدة الإسلامية سيد قطب لما تحدث بهذا الأسلوب عن الهندوكية المغرقة في عبادة كل شيء من الأوثان، والقردة، والفروج، والأشجار، والأحجار، والحيات، والديدان.

فأي دمار سيحيق بالبشرية لو انفتحت على العالم تنشر عقيدتها وتدعو إلى الأخوة العالمية تخلصًا مما يأخذه سيد قطب وأمثاله من دعاة الإنسانية، وخروجًا من معرة هذا العار؟!

ولو حكمت العقيدة الإسلامية سيد قطب لما تحدث عن النصرانية الكافرة بهذا الأسلوب السمح المتملق -إن أحسنا به الظن-.

إنه لا يتحدث عن الدين الذي جاء به رسول الله عيسى ﷺ المتضمن للتوحيد والمؤيد للتوراة المنزلة على موسى ﷺ وفيهما جميعًا الهدى والنور، والتشريع المنظم للحياة.

قال تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[2] بعد أن قال عن التوراة: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[3].

---

(١) «نحو مجتمع إسلامي» (ص١٣٢-١٣٣).

(٢) المائدة: ٤٧.

(٣) المائدة: ٤٤.

وإنما يتحدث سيد قطب عن الديانة النصرانية المحرفة عن التوحيد إلى الوثنية، وعن الحكم بما أنزل الله إلى الحكم بالطاغوت.

فماذا يريد سيد قطب بقوله في حديثه عن المجتمع المسيحي: «فالمسيحية لا تحكمه، والنظم فيه لا تعتمد على العقيدة؛ إنما تعتمد أساسًا على النظم الوضعية»؟!

فلو اعتمدت نظمها على عقيدتها الوثنية التي قال الله في شأنها: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾(١).

وقال ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾(٢).

وقال: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾(٣).

ولو اعتمدت نظمها على عقيدتها الوثنية بنص القرآن أتكون على حق وسداد وهدى؟

إن عدم التزامهم بهذه العقيدة قد يكون أخف خبثًا وشرًا.

وماذا استفاد العالم الإسلامي وغيره من التعصب الوثني الصليبي؟

وماذا لقيت إسبانيا من هذا التعصب الخبيث المتوحش؟!

سيد قطب يعرف هذا تمامًا.

ماذا يريد سيد قطب بقوله: «ويدهي أن قوة النظام الاجتماعي لا تمهل الفرد ليستمع إلى صوت الضمير، ما لم يكن هذا النظام ذاته قائمًا على العقيدة التي تعمر الضمير»؟!

فهل العقيدة النصرانية تعمر الضمير، أو تفسده وتخربه وتملؤه حقدًا وتعصبًا ضد الحق والهدى والنور الذي أرسل به محمد ﷺ إلى العالمين، فأبته هذه العقيدة

(١) المائدة: ٧٢.

(٢) المائدة: ٧٣.

(٣) مريم: ٨٩-٩٣.

وحاربته أشد من اليهود والفرس والهندوك، وغزت المسلمين في عقر دارهم، وتعاونت مع كل الأديان ضدهم وضد إسلامهم.

ماذا يريد سيد بقوله: «وهذا الانعزال بين العقيدة والنظام في العالم الذي يسمى العالم المسيحي يحرم الفرد ذلك التناسق الذاتي بين ضميره والنظام الذي يعيش في ظله، كما يحرم المجتمع تلك الإيحاءات السامية المنبعثة من روح الدين»؟!

فهل يحصل للفرد النصراني عابد الصليب تناسق بين ضميره والنظام الناشئ على تلك العقيدة، أو أنهما جميعًا تورثانه التمزق والضياع والقلق[1]؟!

وما هي الإيحاءات السامية المنبعثة من روح الدين الوثني الصليبي؟!

أليست الفجور والبغضاء والحقد على محمد ﷺ ورسالته وأمته؟!

ثم بعد هذا الكلام التائه يخبط في تيه التناقض فيقول: «وعلى أي حال، فهذا موقف اضطراري في العالم المسيحي؛ لأن المسيحية لم تتضمن تنظيم المجتمع عن طريق القوانين».

فهل هذا إعذار للمسيحيين عن تشريعهم لقوانين لا ترتبط بعقيدتهم فهم بذلك معذورون أمام الله؟

وهل المسيحية التي لم تتضمن قوانين هي المنزلة أو المبدلة؟

إن كان يقصد المنزلة وهو المتبادر، فهذا أمر خطير يصادم قول الله: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[2].

ثم هم ملزمون بالأحكام المنزلة في التوراة، ثم القرآن.

وإن كان يقصد المسيحية الوثنية المبدلة، فما فائدة هذا الكلام الباطل الذي

---

(١) لقد كانت القوانين في الديانة النصرانية مرتبطة بعقيدتها، وكان النصارى واليهود يستمدون عقيدتهم وقوانينهم في آن واحد من أحبارهم ورهبانهم، كما قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، ومع هذا الارتباط بين العقيدة والقانون فقد كفرهم الله واعتبرهم مشركين، فأين التوحيد والطهر، وأين التناسق الذاتي بين ضمير الفرد والنظام الذي يعيش في ظله؟ أليس تناسقًا بين كفر وكفر؟

(٢) المائدة: ٤٧.

يغضب الله ﷻ والذي يدل على الفساد العقائدي والهوى السياسي، وهما أمران خطيران كثيرًا ما يجران من أصيب بهما إلى المهالك.

بل يذهب سيد قطب إلى أبعد من هذا فيصف النصرانية المبدلة بالسماحة والطهر؛ فيقول:

«وكثيرًا ما ذهبت إلى هذه الكنائس واستمعت إلى الوعاظ في الكنيسة، وإلى الموسيقى والتراتيل والأدعية، وكثيرًا ما استمعت إلى إذاعة الآباء في محطات الإذاعة في الأعياد المسيحية....

دائمًا يحاول الآباء أن يعقدوا الصلة بين قلب الفرد وبين الله، ولكن واحدًا منهم لم أسمعه يقول كيف يمكن أن يكون مسيحيًّا في واقع الحياة اليومية، ذلك أن المسيحية إنما هي مجرد دعوة للتطهير الروحي، ولم تتضمن تشريعًا للحياة الواقعة، بل تركت ذلك لقيصر.

وكان من أثر هذا في العالم المسيحي أن أصبحت المسيحية في جانب، والحياة الواقعة في جانب، وعلى توالي الأزمان أصبحت المسيحية محصورة داخل الكنيسة، والحياة من حولها أبعد ما تكون عن روحها السمحة المتطهرة، فلما نشطت الكنيسة في السنوات الأخيرة للاتصال بالمجتمع من جديد لم يكن همها أن ترفع الناس إليها، بل كانت طريقها أن تهبط هي إلى الناس...»[(١)].

هكذا يصور سيد قطب النصرانية المحرفة الوثنية النجسة عقائدها المؤلهة للبشر بأنها دعوة إلى التطهر الروحي، وأن روحها سمحة متطهرة، ولا مؤاخذة على الكنيسة إلا أنها أهملت السياسة ووضع القوانين التي تحكم الحياة.

وهذا يذكر القارئ بمدح سيد للصوفية أهل وحدة الوجود من حيث عقيدتهم الوحدوية، ومؤاخذته لهم من جهة تقصيرهم في الجانب السياسي في الإسلام فقط.

وكل هذه الضلالات يجب على الأمة أن تحني رءوسها أمام عظمة سيد، وأن تلتمس له التأويلات والمعاذير، أما السلفي فيا ويله إن أخطأ، بل يا ويله إن قال الحق وبرهن عليه بالأدلة والبراهين الواضحة.

---

(١) «معركة الإسلام والرأسمالية» (ص٥٦ - ٥٧).

الفصل الرابع: اجتياح أموال الناس بفرض الضرائب

يقول سيد قطب في كتابه «معركة الإسلام والرأسمالية»[1].

«أإذا فرضت الدولة اليوم ضريبة للتعليم، جعلت حصيلتها خاصة بالأغراض التعليمية البحتة، من بناء للدور، وأداء للأجور، وإنفاق على أدوات الطلاب، وكتبهم وغذائهم كذلك...

قيل: إن هذا النظام للتسول والشحاذة يهين كرامة المعلمين والطلاب؛ لأن هذه الأموال مأخوذة من أموال الأثرياء، منفقة في شئون الفقراء.

أإذا سنت الدولة قانونًا يجبي ٢,٥٪ من كل ثروة كثرت أو قلت لتكوين الجيش وتسليحه، وجعلت هذه الضريبة وقفًا على هذا الباب من أبواب النفقات العامة، قيل: إن الجيش يتسول، وإن كرامته تستذل؛ لأن الدولة أخذت نفقته من أموال الأثرياء والثري والفقير في أدائها سواء.

إن الزكاة ضريبة كهذه الضرائب تجبيها الدولة، ثم تنفقها في وجوه معينة، تجبيها كلا، ثم تنفقها أجزاء... وليست إحسانًا فرديًا يخرج بعينه من يد ليعطى بعينه إلى يد»[2].

---

(١) «معركة الإسلام والرأسمالية» (ص٤١ – ٤٢).

(٢) كثيرًا ما يوهم سيد قطب الفقراء والمستحقين للزكاة بأن أخذ الزكاة لا غضاضة فيه عليهم، وأنه ليس فيها يد عليا هي المعطية، والسفلى هي الآخذة، وهذا يغري الفقراء بالكسل والقعود عن العمل والكسب الشريف، وبالشعور بالتعالي والعزة على أولي الفضل والبذل، كثيرًا ما يكرر قوله: «وليست إحسانًا فرديًا يخرج بعينه من يد ليعطى بعينه إلى يد»، مؤكدًا في سياقاته أنها لا تدفع إلا إلى الإمام، ولا أدري أهو يجهل أقوال العلماء في ذلك أو يتجاهلها؟

قال النووي متحدثًا عن زكاة الأموال الباطنة: «قال الشافعي والأصحاب -رحمهم الله تعالى-: للمالك أن يفرق زكاة ماله الباطن بنفسه، وهذا لا خلاف فيه، ونقل أصحابنا فيه إجماع المسلمين، والأموال الباطنة. هي الذهب والفضة والركاز وعروض التجارة وزكاة الفطر، وفي زكاة الفطر وجه، أنها من الأموال الظاهرة، حكاه صاحب البيان وجماعة، ونقله صاحب الحاوي، ثم اختار لنفسه أنها باطنة، وهذا هو المذهب وبه قطع جمهور الأصحاب...». =

أقول: إن الزكاة ركن من أركان الإسلام، وعبادة عظيمة من العبادات يتقرب بها إلى الله ﷻ، وإهمالها إهمال لركن عظيم من أركان الإسلام وأسسه، والضرائب التي يحشر سيد قطب في ثناياها هذه الزكاة وهذا الركن العظيم للإسلام، بل يقيسها عليها، هي مكوس من أشد أنواع الظلم ومن أكبر أنواع المعاصي، خصوصًا إذا أخذت طابع التشريع، وألزمت به وأرهقت به الأمة على الوجه الذي عرضه سيد قطب.

ثم استمر سيد يتحدث عن الزكاة باعتبارها ضريبة من الضرائب إلى أن قال:

«ولكن هذا ليس كل حقوق الإسلام في المال، إن هذا إنما يجري حين يكون المجتمع متوازنًا لا اضطراب فيه ولا اختلال، وعندما لا تكون هناك حاجات استثنائية للمجتمع لمواجهة الطوارئ الداخلية أو الخارجية، فأما حين تتغير الأحوال وتبرز الحاجات، فحق المجتمع مطلق في المال، وحق الملكية الفردية لا يقف في وجه هذا الحق العام.

والإسلام يعطي هذه السلطات للدولة -ممثلة المجتمع-، لا لمواجهة الحاجات العاجلة فحسب، بل لدفع الأضرار المتوقعة، وحماية المجتمع من

= قال: «وأما الأموال الظاهرة، وهي الزروع والمواشي والثمار والمعادن، ففي جواز تفريقها بنفسه قولان مشهوران، ذكرهما المصنف بدليليهما، أصحهما -وهو الجديد- جوازه، والقديم منعه ووجوب دفعها إلى الإمام أو نائبه، وسواء كان الإمام عدلًا أو جائرًا يجب الدفع إليه، على هذا القول، لأنه مع الجور نافذ الحكم، وهذا هو المذهب وبه قطع الجمهور.

وحكى البغوي وغيره وجهًا: أنه لا يجب الصرف إليه إن كان جائرًا على هذا القول، لكنه يجوز». «المجموع» (٦/ ١٦٣-١٦٤).

وقال ابن قدامة في «المقنع» (١/ ٣٤٥). «ويستحب للإنسان تفرقة زكاته بنفسه، وله دفعها إلى الساعي، وعنه يستحب أن يدفع إليه العشر، ويتولى هو تفريق الباقي، وعند أبي الخطاب دفعها إلى الإمام العادل أفضل».

وقال في «المغني»: «يستحب للإنسان أن يلي تفرقة زكاته بنفسه ليكون على يقين من وصولها إلى مستحقها سواء كانت من الأموال الظاهرة أو الباطنة، قال الإمام أحمد: أعجب إلي أن يخرجها، وإن دفعها إلى السلطان فهو جائز.

وقال مالك وأبو حنيفة وأبو عبيد: لا يفرق الأموال الظاهرة إلا الإمام» (٢/ ٤٧٩-٤٨٠)

وساق أدلتهم وناقشهم فيها مرجحًا مذهب أحمد.

الاعتداء الخارجي، كحمايته من التخلخل الداخلي سواء في منح هذا الحق للدولة لتتصرف في الملكيات الفردية بلا حدود ولا قيود إلا حدود الحاجات الاجتماعية والصالح العام.

في يد الدولة أن تفرض أولًا ضرائب خاصة غير الضرائب العامة -كما تشاء-، فتخصص ضريبة للجيش، وضريبة للتعليم، وضريبة للمستشفيات، وضريبة للضمان الاجتماعي...، وضريبة لكل وجه طارئ من أوجه الإنفاق لم يحسب حسابه في المصروفات العامة، أو تعجز الميزانية العادية عن الإنفاق عليه عند الاقتضاء[1].

وفي يد الدولة أن تنزع الملكيات وأن تأخذ من الثروات -بنسب معينة- كل ما تجده ضروريًّا لتعديل أوضاع المجتمع، أو لمواجهة نفقات إضافية ضرورية لحماية المجتمع من الآفات: آفات الجهل، وآفات المرض، وآفات الحرمان، وآفات الترف، وآفات الأحقاد بين الأفراد والجماعات، وسائر ما تتعرض له المجتمعات من آفات[2].

بل في يد الدولة أن تنزع الملكيات والثروات جميعًا وتعيد توزيعها على أساس جديد، ولو كانت هذه الملكيات قد قامت على الأسس التي يعترف بها الإسلام،

---

(١) قال في «لسان العربية» في مادة ضرب (١/ ٥٥٥)، وانظر «القاموس» (١/ ٩٦): «والضريبة واحدة ضرائب التي تؤخذ في الأرصاد والجزية ونحوها، ومنه ضريبة العبد: وهي غلته. وفي حديث الحجام كم ضريبتك؟

الضريبة ما يؤدي العبد إلى سيده من الخراج المقرر عليه، وهي فعيلة بمعنى مفعولة، وتجمع على الضرائب، ومنه حديث الإماء اللاتي كان عليهن لمواليهن ضرائب، يقال: كم ضريبة عبدك في كل شهر؟ والضرائب ضرائب الأرضين، وهي وظائف الخراج، وضرب على العبد الإتاوة ضربًا: أوجبها عليه بالتأجيل، والاسم الضريبة».

وهكذا يريد سيد قطب أن يحول المجتمعات الإسلامية إلى عبيد مستذلين مقهورين يؤدون المكوس والضرائب المخزية، التي تجعل المسلمين في أدنى دركات الذل والعبودية لدولته التي يسميها بالإسلامية، وكم يشيد هذا الرجل بالحرية وهو يهدف إلى استعباد المسلمين واستذلالهم، ومن عجائبه أنه حينما يتحدث عن الجزية على أهل الذمة من اليهود والنصارى يلمعها ويصورها كأنها مكرمة لهم وينفي عنها معنى الصغار الذي نص عليه القرآن في قوله: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾.

(٢) هذا السلب والنهب هو الذي يورث هذه الآفات ولاسيما الأحقاد، ثم إن الزكاة والصدقات عبادات يتقرب بها إلى الله وأخذها من أصحابها قهرًا يفوت عليهم حسن النية والإخلاص لله.

ونمت بالوسائل التي يبررها؛ لأن دفع الضرر عن المجتمع كله أو اتقاء الأضرار المتوقعة لهذا المجتمع أولى بالرعاية من حقوق الأفراد.

فنظرية الإسلام في التكافل الاجتماعي لا تجعل هناك تعارضًا بين حقوق الفرد وحقوق المجتمع، وكل ضرر يصيب المجتمع يعده الإسلام ضررًا يقع على كل أفراده، ويحتم على الدولة أن تقي هؤلاء الأفراد[1] من أنفسهم عند الاقتضاء»[2].

---

(١) «معركة الإسلام والرأسمالية» (ص٤٣-٤٤).

(٢) هذا سؤال ورد للشيخ العلامة عبد العزيز بن باز -حفظه الله تعالى- عن حكم من يطالب بتحكيم المبادئ الاشتراكية والشيوعية؟

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فقد ورد إلي سؤال من بعض الإخوة الباكستانيين هذا ملخصه:

ما حكم الذين يطالبون بتحكيم المبادئ الاشتراكية والشيوعية، ويحاربون حكم الإسلام؟

وما حكم الذين يساعدونهم في هذا المطلب، ويلمزون من يطالب بحكم الإسلام، ويلمزونهم ويفترون عليهم؟

وهل يجوز اتخاذ هؤلاء أئمة وخطباء في مساجد المسلمين؟

والجواب: الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

لا ريب أن الواجب على أئمة المسلمين وقادتهم أن يحكموا الشريعة الإسلامية في جميع شئونهم، وأن يحاربوا ما خالفها، وهذا أمر مجمع عليه بين علماء الإسلام، ليس فيه نزاع بحمد الله، والأدلة عليه من الكتاب والسنة كثيرة معلومة عند أهل العلم، منها قوله سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

وقوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾

وقوله سبحانه ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

وقوله سبحانه ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

والآيات في هذا المعنى كثيرة، وقد أجمع العلماء على أن من زعم أن حكم غير الله أحسن من حكم الله، أو أن هدي غير رسول الله أحسن من هدي رسول الله ﷺ فهو كافر، كما أجمعوا على أن من زعم أنه يجوز لأحد من الناس الخروج عن شريعة محمد ﷺ، أو تحكيم غيرها فهو كافر ضال

ومما ذكرناه من الأدلة القرآنية، وإجماع أهل العلم يعلم السائل وغيره، أن الذين يدعون إلى الاشتراكية أو الشيوعية أو غيرهما من المذاهب الهدامة المناقضة لحكم الإسلام، كفار ضلال، أكفر من اليهود=

ويقول:

«أما المجتمع الإسلامي هو مجتمع آخر، كل فرد فيه مضمون الرزق عاملًا أو متعطلًا، قادرًا أو عاجزًا، صحيحًا أو مريضًا، ويأخذ ما متوسطه نصف العشر كل عام من رءوس الأموال لا من أرباحها لبيت المال، ثم يأخذ بعد ذلك بلا قيد ولا شرط من المال كل ما تحتاجه الدولة لحماية المجتمع من الآفات»[1].

ويقول:

«والإسلام عدو التبطل الناشئ عن تكدس الثراء، فلا جزاء إلا على الجهد، ولا أجر إلا على العمل، فأما القاعدون الذين لا يعملون، فثراؤهم حرام وأموالهم حرام، وعلى الدولة أن تنتفع بذلك الثراء لحساب المجتمع، ولا تدعه لذلك المتبطل الكسلان»[2].

وهكذا يحلل ويحرم هذا الرجل بهواه، ولا دليل له ولا برهان في هذا التحليل والتحريم، إلا ما خدع به من أساليب كتاب ودعاة الاشتراكية والماركسية الحاقدة

= والنصارى؛ لأنهم ملاحدة لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يجوز أن يجعل أحد منهم خطيبًا وإمامًا في مسجد من مساجد المسلمين، ولا تصح الصلاة خلفهم، وكل من ساعدهم على ضلالهم، وحسَّن ما يدعون إليه، وذم دعاة الإسلام ولمزهم، فهو كافر ضال، حكمه حكم الطائفة الملحدة، التي سار في ركابها وأيدها في طلبها.

وقد أجمع علماء الإسلام على أن من ظاهر الكفار على المسلمين وساعدهم عليهم بأي نوع من المساعدة، فهو كافر مثلهم، كما قال الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

وأرجو أن يكون فيما ذكرناه كفاية ومقنع لطالب الحق، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، ونسأله سبحانه أن يصلح أحوال المسلمين، ويجمع كلمتهم على الحق، وأن يكبت أعداء الإسلام، ويفرق جمعهم، ويشتت شملهم، ويكفي المسلمين شرهم، إنه على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه.

(١) «دراسات إسلامية» (ص٩٠)، وهذه الضرائب على هذا الوجه تطبق حرفيًا اليوم في حكومة السودان الإخوانية.

(٢) «معركة الإسلام والرأسمالية» (ص٥٢).

على كل من آتاهم الله من فضله[1].

وإن الإسلام لبريء مما ينسبه إليه سيد قطب من هذه الحلول والمعالجات البغيضة القائمة على الحقد والحسد.

إن الإسلام ليفرض على أغنياء المسلمين زكاة تؤخذ منهم فترد إلى فقرائهم، ويفرض على الغني والفقير النفقات على من تجب لهم النفقات من أقارب وزوجات وغيرهم، ويوجب الصلة والبر لذوي الأرحام، والبذل في سبيل الله عند داعي الجهاد.

أما أن يسلط المجتمع ويسلط الدولة ممثلة المجتمع على الأثرياء تبتز أموالهم تحت شعار أنهم كسالى، وأن ثراءهم حرام، وأموالهم حرام، وأن المال للمجتمع، وغير ذلك من الدعاوى الباطلة، فلا والله ثم لا والله، ما في شريعة الإسلام من ذلك شيء، وحتى الديانات الفاسدة والمبدلة وحكامها المستبدين لم يصل بهم الظلم والجبروت إلى هذا المنحدر السحيق.

ولقد أصبح اليوم أولياء سيد قطب من أعظم الناس ثراء في بلاد المسلمين، بل لعلهم أثرى الناس، فليخرجوا من أموالهم وليتزلوا إلى الحقول والمصانع والمناجم ليعملوا فيها بجد وجلد؛ حتى يبرهنوا للناس أنهم هم المؤمنون حقًا بهذا الإسلام الذي يقرره سيد قطب، وإلا فليخجلوا من التعصب المقيت لسيد قطب وأفكاره المنسوبة ظلمًا إلى الإسلام، والإسلام منها براء.

ثم أقول:

أولًا: إن الإسلام أرحم وأعدل من أن يشرع مثل هذه التشريعات المدمرة التي ينسبها سيد قطب إلى الإسلام.

فهذه الصورة الكريهة في أدنى أحوالها كسروية قيصرية، وفي أشدها ماركسية، والإسلام والرسالات كلها بريئة من هذا العنف والجبروت والاستعباد للبشر بسلب ثرواتهم وامتصاص جهودهم وتحويل الناس إلى قطعان من المواشي

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء ٥٤].

مسخرة لأغراض هذه الدولة التي يشرع لها سيد قطب، نسأل الله أن يقي المسلمين شرها وخطرها.

ثانيًا: إن هذا التشريع الذي ينسبه سيد قطب إلى الإسلام إنما استقاه من المبادئ والنظريات الشيوعية والغربية التي استفحلت في حياته، بل كان قد تشرب هو نفسه بها، وبقيت مترسبة في نفسه وعقله إبان كتاباته باسم الإسلام، لاسيما وقد تسنم قمة الثورة الناصرية الطاغية التي ارتكزت في تطبيقها للاشتراكية على نظرية سيد قطب وأمثاله[1] الذين ألبسوا اشتراكية ماركس لباس الإسلام؛ فسحقت بذلك الإسلام والمسلمين.

الخاصة والعامة؟

حاشى دين الله وكتابه وسنة نبيه ﷺ من هذا الظلم الأسود الحالك والدكتاتورية المدمرة، إن تشريع الله الرحيم العادل ليحرم ما هو دون ما أباحه سيد قطب للدولة بعشرات المراحل، وإن هذا الذي يقرره سيد قطب وأمثاله من الاشتراكيين لتشريع لم يأذن به الله، والله يقول: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾[2].

وما قالوه وقرروه لم يأذن به الله في أي شريعة فضلًا عن شريعة الإسلام السمحة التامة الكاملة.

والله تعالى قد نزه نفسه عن الظلم فقال: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[3].

وحرم على نفسه وعلى عباده الظلم، فقال في الحديث القدسي: «يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا؛ فلا تظالموا»[4].

وهؤلاء ينسبون إلى الله هذه التشريعات الظالمة الباطلة.

وقال رسول الله ﷺ: «اتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا

---

(١) قد كان الضباط الأحرار وعلى رأسهم جمال عبد الناصر يتلمذون على كتب سيد قطب، وكان يشاركهم في التخطيط للثورة، انظر كتاب «سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد» (ص٢٩٩-٣٤٠)، وما قبل هذه الصفحات، وكتاب «سيد قطب الأديب الناقد» (ص١٠٥-١٠٧).

(٢) الشورى: ٢١.   (٣) ق: ٢٩.

(٤) أخرجه مسلم في «صحيحه» (كتاب البر، حديث رقم ٢٥٧٨)، من حديث جابر رضي الله عنه.

الشح؛ فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»[١].

وقال ﷺ: «والظلم ظلمات يوم القيامة»[٢].

ولما بعث النبي ﷺ معاذًا إلى اليمن أمره بالدعوة إلى التوحيد، وإلى شرائع الإسلام، ثم قال: «... فإن هم أطاعوك لذلك، فأخبرهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»[٣].

قد يرى الساعي أن من مصلحة الفقراء أخذ كرائم الأموال من الأغنياء للفقراء، وقد يرى أن هذا أبلغ في تطهير أهل الزكاة من الأغنياء، ولكن الإسلام يرفض مثل هذه التعللات ولو باسم المصلحة تحت أي شعار أو تحت أي تأويل، ويعتبر ذلك من الظلم البغيض إلى الله وفي شرعه.

إن الإسلام الذي يبلغ إلى هذه الدرجة من الشفافية في تحريم الظلم لا يمكن أن يشرع مثل هذه التشريعات الأثيمة الظالمة، سواء كانت باسم الضرائب أو باسم الاشتراكية والعدالة الاجتماعية التي يدعو إليها ويروج لها سيد قطب.

ولقد تهاوت هذه الادعاءات الكاذبة في روسيا وفي غيرها من البلدان الاشتراكية شأن كل باطل يذهب جفاء.

ولقد اعتبر رسول الله ﷺ التسعير ظلمًا يخشى المطالبة به أمام الله ﷻ يوم القيامة، وهو رسول الله أعدل الناس وأرحم الناس بالناس؛ فعن أبي هريرة ؓ أن رجلًا جاء فقال: يا رسول الله، سعر. فقال: «بل أدعو»، ثم جاءه رجل فقال: يا رسول الله، سعر، فقال: «بل الله يخفض ويرفع، وإني لأرجو أن ألقى الله وليس لأحد عندي مظلمة»[٤].

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (كتاب البر والصلة - باب تحريم الظلم، حديث رقم ٢٥٧٧)، من حديث أبي ذر ؓ.

(٢) أخرجه البخاري في (المظالم، حديث رقم ٢٤٤٧)، ومسلم في (البر، رقم ٢٥٧٩).

(٣) البخاري (الزكاة، حديث رقم ١٣٩٥، ١٤٥٨)، ومسلم (الإيمان، حديث ٣١).

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٣٣٧، ٣٧٢)، وأبو داود في (البيوع، حديث ٣٤٥٠).

وعن أنس ﷺ قال الناس: يا رسول الله، غلا السعر، فسعر لنا. فقال رسول الله ﷺ: «إن الله هو المسعر القابض الباسط الرازق، وإني لأرجو أن ألقى الله وليس أحد منكم يطلبني بمظلمة في دم ولا مال»[1].

إن العاقل ليعجب من سيد قطب الذي يحارب الربا أشد الحرب ويكفر به كيف يشرع مثل هذه الضرائب المهلكة؟!

وكيف يشرع للدولة التي يسميها مسلمة أن تنتزع الملكيات والثروات جميعًا وتعيد توزيعها على أساس جديد؟! وذلك من أشد أنواع الظلم وأفظعه.

وهذه الضرائب التي ينسبها إلى الإسلام أشد من المكس الذي قال رسول الله ﷺ في تقبيحه وبيان فظاعته وخطره: «مهلًا يا خالد، فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له»[2] قاله في شأن الغامدية التي رجمت بعد أن طلبت تطهيرها من الزنا.

وعن رسول الله ﷺ: «إن صاحب المكس في النار»[3].

وعنه ﷺ: «لا يدخل الجنة صاحب مكس» يعني: العشار[4].

والحديثان يشد بعضهما بعضًا، فيرتقيان إلى درجة الحسن أو الصحيح، لاسيما وقد صحح الأخير كل من ابن خزيمة والحاكم، انظر حاشية الدارمي (١/ ٣٣٠).

وعن عبد الله بن عمرو قال: «إن صاحب المكس لا يسأل عن شيء؛ يؤخذ كما هو فيرمى به في النار». أخرجه أبو عبيد في «الأموال»[5].

---

(١) المسند (٣/ ٨٥، ١٥٦)، وأبو داود في (البيوع ٣٤٥١)، والترمذي في (البيوع ١٣١٤)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) رواه مسلم في (الحدود، ١٦٩٥، ٢٣)، وأحمد (٥/ ٣٤٨).

(٣) رواه الإمام أحمد (٤/ ١٠٩)، من حديث رويفع بن ثابت ﷺ، وفي إسناده ابن لهيعة.

(٤) رواه الإمام أحمد (٤/ ١٤٣، ١٥٠)، وأبو داود في (الخراج والإمارة ٣/ ٣٤٩، حديث ٢٩٣٧)، والدارمي (١/ ٣٣٠)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٠٤)، كلهم من طريق ابن إسحاق عن يزيد ابن أبي حبيب عن عبد الرحمن بن شماسة عن عقبة بن عامر، وابن إسحاق مدلس، وقد عنعنه، ولكنه يتقوى بما قبله

(٥) ص (٧٠٤).

إن المكس ظلم ظاهر، أما الاشتراكية وهذه المكوس فقد أصفى عليها سيد قطب صبغة الإسلام ونسبها إلى دين الله، فيا للعجب كل العجب!!

ولقد خالف سيد قطب كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ وإجماع الأمة على تحريم أموال المسلمين.

أما الأدلة من الكتاب والسنة، فقد ذكرنا طرفًا منها.

ومن السنة أيضًا: قول النبي ﷺ: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم وأبشاركم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، فلا ترجعن بعدي كفارًا -أو ضلالًا- يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا ليبلغ الشاهد الغائب، فلعل بعض من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه»، ثم قال: «ألا هل بلغت»[1].

الإجماع على تحريم المكوس وهي الضرائب:

وأما الإجماع، فقال ابن حزم رحمه الله:

«واتفقوا أن المراصد الموضوعة للمغارم على الطرق، وعند أبواب المدن، وما يؤخذ في الأسواق من المكوس على السلع المجلوبة من المارة والتجار، ظلم عظيم وحرام وفسق، حاشا ما أخذ على حكم الزكاة وباسمها من المسلمين من حول إلى حول مما يتجرون به، وحاشا ما يؤخذ من أهل الحرب وأهل الذمة مما يتجرون به من عشر أو نصف عشر؛ فإنهم اختلفوا في ذلك، فمن موجب أخذ كل ذلك، ومن مانع من أخذ شيء منه إلا ما كان في عهد صلح أهل الذمة مذكورًا مشترطًا عليهم فقط»[2].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله:

«فصل: وأما أموالهم التي يتجرون بها من بلد إلى بلد، فإنه يؤخذ منهم نصف عشرها إن كانوا أهل ذمة، وعشرها إن كانوا أهل هدنة، وهذه مسألة تلقاها الناس

---

(١) أخرجه البخاري في (الفتن، حديث ٦٦٦٧)، و(التوحيد ٧٤٤٧)، ومسلم في (القسامة، حديث ١٦٧٩)، وأحمد (٥/ ٣٧).

(٢) مراتب الإجماع (ص١٢١)، وأقره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

عن عمر بن الخطاب ﷺ، ونحن نذكر أصلها وكيف كان ابتداء أمرها واختلاف الفقهاء فيما اختلفوا فيه من أحكامها بحول الله وقوته وتأييده، بعد أن نذكر مقدمة في المكوس وتحريمها والتغليظ في أمرها وتحريم الجنة على صاحبها، وأمر رسول الله ﷺ بقتله، وأن قياسها على ما وضعه عمر ﷺ على أهل الذمة من الخراج أو العشر كقياس أهل الشرك الذين قاسوا الربا على البيع، والميتة على المذكى...».

ثم ساق أحاديث ذكر منها ما أسلفناه وآثارًا منها أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عدي بن أرطاة: أن ضع عن الناس الفدية، وضع عن الناس المائدة، وضع عن الناس المكس، وليس بالمكس ولكنه البخس الذي قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[1] فمن جاءك بصدقة فاقبلها، ومن لم يأتك بها فالله حسيبه[2].

وقال الحافظ الذهبي كَغْلَلهُ في كتاب «الكبائر»[3]:

«الكبيرة السابعة والعشرون: المكاس، وهو داخل في قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[4].

والمكاس من أكبر أعوان الظلمة، بل هو من الظلمة أنفسهم، فإنه يأخذ ما لا يستحق ويعطيه لمن لا يستحق، ولهذا قال ﷺ: «لا يدخل الجنة صاحب مكس». رواه أبو داود.

وما ذاك إلا لأنه يتقلد مظالم العباد، ومن أين للمكاس يوم القيامة أن يؤدي للناس ما أخذ منهم، إنما يأخذون من حسناته -إن كان له حسنات-.

وهو داخل في قول النبي ﷺ: «أتدرون من المفلس؟». قالوا: يا رسول الله، المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. قال: «إن المفلس من أمتي من يأتي بصلاة

---

(١) هود: ٨٥.

(٢) «أحكام أهل الذمة» (١/ ١٤٩ - ١٥٠)، وانظر «الأموال» لأبي عبيد (ص٧٠٣ - ٧٠٧).

(٣) ص (١٨٥ - ١٨٦).

(٤) الشورى: ٤٢.

وزكاة وحج، ويأتي وقد شتم هذا، وضرب هذا، وأخذ مال هذا، فيؤخذ لهذا من حسناته ولهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أخذ من سيئاتهم فطرحت عليه ثم طرح في النار».

وفي حديث المرأة التي طهرت نفسها بالرجم: «لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له أو لقبلت توبته».

والمكاس فيه شبه من قاطع الطريق، وهو من اللصوص، وجابي المكس وكاتبه وشاهده وآخذه من جندي وشيخ وصاحب رواية شركاء في الوزر، آكلون للسحت الحرام... والسحت: كل حرام قبيح الذكر يلزم منه العار...

* * *

الفصل الخامس: قول سيد قطب بعقيدة وحدة الوجود، والحلول، والجبر، ودفاعه عن عقيدة النيرفانا الهندوكية البوذية

أطوار سيد قطب في وحدة الوجود:

أولًا: تعلق بها وهو في سن الكهولة في حدود عام ١٩٣٥م أي في حدود (١٣٥٥هـ) في ديوانه الشعري؛ حيث يقول في قصيدته إلى الشاطئ المجهول والتي منها هذه الأبيات:

إلى الشاطئ المجهول والعالم الذي ... حننْتُ لمرآه إلى الضفة الأخرى
إلى حيث لا تدري إلى حيث لا ترى ... معالم للأزمان والكون تُستَقْرى
إلى حيث لا حيث تميز حدوده ... إلى حيث تنسى الناسَ والكونَ والدهرا
وتشعر أن الجزء والكل واحد ... وتمزج في الحس البداهة والفكرا
فليس هنا أمس وليس هنا غد ... ولا اليوم فالأزمان كالحلقة الكبرى
وليس هنا غير وليس هنا أنا[1] ... هنا الوحدة الكبرى[2] التي احتجبت سرا[3]

يقول سيد قطب في شرحه لهذه الأبيات في مقدمة كتابه ديوان سيد قطب (ص٣٠-٣١):

الجسم والزمن والوحدة:

القُوى الروحية -عند الشاعر- هي التي تربطه بالوحدة الكونية الكبرى[4] كما

---

(١) السوية والغيرية اصطلاحان صوفيان مأخوذتان من كلمتي: سوى وغير، والصوفي الحق في دين الصوفية من يوقن أنه لا سوى ولا غير، أي يرى الكل عينًا واحدة. انظر هذه هي الصوفية (ص١٥).
والقارئ يرى أن سيد قطب قد أضاف اصطلاحات أخرى، فليس هنا أمس وليس هنا غد وأن الكل والجزء واحد ولا حيث... إلخ.
(٢) الوحدة الكونية الكبرى هي وحدة الوجود.
(٣) ديوان سيد قطب (ص١٢٣).
(٤) انظر التعليق السابق.

تقدم، في حين تَقصُرُ القوى العقليةُ عن ذلك، وهو يرى أن الشعورَ بالزمن؛ نتيجةٌ لوجودِ الجسمِ والقوى الواعية؛ وأن الروح تحسُّ بالوجود المطْلقِ[1]؛ لا يقيده الزمن؛ وبالبداهة لا يقيده المكان.

ولذلك فهو حينما خَلَعَ الجسم وخلع الحِجا في (الشاطئ المجهول) رأى أنْ ليس هناك (حيث) ولا (أمس) ولا (اليوم) ولا (الغد) ولا (غير) ولا (أنا)... إلخ.

ولكنه رأى (الأزمان) كالحَلْقَةِ الكبرى ورأى (الوحدة التي احتجبت سرًّا).

وكذلك في قصيدة (الليلات المبعوثة)[2] حين تجرد لم يَرَ للزمان مَعْلَمًا ولا رسمًا، ورأى كلَّ شيء كرمز الدوام.

وله أبيات في (ص٩١) من ديوانه عنوانها عبادة جديدة نعق بها في عام (١٩٣٧م)، منها:

لك يا جمال عبادتي	لك أنت وحدك يا جمال

ومنها:

وأرى الألوهة فيك تُو	حي بالعبادة في جلال
ما أنت إلا مظهرٌ	منها تُوشِّيهِ بالعبادة في جلالْ
فإذا عَبدتُكَ لم أكنْ	يا حُسْنُ مِنْ أهل الضَّلال
بل كنتُ محمود العقيـ	دةِ في الحقيقةِ والخيالْ
أعْنُو لمن تعنُو له	كل النفوس بلا مثالْ
مُتفرِّقًا في الكون في	شتى المرائي والخِلالْ[3]
فإذا تركَّز ههُنا	بطلَ التَّمحّلُ والجِدالْ

---

(١) هذه العبارة يقولها أهل وحدة الوجود.

(٢) هذه القصيدة لا ندري متى قالها وهي واحدة من الأدلة على لهج سيد قطب بوحدة الوجود.

(٣) فسر الخلال بقوله: الخلال: منفرج ما بين الشيئين جاسوا خلال الديار، ساروا وترددوا بينها والمراد منتشر في كل ما نرى وما بين الأشياء وبعضها.

وفي شيخوخته في حدود سنة ١٩٤٦م أو سنة ١٩٤٧م تحمس للدفاع عن عقيدة النيرفانا؛ فمدحها وذبَّ عنها وعن أهلها، وهي تتضمن أخبث عقائد الوثنيين الهندوك والبوذيين، من مثل وحدة الوجود، وعقيدة التناسخ[1] تحت عنوان (سندباد عصري) انتقد سيد قطب الدكتور حسين فوزي؛ فقال بعد مقدمة تحدث فيها عن السندباد والسندبادات، ثم قال: والدكتور حسين فوزي هو سندبادنا اليوم، وهو رجل ندب لرحلة علمية في البحر الأحمر والمحيط الهندي ضمن بعثة عالمية لدراسة أحياء البحر الأحمر والمحيط، وقد طوّف -مع البعثة- على باخرة مصرية طوال تسعة أشهر في البحر والبر في الجزر والقارة، وزار معابد الهند

---

(١) عُرفت النيرفانا في الموسوعة الميسرة (٢/ ١١٧٠-١٧١١) الصادرة عن الندوة العالمية للشباب:

«النيرفانا: كلمة غامضة معناها النجاة، ويعني بها نجاة الروح التي ظلت على صلاحها أثناء دورتها التناسخية المتعاقبة، حيث لم تعد في حاجة إلى تناسخ جديد، وبذلك يحصل لها النجاة من الجولان، وتتحد بالخالق الذي صدرت عنه وتفنى فيه.

والنرفانا أو الحصول على النجاة من أسمى الأهداف للحياة عند الهندوس والبوذيين؛ يقول كرشنا: «من يعرف ظهوري وأعمالي التجاورية لا يولد ثانية عند تركه الجسد في هذا العالم المادي، بل يدخل مقامي السرمدي».

ويذكر الدكتور محمد ضياء الأعظمي في فصول من أديان الهند أنه من ثمرات النرفانا فناء الشخصية والاتحاد بالجوهر الذاتي (برم آتما)، ومن هنا جاء إحراق الموتى تخلصًا من الجسم المادي لتعلو الروح إلى العالم العلوي، والنار هي إحدى مظاهر الألوهية (أكني)، وهي بدورها تقرب إلى (برميشور) الذات العليا.

ولا يحصل على النرفانا عند البوذية إلا بعد اقتلاع الشهوة اقتلاعًا تامًّا

يقول بوذا في آخر دروسه: «الذي يؤمن بالبوذية والجماعة والدين يحل له النرفانا».

بل كان يحث أتباعه على تحصيلها حتى آخر لحظات حياته؛ فيقول في آخر وصاياه: «فعليكم أيها التلاميذ مجاهدة النفس جهاد المخلص الجاد للحصول على النرفانا».

أما الجينيون فيعتقدون أنه بحصول الأرواح على النرفانا تبلغ درجة الإله، وهذا الأمر يفسر انتشار الرهبنة في هذه الديانات.

وقد تأثر غلاة المتصوفة أمثال: الحلاج وابن عربي ومن تابعهما بهذه العقيدة الوثنية الباطلة التي تلغي اليوم الآخر والثواب والعقاب بالإضافة إلى إلغاء توحيد الله -جل وعلا-، وقد أظهروا مقالات كفرهم بالقول بالفناء والاتحاد ووحدة الوجود» اهـ.

وانظر: فصول في أديان الهند (ص١٢٤)، والثقافة الإسلامية -المستوى الرابع- تأليف: محمد قطب، ومحمد المبارك، ومصطفى كامل (ص١١٩).

وسيلان وسواها من الجزر المنثورة في المحيط ثم عاد . . .

وتحدث عن كتاب ألفه في هذه الرحلة سماه (سندباد عصري) أودعه ملاحظاته الإنسانية وانفعالاته الوجدانية واستجاباته العاطفية . . . إلخ .

ثم ذهب يتكلم عن هذا الرجل بكلام يطول ذكره ولا فائدة في ذكره، والذي يهمنا من هذا المقال هو حديثه عن النيرفانا ودفاعه عنها وعن أهلها، علمًا بأن كلامه هذا في مرحلة إسلامياته كما يصفه أنصاره ومحبوه .

قال :

١- «وإذا شاهد فيلمًا هنديًا يمثل الروح الهندية المتسامحة التي تنتهي من الصراع على الحقوق الخاصة، إلى الزهد في أعراض الدنيا والاتجاه إلى عبادة الروح الأعظم قال : أدركت ناحية من نواحي الضعف في بعض الحركات الروحية حين تدخل ميدان السياسة العلمية» .

في هذا المقطع مدح للروح الهندية الضالة الملحدة بالتسامح والزهد في أعراض الدنيا، والاتجاه إلى عبادة الروح الأعظم .

وفي وصف الله بأنه الروح الأعظم ضلال مبين يرفضه الإسلام، وفي وصف الهنادك بأنهم يعبدون الله واعتداده بعبادتهم ضلال آخر .

٢- ثم قال : «وإذا سمع زميله الإنجليزي يقول عن (النيرفانا) أي الفناء في الروح الأعظم وهو الغاية التي يطمح إليها الهندي من وراء حرمانه وآلامه : دعنا من هذا فلا قبل لي بهذا الهجص وتلك الشعوذة يا عم حسن . لم يجد في نفسه أية حماسة للرد على هذا الكلام . وهكذا و هكذا مما قد يبالغ فيه فيصل إلى حدِّ الزراية والسخط الشديدين على الروح الشرقية بوجه عام» .

في هذا المقطع تعريف للنيرفانا بأنها الفناء في الروح الأعظم، أي بأنها وحدة الوجود ولوم وعذم للدكتور حسين فوزي على إقراره لزميله الإنجليزي على الطعن في هذه العقيدة، واعتباره إياها هجصًا وشعوذة؛ قال : فلم يجد في نفسه أي حماسة للرد على هذا الكلام؛ فالنصراني على كفره وضلاله أدرك تفاهة هذه العقيدة وخستها، وقد أقره حسين فوزي على هذا الوصف الذي لا يكفي في ذم هذه

العقيدة الملحدة.

وسيد قطب تأخذه الغيرة لها فيمذم الرجلين على نقدها والاستهانة بها فيقول المسكين متألمًا لهذه العقيدة: (وهكذا و هكذا) إلخ.

٣- ثم يقول: «ومهما افترضنا للسندباد من الأعذار في قسوة الأوضاع الاجتماعية والمظاهر البائسة التي شاهدها في الهند، فقد كنَّا نرجو أن يكون أوسع أفقًا، وأكثر عطفًا، وأعمق اتصالًا بروح الشرق الكامنة وراء هذه المظاهر والأوضاع، والروح الصوفية المتسامحة المشرقة بنور الإيمان».

في هذا المقطع يبين في أسى شديد ما كان ينتظره ويرجوه من حسين فوزي؛ فيقول: فقد كنا نرجو أن يكون أوسع أفقًا، ثم ويا للهول يصف أخبث عقيدة وأكفرها بأنها المتسامحة المشرقة بنور الإيمان.

٤- ثم يقول: «إنه يقول عن لوحة الكنج المقدس: لم يكن الإغريقي ليصور نبعًا مقدسًا... إلخ، أجل! وهذا هو مفرق الطريق بين الشرق والغرب؛ في الشرق قداسة تمت إلى القوة العظمى المجهولة، وفي الغرب حيوية تمت إلى المشهود الحاضر المحسوس.

وليس لي أن أفضل هذا أو ذاك؛ فكلاهما جانب من جوانب النفس الإنسانية الكبيرة التي تهش لكليهما على السواء؛ إن لم تؤثر في حسابها الروحي والفني جانب المجهول على جانب المشهود».

في هذا المقطع يصف الكنج وهو نهر يعبده الهنادك بأنه نهر مقدس، ويصف عبادة الهنادك وطقوسها الكافرة بالقداسة التي تمت إلى القوة العظمى المجهولة؛ فيصف الله بالقوة العظمى المجهولة؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وفي قوله: «وليس لي أن أفضل هذا أو ذاك». نوع من الاعتراف بوحدة الأديان، وقد قال في مناسبة أخرى: «إن الإسلام يصوغ من الشيوعية والمسيحية معًا مزيجًا كاملًا يتضمن أهدافهما ويزيد عليهما بالتناسق والاعتدال». [معركة الإسلام والرأسمالية (ص٦١)].

وله في السلام العالمي مدح للعقيدة النصرانية.

٥- ثم يقول: «وهو يسخر بعقيدة (النيرفانا) كسخرية زميله الإنجليزي الذي يقول: ما كنت أحسب أن دينًا يعد بنعمة الفناء! ووجه الخطأ هو اعتبار (النيرفانا) فناء! إنها كذلك في نظر الغربي الذي يصارع الطبيعة وينعزل عنها، فأما الهندي الذي يحس بنفسه ذرة منسجمة مع الطبيعة، ويعدها أمًّا رؤومًا، فيرى في فنائه في القوة العظمى[1] حياة وبقاء وخلودًا.

وعلينا أن نفهم هذا ونعطف عليه ولا نراه بعين الغربيين، وهو يبدو في أرفع صورة في (ساد هانا تاجور) فلنقف خشعًا أمام هذا السمو الإلهي، ولو لحظات!!».

في هذا المقطع تأخذ سيد قطب الغيرة على النيرفانا وأهلها، ويأخذه الحماس فيرى نقد حسين فوزي والإنجليزي للنيرفانا سخرية ويخطّئ نظرتهما إليها، ويريد أن يبين وجه الخطأ، بل قام في زعمه ببيان هذا الخطأ فيقرر بذكائه وحدة الوجود ويمدحها ويمدح أهلها بأسلوبه الغريب، فتصل به عاطفته الجياشة بالحنان والعطف على هذه الديانة وأهلها إلى قوله: «وعلينا أن نفهم هذا ونعطف عليه...» إلخ.

وهكذا يقرر سيد قطب النيرفانا ويمدحها ويمدح أهلها، ويعتبر كفرهم وزندقتهم وإلحادهم سموًّا إلهيًّا، ويدعو نفسه والناس إلى الوقوف أمام هذا السمو الإلهي خاشعين.

وبعد هذا أريد أن يعرف الناس ما هي النيرفانا، ثم ليحكم العقلاء المنصفون على سيد قطب وعلى حماسه لها ولأهلها ودفاعه عنها وعنهم.

وفي حدود سنة ١٩٥١م تظاهر بنفي القول بوحدة الوجود في أول تفسير سورة البقرة في ظلال القرآن بأسلوب بارد لا ندري ما باعثه.

وفي نهاية الخمسينات[2] عاد مع الأسف إلى تقرير عقيدة وحدة الوجود،

---

(١) وهذا تصريح بالقول بوحدة الوجود.

(٢) انظر كتاب «سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد» للخالدي (ص٥٤٦)، حيث ذكر إكمال سيد قطب لتفسيره في ظلال القرآن في نهاية الخمسينات.

والقول بالحلول والجبر في أواخر تفسيره الظلال في تفسير سورة الحديد؛ فقال في تفسير قول الله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

١- قال سيد قطب: «وما يكاد يفيق من تصور هذه الحقيقة الضخمة، التي تملأ الكيان البشري وتفيض، حتى تطالعه حقيقة أخرى لعلها أضخم وأقوى، حقيقة أن لا كينونة لشيء في هذا الوجود على الحقيقة، فالكينونة الواحدة الحقيقية هي لله وحده سبحانه، ومن ثم فهي محيطة بكل شيء عليمة بكل شيء.

فإذا استقرت هذه الحقيقة الكبرى في القلب؛ فما احتفاله بشيء في هذا الكون غير الله ﷻ؟! وكل شيء لا حقيقة له ولا وجود، حتى ذلك القلب ذاته، إلا ما يستمده من تلك الحقيقة الكبرى، وكل شيء وهم ذاهب، حيث لا يكون ولا يبقى إلا الله، المتفرد بكل مقومات الكينونة والبقاء.

وإن استقرار هذه الحقيقة في قلب ليحيله قطعة من هذه الحقيقة، فأما قبل أن يصل إلى هذا الاستقرار؛ فإن هذه الآية القرآنية حسبه ليعيش في تدبرها وتصور مدلولها، ومحاولة الوصول إلى هذا المدلول الواحد».

* * *

الفصل السادس: زعم سيد أن الإسلام يسمح أن تعيش الديانات في ظله على قدم المساواة وبدون تمييز وعليه أن يقوم بحماية حرية العقيدة والعبادة

ويقول:

«إن النظام الاجتماعي الإسلامي هو النظام الوحيد في العالم اليوم الذي يقوم على أساس فكرة (العالمية) بمعناه الصحيح؛ لأنه النظام الوحيد الذي يسمح بأن تعيش في ظله جميع الأجناس، وجميع اللغات، وجميع العقائد في سلام... وذلك إلى جانب تحقيق العدالة المطلقة بين جميع الأجناس، وجميع اللغات، وجميع العقائد...

إننا ندعو إلى نظام تستطيع جميع العقائد الدينية أن تعيش في ظله بحرية وعلى قدم المساواة، ويتحتم فيه على الدولة وعلى جماعة المسلمين القيام بحماية حرية العقيدة[1] وحرية العبادة للجميع، وأن يلجأ غير المسلمين في أحوالهم الشخصية إلى دياناتهم كذلك، وأن يكون لجميع المواطنين[2] فيه حقوق وتبعات متساوية بدون تمييز...

وأن يرتكز هذا كله على عقيدة في الضمير لا على مجرد التشريعات والنصوص التي لا تكفي وحدها للتنفيذ السليم، إننا ندعو إلى نظام يملك جميع أجناس العالم من سود، وبيض، وحمر، وصفر أن تعيش في ظله بحرية وعلى قدم المساواة بلا تفريق بين العناصر والألوان واللغات؛ لأن الأصرة الإنسانية

---

(١) سئل الشيخ ابن عثيمين -حفظه الله-. نسمع ونقرأ كلمة (حرية الفكر) كثيرًا، وهي دعوة إلى حرية الاعتقاد، فما تعليقكم عليه؟

فأجاب بقوله تعليقنا على ذلك أن الذي يجيز أن يكون الإنسان حر الاعتقاد يعتقد ما شاء من الأديان فهو كافر...، ثم شرع يفصل ويوضح رأيه. فتاوى ابن عثيمين (٣/ ٩٩: ١٠٠).

(٢) وهذا من الإيمان بالوطنية.

تجمعهم، بلا تمييز عنصري، ولا محاباة فيه»[1].

أقول: لعل سيد قطب أخذ ما يزعم أنه فكرة (عالمية الإسلام) بمعناه الصحيح على حد قوله وعلى الوجه الذي فصله من نصوص القرآن الكريم، مثل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[2].

فهل عالمية الإسلام هي كما ذكر سيد قطب؟

الجواب: حاشى وكلا؛ فإن القرآن قطعًا لا يدل على ذلك، والصحابة الذين فتحوا الدنيا لم تدر بخلدهم هذه الصورة أو هذه الصور التي ينسبها سيد قطب إلى الإسلام؛ فقد ذكر ابن جرير في تفسير قول الله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ قولين لا ثالث لهما:

أولهما: عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «من آمن بالله واليوم الآخر كتب له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن بالله ورسوله عوفي مما أصاب الأمم من الخسف والقذف».

وثانيهما: عن ابن وهب عن زيد قال: «العالمون من آمن به وصدقه وأطاعه»[3]، ورجح ابن جرير القول الأول.

وقد راجعت عدة من كتب التفسير فوجدتها لا تخرج عن هذين القولين.

كيف يعيش الإسلام مع اليهودية والنصرانية والمجوسية والهندوكية والبوذية في ظل الإسلام على قدم المساواة؟!

الظاهر: أن سيد قطب يرى أنه يجب على الدولة المسلمة أن تشيد الكنائس[4]، والبيع والصوامع لليهود والنصارى، ومعابد الأوثان للبوذية والهندوكية، بل الأصنام والتماثيل المعبودة، كما تشيد المساجد للإسلام على قدم المساواة!

والظاهر: أنه يريد بقوله: «وأن يكون لجميع المواطنين فيه حقوق وتبعات متساوية بدون تمييز»، أن تقسم مناصب الدولة ووظائفها بين أهل الديانات

---

(١) «دراسات إسلامية» (ص٨٠ - ٨١). (٢) الأنبياء: ١٠٧.

(٣) التفسير (١٧/ ١٥٦).

(٤) في السودان الإخوانية اليوم تشاد الكنائس وتشجع الحكومة الإخوانية وتشارك في ذلك.

المذكورة جميعًا على حد سواء دون تمييز بين مسلم وغيره[(١)].

والظاهر: أن سيد قطب يرى أنه على هذه الدولة التي يتخيلها للإسلام أن تضع ميزانيات لمعابد هذه الديانات ومدارسها مع المساجد على قدم المساواة، دون تمييز بين مساجد الله التي قال فيها: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[(٢)].

وقال: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾[(٣)].

يؤكد هذا قوله عن أهل الذمة: «وهؤلاء لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين بنص الإسلام الصريح»[(٤)]، ولا ندري ما هو هذا النص، وأين هو؟!

أين سيد قطب من قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[(٥)]؟

كيف يقف النجس الوثني مع طهر الإسلام والتوحيد على قدم المساواة «سبحان الله إن المسلم لا ينجس»، كما قال رسول الله ﷺ أي: لا ينجس حسًا ولا معنى؟!

أين سيد من قول الله: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[(٦)].

وقول الله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾[(٧)].

---

(١) وفي السودان اليوم وزراء من النصارى، بل نائب رئيس الجمهورية الإخوانية من النصارى، ويشارك عدد كبير من النصارى في مجلس الشورى وفي الجيش وغيره، وهذا تطبيق عملي لمنهج الإخوان وسيد قطب، وسوف ترون المزيد والمزيد مما يكنه الإخوان المسلمون، فلا تخدعوا بالشعارات السياسية أيها المسلمون!!

(٢) الجن: ١٨.

(٣) النور: ٣٦ - ٣٧.

(٤) السلام العالمي (ص١٧٥).

(٥) التوبة: ٢٨.

(٦) القلم: ٣٥-٣٦.

(٧) السجدة: ١٨.

وقول الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[1].

أين سيد قطب من قول الله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[2].

فأين الصغار المشروع لإذلال هؤلاء إذا كانوا يقفون مع المسلمين على قدم المساواة، وإذا كانوا يتساوون معهم باسم المواطنة في الحقوق والتبعات؟

ومن قال بهذه المساواة من أئمة الإسلام المعتبرين؟

لا يقول بهذا إلا العلمانيون الديمقراطيون الذين يلبسون ديمقراطيتهم لباس الإسلام.

أين سيد من قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3].

فأين عزة الإسلام والمسلمين إذا وقفوا مع أعداء الله على قدم المساواة بدون تمييز؟

أين سيد قطب من قول رسول الله ﷺ: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب»[4].

وقوله ﷺ: «لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلمًا»[5].

وقوله ﷺ: «لا تبدءوا اليهود ولا النصارى بالسلام، فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقه»[6].

---

(١) الجاثية: ٢١.

(٢) التوبة: ٢٩.

(٣) المنافقون: ٨.

(٤) البخاري (الجزية ٣١٦٨)، ومسلم (الوصية ١٦٣٧).

(٥) مسلم (الجهاد ١٧٦٧)، وغيره.

(٦) صحيح مسلم (٧/ ٥)، ط الحلبي.

فأين المساواة المدعاة وأين هو حق المواطنة؟!

ثم لماذا تختفي هذه النصوص عند الحديث عن حقوق اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الذمة، بل وغيرهم ممن لا تقبل منهم الجزية؟

فهذه النصوص القرآنية والنبوية تبين حقيقة موقف الإسلام من الديانات الباطلة وأهلها، وأنه لا علاقة بينه وبينها إلا أنه الأعلى العزيز، وهي الأدنى والأحط والأذل، وأهلها كذلك.

وكيف يستحق الإكرام من كفر بالله وباليوم الآخر، وكذب رسله وكتبه، ويُكن للمؤمنين به العداوة والبغضاء ويتربص بهم الدوائر، إن إذلالهم لهو الحق والعدل بعينه، وهل يستحق المجرمون الإكرام؟

أين سيد قطب من الشروط العمرية التي تملي على أهل الذمة من اليهود والنصارى والمجوس الذل والصغار في كل ميدان من ميادين حياتهم؟!

الشروط العمرية:

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «أحكام أهل الذمة»[1]: قال الخلال في كتاب «أحكام أهل الملل»: أخبرنا عبد الله بن أحمد فذكره[2]، وذكر سفيان الثوري عن مسروق عن عبد الرحمن بن غنم قال: كتبت لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين صالح نصارى الشام، وشرط عليهم ألا يحدثوا في مدينتهم ولا في ما حولها ديرًا ولا كنيسة ولا قلاية ولا صومعة راهب، ولا يجددوا ما خرب، ولا يمنعوا كنائسهم أن ينزلها أحد من المسلمين ثلاث ليال، يطعمونهم، ولا يؤوا جاسوسًا، ولا يكتموا غشًّا للمسلمين، ولا يعلموا أولادهم القرآن، ولا يظهروا شركًا، ولا يمنعوا ذوي قرابتهم من الإسلام إن أرادوه.

وأن يوقروا المسلمين، وأن يقوموا لهم من مجالسهم إذا أرادوا الجلوس، ولا يتشبهوا بالمسلمين في شيء من لباسهم، ولا يكتنوا بكناهم، ولا يركبوا

---

(١) (٢/ ٦٦١ - ٦٦٣).

(٢) الضمير يرجع إلى نص سابق في الشروط العمرية.

صرجًا، ولا يتقلدوا سيفًا، ولا يبيعوا الخمور، وأن يجزوا مقادم رءوسهم، وأن يلزموا زيهم حيث ما كانوا، وأن يشدوا الزنانير على أوساطهم.

ولا يظهروا صليبًا ولا شيئًا من كتبهم في شيء من طرق المسلمين، ولا يجاوروا المسلمين بموتاهم، ولا يضربوا بالناقوس إلا ضربًا خفيفًا، ولا يرفعوا أصواتهم بالقراءة في كنائسهم في شيء من حضرة المسلمين، ولا يخرجوا شعانين، ولا يرفعوا أصواتهم مع موتاهم، ولا يظهروا النيران معهم، ولا يشتروا من الرقيق ما جرت فيه سهام المسلمين.

فإن خالفوا شيئًا مما شرطوه؛ فلا ذمة لهم، وقد حل للمسلمين منهم ما يحل من أهل المعاندة والشقاق . . .

ثم قال ابن القيم: وشهرة هذه الشروط تغني عن إسنادها؛ فإن الأئمة تلقوها بالقبول وذكروها في كتبهم، ولم يزل ذكر الشروط العمرية على ألسنتهم وفي كتبهم، وقد أنفذها بعده الخلفاء وعملوا بموجبها، ثم ذكر أقوال الأئمة في أحكام الكنائس . .

ثم قال: ومتى انتقض عهدهم، جاز أخذ كنائس الصلح منهم، فضلًا عن كنائس العنوة، كما أخذ رسول الله ﷺ ما كان لقريظة والنضير لما نقضوا العهد؛ فإن ناقض العهد أسوأ من المحارب الأصلي . . .

ثم قال: ولا يمكنون من إحداث البيع والكنائس، كما شرط عليهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الشروط المشهورة عنه: «ألا يجددوا في مدائن الإسلام ولا فيما حولها كنيسة ولا صومعة ولا ديرًا ولا قلاية»؛ امتثالًا لقول رسول الله ﷺ: «لا تكون قبلتان في بلد واحد» رواه أحمد[1]، وأبو داود[2] بإسناد جيد

ولما روي عن عمر رضي الله عنه: «لا كنيسة في الإسلام».

وهذا مذهب الأئمة الأربعة في الأمصار، ومذهب جمهورهم في القرى.

---

(١) المسند (١/ ٢٢٣)، بلفظ: «لا تصلح قبلتان في أرض».

(٢) في (الخراج ٣٠٥٣)، والترمذي في (الزكاة ٦٣٣)، إلا أن لفظ أبي داود: «ليس على المسلم جزية» فقط، وقال الترمذي: إنه مرسل، وضعفه الألباني في الإرواء (٥/ ٩٩)

وما زال من يوفقه اللّٰه من ولاة أمور المسلمين ينفذ ذلك ويعمل به، وذكر منهم: عمر بن عبدالعزيز، وأنه أمر بهدم الكنائس في اليمن، وذكر عن الحسن أنه قال: من السنة أن تهدم الكنائس في الأمصار القديمة والحديثة، وذكر من الخلفاء: الرشيد والمتوكل، وأنه استفتى العلماء في وقته فأجابوه فبعث بأجوبتهم إلى الإمام أحمد، فأجابهم بهدم كنائس السواد وذكر الآثار عن الصحابة والتابعين...

ثم قال ابن القيم: وملخص الجواب: أن كل كنيسة في مصر، والقاهرة، والكوفة، والبصرة، وواسط، وفي بغداد، ونحوها من الأمصار التي مصرها المسلمون بأرض العنوة، فإنه يجب إزالتها إما بالهدم أو غيره، بحيث لا يبقى لهم معبد في مصر مصره المسلمون بأرض العنوة، سواء كانت تلك المعابد قديمة أو محدثة؛ لأن القديم منها يجوز أخذه ويجب عند المفسدة.

وقد نهى النبي ﷺ أن يجتمع قبلتان بأرض، فلا يجوز للمسلمين أن يمكنوا أن يكون بمدائن الإسلام قبلتان إلا لضرورة؛ كالعهد القديم، لاسيما وهذه الكنائس التي بهذه الأمصار محدثة يظهر حدوثها بدلائل متعددة، والمحدث يهدم باتفاق الأئمة»[1].

ومن عدل الإسلام: أن ينزل المسلمين منزلتهم وأن ينزل الكافرين منزلتهم، فشتان ما بين المسلمين والكفار.

ومن الحيف والجور: المساواة بينهم في الدماء وغيرها؛ قال ﷺ: **«المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، ويجير عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم... ولا يقتل مؤمن بكافر، ولا ذو عهد في عهده»**[2].

وعن علي رضي الله عنه مرفوعًا: **«وألا يقتل مسلم بكافر»**[3].

وقد أحل اللّٰه للمسلمين نكاح الكتابيات، وحرم على المشركين والكتابيين

---

(١) أحكام أهل الذمة (٢/ ٦٨٥ - ٦٨٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢/ ١٩١-١٩٢، ٢١١)، وأبو داود في (الجهاد، حديث ٢٧١٥)، من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وفي (الديات، حديث ٤٥٣٠) من حديث علي رضي الله عنه بإسناد صحيح.

(٣) أخرجه البخاري في (الديات، حديث ٦٩١٥).

نساء المسلمين، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾[1].

وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ: **«دية المعاهد نصف دية الحر»**[2].

تأمل هذه الأدلة والشروط العمرية، وما بني على ذلك كله من أقوال أئمة الإسلام في معاملة أهل الذمة في كنائسهم ولباسهم وركوبهم، وسائر ما ذكر من شئون حياتهم، وقارن بين ذلك وبين ما يقرره سيد قطب من المساواة بين الإسلام والأديان الباطلة، ومن المساواة بين المسلمين وأهل هذه الأديان، وتساءل من أين جاء سيد قطب بهذه التشريعات التي ينسبها إلى الإسلام؟

نعم، إذا وفى أهل الذمة بالعهد والشروط المضروبة عليهم، وأدوا ما عليهم؛ فإن على المسلمين أن يوفوا بعهودهم، وتحرم حينئذٍ دماؤهم وأموالهم، كما تجب على المسلمين حمايتهم من العدوان الداخلي والخارجي.

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قتل نفسًا معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عامًا»**[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: **«ألا من قتل نفسًا معاهدًا له ذمة الله وذمة رسوله، فقد أخفر بذمة الله، فلا يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفًا»**[4].

وفي وصية عمر رضي الله عنه لمن يأتي بعده من الخلفاء: «وأوصيه بذمة الله وذمة

---

(١) المائدة: ٥.

(٢) أبو داود في (الديات، حديث ٨٣٥٤)، والترمذي في (الديات، حديث ١٤١٣)، والنسائي في (القسامة، حديث ٢٨١٠).

(٣) رواه البخاري في (الديات، باب من قتل ذميًا بغير جرم، حديث ٦٩١٤)، والنسائي نحوه (٨/ ٢٤-٢٥، حديث ٤٧٥٠)، ورواه النسائي أيضًا من حديث أبي بكرة، ومن حديث رجل من أصحاب النبي ﷺ (رقم ٤٧٤٧- ٤٧٤٩).

(٤) رواه الترمذي (٥/ ٨٨) في (الديات ١٤٠٣).

رسوله ﷺ أن يوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، ولا يكلفوهم إلا طاقتهم»(١).

قال جويرية بن قدامة: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه -يعني: عند موته-... قلنا: أوصنا يا أمير المؤمنين: قال: «أوصيكم بذمة الله؛ فإنه ذمة نبيكم ورزق عيالكم»(٢).

وهذا من محاسن الإسلام، ومزاياه، وعلو شأنه في الأمور التي لا يلحق فيها من العدل واحترام العهود والمواثيق، ولو كان مع أشد الأعداء وأحقر الحقراء.

* * *

(١) رواه البخاري في (الجهاد، حديث ٣٠٥٢).

(٢) رواه البخاري في (الجزية، حديث ٣١٦٢).

الفصل السابع:
حرية الاعتقاد عند سيد قطب

ويقول سيد قطب:

«وكانت -يعني: رسالة الإسلام- ثورة على طاغوت التعصب الديني، وذلك منذ إعلان حرية الاعتقاد في صورتها الكبرى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ﴾.

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾.

لقد تحطم طاغوت التعصب الديني، لتحل محله السماحة المطلقة، بل لتصبح حماية حرية العقيدة وحرية العبادة واجبًا مفروضًا على المسلم لأصحاب الديانات الأخرى في الوطن الإسلامي.

وحينما شرع القتال في الإسلام، وعرض القرآن حكمة القتال، قال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ﴾ [الحج: ٣٩-٤٠].

والصوامع: معابد الرهبان.

والبيع: كنائس النصارى.

والصلوات: معابد اليهود.

والمساجد: مصليات المسلمين.

وقد قدم الصوامع والبيع والصلوات في النص على المساجد توكيدًا لدفع العدوان، وتوفير الحماية لها»[1].

---

(١) «دراسات إسلامية» (ص١٣- ١٤).

أقول:

أولًا: في هذا الكلام حرب شديدة على مبدأ الولاء والبراء، والحب في الله والبغض فيه المفروض على المسلمين بنص الكتاب والسنة؛ حيث يصفه بالطاغوت وبالتعصب الديني.

قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾[4].

وقال رسول الله ﷺ: **«أوثق عرى الإيمان: الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله»**[5].

ثانيًا: يستنكر منه هذه المبالغة والتهويل في قوله: «وكانت ثورة على طاغوت التعصب الديني، وذلك منذ إعلان حرية الاعتقاد في صورتها الكبرى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾».

فسبب نزول الآية أن بعض أولاد الأنصار تربوا في الجاهلية في أحضان اليهود

---

(١) المجادلة: ٢٢.

(٢) المائدة: ٥١

(٣) الممتحنة: ١٣.

(٤) الممتحنة: ٤.

(٥) حسنه الألباني في الصحيحة رقم (١٧٢٨) بمجموع طرقه.

فتهودوا، فلما أجلى رسول الله ﷺ يهود بني النضير، خرجوا معهم، فأراد آباؤهم أن يجبروهم على الإسلام، فأنزل الله الآية المذكورة.

وبعض المفسرين يرى أن هذه الآية خاصة بهم، وبعضهم يرى عمومها وشمولها لأهل الكتاب، ثم يذهب إلى أنها منسوخة بآية الجزية في سورة براءة.

ورجح ابن جرير أن الآية تتناول فقط أهل الكتاب ومن في حكمهم ممن يقبل منهم الجزية، لا تتناول العرب وغيرهم من الوثنيين من سائر أمم الأرض؛ وإذن فليس الأمر كما يصوره سيد قطب ويهول به.

ثالثًا: تضخيم حرية الاعتقاد بهذه الصورة لا يعرفه الإسلام ولا المسلمون.

فالله شرع القتال حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله، والفتنة الشرك.

والرسول ﷺ يقول: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك؛ فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله».

فالقاعدة الأساسية: جهاد الكفار والمشركين حتى تتحقق هذه الغاية الكبرى، وقضية قبول الجزية من أهل الكتاب استثنائية من هذه القاعدة الأصيلة الكبيرة.

فإن لم يؤدوا الجزية وهم صاغرون، يقاتلون لكفرهم، وتغنم أموالهم وتسبى نساؤهم وذراريهم.

فأين هي حرية الاعتقاد التي يدعي سيد أن الإسلام أعلنها على شاكلة إعلان هيئة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان، وعلى شاكلة دعاوى العلمانيين الديمقراطيين؟

فالناس عباد الله في نظر الإسلام خُلقوا لعبادته، فإن تمرد بعضهم عن القيام بهذه الغاية، لا يستحق إلا الهوان في الدنيا والآخرة.

وإذن، فلا يجوز لسيد قطب أن يعرض موقف الإسلام من أهل الكتاب إذا أدوا الجزية أذلاء صاغرين في هذه الصورة الضخمة العامة لهم ولغيرهم، والتي تلغى فيها القيود الثقال التي تجعلهم تحت مستوى العبيد، وتلغى فيها القاعدة

الأساسية التي ذكرناها آنفًا، والتي تتجاهل الشروط العمرية المعتبرة عند فقهاء الإسلام، والتي عامل بها المسلمون -وعلى رأسهم خلفاؤهم- عاملوا بها أهل الكتاب.

رابعًا: من المستنكر قوله: «بل لتصبح حماية حرية العقيدة وحرية العبادة واجبًا مفروضًا على المسلم لأصحاب الديانات الأخرى في الوطن الإسلامي».

بهذه الصورة الشاملة للديانات الباطلة كلها، كأن الدولة الإسلامية والأمة المسلمة أصبحت مجندة لحماية هذه الحريات الباطلة التي يدعيها سيد للديانات وعباداتها ومعابدها.

بل إن حماية معابدها مقدمة على حماية المساجد في نظره، فهذا الأسلوب فيه دفن لعزة الإسلام والمسلمين وإهانة الكفر والكافرين، كما أن فيها دفنًا لمبدأ الولاء والبراء وبغض الكفار وعداوتهم المفروضة كما في النصوص التي سبق ذكرها.

لا يظن القارئ أن هذا سبق قلم من سيد، بل هذه عقيدة ثابتة يقررها ويكررها في كتبه كثيرًا.

ففي تفسير قول الله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ الآية يقول:

«وفي هذا المبدأ يتجلى تكريم الله للإنسان واحترام إرادته وفكره ومشاعره، وترك أمره لنفسه فيما يختص بالهدى والضلال في الاعتقاد، وتحميله تبعة عمله وحساب نفسه.

وهذه أخص خصائص التحرر الإنساني، التحرر الذي تنكره على الإنسان في القرن العشرين مذاهب متعسفة ونظم مذلة، لا يسمح لهذا الكائن الذي كرمه الله باختياره لعقيدته أن ينطوي ضميره على تصور للحياة ونظمها غير ما عليه الدولة بشتى أجهزتها التوجيهية وما تمليه عليه بعد ذلك بقوانينها وأوضاعها[1]، فإما أن يعتنق مذهب الدولة هذا -وهو يحرمه من الإيمان بإله للكون يصرف هذا الكون-،

---

(١) إذا كان سيد ينكر هذا على الدولة الشيوعية، فهل يستنكر على الإسلام أن يسخر كل أجهزته ووسائله ليسلم الناس لرب العالمين، الظاهر أنه يستنكر ذلك؛ لأنه ينافي مبدأ الحرية في الاعتقاد على مذهبه

وإما أن يتعرض للموت بشتى الوسائل والأسباب.

إن حرية الاعتقاد: هي أول حقوق الإنسان التي يثبت له بها وصف الإنسان.

فالذي يسلب إنسانًا حرية الاعتقاد إنما يسلبه إنسانيته ابتداء... ومع حرية الاعتقاد حرية الدعوة للعقيدة[1]، والأمن من الأذى والفتنة، وإلا فهي حرية بالاسم، لا مدلول لها في واقع الحياة.

والإسلام وهو أرقى تصور للوجود وللحياة وأقوم منهج للمجتمع الإنساني بلا مراء، هو الذي ينادي بأن ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾، وهو الذي يبين لأصحابه قبل سواهم أنهم ممنوعون من إكراه الناس على هذا الدين، فكيف بالمذاهب والنظم الأرضية القاصرة المتعسفة وهي تفرض فرضًا بسلطان الدولة ولا يسمح لمن يخالفها بالحياة؟؟»[2].

وهذه فتوى للشيخ محمد بن عثيمين فيمن يجيز حرية الاعتقاد والتدين بما شاء من الأديان:

وسئل فضيلة الشيخ: نسمع ونقرأ كلمة (حرية الفكر)، وهي دعوة إلى حرية الاعتقاد، فما تعليقكم على ذلك؟

فأجاب بقوله: «تعليقنا على ذلك أن الذي يجيز أن يكون الإنسان حر الاعتقاد، يعتقد ما شاء من الأديان؛ فإنه كافر؛ لأن كل من اعتقد أن أحدًا يسوغ له أن يتدين بغير دين محمد ﷺ فإنه كافر بالله ﷻ، يستتاب، فإن تاب وإلا وجب قتله.

والأديان ليست أفكارًا، ولكنها وحي من الله ﷻ، ينزله على رسله، يسير عباده عليه، وهذه الكلمة -أعني: كلمة فكر- التي يقصد بها الدين، يجب أن تحذف من قواميس الكتب الإسلامية؛ لأنها تؤدي إلى هذا المعنى الفاسد...

وخلاصة الجواب: أن من اعتقد أنه يجوز لأحد أن يتدين بما شاء، وأنه حر

---

(١) الظاهر أن سيدًا يرى أنه لا مانع أن يدعو في ظل دولته كل أصحاب الديانات إلى أديانهم بكل حرية بما في ذلك دعوة المسلمين أنفسهم إلى هذه الديانات، التي يعطي سيد لأهلها حرية الدعوة إلى دياناتهم، نعوذ بالله من هذا الهوس التحرري.

(٢) «في ظلال القرآن» (١/ ٢٩١).

فيما يتدين به، فإنه كافر بالله ﷻ؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1].

ويقول: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾.

فلا يجوز لأحد أن يعتقد أن دينًا سوى الإسلام جائز، يجوز للإنسان أن يتعبد به، بل إذا اعتقد هذا، فقد صرح أهل العلم بأنه كافر كفرًا مخرجًا عن الملة»[2].

وهذا سؤال أيضًا وجه لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين:

يا شيخ، ما رأيكم فيمن يقول: الإسلام لا يقرر حرية العبادة لأتباعه وحدهم، إنما يقرر هذا الحق لأصحاب ديانات مخالفة، ويكلف المسلمين أن يدافعوا عن هذا الحق للجميع، ويأذن لهم في القتال تحت هذه الراية -راية ضمان الحرية لجميع المتدينين-، وبذلك يحقق أنه نظام عالمي حر يستطيع الجميع أن يعيش في ظله آمنين مستمتعين بحرياتهم الدينية على قدم المساواة مع المسلمين وفي حماية المسلمين)؟

فأجاب فضيلته قائلًا:

«الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

هناك قاعدة شرعية وعقلية تقول: من ادعى شيئًا فعليه الدليل.

فهذا الرجل الذي يدعي أن الناس أحرار في أديانهم، وأنهم يختارون من الأديان ما يريدون، وأنهم إذا اختاروا دينًا غير الإسلام فهم كأهل الإسلام، لأن كلًا له حريته، نقول له: هذه دعوى فأت لها بدليل، فإن لم تأت بدليل فإنها باطلة بالنص والإجماع.

قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[3].

---

(١) آل عمران: ٨٥.

(٢) «مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين» (٣/ ٩٩ رقم ٤٥٩).

(٣) القلم: ٣٥-٣٦.

وقال تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾(١).

وقال الله -تبارك وتعالى- في المؤمنين أنفسهم: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(٢).

فهذا القائل لهذه المقالة نقول: إنه مدع، والمدعي عليه البينة، وهذه الدعوى مردودة بالقرآن وبإجماع المسلمين على ذلك، صحيح أن الإنسان لا يجبر على الدين الإسلامي إذا بذل الجزية واستكان للدين الإسلامي وذل أمامه، فإننا لا نلزمه أن يتدين، ولكننا نعلم أن مأواه جهنم وبئس المصير، أما إذا نابذ ولم يخضع لحكم الإسلام في بذل الجزية وعدم العدوان على الإسلام وأهله، فإننا نقاتله حتى تكون كلمة الله هي العليا، نقاتله بأمر ربنا الذي خلقنا والذي خلقهم.

والله ﷻ يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾(٣).

وقال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(٤).

وكل من دان بغير دين الإسلام الذي بعث الله به محمدًا ﷺ فهو خاسر، ولا ينفعه تدينه هذا، بل هو من أصحاب النار، حتى إن النبي ﷺ قال عن اليهود والنصارى مع أنهم أهل كتاب: إذا سمعوا بمحمد ﷺ ثم لم يؤمنوا ويتبعوه، فإنهم يكونون من أصحاب النار.

فعلى هذا القائل أن يراجع نفسه، وأن يحكم عقله، وأن يتقي ربه، وألا يكون جمادًا لا يفرق بين الخبيث والطيب، وبين المؤمن التقي، والكافر الشقي.

يا شيخ، ما حكم من يقول هذا؟

---

(١) المائدة: ١٠٠.

(٢) الحديد: ١٠.

(٣) المائدة: ٣.

(٤) آل عمران: ٨٥.

حكمه: أن يبلغ ويبين له الحق، فإن اهتدى، فذلك المطلوب، وإن لم يهتد، فلولاة الأمور أن يجروا عليه ما يقتضيه الشرع الإسلامي، ما يقتضيه الدين الإسلامي» اهـ

وليس هذا أمرًا مرتجلًا من سيد ولا زلة قلم؛ وإنما هو يسير على منهج رسمه الإخوان المسلمون.

فهذا مرشد الإخوان يضع آخر لبنات هذا المنهج آخر حياته.

احتفل الإخوان المسلمون بمرور عشرين عامًا على إنشاء الجماعة، وفي هذا الحفل خطب حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين خطبة قال فيها.

«وليست حركة الإخوان موجهة ضد أي عقيدة من العقائد، أو دين من الأديان، أو طائفة من الطوائف؛ إذ إن الشعور الذي يهيمن على نفوس القائمين بها أن القواعد الأساسية للرسالات جميعًا قد أصبحت مهددة الآن بالإلحادية، وعلى الرجال المؤمنين بهذه الأديان أن يتكاتفوا ويوجهوا جهودهم إلى إنقاذ الإنسانية من هذا الخطر، ولا يكره الإخوان المسلمون الأجانب النزلاء في البلاد العربية والإسلامية، ولا يضمرون لهم سوءًا، حتى اليهود المواطنين لم يكن بيننا وبينهم إلا العلائق الطيبة»[1].

وقبلها في عام (١٩٤٦) اختطب أمام لجنة أمريكية بريطانية بشأن قضية فلسطين، فقال:

«والناحية التي سأتحدث عنها نقطة بسيطة من الوجهة الدينية؛ لأن هذه النقطة قد لا تكون مفهومة في العالم الغربي، ولهذا فإني أحب أن أوضحها باختصار، فأقرر أن خصومتنا لليهود ليست دينية؛ لأن القرآن الكريم حض على مصافاتهم ومصادقتهم، والإسلام شريعة إنسانية قبل أن يكون شريعة قومية، وقد أثنى عليهم وجعل بيننا وبينهم اتفاقًا: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾.

وحينما أراد القرآن الكريم أن يتناول مسألة اليهود تناولها من الوجهة

---

(١) «قافلة الإخوان» للسيسي (١/ ٣١١)، كان هذا الاحتفال وهذه الخطبة في ٥/ ٩/ ١٩٤٨.

الاقتصادية والقانونية، فقال تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ۝ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾[1].

ونحن حين نعارض بكل قوة الهجرة اليهودية، نعارضها لأنها تنطوي على خطر سياسي، وحقنا أن تكون فلسطين عربية».

وسئل سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز مفتي عام المملكة العربية السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء عن هذا الكلام:

ما حكم الشرع فيمن يقول: إن خصومتنا مع اليهود ليست دينية، وقد حث القرآن على مصافاتهم ومصادقتهم، وجعل بيننا وبينهم اتفاقًا؛ فقال - ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، والإسلام شريعة إنسانية قبل أن يكون شريعة قومية، وحينما أراد القرآن أن يتناول قضية اليهود تناولها من وجهة اقتصادية وسياسية فقال: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ إلى نهاية الآية

ما حكم الشرع في هذه المقولة يا شيخنا؟

فأجاب سماحة الشيخ بقوله:

«هذه مقالة باطلة خبيثة، اليهود من أعدى الناس للمؤمنين، هم من أشر الناس، بل هم أشد الناس عداوة للمؤمنين مع الكفار، كما قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾.

فاليهود والوثنيون هم أشد الناس عداوة للمؤمنين.

وهذه المقالة مقالة خاطئة، ظالمة، قبيحة، منكرة...

والدعوة إلى الله بالحسنى ليست خاصة باليهود ولا بغيرهم، بل الدعوة إلى الله مع اليهود ومع الوثنيين ومع الشيوعيين ومع غيرهم، يقول الله -جل وعلا-: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، هذا عام للكفار.

---

(١) النساء: ١٦٠-١٦١.

ولغير الكفار قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾.

ليس خاصًا بهم، ولكن من باب التنبيه على أنهم وإن كانوا يهودًا أو نصارى فإنهم يجادلون بالتي هي أحسن، لأن هذا أقرب إلى دخولهم في الإسلام وإلى قبولهم الحق، إلا إذا ظلموا . . . ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾، الظالم له ما يستحق من الجزاء.

فالحاصل: أن الدعوة بالتي هي أحسن عامة لجميع الكفار ولجميع المسلمين، الدعوة بالتي هي أحسن ليست خاصة باليهود ولا بالنصارى ولا بغيرهم.

فهذا الكلام الذي نقلته عن هذا الشخص، هذا غلط.

نسأل الله للجميع الهداية»[1].

وكذلك سئل الشيخ السؤال التالي:

هل يكفر من يدخل كنائس النصارى، ويحترمهم، ويقول لهم: يا سماحة البابا، ويا قداسة البابا، ويقول لهم: يا صاحب السيادة. لحاخام اليهود، ويقول: إنه ليس بيننا وبين اليهود أية عداوة دينية، بل القرآن حث على حبهم ومصافاتهم، أنبئونا عن ذلك جزاكم الله خيرًا؟

فأجاب:

«هذا جهل كبير، فلا يجوز هذا الكلام، لكنه لا يكون ردة عن الإسلام عندما يسلم عليه أو يدخل عليه، إنما معصية.

أما إذا قال: ليس بين الإسلام وبين اليهود شيء، فهذا كفر وردة، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾.

فبيننا وبينهم عداوة عظيمة، فمن يقول: إن الدين واحد ولا بيننا وبينهم عداوة، فهذا جاهل مركب، وضال مضل كافر، فالذي بيننا وبينهم العداوة، واليهود من أكفر الناس وأضلهم وأخبثهم وأشدهم عداوة للمسلمين»[2].

---

(١) نقلًا عن شريط مسجل بتاريخ (٢٨/ ٧/ ١٤١٢هـ) للشيخ عبد العزيز بن باز.

(٢) نقلًا عن مجلة الدعوة، العدد رقم (١٤٠٢)، وتاريخ (١٧ صفر ١٤١٤ هـ).

ويقول محمد الغزالي:

«والواقع أن المسلمين -كأصحاب المثل- تطغى عليهم طيبة القلب، وصفاء الطوية، فينشدون السلامة ويحسنون الظن، ثم يفاجئهم ما ليس في الحسبان فيعلمون أنهم مهما أحبوا مكروهين.

ومن ثمَّ يقول الله لهم: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾.

ومع ذلك التأريخ السابق، فإننا يجب أن نمد أيدينا وأن نفتح آذاننا وقلوبنا إلى كل دعوة تؤاخي بين الأديان وتقرب بينها، وتنتزع من قلوب أتباعها أسباب الشقاق.

إننا نقبل مرحبين على كل وحدة توجه قوى المتدينين إلى البناء لا الهدم، وتذكرهم بنسبهم السماوي الكريم، وتصرفهم إلى تكريس الجهود لمحاربة الإلحاد والفساد، وابتكار أفضل الوسائل لرد البشر إلى دائرة الوحي[(١)] بعد ما كادوا يفلتون منها إلى الأبد»[(٢)].

أقول: لم يستفد الغزالي من توجيه الله للمسلمين في كتابه الحكيم، ولم يستحضر آيات الولاء والبراء التي تجعل من يتولى اليهود والنصارى فهو منهم، ولو في أقل من الصورة التي يدعو إليها الغزالي وأصغر منها.

فمتى دعا القرآن والسنة أو الصحابة أو علماء الإسلام -عياذًا بالله- إلى هذه الأخوة بين أهل الديانات، وإلى هذه الوحدة التي لا قدوة للغزالي فيها غير الماسونية الملحدة؟

خلا لك الجو فبيضي واصفري ونقري ما شئت أن تنقري

فيا غربة الإسلام!!

---

(١) يبدو أن الغزالي يرى أن الرجوع إلى اليهودية والنصرانية المحرفتين رجوع إلى دائرة الوحي.

(٢) كتاب من هنا نعلم (ص١٥٠).

وقال مصطفى السباعي في معركة الدستور[1]:

«اعتراض الطوائف المسيحية:

يتضح مما قرأناه لرؤساء الطوائف المسيحية، ومما سمعناه منهم أن اعتراضهم ينصب على ناحيتين اثنتين:

١- إن معنى دين الدولة الإسلام: أن أحكام الإسلام ستطبق على المسلمين والمسيحيين، ولما كانت للمسيحيين عقائد وأحكام وأحوال شخصية تختلف عن الإسلام، فكيف يجبرون على أحكام الإسلام؟

وهذا الفهم خاطئ من نواح عدة، أهمها: أن الإسلام يحترم المسيحية كدين سماوي، ويترك لأهلها حرية العقيدة والعبادة دون أن يتدخل في شئونهم.

أما أحوالهم الشخصية فلا يتعرض لها بحال، ولا يمكن أن يطبق عليهم أي من الأحكام التي تخالف شريعتهم أو تقاليدهم، وأحكام الإسلام في ذلك واضحة، وكتب التشريع الإسلامي بين أيدينا، ووقائع التاريخ لا ينكرها إلا مكابر.

وقد ظل المسيحيون العرب منذ عصر الإسلام حتى الآن يتمتعون بعقيدتهم وعبادتهم، وأحوالهم الشخصية لم تتعرض لها دولة ولا حكومة، في الوقت الذي كان الحكم فيه للإسلام خالصًا، فكيف يتوهم الآن أن يطبق عليهم أحكام تخالف دينهم ونحن في دولة برلمانية شعبية الحكم فيها للشعب ممثلًا في نوابه المسلمين والمسيحيين؟

ونزيد على ذلك: أنه مع احترام الإسلام لكل ما ذكرناه فنحن لم نكتف بذكر هذا في الدستور، بل اقترحنا أن تنص على احترام الأديان السماوية وقدسيتها واحترام الأحوال الشخصية للطوائف الدينية.

فكيف يخطر في البال بعد هذا أن هنالك خطرًا على عقيدة المسيحيين وأحوالهم الشخصية؟

٢- إن معنى دين الدولة الإسلام: العداء للأديان الأخرى، وانتقاص غير

---

(١) مجلة حضارة الإسلام العدد الخاص بالحديث عن حياة السباعي (ص١١٧-١٢٢).

المسلمين في حقوقهم، والنظر إليهم نظرًا يختلف عن أتباع الدين الرسمي.

وهذا خطأ بالغ أيضًا؛ فليس الإسلام دينًا معاديًا للنصرانية حتى يكون النص عليه عداء لها، بل هو معترف[1] بها ومقدس لسيدنا المسيح (، بل هو الدين الوحيد من أديان العالم الذي يعترف بالمسيحية وينزه رسولها الكريم وأمه البتول، وقد أمر القرآن الكريم أتباعه أن يؤمنوا بالأنبياء جميعًا، ومنهم عيسى (، فأين العداء وأين الخصام بين الإسلام والمسيحية؟!

أو ليس النص على أن الإسلام دين الدولة[2] الرسمي يتضمن أن المسيحية دين رسمي للدولة باعتبار الإسلام معترفًا بها ومحترمًا لها؟

وأما توهم الانتقاص من المسيحيين، والامتياز للمسلمين، فأين الامتياز؟

أفي حرية العقيدة، والإسلام يحترم العقائد جميعًا، والدستور سيكفل حرية العقائد للمواطنين جميعًا؟

أم في الحقوق المدنية والتساوي في الواجبات، والإسلام لا يفرق بين مسلم ومسيحي فيها، ولا يعطي للمسلم في الدولة حقًا أكثر من المسيحي، والدستور سينص على تساوي المواطنين جميعًا في الحقوق والواجبات[3]؟

إني سأضع أمام القراء وأمام أبناء الشعب جميعًا نص المادة المقترحة في هذا الشأن ليروا بعد ذلك أي خوف منها وأي غبن يلحق المسيحية فيها:

١- الإسلام دين الدولة.

٢- الأديان السماوية محترمة ومقدسة.

٣- الأحوال الشخصية للطوائف الدينية مصونة ومرعية.

---

(١) ما هذا الاعتراف، والله يقول: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾، ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ وهل يجوز هذا الربط بين أمة كافرة بالله وبين رسول كريم.

(٢) نعوذ بالله من هذا القول على الإسلام، كيف تكون النصرانية المحرفة إلى الكفر والوثنية دينًا رسميًا للدولة الإسلامية، إن كانت دولة السباعي كذلك فهي دولة مرتدة

(٣) هذا الكلام فيه افتراء كبير على الله وعلى الإسلام، ومصادمة لنصوص كثيرة في القرآن والسنة. ولما علمه وقرره علماء المسلمين من أهل السنة وغيرهم، فأي تحريف يفوق هذا التحريف عياذًا بالله.

٤- المواطنون متساوون في الحقوق لا يحال بين مواطن وبين الوصول إلى أعلى مناصب الدولة بسبب الدين أو الجنس أو اللغة.

إني أسأل المنصفين جميعًا وخاصة أبناء الطوائف الشقيقة: إذا كانت المادة التي تنص أن دين الدولة الإسلام هي التي تتضمن هذه الضمانات كلها، فأين الخوف، وأين الغبن؟ وأين الامتياز للمسلمين؟ وأين الانتقاص لغيرهم؟

اعتراض القوميين:

ويعترض بعض القوميين بأن النص على دين معين للدولة ينفي الوحدة بين أبنائها، وأن سورية ذات أديان مختلفة فلا يصح أن ينص على دين معين.

والواقع أنه ليس في سورية إلا مسلمون ومسيحيون، وقليل جدًّا من اليهود، أما الطوائف فهي كلها ترجع إلى هذين الدينين، وفي النص الذي ذكرناه سابقًا ضمان لحقوق المواطنين جميعًا وتساويهم، وضمان لعقائدهم وأحوالهم الشخصية، فأي تفرقة في هذا النص؟

وهل في الدنيا دولة ليس فيها إلا دين واحد أو مذهب واحد؟

فهل منع تعدد الأديان أو المذاهب كثيرًا من الدول على أن تنص على دين معين أو مذهب معين؟

إن الوحدة القومية بين العرب ليست باطراح عواطف ثمانية وستين مليونًا، وإهمال هذا الرابط الديني القوي بينهم، وإذا كان مفهوم القوميات في أوربا يحتم إخراج الدين من عناصرها الأساسية، فذلك لا ينطبق علينا نحن العرب.

إن ألمانيا النازية قد تجد في المسيحية دينًا غريبًا عنها، وإن تركيا الطورانية قد تجد في الإسلام دينًا غريبًا عنها، ولكن العرب لن يجدوا في الإسلام دينًا غريبًا عنهم، بل هم يؤمنون بأن قوميتهم العربية لم تولد إلا في أحضان الإسلام، ولولاه لما كانت ذات وجود قائم...

فليفرق دعاة القومية بين أوربا والشرق، وبين نصرانية الغرب وإسلام العرب.

وإذا أضفنا إلى ذلك أن الإسلام يحترم المسيحية ويؤمن بها دينًا سماويًا، لم يبق عندنا في القومية العربية دينان يصطرعان حتى نطرحهما لتسلم لنا قوميتنا،

وإنما هناك دينان يتعاونان على بناء القومية العربية بناء سليمًا عالميًّا خالدًا .

اعتراض العلمانيين :

ويعترض دعاه العلمانية في بلادنا كما جاء في البيان المنسوب إلى خريجي الجامعات العالية بأن الشعوب التي سبقتنا في ميدان الحضارة مرت من مرحلة الدين في التنظيم والحكم ، حيث كان رجال الدين يُسيرون أمور الدولة إلى مرحلة القومية ، ثم هي تنتقل اليوم إلى مرحلة التنظيم على أساس التكتل السياسي والاقتصادي ذي الصبغة العالمية .

ونحن نجيبهم : بأن النص على دين الدولة ليس معناه أن يُسيِّر رجال الدين أمور الدولة ، ولو كان كذلك لما وضعت هذه الأمم التي سبقتنا في ميدان الحضارة في دساتيرها النص على دين الدولة .

وفيما يلي بيان لبعض الدول الحديثة التي تنص في دساتيرها على دين معين :

أسوج ، نرويج ، دانيمرك ، إنكلترا ، بلغاريا ، بيرو ، كوستاريكا ، باناما ، إسبانيا ، بوليفيا ، الأرجنتين ، إيرلندا ، إيطاليا ، اليونان -قبل الحرب الأخيرة- ، بولونيا -قبل النفوذ الشيوعي- ، جميع دول شرق أوربا -قبل النفوذ الشيوعي- ، مصر ، العراق ، الأردن ، ليبيا ، إيران ، الأفغان ، باكستان ، أندونيسيا ، إسرائيل المزعومة .

فما قول العلمانيين في صنع هذه الدول الحديثة؟

ألا يدل على أن النص على دين الدولة لا يتنافى مع تطور الحضارة وتقدم المدنية ، أم يعتبرونها دولًا رجعية لا تزال متأخرة؟

وأيضًا فقد اعترف هؤلاء بأن الأمم انتهت من مرحلة القومية إلى مرحلة التكتل السياسي الاقتصادي ، فلماذا يرون من الأمور الطبيعية أن تتكتل بلغاريا ، وهنغاريا ، وتشكوسلوفاكيا ، وألبانيا ، ورومانيا ، والمجر ، والصين ، وغيرها على أساس الشيوعية ، وهي عقيدة حديثة لديهم ، ولا يرون من الطبيعي أن تتكتل مصر ، وسورية ، والعراق ، واليمن ، والحجاز ، والأردن ، على أساس الإسلام وهو عقيدة هذه الأقطار؟

أليس الإسلام نظامًا اجتماعيًا شاملًا كالشيوعية، ولكنه أسمى منها مبدأ، وأنبل غاية؟!

أم أنتم لا ترونه كذلك أيها العلمانيون؟

فلماذا لا تصارحون الشعب بسوء ظنكم بالإسلام وصلاحه للحياة؟!

ومن العجيب: أن يحرص العلمانيون في بياناتهم على الروابط التي تربط ما بين السوريين وبين المغتربين في الخارج، وهي روابط نحرص عليها، ثم لا يبالون بالروابط بين السوريين وبين سبعين مليونًا من إخوانهم العرب.

ولا ندري متى كان النص على دين الدولة سيقطع ما بيننا وبين إخواننا المغتربين؟

أليسوا يعيشون في دول قد نصت في دساتيرها على دين الدولة؟

أليسوا حريصين على قوة هذه البلاد ومصلحتها؟

ولو فرضنا أن النص سيجعل فتورًا بيننا وبينهم -وهذا فرض مستحيل-، ولكنه سيربط ما بيننا وبين العرب، فهل يريدون منا أن نغضب سبعين مليونًا من العرب؟

لئن أردتم ذلك كنتم قد كفرتم بالعروبة رابطة قومية، بعد أن جحدتم الإسلام نظامًا اجتماعيًا صالحًا.

وأعود فأقول لهؤلاء: إن (البعبع) الذي يخوفون به بعض المثقفين من أن النص على الإسلام دينا للدولة يجعل لرجال الدين الكلمة الأولى في البلاد، هو بعبع لا يخيف إلا من خيم الوهم والباطل على عقولهم، فليس في الإسلام رجال دين تكون لهم الكلمة العليا، ونحن لا نريد بهذا النص أن نلغي البرلمان ونطرد ممثلي الأمة، ونمحو القوانين.

كلا، كونوا مطمئنين! فسيظل كل شيء على حاله، سيبقى لنا مجلسنا ونوابنا وقوانيننا وأنظمتنا، ولكن... مع سمو الروح ونظافة اليد، واستقامة الأخلاق، وعيش الإنسان الكريم.

اعتراض الحقوقيين:

ويعترض بعض الحقوقين بأن جعل دين الدولة الإسلام يلغي القوانين الحالية، ويضطرنا إلى تنفيذ الحدود الإسلامية من قطع يد السارق وجلد الزاني.

وهذا قول خاطئ، فنحن لا نفكر قطعًا بالدعوة إلى تنفيذ الحدود؛ لأن الإسلام نظام كامل لا يظهر صلاحه إلا في مجتمع كامل، ومن كمال المجتمع أن يشبع كل بطن، ويكتسي كل جسم، ويتعلم كل إنسان، ويكتفي كل مواطن.

فإذا وقعت السرقة مثلًا بعد ذلك وقعت شرًا محضًا لا يقدم عليه إلا العريقون في الإجرام، والإسلام يريد أن يرهب هؤلاء الذين لم يردعهم العلم، ولا الشبع، ولا العيش الكريم عن الوقوع في الجريمة . . .

على أن الإسلام قد حف تلك الحدود بشروط شديدة جدًا يكاد يكون من المتعذر تنفيذ الحكم في حادثة واحدة من بين ألف حادثة؛ مما يدل على أن قصد الإسلام من ذلك الإرهاب والتخويف، وحسبكم القاعدة المشهورة: ادرءوا الحدود بالشبهات.

وخلاصة القول: إننا لا نريد انقلابًا في قوانيننا الحالية، وإنما نريد التقريب بينها في التشريعات المدنية، وبين نظريات الإسلام الموافقة لروح هذا العصر، ولأصدق النظريات الحقوقية السائدة فيه، فإذا اتفق التشريع الإسلامي مع النظريات الحديثة، فهل تجدون حرجًا في الأخذ به تراثًا قوميًا عربيًا تعتزون به وتفاخرون؟

هذا مع العلم بأن مسألة التشريع غير مسألة دين الدولة، فليس لوضع دين الدولة من غرض إلا صبغ الدولة بصبغة روحية خلقية تجعل النظم والقوانين منفذة من الشعب بوازع نفسي خلقي، ومن أغراض هذه المادة تقوية الصلات بيننا وبين إخواننا العرب، والتعاون بيننا وبين الشرق الإسلامي.

أما الحدود الإسلامية فلا تستلزمها هذه المادة؛ بدليل أن مصر والعراق وضعتا هذه المادة في دستوريهما من ربع قرن ولم تفكرا بإقامة الحدود الإسلامية . . .

هذا ما نصرح به علنًا لا مجاملين ولا موارين.

وبعد، فهذه خلاصة الأدلة التي تحتم علينا وضع هذه المادة في الدستور، وخلاصة الأجوبة على ما يخاف منها، ونحن نرجو أن يبحث هذا الأمر بحثًا واقعيًا بعيدًا عن العصبية الطائفية، والأهواء المستحكمة.

ونعتقد أن الأحبار الأجلاء رؤساء الطوائف المسيحية يشعرون معنا بخطر الإلحاد على الأديان جميعًا، ونحن نعلن أننا نفضل أن يكون دين الدولة المسيحية على دولة علمانية ملحدة، فهل هم يفضلون الإلحاد على الإسلام؟

ونريد أن نذكرهم أن العلمانية لا تضمن حقوق الطوائف، ولا تزيل التعصب الطائفي، وإنما الذي يضمن ذلك الدين الذي جعل من تعاليمه أن يترك الناس وما يعتقدون، وأن الناس جميعًا عباد الله أكرمهم عنده أتقاهم وأنفعهم.

أما إخواننا القوميون، فنحب أن يكونوا قوميين عربًا حين يبحثون هذه الناحية، وألا يفضلوا مراعاة شعور وهمي محصور في ناحية ضيقة على حقيقة ثابتة شائعة في دنيا العرب جميعًا، نحب ألا يكونوا قوميين سوريين، بل قوميين عربًا.

أما العلمانيون، فلسنا نقول لهم بعد أكثر من أن نتوجه إليهم بالرجاء ألا يحولوا بين هذه الأمة ومصادر قوتها...

نحن شعب نريد أن نرجع إلى الله فلا تحولوا بيننا وبينه، ونريد أن نمد أيدينا إلى إخواننا العرب فلا تحولوا بيننا وبينهم، ونريد أن نستند إلى أصدقاء أقوياء فلا تحرمونا منهم، ونريد أن نتعاون مسلمين ومسيحيين مستمعين إلى صوت السماء وتعاليم الإنجيل والقرآن فلا تملئوا عقولنا بالباطل، ولا تصكوا أسماعنا بأغنية الشيطان.

﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[1].

---

(١) الضلال والهوى واضح جدًا في كلام هذا الرجل، فلهذا نحاشيت التطويل بالتعليق عليه.

وقال التلمساني:

«يجب احترام الرأي الحر للآخرين، وليس من الحرية أن أحول بين الناس وبين آرائهم»[١].

وقال حامد أبو النصر:

«لا مانع من وجود حزب علماني أو شيوعي في ظل الحكم الإسلامي»[٢].

قال الغنوشي:

«إنه يجب طرح الإسلام مثل غيره، ويجب احترام إرادة الشعوب ولو طالبت بالإلحاد والشيوعية»[٣].

دعوة الترابي إلى وحدة الأديان:

وقد دعا الدكتور الترابي إلى ضرورة الحفاظ على الديانات، وإذكاء روح الدين في المجتمعات بما يؤدي إلى تحقيق توحد الأديان، موضحًا أن قوة الدين لها أثر فاعل في الحكم.

وطالب الدكتور الترابي بضرورة توفير العدل في الحياة بإزالة الفوارق الطبقية بين الناس.

وعول الدكتور الترابي كثيرًا على علماء الدين المسيحي والإسلامي، ودعاهم إلى دور فاعل ومتعاظم من أجل إنقاذ البشرية وإرساء دعائم السلام وتوفير الطمأنينة، مؤكدًا بأن العالم الحالي يتجه نحو التوحد الديني بمختلف أشكاله، وهي رسالة ينبغي أداؤها على الوجه الأكمل.

وأوضح الدكتور الترابي أن هذا المؤتمر يمكن أن يلعب دورًا فاعلًا ومؤثرًا في توحيد الأفكار، ومن ثَمَّ التوحيد على أساس إنساني بين الديانات كافة من أجل إسعاد البشرية[٤] اهـ

---

(١) «الطريق إلى الجماعة الأم» (ص١٨٣).

(٢) جريدة النور الصادرة في ربيع الأول ١٤٠٧ نقلًا عن الطريق إلى الجماعة الأم (ص١٨٣).

(٣) «الطريق إلى الجماعة الأم» (ص١٨٣).

(٤) انظر صحيفة السودان الحديث، العدد (١٢٠٢) بتاريخ (٢٩/ ٤/ ١٩٩٣م).

فإذا رأيت علاقة طوائف الإخوان المسلمين هنا وهناك بالأحزاب العلمانية ودخولها معها في تحالفات وولاءات.

وإذا رأيت دولة السودان الإخوانية تدعو إلى وحدة الأديان[1]، وإلى قيام الحزب الإبراهيمي المكون من أدعياء الإسلام ومن اليهود والنصارى.

وإذا رأيت تكريم دولة الإخوان في السودان للنصارى وتعيينهم في أعلى المناصب، مع تشييد كنائسهم وفتح الإذاعة لهم يذيعون منها ديانتهم الباطلة.

فلا تستغرب، فإن كل هذا أو ذاك إنما هو تطبيق عملي لهذا المنهج الذي قام عليه تنظيم الإخوان من أول يوم، وأكده سيد قطب في كتاباته، وسار عليه الإخوان في كل مكان، فإذا تحدثوا عن الولاء والبراء فإنما هو من ذر الرماد في العيون، ومن التشبيع بما لم يعطوه كلابس ثوبي زور.

* * *

---

(١) انظر صحيفة السودان الحديث، العدد (١٢٠٢) بتاريخ (٢٩/ ٤/ ١٩٩٣م) (ص٢) وفيها دعوة واضحة إلى وحدة الأديان.

الفصل الثامن: نظرة سيد إلى الجزية وأهلها

ومن بوائق سيد قطب: أنه يخالف ما قرره القرآن والسنة وعلماء الإسلام من أن الجزية صغار ورمز إذلال لأهل الذمة، فأينما يذكرها في أي كتاب بما في ذلك «الظلال» يذكرها في صورة تشي بإكرامهم واحترامهم؛ ففي تفسير قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ لا يذكر هذا الصغار، ولا يفسره كتفسير المسلمين، بل بأسلوب يدغدغ به عواطف المستشرقين واليهود والنصارى وغيرهم من الحاقدين على الإسلام؛ فيقول:

«والإسلام -بوصفه دين الحق الوحيد القائم في الأرض- لابد أن ينطلق لإزالة العوائق المادية من وجهه، ولتحرير الإنسان من الدينونة لغير دين الحق، على أن يدع لكل فرد حرية الاختيار بلا إكراه منه، ولا من تلك العوائق المادية كذلك.

وإذن، فالوسيلة العملية لضمان إزالة العوائق المادية وعدم الإكراه على اعتناق الإسلام، في الوقت نفسه هي كسر شوكة السلطات القائمة على غير دين الحق حتى تستسلم وتعلن استسلامها بقبول إعطاء الجزية فعلًا، وعندئذٍ تتم عملية التحرير فعلًا بضمان الحرية لكل فرد أن يختار دين الحق عن اقتناع، فإن لم يقتنع بقي على عقيدته وأعطى الجزية لتحقق عدة أهداف:

أولها: أن يعلن بإعطائها استسلامه، وعدم مقاومته بالقوة المادية للدعوة إلى دين الله الحق.

ثانيها: أن يساهم في نفقات الدفاع عن نفسه وماله وعرضه وحرماته التي يكفلها الإسلام لأهل الذمة، والذين يؤدون الجزية فيصبحون في ذمة المسلمين وضمانهم، ويدفع عنها من يريد الاعتداء عليها من الداخل أو من الخارج بالمجاهدين من المسلمين.

ثالثها: المساهمة في بيت مال المسلمين الذي يضمن الكفالة والإعاشة لكل عاجز عن العمل، بما في ذلك أهل الذمة بلا تفرقة بينهم وبين المسلمين دافعي الزكاة»[1].

أقول: أين معنى الصغار في هذه الأهداف؟

فالهدف الأول لابد منه حتى من المسلم، فلابد أن يعلن استسلامه لله رب العالمين، وإذا قاوم الدولة المسلمة بالقوة المادية، وجب قتاله وقتله، والهدفان الآخران لصالح أهل الذمة، فهم في كليهما كالمسلمين، بل العبء الأكبر على المسلمين، ولأهل الذمة الغنم والراحة، لقد أضاع سيد قطب الهدف الإسلامي الأساسي من أخذ الجزية من أهل الذمة.

وأضاع أيضًا الهدف الآخر وهو ما قاله عمر ﷺ: «أوصيكم بذمة الله، فإنه ذمة نبيكم ورزق عيالكم».

ثم قال:

«ولا نحب أن نستطرد هنا إلى الخلافات الفقهية حول من تؤخذ منهم الجزية، ومن لا تؤخذ منهم، ولا عن مقادير هذه الجزية، ولا عن طرق ربطها، ومواضع هذا الربط (...) ذلك أن هذه القضية برمتها ليست معروضة علينا اليوم كما كانت معروضة على عهود الفقهاء الذين أفتوا فيها واجتهدوا رأيهم في وقتها.

إنها قضية تعتبر اليوم تاريخية وليست واقعية.

إن المسلمين اليوم لا يجاهدون! ذلك أن المسلمين اليوم لا يوجدون! إن قضية وجود الإسلام ووجود المسلمين هي التي تحتاج اليوم إلى علاج!

والمنهج الإسلامي -كما قلنا من قبل مرارًا- منهج واقعي جاد، يأبى أن يناقش القضايا المعلقة في الفضاء، ويرفض أن يتحول إلى مباحث فقهية لا تطبق في عالم الواقع -لأن الواقع لا يضم مجتمعًا مسلمًا تحكمه شريعة الله، ويصرف

---

(١) الجزية في القرآن صغار وعقوبة على كفرهم، وفي مقابل الكف عن دمائهم، راجع «أحكام أهل الذمة» (١/ ٢٢ - ٢٣)، وعون المعبود (٨/ ٢٨٨)، وتفسير القرطبي (٨/ ١٣٣).

حياته الفقه الإسلامي- ويحتقر الذين يشغلون أنفسهم ويشغلون الناس بمثل هذه المباحث في أقضية لا وجود لها بالفعل، ويسميهم (الأرائتيين) الذين يقولون (أرأيت) لو أن كذا وقع فما هو الحكم؟.

إن نقطة البدء الآن هي نقطة البدء في أول عهد الناس برسالة الإسلام... أن يوجد في بقعة من الأرض ناس يدينون دين الحق، فيشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.. ومن ثم يدينون لله وحده بالحاكمية والسلطان والتشريع ويطبقون هذا في واقع الحياة... ثم يحاولون أن ينطلقوا في الأرض بهذا الإعلان العام لتحرير الإنسان.

ويومئذٍ -ويومئذ فقط- سيكون هناك مجال لتطبيق النصوص القرآنية والأحكام الإسلامية في مجال العلاقات بين المجتمع المسلم وغيره من المجتمعات، ويومئذٍ -ويومئذٍ فقط- يجوز الدخول في تلك المباحث الفقهية، والاشتغال بصياغة الأحكام والتقنين للحالات الواقعة التي يواجهها الإسلام بالفعل لا في عالم النظريات».

ثم يقول معتذرًا عن تفسيره لهذه الآية على الوجه الذي قرره:

«وإذا كنا قد تعرضنا لتفسير هذه الآية -من ناحية الأصل والمبدأ-، فإنما فعلنا هذا لأنها تتعلق بمسألة اعتقادية، وترتبط بطبيعة المنهج الإسلامي، وعند هذا الحد نقف فلا نتطرق وراءه إلى المباحث الفقهية الفرعية احترامًا لجدية المنهج الإسلامي وواقعيته وترفعه على هذا الهزال»[1].

أقول: نأسف أشد الأسف لهذا التفسير لكتاب الله من وجوه:

أولًا: إغفال معنى الصغار في الجزية الذي فرضه الله في كتابه، وأكده رسول الله ﷺ، والصحابة والخلفاء الراشدون، وأئمة الإسلام، وعلماء الأمة من محدثين وفقهاء.

ثانيًا: تضييع هدف تشريع هذا الصغار، وهو حمل أهل الذمة على الإسلام

---

(١) «في ظلال القرآن» (٣/ ١٦٣٣-١٦٣٤).

الذي فيه عزتهم وشرفهم في الدنيا وسعادتهم ونجاتهم من النار التي أعدت للكافرين. . .

فأهل النخوة والذين ينشدون العزة والحرية منهم لا يستطيعون البقاء على الصغار، بل سيحفزهم ذلك على الخلاص منه، لاسيما وكثير منهم يعرف أن الإسلام هو الحق، وفيه العزة والسعادة في الدنيا والآخرة.

أما هذا الأسلوب وهذا المنهج الذي ينتهجه سيد قطب، فإنه يغريهم بالبقاء على كفرهم الذي فيه شقاؤهم الأبدي وهلاكهم السرمدي، ذلك إن كانوا قد اقتنعوا بما تضمنه هذا الأسلوب.

ثالثًا: ماذا يريد سيد قطب بصياغة الأحكام والتقنين؟

أيريد صياغة أحكام وقوانين في أمور قد قررها اللَّه ورسوله وسار الخلفاء الراشدون وأئمة الإسلام في هدي هذا التقرير بما لا يحتاج إلى صياغة أحكام وقوانين جديدة ينشئها سيد قطب وأمثاله؟!

أو يريد صياغة أحكام وقوانين تميع الإسلام وتخالفه وترضي أعداءه، كما يتحدث سيد عن الجزية في ضوء كلام سيرت، وأرنولد من أن الجزية إنما هي في مقابل الخدمة العسكرية، وأن الجزية ليست صغارًا على أهل الذمة، وأن لهم أن يدفعوا الزكاة بدلًا عن الجزية إذا شاءوا ذلك، وأنه لا مانع أن تضرب الجزية على المسلمين بدلًا من الخدمة العسكرية إذا لم يقوموا بهذه الخدمة؟!

ويمثل هذه التشريعات الماسخة للتشريع الإسلامي يرفع سيد قطب وأمثاله عقيرتهم أن عملهم هذا من صميم حاكمية اللَّه والذي يخالفهم يكون كافرًا؛ لأنه حكم بغير ما أنزل.

رابعًا: في أسلوب سيد في هذا الموضع وفي عشرات المواضع من كتبه قسوة وعنف على المسلمين بتكفيرهم والاستخفاف بهم.

خامسًا: استخفافه بالعلم والعلماء، والفقه والفقهاء.

انظر إلى قوله: «والمنهج الإسلامي -كما قلنا من قبل مرارًا- منهج واقعي جاد يأبى أن يناقش القضايا المعلقة في الفضاء. . . ويحتقر الذين يشغلون أنفسهم

ويشغلون الناس بمثل هذه المباحث في أقضية لا وجود لها بالفعل».

وانظر إلى تعاليه في قوله: «وعند هذا الحد نقف؛ فلا نتطرق وراءه إلى المباحث الفقهية الفرعية احترامًا لجدية المنهج الإسلامي وواقعيته وترفعه على هذا الهزال».

أليس في هذا صرف للناس وصد لهم عن العلم؟!

أليس في هذا الإرهاب الفكري ما يسوق الكثير إلى الجهل بشريعة الله الذي تحدث عنه رسول الله ﷺ بقوله: «**إن بين يدي الساعة أيام الهرج يزول فيها العلم ويظهر فيها الجهل**»[1].

هذا الأسلوب هو الذي ملأ أدمغة الكثير ممن يقدسون سيد قطب، ودفعهم إلى احتقار العلم والعلماء، وإلى تسميتهم بعلماء الورقة لا علماء الحركة، وإلى وصفهم بأنهم علماء الحيض والنفاس، وبأنهم لا يفقهون الواقع، وبأنهم جواسيس وعملاء إلى آخر الطعون والتهم التي يوجهونها إلى أهل العلم وطلابه.

سادسًا: كان في وقته دولة مسلمة في الجزيرة العربية قائمة على العقيدة الصحيحة والمنهج الإسلامي الصحيح المنبثقين من كتاب الله ومن سنة رسوله ﷺ، وعلى رأسها أمراء وعلماء مسلمون يطبقون شريعة الله، ويقيمون دين الله الحق، فلماذا يتجاهلهم سيد ولا يعترف بهم؟

فهل يحتقرهم هم أيضًا لأنهم يشغلون أنفسهم ويشغلون الناس بمثل هذه المباحث... إلخ؟

ليتك عشت حتى ترى تلاميذك اليوم كيف يطبقون الإسلام بعد أن قامت لهم دول هنا وهناك، فيصدق عليهم المثل: (إنك لا تجني من الشوك العنب)، ويصدق عليهم: (فاقد الشيء لا يعطيه).

والباقون في انتظار هذا المصير الذي لا محيد لهم منه ولا محيص، سنة الله

(١) صحيح البخاري (كتاب الفتن، باب ظهور الفتن، حديث ٦٦٥٦)، تحقيق البغا، ومسلم في (أشراط الساعة، حديث ٢٩٤٩).

في المناهج الفاسدة ولن تجد لسنة الله تبديلًا.

فأفيقوا يا معشر العقلاء من المسلمين!

سابعًا: إذا تحدث سيد قطب عن الجهاد فلا يجوز عنده البحث في الغنائم[١] إلى أن تقوم دولته[٢]؛ لأن الحديث سيجره إلى حرمان أهل الذمة من المشاركة في الغنائم، وسيجره إلى الحديث عن الاسترقاق والتسري بنساء المغلوبين من المشركين، وذلك أمر كريه ينافي كرامة الإنسان في نظره؛ لأنه من دعاة الحرية والمساواة والعدالة[٣].

وإذا تحدث عن الجزية، رأيت منه ما سبق، ولا يدخل في التفاصيل، بل يجب تعليقها ويجب الهجوم على الفقهاء الذين يبحثون في هذه الأمور التي تتحدث عن إذلال أهل الذمة وهو يريد إكرامهم وتدليلهم لا تذليلهم.

* * *

(١) انظر كتاب ظلال القرآن (٢/ ١٥١٨-١٥١٩).

(٢) هذا يشبه مذهب الإمامية في تعطيل الأحكام كالجهاد، والجمعة، والجماعة، حتى يخرج المهدي المنتظر.

(٣) انظر (ص١٢٢) من كتابه «معركة الإسلام والرأسمالية» حيث دعا إلى هذه الشعارات الماسونية

الفصل التاسع:
مساواة سيد بين أهل الزكاة وأهل الجزية

ويقول سيد قطب مؤكدًا هذا المنهج الذي لا يحيد عنه:

«فإذا استسلم من يطلب السلام، فهؤلاء هم (الذميون)، أي: الذين أعطاهم الإسلام ذمته وعهده لحمايتهم ورعايتهم، وهؤلاء لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين بنص الإسلام الصريح، فأما ما يؤخذ منهم من الجزية، فهو مقابل ما يؤديه المسلمون من الزكاة، مساهمة في نفقات الدولة التي تحميهم كما تحمي رعاياها المسلمين سواء، والتي توفر لهم العدل المطلق بلا تفرقة ولا تمييز، وتحقق لهم ضماناتهم وتأميناتهم في حالة المرض والعجز والشيخوخة.

ولم يشأ الإسلام أن يجبرهم على أداء الزكاة؛ لأن الزكاة عبادة إسلامية خاصة، وحرية الاعتقاد التي يكلفها[1] الإسلام للأفراد تمنعه أن يكره الذميين على أداء عبادة إسلامية.

ولم يشأ كذلك أن يجبرهم على الجندية في الصف المسلم؛ لأن المسلم إنما يجاهد في سبيل الله عبادة لله، لهذا يأخذ منهم الضريبة تحت عنوان الجزية لا تحت عنوان الزكاة، مراعاة لهذا المبدأ العام (لا إكراه في الدين)، فإذا شاءوا برضاهم واختيارهم أن يؤدوا ضريبة الزكاة كالمسلمين بدل الجزية كان لهم ذلك عن رضاء واختيار، وقد اختارت قبيلة بني تغلب على عهد عمر أن تؤدي الزكاة لا الجزية، فأدتها على هذا الأساس».

أقول:

أولًا: ليست الغاية من إعطائهم العهد هو رعايتهم وحمايتهم؛ إنما الحماية من توابع العهد الذي يعقد بينهم وبين المسلمين، والفرق بين الأمرين واضح جدًا.

---

(١) كذا في الأصل، والظاهر: «يكفلها»، «السلام العالمي» (ص١٧٥-١٧٦).

وقوله: «لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين بنص الإسلام الصريح». تقول على الإسلام صريح، وراجع ما سبق من الأدلة والشروط العمرية.

ثانيًا: قوله: «فأما ما يؤخذ من الجزية، فهو مقابل ما يؤدي المسلمون من الزكاة». فمغالطة مكشوفة يبرأ منها الإسلام؛ فإن الزكاة تزكي أهلها المسلمين وتطهرهم، وهي من أركان دينهم، والجزية شعار الذل والصغار، فكيف تقابل هذا الركن العظيم والشعار الرفيع (الزكاة)؟!

ولا أريد الاستطراد في مناقشة النص المليء بالباطل، فقد مضى له نظائر قد ناقشتها.

والغريب هنا قوله بتخييرهم بين الجزية والزكاة استنادًا إلى قضية بني تغلب التي اعتمد فيها على النصراني سيرت وأرنولد، وسيظهر لك زيف كلامه.

روى أبو عبيد بإسناده إلى زرعة بن النعمان أو النعمان بن زرعة، أنه سأل عمر بن الخطاب وكلمه في نصارى بني تغلب، قال: وكان عمر قد هَمَّ أن يأخذ منهم الجزية، فتفرقوا في البلاد، فقال النعمان بن زرعة لعمر: يا أمير المؤمنين، إن بني تغلب قوم عرب يأنفون من الجزية، وليست لهم أموال، إنما هم أصحاب حروث ومواش، ولهم نكاية في العدو، فلا تعن عدوك عليك بهم، قال: فصالحهم عمر على أن أضعف عليهم الصدقة، واشترط ألا ينصروا أولادهم...

قال: حدثنا عبد الله بن صالح، عن الليث، عن يونس، عن ابن شهاب، قال: لا نعلم في مواشي أهل الكتاب صدقة إلا الجزية التي تؤخذ منهم، غير أن نصارى بني تغلب الذين جل أموالهم المواشي يؤخذ من أموالهم الخراج، فيضعف عليهم حتى تكون مثلي الصدقة أو أكثر[1].

قال أبو عبيد: فكذا ما يؤخذ من بني تغلب، وهو الضعف على صدقة المسلمين، ثم وجه فعل عمر ﷺ... وساق آثارًا في سداد رأيه وتوفيق الله له...

---

(١) «الأموال» لأبي عبيد (ص٧٢١ - ٧٢٢)، وانظر «الأموال» أيضًا (ص٣٩-٤٢).

ثم قال: وإنما استجازها فيما نرى وترك الجزية مما رأى من نفارهم وأنفهم منها، فلم يأمن شقاقهم واللحاق بالروم، فيكونوا ظهيرًا لهم على أهل الإسلام، وعلم أن لا ضرر على المسلمين من إسقاط ذلك الاسم عنهم مع استبقاء ما يجب عليهم من الجزية، فأسقطها عنهم واستوفاها منهم باسم الصدقة حين ضاعفها عليهم، فكان في ذلك رتق ما خاف من فتقهم مع الاستبقاء لحقوق المسلمين في رقابهم، وكان مسددًا[1].

ثم قال: فالذي يؤخذ من بني تغلب، وإن كان يسمى صدقة، فليس بصدقة لما أعلمتك، ولا يوضع في الأصناف الثمانية التي في سورة براءة، إنما موضعها موضع الجزية[2].

فيؤخذ من هذا:

١- أن الجزية صغار نفر منه عرب بني تغلب وأنفوا منه.

٢- أن عمر إنما أسقط عنهم لفظ الجزية، ولسداده وبعد نظره أخذها منهم جزية مضاعفة، وإن أسقط عنهم لفظها.

٣- أن عمر لم يفعل ذلك من منطلق أن لأهل الذمة الخيار بين أن يؤدوا الجزية أو الزكاة، وإنما فعل ذلك خشية من شقاق بني تغلب واللحاق بالروم، فيكونون ظهيرًا لهم على المسلمين، فدرأ هذا الضرر بإسقاط لفظ الجزية عنهم وإطلاق لفظ الصدقة على الجزية المضاعفة.

٤- ما أخذه عمر منهم هو في حقيقته خراج كما قال الزهري، وجزية كما قال أبو عبيد، والدليل على ذلك أنها لا تصرف في مصارف الزكاة الثمانية المنصوص عليها في سورة براءة.

والآن قارن بين ما يقوله سيد قطب وبين ما حوت قصة بني تغلب من فقه، لترى بطلان ما يقوله هذا الرجل، وأن تعلقه بقصة بني تغلب تعلق باطل، وأن أهل الذمة

---

(١) «الأموال» (ص٧٢٢- ٧٢٣)

(٢) «الأموال» (ص٧٢٣).

ليسوا مخيرين بين الجزية والزكاة ولا كرامة لهم.

ويعجب المسلم كيف يسهل تحريف الإسلام على بعض الناس، وبمثل هذه الأفاعيل حرفت الكتب السماوية ووجد للمحرفين أتباع يعبدونهم ويقدسونهم ويقتلون من أجلهم الأنبياء والذين يأمرون الناس بالقسط والثبات على دين الله المنزل، فاللهم رحماك.

فرح سيد قطب بما تلقاه عن سيرت وأرنولد النصراني من أن الجزية إنما فرضت في مقابل الخدمة العسكرية؛ فقال نقلًا عنه:

«ومن الواضح أن أية جماعة مسيحية كانت تعفى من أداء هذه الضريبة إذا ما دخلت في خدمة الجيش الإسلامي، وكان الحال على هذا النحو مع قبيلة الجراجمة، وهي قبيلة مسيحية كانت تقيم بجوار أنطاكية، سالمت المسلمين وتعهدت أن تكون عونًا لهم، وأن تقاتل معهم في مغازيهم على شريطة ألا تؤخذ بالجزية، وأن تعطى نصيبها من الغنائم، ولما اندفعت الفتوح الإسلامية إلى شمال فارس في سنة ٢٢ هـ، أبرم مثل هذا الحلف مع إحدى القبائل التي تقيم على حدود هذه البلاد، وأعفيت من أداء الجزية في مقابل الخدمة العسكرية».

ومضى ينقل عن هذا الرجل النصراني ضرب الأمثلة من هذا النوع في العصور المتأخرة، إلى أن قال (ص٥٩): «ومن جهة أخرى، أعفي الفلاحون المصريون من الخدمة العسكرية، على الرغم من أنهم كانوا على الإسلام، وفرضت عليهم الجزية في نظير ذلك، كما فرضت على المسيحيين».

ثم قال سيد معلقًا:

«مما يثبت بصفة قاطعة صفة الجزية على النحو الذي قررناه من قبل، ويبطل كافة الترهات الباطلة التي يثيرها المغرضون حول هذه المسألة بصفة خاصة، وحول علاقات الإسلام بمخالفيه في العقيدة ممن يعيشون في كنفه وتظللهم رايته وعدالته»[1].

---

(١) «نحو مجتمع إسلامي» (ص١٢٣ - ١٢٤).

أقول: ليعجب العاقل من موقف سيد من هذا النقل من وجوه:

أولًا: هذا التقبل لهذا النقل من هذا النصراني دون أي دليل ولا تأكد، هل هو ينقل عن ثقات المسلمين، أو عن دجاجلة النصارى لغرض من الأغراض الدينية والسياسية؟

وإذا كان نقله عن مصدر إسلامي، فهل له إسناد صحيح، أو حسن، أو في إسناده ثقة ضابط، أو ضعيف، أو كذاب، أو متهم بالكذب؟

فإن كان فيه ضعيف أو كذاب رفضه، وإن كان ثابتًا نظر من هو قائد المسلمين الذي وافقهم على إسقاط الجزية وإشراكهم مع المسلمين في الغنائم؟

فإن الموضوع حساس ومهم جدًا، ولا يجوز تناوله بهذه السهولة؛ ذلك لأنه يخالف الكتاب والسنة، ويخالف الشروط العمرية التي اتفق على قبولها والأخذ بها الخلفاء والعلماء والفقهاء من هذه الأمة المسلمة.

فإن كان الذي فعل ذلك مجتهدًا، حوكم عمله هذا واجتهاده برده إلى الله والرسول كما قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾[1].

فإن كان موافقًا لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ قُبِل، وإن كان مخالفًا رُدّ.

وإن كان غير مجتهد ومتبعًا لهواه؛ رد تصرفه ولا كرامة.

وغالبًا أن مثل هذا التصرف لا يحصل إلا من الجهل والهوى، فمن يفهم كتاب الله ويعلم معاملة رسول الله للمشركين وأهل الكتب، فسيجد أن هذا المجتهد قد أخطأ دون شك؛ لأن الله لم يفرض على أهل الكتاب إلا الجزية لإذلالهم وإصغارهم، لأنهم أعداؤه، وقد رفضوا دينه الحق.

وسيجد أن رسول الله ﷺ لم يأخذ منهم إلا الجزية، ولم يخيرهم بينها وبين الخدمة العسكرية، عملًا بمقتضى الآية، وهو المبين لمراد الله -تبارك وتعالى-،

(١) النساء، ٥٩.

والصحابة والخلفاء وأئمة الإسلام لم يذكروا إلا الجزية، وهي واحد من شروط كثيرة لإنزال أهل الذمة ووضعهم حيث وضعهم الله.

وكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأقوال علماء الإسلام لم يرد فيها جميعًا أن الجزية فرضت على أهل الكتاب في مقابل الخدمة العسكرية، فهذا لا يعرفه الإسلام ولا شرعه، وإنما تشرعه الأنظمة العلمانية انطلاقًا من قواعدها الديمقراطية والوطنية.

ثانيًا: بعد أن آمن سيد بأن الجزية إنما فرضت على القادرين من الذكور من أهل الذمة مقابل الخدمة العسكرية، آمن بجواز ضرب الجزية على المسلمين كما فرضت على المسيحيين، وفرح بذلك وساقه مساق الإقرار به والتقرير له.

ثالثًا: من أعجب تفاعلاته مع كلام هذا النصراني قوله: «مما يثبت بصفة قاطعة صفة الجزية على النحو الذي قررناه»، أي: من أنها في مقابل الخدمة العسكرية، وأنه يستوي فيها أهل الذمة والمسلمون!!

وقد علم من منهجه أنه لا يسلم بقطعية كثير من النصوص القرآنية، ولا يقبل أخبار الآحاد الصحيحة ولو تلقتها الأمة بالقبول ودانت بها وبنت عليها عقائدها، بل هو لا يبني عقائده على الأحاديث المتواترة.

وليس هذا بجديد من سيد ولا غريب؛ فهو ينظر في كثير من المناسبات إلى مقررات وكلام الفلاسفة الغربيين بهذا المنظار ويتقبلها بثقة عمياء!!

واقرأ له في «الظلال» ما يتعلق بالعلوم الكونية تجد صدق ما أقول.

سيد يرى أن الإسلام يدلل الأقليات غير الإسلامية:

يقول: «إنني أحسب مجرد التخوف من حكم الإسلام على الأقليات القومية في بلاده نوعًا من التجني الذي لا يليق، فما من دين في العالم وما من حكم في الدنيا ضمن لهذه الأقليات حرياتها وكراماتها وحقوقها القومية كما صنع الإسلام في تاريخه الطويل.

بل ما من حكم دلل الأقليات فيه كما دلل الإسلام من تقلهم أرضه من أقليات، لا الأقليات القومية التي تشارك شعوبه في الجنس واللغة والوطن، بل الأقليات

الأجنبية عنه وعن قومه»(١).

نسي سيد قطب أن عداء اليهود والنصارى وسائر أصناف المشركين للإسلام عداء أصيل، من أجل أنه الإسلام المتضمن للتوحيد والحق والهدى والنور، كسائر العداوات التي واجهت رسالات التوحيد من عهد نوح إلى خاتم الرسالات.

ولقد حاربوا محمدًا ﷺ منذ صدع بكلمة لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه. قبل قيام دولة الإسلام، وقبل إعلان الجهاد، وقبل أن ينتصر عليهم الإسلام ويفرض عليهم الجزية.

ولقد نزل قول اللّه تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ﴾ قبل أن تفرض عليهم الجزية، وقبل أن يصطدم بالنصارى في المعارك.

نعم قد يرضون عمن يميع لهم الإسلام ويمدح لهم دياناتهم ويسميها بالرسالات السماوية رغم أنها قد أصبحت أرضية وثنية ويبادلهم ودًا بود، وحبًا بحب.

* * *

(١) «معركة الإسلام» (ص٨٩).

الفصل العاشر
عالمية الإسلام كيف يقررها سيد قطب

ويقول:

«المجتمع الإسلامي مجتمع عالمي، بمعنى أنه مجتمع غير عنصري ولا قومي ولا قائم على الحدود الجغرافية؛ فهو مجتمع مفتوح لجميع بني الإنسان دون النظر إلى جنس أو لون أو لغة، بل دون نظر إلى دين أو عقيدة. . .

ومن ثم تملك جميع الأجناس البشرية وجميع الألوان وجميع اللغات أن تجتمع في حمى الإسلام وفي ظل نظامه الاجتماعي، وهي تحس آصرة واحدة تربط بينها جميعًا آصرة الإنسانية التي لا تفرق بين أسود وأبيض، ولا بين شمالي وجنوبي، ولا بين شرقي وغربي؛ لأنهم جميعًا يلتقون عند الرابطة الإنسانية الكبرى»[1].

أقول:

أولًا: إن هذه هي الدعوة الماسونية العالمية، الدعوة في الظاهر إلى الإنسانية العالمية، وفي الباطن لتحقيق غايات صهيونية.

ثانيًا: يحتج سيد لهذه الدعوة التي تقضي على مبدأ الولاء والبراء والبغض في الله والحب فيه الذي وردت فيه نصوص قرآنية ونبوية كثيرة، ويغرس في نفوس المسلمين الميوعة والسماجة السياسية المنافقة، فيصبح لا فرق عند المسلم الضائع بين اليهودي والنصراني والمجوسي، وبين المسلم الموحد، يجمع الجميع آصرة الإنسانية، وتربط الجميع الرابطة الإنسانية الكبرى.

وينسى سيد قطب قول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ وما جرى مجراها

(١) «نحو مجتمع إسلامي» (ص٩٢ - ٩٣).

وما أدري هل يعرف قول النبي ﷺ: «**أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين، لا تتراءى ناراهما**»[1].

وقوله ﷺ فيما رواه جرير البجلي: «**أبايعك على أن تعبد الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتناصح المسلمين، وتفارق المشركين**»[2]، وله شاهد من حديث كعب بن عمرو بلفظه.

وقوله ﷺ: «**من جامع المشرك أو سكن معه فهو مثله**»[3].

إن كثيرًا من قيادات الحركات القطبية والإخوانية لا يهنئون بالعيش إلا في ظل الدول النصرانية وفي عواصم أوربا، زعمًا منهم أنهم يخدمون الإسلام مع الأسف، وهم في حقيقة الأمر لا ترى آثارهم إلا في تمزيق صفوف السلفيين وبعثرتها وزحزحة الشباب السلفي عن العقيدة السلفية وعن منهج السلف، وتشكيكهم في صلاحيتهما.

وكل هذا لا يخدم إلا أعداء الإسلام، لاسيما الأوربيين والأمريكان، الذين يتظاهرون بالحماس ضدهم، وفي الحقيقة أنهم لا يعملون إلا لتحقيق غاياتهم ومصالحهم.

لأن الأوربيين لا يخافون إلا من الإسلام الخالص الذي لا يمثله إلا المنهج السلفي، وتعرف ذلك جيدًا بريطانيا التي حاربها أهل المنهج السلفي في الهند أكثر من مائة سنة، ولذلك كانت أيام الجهاد الأفغاني لا تحذر الخرافيين من الأفغان إلا من الوهابيين على حد قولها؛ هذه حقائق يجب أن يتنبه لها المخدوعون ويستيقظ لها النائمون.

ويؤكد سيد قطب أقواله ودعوته إلى ما سبق فيقول:

«والإسلام لا يريد حرية العبادة لأتباعه وحدهم؛ إنما يقرر هذا الحق

---

(١) أبو داود في (الجهاد، حديث ٢٦٤٥)، والترمذي في (السير، حديث ١٦٠٤) وصححه الألباني في «الإرواء» (٥/ ٣٠ - ٣٢)، وساق له شواهد.

(٢) أحمد (٤/ ٣٦٥)، والنسائي (٧/ ١٤٧) (البيعة، حديث ٤١٧٧)، والبيهقي (٩/ ١٣).

(٣) أبو داود في (الجهاد ٢٧٨٧)، وانظر صحيح سنن أبي داود (٢/ ٥٣٦، حديث ٢٤٢٠).

لأصحاب الديانات المخالفة، ويكلف المسلمين أن يدافعوا عن هذا الحق للجميع، ويأذن لهم في القتال تحت هذه الراية، راية ضمان الحرية لجميع المتدينين... وبذلك يحقق أنه نظام عالمي حر، يستطيع الجميع أن يعيشوا في ظله آمنين متمتعين بحرياتهم الدينية على قدم المساواة مع المسلمين وبحماية المسلمين»[1].

أقول:

أولًا: إن الإسلام لا يكتفي بحرية العبادة للمسلمين، فقد كان المسلمون في المجتمع المدني يعبدون الله في حرية ولهم قوة وشوكة، ومع ذلك كان رسول الله ﷺ يكتب إلى ملوك الدنيا يطلب منهم الدخول في الإسلام فقط كما في كتابه لقيصر ملك الروم: «أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن أبيت، فإنما عليك إثم الأريسيين، ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله».

وما كان يطالب هؤلاء الملوك بمنح الأقليات حرية التدين، وقد كان النصارى من العرب والروم واليونان يمارسون عبادتهم بحرية، ويلقى أكثرهم تشجيعًا من الدولة، فما كان الإسلام مستريحًا لهذه الحرية، وقد كانت بعض الكنائس تلقى اضطهادًا، وكذلك اليهود، فلم يطالب لهم رسول الله بحرية العبادة.

وقل مثل ذلك في سائر الممالك التي كاتبها رسول الله ﷺ؛ فإنه لم يطلب منهم إلا الدخول في الإسلام.

وقد قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾[2].

وقال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة؛ فإذا فعلوا ذلك، فقد

---

(١) «نحو مجتمع إسلامي» (ص١٠٦).

(٢) البقرة: ١٩٣.

عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله تعالى»[١].

فتلك هي غاية الإسلام فقط: أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمته هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.

أما الجزية، فمع أن فيها صغارًا وإذلالًا لأعداء الله، فإنها حالة استثنائية لا غاية.

ثالثًا: من التقول على الله وعلى الإسلام: أن الإسلام يكلف المسلمين بالقتال من أجل حرية الأديان الباطلة، ويأذن لهم في القتال تحت هذه الراية.

إن هذا القول قد بلغ الغاية في السوء والإساءة إلى الإسلام الذي شرع لأهله قتال أهل الأديان حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، وحتى لا تكون في الأرض فتنة، كما نص على ذلك كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ولم يشرع شيئًا -والعياذ بالله- مما يدعيه سيد قطب.

رابعًا: إن مقتضى قول سيد: «فالإسلام لا يريد حرية العبادة لأتباعه وحدهم، إنما يقرر هذا الحق لأصحاب الديانات المخالفة، ويكلف المسلمين أن يدافعوا عن هذا الحق للجميع».

أنه إذا كان هناك دولة ديمقراطية تبث دعوة الماسونية في المساواة الإنسانية، وفي حرية العبادة للجميع، وطبقت هذا الأسلوب الماسوني فأعطت الحريات لجميع الديانات التي تعيش في ظلها، مقتضى ما يقوله سيد أنا لا ندعوها للإسلام؛ فإنها قد حققت الغاية التي يريدها الإسلام، وأن المسلمين لا يحق لهم إعلان الجهاد على مثل هذه الدولة، بل عليهم أن يتعايشوا معها في ظلال الأخوة الإنسانية الكبرى.

وأن المسلمين إذا غزوا مثل هذه الدولة لإعلاء كلمة الله يكونون ظالمين وأهل عدوان واحتلال، فإذا قهروهم ونفذوا فيهم الشروط العمرية يكونون ظالمين مستعبدين؛ لأن المغلوبين لم يتمتعوا بحرياتهم ولم يقفوا مع المسلمين على قدم

---

(١) البخاري (الإيمان، حديث ٢٤)، ومسلم (الإيمان ٢٢).

المساواة في ظل هذه الشروط، ألا ما أضر أهل الأهواء -ولا سيما الأهواء السياسية- على الإسلام، وما أخطرهم على دين المسلمين وعقائدهم.

خامسًا: على قول سيد قطب في وصف هذا المجتمع الذي اخترعه: «ولا قائم على الحدود الجغرافية فهو مفتوح لجميع الناس...» إلخ.

لا يكون هناك دار إسلام ولا دار حرب، ولا هناك ثغور يرابط فيها جند الله لحماية المسلمين ودارهم من مكائد الأعداء وغاراتهم، بل لا يكون هناك جهاد على ما يقول سيد قطب.

يؤكد هذا قوله:

«نحن ندعو إلى نظام إنساني يقيم علاقاته الدولية على أساس المسالمة والمودة بينه وبين كل من لا يحاربونه ولا يحادونه، ولا يؤذون معتنقيه، ولا يفسدون في الأرض ولا يظلمون الناس؛ فهو لا يحارب إلا المعتدين المفسدين الظالمين، نحن ندعو إلى هذا النظام، فما الذي يخيف فردًا أو طائفة أو دولة من أن يقوم مثل هذا النظام في أي بقعة من بقاع الأرض؟»[1].

أقول: وهل هناك فساد أكبر من الشرك بالله والكفر به وتكذيب رسول الله ﷺ وبغض دينه والطعن فيه وعداوة أهله؟!

وهل تجوز موادة من حاد الله ورسوله؟!

وهل كلامك هذا لا يعني إلغاء الجهاد، وقتل مبدأ الولاء والبراء، ومبدأ الحب في الله والبغض فيه، وتمييع النفوس والعقول التي تقبل هذا الباطل؟!

إن هذا النظام الإنساني الذي تدعو إليه ليس هو الإسلام؛ وإنما هو نظام المؤسسات الماسونية التي لعبت بعقول كثير من المنتسبين إلى الإسلام، فأفسدت عقولهم، ودفعتهم إلى تمييع الإسلام.

سادسًا: من هوس سيد وطمعه ظنه أنه بهذا الأسلوب المميع للإسلام ولعقول أتباعه أن الدول والشعوب والطوائف الكافرة التي تعيش في بلاد الإسلام سوف

---

(١) «دراسات إسلامية» (ص٨٢).

يتجاوبون معه، ويفتحون له الطرق والأبواب لإقامة الدولة التي يتصورها ويصورها على هذه الشاكلة، ولن يكون ذلك، بل الذي حصل ويحصل إنما هو تمييع الإسلام وتشويهه وفتنة من لا يفهم الإسلام ولا يعقل بهذا التمييع والتشويه.

وقد وجدنا كثيرًا من الناس في غير هذا البلد لا يفرق بين المسلمين واليهود والنصارى، ويعتقد أن الجنة ليست حكرًا على المسلمين! ومن هذا الصنف من يدرس في الجامعات مع شديد الأسف.

فيا لله ويا للإسلام!

الجزية عند سيد قطب فرضت على أهل الذمة في مقابل الخدمة العسكرية تقليدًا لسيرت، وليست عنده للصغار كما يقول القرآن والمسلمون:

ينقل سيد قطب عن النصراني سيرت وأرنولد قوله: «وقد فرضت الجزية كما ذكرنا على القادرين من الذكور في مقابل الخدمة العسكرية التي كانوا يطالبون بأدائها لو كانوا مسلمين»[1].

ويفرح بهذا القول الضال، وفي الوقت نفسه لا يأنف من ضرب الجزية على المسلمين ولا يستنكره ولا يرى في ذلك إهانة للمسلمين، ولا ينكر ذلك على من يفعله من الحكام الجائرين.

ينقل هذه المهزلة التشريعية عن نصراني أفاك، ويطير بها فرحًا، ليرد بها على المغرضين كما يدعي.

قال فيما نقله عن كتاب «الدعوة إلى الإسلام» تأليف سيرت وأرنولد:

«ومن جهة أخرى أعفي الفلاحون المصريون من الخدمة العسكرية على الرغم أنهم كانوا على الإسلام، وفرضت عليهم الجزية في نظير ذلك كما فرضت على المسيحيين»[2].

فطار سيد قطب فرحًا بهذا الإفك والتحريف المتعمد من هذا النصراني،

---

(١) «نحو مجتمع إسلامي» (ص١٢٣).

(٢) «نحو مجتمع إسلامي» (ص١٢٣).

واتخذ منه برهانًا قاطعًا على أن صفة الجزية على النحو الذي يقرره.

وقال عقب الكلام السابق الذي نقله عن سيرت:

«مما يثبت بصفة قاطعة صفة الجزية على النحو الذي قررناه من قبل، ويبطل كافة الترهات الباطلة التي يثيرها المغرضون حول هذه المسألة، وحول علاقات الإسلام بمخالفيه في العقيدة ممن يعيشون في كنفه وتظللهم رايته».

والذي قرره سيد في هذا الكتاب وغيره أن الجزية لا تعني الصغار والذلة على قوم رفضوا الإسلام، بل سياقاته تفيد أنها تدليل لهم.

قال:

«إنني أحسب مجرد التخوف من حكم الإسلام على الأقليات القومية في بلاده نوعا من التجني الذي لا يليق، فما من دين في العالم، وما من حكم في الدنيا، ضمن لهذه الأقليات حرياتها وكراماتها وحقوقها كما صنع الإسلام في تأريخه الطويل، بل ما من حكم دلل الأقليات فيه كما دلل الإسلام من تقلهم أرضه من أقليات، لا الأقليات القومية التي تشارك شعوبه في الجنس واللغة والوطن، بل الأقليات الأجنبية عنه، وعن قومه»[1].

بل إن الإسلام -في زعمه- بلغ من تدليله لهم أنه يحرم على المسلمين أشياء قد أباحها لأهل ذمته كالخنزير والخمر، ويوجب على المسلمين تكاليف يعفى أهل الذمة منها كالجهاد والزكاة[2].

وما يدري أن الإسلام يرى في هذا أو ذاك إكرامًا للمسلمين، ورفعًا لدرجاتهم بالواجبات، وتنزيهًا عن المحرمات والقاذورات، وأن أهل الذمة الكفار أقل وأحقر من أن يكلفوا بتلك الواجبات العظيمة الكريمة[3]، وأقل وأحقر من أن يتزهوا عن تلك القاذورات التي تزه عنها المسلمون.

* * *

---

(١) «معركة الإسلام والرأسمالية» (ص٨٩).

(٢) «نحو مجتمع إسلامي» (١١٩).

(٣) وإن كانوا يعاقبون عليها في الآخرة.

الباب الثاني:
طعون سيد قطب في العلماء

الفصل الأول:
تمهيد هو منطلق الدفاع عن العلماء

لسيد قطب طعون كثيرة شديدة في العلماء، وسخرية بهم وبفتاواهم وعلمهم وكتبهم، وذلك مما غرس كل احتقار وازدراء في نفوس من يسمى بشباب الصحوة لعلماء السنة، وجرأهم على رميهم بأسوأ التهم.

حينما ألف سيد قطب كتابه هذا المتضمن لهذه الطعون[1] كانت السلفية في العالم الإسلامي في أوج قوتها وانتشارها؛ ففي الجزيرة العربية لها دولة قائمة على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ تطبق الشريعة الإسلامية تطبيقًا كاملًا، وراية التوحيد والسنة مرفوعة، ومظاهر الشرك والبدع قد اختفت بل مُحيت، يعلم ذلك الصديق والعدو حتى عوام المسلمين والمشركين، فكيف يتجاهل ذلك سيد قطب؟!

لو كان انتقاد سيد قطب لمن يسميهم (رجال الدين)!! منصبًا على أهل البدع وبدعهم من تعطيل صفات الله -تبارك وتعالى- وما عندهم من تصوف وغيره، ومنصبًا على بدع من يسميهم بالدراويش، لتعلقهم بالقبور، وتقديمهم الذبائح والنذور لها، واعتقادهم في أهلها أنهم يعلمون الغيب ويتصرفون في الكون. . .

ولو كان نقده نصحًا لهم وبيانًا لضلالهم بالحجة والبرهان لا تهكمًا وسخرية، لحمده الله وأهل الحق على ذلك.

لكنها السخرية الشاملة لهذا النوع ولغيره من علماء السنة والتوحيد.

ولكنها السخرية التي هب بها على العلماء عامة، حتى حينما يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكرات الشنيعة والتحلل الأخلاقي، والسخرية حينما يستفتون فيفتون.

(١) كتاب «معركة الإسلام والرأسمالية».

ولكنها الشماتة بهم حتى ولو اهتموا بالسنة النبوية والفقه الإسلامي

ولكنها السخرية بهم وإن أقاموا الصلوات في مساجد الله وذكروا الله فيها كثيرًا.

ولو كان للدراويش أذكار بدعية فيجب أن يبين ما فيها من ضلال بالأدلة والبراهين، لا بالسخرية والاستهزاء، كما يجب أن يبين لهم الأدعية الشرعية، وذلك هو طريق الدعاة المصلحين دعاة الحق، ولكن فاقد الشيء لا يعطيه، لاسيما وسيد قطب يشارك المبتدعين في كثير من بدعهم الضالة، وإنكاره عليهم وسخريته بهم إنما هما من منطلق اشتراكي وسياسي يرضي بتلك السخريات من يسميهم بالرفاق والمثقفين العلمانيين.

لو كان سيد قطب مصلحًا حقًّا لوضع يده في أيدي أنصار السنة المحمدية التي كانت في عهده في أوجها من القوة في الدعوة إلى توحيد الله، وإلى هدم الشرك والبدع وتطهير الأرض منها، في الوقت الذي ما كانت دعوتهم تغفل الدعوة إلى تحكيم شريعة الله، والتطبيق الشامل الكامل للإسلام.

وكان على رأس دعاة أنصار السنة أعلام أفذاذ، لهم المؤلفات النافعة، والمقالات القوية، والخطب المجلجلة، والتحقيقات النافعة لكتب السنة والتفسير، وكتب أئمة التوحيد والسنة، إلى جانب مجلتهم (الهدي النبوي) التي نفع الله بها لا في مصر وحدها، بل في سائر أنحاء الدنيا.

ومن هؤلاء الأفذاذ: العلامة محب الدين الخطيب، والعلامة محمد حامد الفقي رئيس أنصار السنة، والشيخ أحمد محمد شاكر، والعلامة مصطفى درويش، والشيخ عبد الرزاق حمزة، والشيخ عبد الرزاق عفيفي، والشيخ أبو السمح إمام الحرم المكي، والشيخ محمد خليل هراس، والشيخ عبد الرحمن الوكيل، وغيرهم في بلد سيد قطب مصر، وما كان أكثر أهل السنة في الهند، وباكستان، والشام، والسودان، وشرق آسيا.

فكيف يتجاهل سيد كل ذلك ويصور لأعداء الإسلام علماء الإسلام في هذه الصور المزرية؟!

فإذا كنا نأخذ على سيد قطب سخريته برجال الدين واستهزاءه بهم، فإنما ننطلق من الدفاع عن هؤلاء، وعن دعوتهم الإسلامية الصحيحة الحقة، ومن منطلق الدفاع عن كتب السنة والفقه الإسلامي والفتاوى الإسلامية التي سخر منها سيد كما سترى نماذج من ذلك فيما سيأتي.

وإذا كان يدخل فيمن يسميهم رجال الدين رجال مبتدعون، فنحن نستنكر اعتراضه على ما يقومون به من عبادات في مساجد الله، وعلى ما يقومون به من جوانب إسلامية من مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن مقاومة الشيوعية والاشتراكية ودعاتهما، ونستنكر سكوته عن بدعهم وضلالهم، بل نرى أن هذا السكوت عن تلك البدع والضلالات إنما كان لأحد أمرين واقعين:

أحدهما: كونه شريكًا قويًا في كثير منها.

وثانيهما: عدم مبالاته بما يفرض أنه لم يقع فيه.

فليعرف هدفنا الإسلامي الأصيل الصادق -إن شاء الله- من هذا الدفاع.

وأخيرًا، فإن سخرية سيد بمن يسميهم رجال الدين ما كانت إلا من منطلق اشتراكي، وانتصارًا للاشتراكيين الذين قاومهم العلماء وقاوموا الاشتراكية والشيوعية، فطعنه فيهم من أجل أنهم قالوا كلمة الحق في المنهج الاشتراكي والشيوعي.

والشيوعيون والاشتراكيون إنما كانوا يهاجمون الإسلام ويهاجمون العلماء، فالسخرية بمن يسميهم (رجال الدين)، ويصفهم بالأوصاف الشنيعة التي لم يصف بها الشيوعيين إنما كانت انتصارًا لهؤلاء الملاحدة شاء أم أبى.

فلابد من محاسبة سيد، ولابد من نقده؛ نصرًا للحق، ونصرًا للمظلومين من أهل السنة ومن شاركهم وأيدهم في الدفاع عن الإسلام.

* * *

الفصل الثاني: حكم المشايخ والدراويش

قال سيد قطب:

«حكم المشايخ والدراويش:

هناك آخرون يتصورون أن حكم الإسلام معناه حكم المشايخ والدراويش!

من أين جاءوا بهذا التصور؟

من الثقافة السطحية الناقصة، ومن ملابسات الواقع في هذا الجيل..

فأما الإسلام الحقيقي الصحيح، فلا يعرف هذا الوضع لا في أصوله النظرية، ولا في واقعه التأريخي حتى تلك الأزياء الخاصة للمشايخ والدراويش.. إنها ليست شيئًا في الدين، فليس هناك زي إسلامي وزي غير إسلامي، والإسلام لم يعين للناس لباسًا، فاللباس مسألة إقليمية ومجرد عادة تأريخية...»[1].

أقول:

أولًا: هذه سخرية متعالية على علماء المسلمين، تغري أذناب الإفرنج باحتقارهم واحتقار الإسلام نفسه.

وقد اعتاد سيد أنه لا يذكر العلماء في كثير من الأحيان في هذا الكتاب إلا ويقرنهم بالدراويش، كما لا يذكر العبادات الإسلامية في هذا الكتاب في عدد من المناسبات إلا ويقرنها بالدروشة والبدع... لماذا؟

ثانيًا: أما قوله: «أما الإسلام الحقيقي الصحيح فلا يعرف هذا الوضع لا في أصوله النظرية ولا في واقعه التأريخي...».

أسأل سيدًا وغيره: هل الإسلام الحقيقي الصحيح يطارد العلماء من تسيير دفة الحكم ويسلمها للجهلة والمتفرنجين؟

---

(١) «معركة الإسلام والرأسمالية» (ص٦٩ - ٧٠).

لقد ولى رسول الله ﷺ عليًا، ومعاذ بن جبل، وأبا موسى الأشعري، وغيره من علماء الصحابة، وكذلك خلفاؤه الراشدون لا يولون إلا الأكفاء.

وأول ميزانهم العلم والوعي.

وواقع الإسلام التأريخي لا يعتمد على الجهلة في تولية مناصب الدولة، وإنما يعتمد على العلماء، وقد يحصل قصور وشذوذ، ولكن هذه هي القاعدة.

ثالثًا: لعل الإسلام الحقيقي الصحيح عند سيد هو ذلك المريج من المسيحية والشيوعية[1].

ولعله لو قامت دولته لاشترك في تسييرها المسيحيون، والشيوعيون، والمتفرنجون من أدعياء الإسلام التقدميين.

ولما أقوله شواهد وأدلة واقعية في السودان وأفغانستان، ومؤشرات في غيرهما، فليفقه أولو العقول والأبصار والأذهان.

رابعًا: إن سيدًا كان يحلق لحيته، ويلبس بدلة إفرنجية وكرفتة، ويعتز بذلك ويتعالى عن التشبه في لباسه بمن يسميهم هو (رجال الدين)؛ فيقول ساخرًا من كل شيء يتصل بهم، من ثقافتهم (أي: علمهم) وصورهم وهيئاتهم ولباسهم:

«وبعض هذه الشبهات ناشئ عن التباس فكرة الدين ذاته بمن يسمون في هذا العصر رجال الدين، وهو التباس مؤذ للإسلام ولصورته في نفوس الناس. فهؤلاء الرجال الدين[2] أبعد خلق الله عن أن يمثلوا فكرته، ويرسموا صورته، لا بثقافتهم، ولا بسلوكهم، ولا حتى بزيهم وهيئتهم.

ولكن الجهل بحقيقة هذا الدين والثقافة المدرسية الباقية من عهد الاحتلال، والتي ما يزال يشرف عليها الرجال الذين صنعهم الاحتلال والأدوات التمهيدية التي صاغها بيده لتسد مسده بعد رحيله، هذا الجهل الناشئ عن تلك الثقافة لا يدع للناس صورة عن الإسلام يرونها إلا في هؤلاء الذين يعرفونهم (رجال الدين)،

---

(١) «معركة الإسلام والرأسمالية» (ص٦١).

(٢) كذا في الأصل.

وهي أسوأ صورة ممكنة للإسلام ولأي دين من الأديان»[1].

فأي تحقير وأي تشذيب للعلماء أشد من هذا التشذيب والتحقير؟!

ومن هنا لا ترى لأتباع سيد أي تقدير وأي احترام للعلماء، وإن بالغوا في التستر فإن هذا هو واقعهم.

خامسًا: الإسلام لم يغفل عن توجيه المسلمين في قضايا الزي واللباس؛ فلقد حبب إليهم النظافة والتجمل والتطيب، ولعن المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال، ونهى الرجال عن لباس الذهب والحرير، ونهى عن إسبال الإزار وجره خيلاء، وتوعد على ذلك وعيدًا شديدًا، ونهى عن حلق اللحى، وعن التشبه بالكفار، وأمر بقص الشوارب.

وقد خصص المؤلفون كتبًا في اللباس في ثنايا مؤلفاتهم، ولم يكل الناس في كثير منه إلى عادتهم، بل تدخل في ذلك لينقلهم إلى الأفضل والأكمل.

* * *

(١) «معركة الإسلام والرأسمالية» (ص٦٣).

الفصل الثالث:
العبادة ليست وظيفة حياة عند سيد قطب

ويقول سيد:

«والإسلام عدو التبطل باسم العبادة والتدين، فالعبادة ليست وظيفة حياة، وليس لها إلا وقتها المعلوم، ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾.

وتمضية الوقت في التراتيل والدعوات بلا عمل منتج ينمي الحياة أمر لا يعرفه الإسلام، ولا يقر عليه الألوف المؤلفة في مصر التي لا عمل لها إلا إقامة الصلوات في المساجد، أو تلاوة الأدعية والأذكار في الموالد»[1].

أقول:

أولاً: العبادة هي وظيفة الحياة.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[4].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا﴾[5].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ

---

(١) «معركة الإسلام والرأسمالية» (ص٥٢).

(٢) الذاريات: ٥٦.

(٣) آل عمران: ١٩١.

(٤) الأحزاب: ٤١-٤٢.

(٥) الفرقان: ٦٤.

﴿لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾[1].

ففي هذه الآيات بيان أن العبادة هي وظيفة الحياة، وثناء عاطر على من يذكرون الله قيامًا وقعودًا وفي جميع أحوالهم، وعلى العباد الذين يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا، ولا يهجعون من الليل إلا قليلًا؛ لتعلق قلوبهم الطاهرة بالله.

فهم عباد أتقياء، وفي الوقت نفسه أغنياء أسخياء يؤدون الحقوق في أموالهم، وسماهم محسنين لا متبطلين، ولم يحرض الدولة على أخذ أموالهم، ولا على سوقهم بالعصي إلى المعامل والعمل المنتج.

والإسلام يحث على الرباط في المساجد، وعلى انتظار الصلاة بعد الصلاة، وسيد يزهد في ذلك، لا سيما في هذا العصر الذي يندر فيه المتعبدون، لا سيما في وقته.

قال رسول الله ﷺ: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط».

قال الإمام مسلم: وليس في حديث شعبة ذكر الرباط، وفي حديث مالك ثنتين: «فذلكم الرباط، فذلكم الرباط»[2].

والآيات والأحاديث في الحث على كثرة الصلاة والذكر كثيرة جدًّا، وهذا يعرفه ويحتني به علماء المسلمين من مفسرين ومحدثين وفقهاء، ويعرفه حتى عوام المسلمين.

وهناك أحاديث صحيحة كثيرة تحث على الصيام، وتبين فضل المتقربين إلى الله بهذه العبادة العظيمة، ومنها: «أفضل الصيام: صيام داود؛ كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، ولا يفر إذا لاقى»[3].

---

(١) الذاريات: ١٥-١٩.

(٢) صحيح مسلم (الطهارة، حديث ٢٥١).

(٣) الترمذي (الصوم، حديث ٧٧٠)، البخاري الصوم حديث (١٩٧٦)، ومسلم (الصيام حديث ١١٥٩)، بلفظ: «صم يومًا وأفطر يومًا، وذلك صيام داود، وهو أفضل الصيام»، وعند مسلم «وهو أعدل الصيام»، وكلهم من حديث عبد الله بن عمرو.

ولم يهمل الرسول ﷺ معالجة من يتشدد في العبادة إلى درجة الإرهاق للنفس ويضيع الحقوق.

ومع ذلك فقد ركز على الترغيب فيها والحث عليها قولًا وعملًا؛ لأن النفس البشرية في الغالب ميالة إلى حب الدنيا والانشغال بها أكثر من إقبالها على العبادة، وميالة إلى الراحة والكسل.

قال تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[1].

ولم يقل مثل هذا فيمن يشغلهم ذكر الله وعبادته عن الدنيا، ولا مجال للإطالة في هذا، وكتب السنة والزهد والفقه مليئة به.

ثانيًا: انظر إلى هذا التخبط والخلط من سيد قطب حيث لا يفرق بين المشروع الذي رغب فيه الإسلام وحث عليه وبين المبتدع الممنوع.

لا يفرق بين إقامة الصلوات في المساجد وعبادة الله وذكره فيها: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۝ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور ٣٦-٣٧]، وبين البدع والموالد حول الأضرحة والمشاهد.

إن تمضية الكثير والكثير من الوقت لذكر الله والصلاة في المساجد أمر مشروع مرغب فيه يعرفه الإسلام ولا ينكره، وصرف لحظة واحدة في البدع من موالد وغيرها سواء كانت في المساجد أو في المشاهد أمر لا يعرفه الإسلام، وينكره ويحاربه حربًا لا هوادة فيها، فكيف يقرن سيد بين المشروع والممنوع؟

ثم إنه لا يحارب الممنوع من الجهة التي حاربه منها الإسلام، وهي كونه ابتداعًا في الدين، وإنما أنكره من الجهة التي ينكره منها الاشتراكيون؛ لأنهم يرون أن على الناس جميعًا إلا حزبهم أن يكونوا عمالًا كادحين، وعبيدًا مسخرين.

(١) المنافقون ٩.

ويقول سيد:

«ولو كان الأمر للإسلام لجند الجميع للعمل؛ فإن لم يجدوا فالدولة حاضرة، وحق العمل كحق الطعام، فالعمل زكاة للأرواح والأجسام وعبادة من عبادات الإسلام»[1].

أقول: إن الإسلام قد حث على العمل، وعلى الكسب الحلال، وترك للناس حرياتهم ولم يجبر الجميع على العمل، ولم يخرجهم من المساجد إلى الحقول والمناجم كرهًا، فهذا إنما هو أسلوب لينين وستالين.

وانظر إلى سيد كيف يرفع من شأن العمل من أنه زكاة للأرواح والأجسام... إلخ، مع أنه لم يقل مثل هذا في الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والذكر التي امتلأ الكتاب والسنة بمدحها ومدح أهلها، وترتيب الجزاء العظيم في الدنيا والآخرة عليها[2].

فإذا كان دافعه إلى ذلك تقصير الناس في العمل الذي يخلو فيه، فلماذا لا يدفعه الفساد العقائدي من تعطيل صفات الله، وعبادة القبور، واعتقاد أن أهلها يعلمون الغيب ويتصرفون في الكون، والفساد العملي بما في ذلك ترك الصلاة، والصيام، وعقوق الوالدين، وقطيعة الأرحام، والاستخفاف بالدين، وغير ذلك من الأمور

---

(١) «معركة الإسلام والرأسمالية» (ص٥٢).

(٢) يقول سيد قطب: «إن الفردوس الأخروي -في التصور الإسلامي- هو الجزاء الإلهي على إصلاح الحياة الأرضية، والإحسان في القيام بالخلافة، وإصلاح الحياة الأرضية يبدأ من إصلاح النفس، وينتهي بإصلاح حال المجتمع كله، وإقامة أمره على منهج الله، وإحسان القيام بالخلافة يبدأ من كشف النواميس والأرزاق، والمدخرات التي أودعها الله هذا الكوكب يوم خلق الأرض وقدر فيها أقواتها، وينتهي إلى تسخير هذا كله في تنمية الحياة وترقيتها وتوزيعه بالعدل الذي قرره الله...

وكذلك يتقرر أن الترقي الوجداني الديني في الإسلام يصبح هو الضمان الأول والحافز العميق للترقي في الحضارة المادية، واستخدام الطاقات، والقوى، والأرزاق، والمدخرات الكونية في نطاق المنهج الرباني للتصور والحركة، وتلتئم غاية الوجود الإنساني -وهي العبادة- مع تنمية الحياة وترقيتها، بل تصبح تنمية الحياة وترقيتها هي العبادة وهي جواز المرور إلى الفردوس الأخروي وإلى رضوان الله» (ص٣٦٣ - ٣٦٤) من المقومات.

المتفشية في عهده، والتي يقع فيها أناس أضعاف المقبلين على العبادة والعقائد الصحيحة، وأضعاف المتعطلين عن العمل المنتج الذي يتحمس له ويرفع من شأنه فوق العبادات التي خلق الله الجن والإنس من أجلها؟!

* * *

الفصل الرابع: سخريته بالعلماء بما في ذلك قراء كتب السنة والفقه تزلفًا للعلمانيين

ويقول:

«والذين يخشون -لو حكم الإسلام- أن يبصروا فيروا على رأس الجيش مثلًا في المعركة، أو في مصلحة الكيمياء، أو الطب الشرعي، أو في وزارة الأشغال أو المالية شيخًا مطمطمًا، أو درويشًا معممًا لمجرد أنه قرأ كتب الفقه أو السنة، أو حفظ المتون، أو الحواشي والشروح، أو التراتيل الدينية ودلائل الخيرات، أولئك فليطمئنوا فواقع الإسلام التأريخي كأصوله النظرية لا يعترف إلا بالكفاية الخاصة في العمل الخاص، ولكل وجهة هو موليها»[1].

أقول: إذا كان واقع الإسلام التأريخي كأصوله النظرية لا يعترف إلا بالكفاية الخاصة في العمل الخاص، فما الداعي للسخرية بمن يقرأ كتب الفقه أو السنة، أو حفظ المتون والحواشي إن كان هذا مبتدعًا ضالًا فيناقش في بدعته ويدعى إلى السنة والحق، وإن كان من أهل السنة والحق فلماذا تجعله سخرية أمام الملاحدة والزنادقة؟

ويقال للملاحدة والعلمانيين ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[2] ولا يشاركون في الاستهزاء بعلماء المسلمين لاسيما حملة السنة ودعاتها.

والإسلام يحترم الكفاءات حقًّا، وقد نفذ ذلك رسول الله ﷺ وخلفاؤه الراشدون ومن بعدهم.

وقد قال رسول الله ﷺ حينما سئل عن أشراط الساعة، قال: «إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة». قال: كيف إضاعتها؟ قال: «إذا وسد الأمر إلى غير أهله

---

(١) «معركة الإسلام والرأسمالية» (ص٧١ - ٧٢).

(٢) غافر: ٨٣.

فانتظر الساعة»[1].

وإن العلماء بالكتاب والسنة لهم الأكفاء في الإمرة، والقضاء، والإفتاء، والرئاسات العلمية، وهم مع الأمراء ولاة الأمر وأهل الحل والعقد، وأنت تريد أن يكونوا في طليعة الطرداء الى الأعمال المنتجة.

أليس من ينظر إلى العلماء هذه النظرة المزرية، وينوي مطاردتهم إلى ميادين العمل المنتج أشد الناس خطرًا وأخلق بتضييع الأمانة الذي هو من علامات الساعة؟

* * *

(١) البخاري (العلم، حديث ٥٩).

الفصل الخامس: سيد قطب يصف العلمانيين والفجار بالإخلاص ويضمن لهم الحرية، ويصف العلماء بالمحترفين ويسميهم رجال الدين، ويتوعدهم بالإذلال والاستعباد

ويقول: «... وبعد، فليطمئن المخلصون من المفكرين ورجال الفنون ومن إليهم أن حكم الإسلام لن يسلمهم إلى المشانق والسجون، ولن يكبت أفكارهم ويحطم أقلامهم وينبذهم من حمايته ورعايته، ولا يأخذوا الصيحات التافهة التي يصيحها اليوم رجال الدين المحترفون في وجه بعض الكتب وبعض الأفكار حجة!!

فإنما هذه الصيحات تجارة رابحة اليوم وحرفة كاسبة؛ لأنهم يعيشون في عهد الإقطاع الذي يقيمهم حراسًا لمظالمه وجرائمه، ولكي يبرروا وجودهم في أعين الجماهير يطلقون هذه الصيحات الفارغة بين الحين والحين.

فأما حين يكون الحكم للإسلام، فلن يبقى لهؤلاء عمل، فسيكونون مجندين لعمل منتج نافع، هم وبقية المتعطلين المتمسكين من كبار الملاك ورجال الأموال، ومن الموظفين والمستخدمين في الدواوين، ومن أحلاس المقاهي والمواخير والحانات، ومن المشردين في الشوارع والطرقات أو المصطلين للشمس حول الأجران... وكلهم في التبطل والتسكع سواء، بعضهم كاره مضطر، وبعضهم كسول خامل، وبعضهم مستغل مستهتر»[1].

أقول:

أولًا: من هم هؤلاء المخلصون من المفكرين ورجال الفنون الذين يخافون من حكم الإسلام... إلخ؟

ثانيًا: ما هي أفكارهم التي يضمن لها سيد أنها لن تكبت وأن أقلامهم لن تحطم؟

فهل هم مسلمون؟

(١) «معركة الإسلام والرأسمالية» (ص٨٤).

يغلب على ظني أنهم الاشتراكيون والعلمانيون والشيوعيون وسائر مرضى القلوب والنفوس.

وإذا كانوا كذلك، فهل الإسلام سيطلق لهم العنان ينشرون كفرهم وإلحادهم تسيل بهما أفواههم وأقلامهم المسمومة، وهل سيرعاهم الإسلام ويضمهم إلى كنف حمايته ورعايته؟

أما الإسلام الحق فيقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[1].

ويقول: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ۝ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا﴾[2].

ثالثًا: من هم رجال الدين المحترفون؟

وما هي الأفكار والكتب التي صاحوا في وجهها تلك الصيحات التافهة كما يزعم سيد؟

من هم أولئك المحترفون المتاجرون؟

من الجلي الواضح أن صيحاتهم كانت في وجه الاشتراكية الماركسية التي لبست لباس الإسلام، وغيرها من ألوان الضلال، وأن فيهم كوكبة من أعلام الهدى في مصر، مثل: عبد الظاهر أبو السمح، وعبد الرزاق حمزة، ومحمد حامد الفقي، وعبد الرزاق عفيفي، ومحمد خليل هراس، وأحمد محمد شاكر، وعبد الرحمن الوكيل، ومحب الدين الخطيب، وأبو الوفاء درويش.

وفي الجزيرة العربية مثل مفتي المملكة العربية السعودية الشيخ العلامة محمد ابن إبراهيم، والشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز، والشيخ عبد الله ابن حميد، والشيخ العلامة عبد الرحمن بن سعدي، والشيخ العلامة عبد الرحمن المعلمي، وتقي الدين الهلالي.

---

(١) التوبة ٧٣.

(٢) الأحزاب ٦٠ – ٦١.

وغيره في المغرب العربي، والشيخ العقبي، وابن باديس، وغيرهما من جمعية العلماء في الجزائر، وعلماء أهل الحديث في الهند وباكستان، وغيرهم ممن طار صيتهم من علماء المنهج السلفي وكانوا ضد كل ضلال وانحراف.

رابعًا: أليس في هؤلاء الذين يخافون حكم الإسلام مرتدون عن الإسلام من الشيوعيين والزنادقة؟

فما حكم الإسلام فيهم؟

أما إسلام الصحابة وأبي بكر ﷺ فحكمه فيهم استئصال شأفتهم بالسيف؛ لأنهم مرتدون...

وأما إسلام سيد قطب وحكمه فيهم بالتدليل وضمان الحرية لهم ولأقلامهم وأفكارهم، والحماية والرعاية لهم ولمبادئهم وكتبهم التي يصيح بها التافهون والمحترفون من قراء كتب السنة والفقه إن بقيت لهم أصوات لم تخنق ولم تكبت في دولة سيد قطب.

خامسًا: انظر ماذا كان يبيت سيد قطب للعلماء الذين يسميهم رجال الدين؟!

وماذا كان يبيت لأصحاب الأموال والموظفين وغيرهم لو وصل إلى دفة الحكم؟!

أي جحيم كانوا سيلقون في أتونها في هذه الحكومة؟

إنه سيجرد العلماء من مناصبهم، وسيجرد كبار الملاك ورجال الأموال من ممتلكاتهم وأموالهم، وأصحاب الوظائف من وظائفهم، وسيسوقهم بسياط الاستعباد والاستذلال كالحمير والبغال لعمل منتج في دولة لا تعرف الرحمة يتربع قمتها هو والمفكرون، ورجال الفنون، والجلادون من الضباط الأحرار الذين تربوا على فكره ونظرياته التي لا ترحم والتي يلبسها لباس الإسلام مع الأسف الشديد.

سادسًا: أي استهانة بالعلماء هذه التي تحشر العلماء مع أحلاس المقاهي والمواخير والحانات... إلخ؟

فإذا جاء من ينتقد سيد قطب بحق قامت الدنيا ولم تقعد واعتبر نقده إغراء على العلماء وتشذيبًا لهم.

الفصل السادس: رمي سيد المفتين والمستفتين في المجتمعات الإسلامية عن مشكلات تواجههم بالسخرية بالإسلام

ويقول: «والإسلام نظام اجتماعي متكامل تترابط جوانبه وتتساند، وهو نظام يختلف في طبيعته وفكرته عن الحياة ووسائله في تصريفها، يختلف في هذا كله عن النظم الغربية وعن النظم المطبقة اليوم عندنا، يختلف اختلافًا كليًّا أصلًا عن هذه النظم، ومن المؤكد أنه لم يشترك في خلق المشكلات القائمة في المجتمع اليوم، إنما نشأت هذه المشكلات عن طبيعة النظم المطبقة في المجتمع ومن إبعاد الإسلام عن مجال الحياة.

ولكن العجيب بعد هذا أن يكثر استفتاء الإسلام في تلك المشكلات، وأن يطلب لها عنده حلول، وأن يطلب رأيه في قضايا لم ينشئها هو ولم يشترك في إنشائها.

العجب أن يستفتى الإسلام في بلاد لا تطبق نظام الإسلام، في قضايا من نوع (المرأة والبرلمان)، و(المرأة والعمل)، و(المرأة والاختلاط)، و(مشكلات الشباب الجنسية) وما إليها، وأن يستفتيه في هذا وأمثاله ناس لا يرضون للإسلام أن يحكم، بل إنه ليزعجهم أن يتصوروا يوم يجيء حكم الإسلام.

والأعجب من أسئلة هؤلاء أجوبة رجال الدين ودخولهم مع هؤلاء السائلين في جدل حول رأي الإسلام وحكم الإسلام في مثل هذه الجزئيات، وفي مثل هذه القضايا، في دولة لا تحكم بالإسلام.

ما للإسلام اليوم وأن تدخل المرأة البرلمان أو لا تدخل؟!

ما له وأن يختلط الجنسان أو لا يختلطان؟

ما له وأن تعمل المرأة أو لا تعمل؟

ما له وما لأي مشكلة من مشكلات النظم المطبقة في هذا المجتمع الذي

لا يدين للإسلام ولا يرضى حكم الإسلام؟

وما بال هذه الجزئيات وأمثالها هي التي يطلب أن تكون وفق نظام الإسلام، ونظام الإسلام كله مطرود من قوانين الدولة، مطرود من حياة الشعب؟!

إن الإسلام كل لا يتجزأ؛ فإما أن يؤخذ جملة، وإما أن يترك جملة.

أما أن يستفتى الإسلام في صغار الشئون، وأن يهمل في الأسس العامة التي تقوم عليها الحياة والمجتمع، فهذا هو الصغار الذي لا يجوز لمسلم -فضلًا على عالم دين- أن يقبله للإسلام.

إن جواب أي استفتاء عن مشكلة جزئية من مشكلات المجتمعات التي لا تدين بالإسلام ولا تعترف بشرعيته أن يقال: حكموا الإسلام أولًا في الحياة كلها، ثم اطلبوا بعد ذلك رأيه في مشكلات الحياة التي ينشئها هو لا التي أنشأها نظام آخر مناقض للإسلام.

إنني أعتبر كل استفتاء للإسلام في قضية لم تنشأ من تطبيق النظام الإسلامي، والإسلام كله مطرود من الحياة، إنني أعتبر كل استفتاء من هذا النوع سخرية من الإسلام، كما أعتبر الرد على هذا الاستفتاء مشاركة في هذه السخرية من أهل الإفتاء، والذين يصرخون اليوم طالبين منع المرأة من الانتخاب باسم الإسلام، أو منعها من العمل باسم الإسلام، أو إطالة أكمامها وذيلها باسم الإسلام، ليسمحوا لي مع تقديري لبواعثهم النبيلة أن أقول لهم: إنهم يحيلون الإسلام إلى هزأة وسخرية؛ لأنهم يحصرون المشكلة كلها في هذه الجزئيات.

إن طاقاتهم كلها يجب أن تنصرف إلى تطبيق النظام الإسلامي والشريعة الإسلامية في كل جوانب الحياة...

يجب أن يأخذوا الإسلام جملة، وأن يدعوه يؤدي عمله في الحياة جملة، فهذا هو الأليق لكرامة الإسلام وكرامة دعاة الإسلام.

هذا إذا كانوا جادين في الأمر، مخلصين في الدعوة...

أما إذا كان الغرض هو الضجيج الذي يلفت النظر، وهو في ذات الوقت مأمون لا خطر فيه، فذلك شأن آخر أحب أن أنزه عنه على الأقل بعض الهيئات

والجماعات»[1].

أقول:

أولًا: إن سيد قطب قد أداه حماسه لتطبيق الشريعة على فهمه إلى أمرين خطيرين:

أحدهما: سد باب الإفتاء والاستفتاء، واتهام المفتين والمستفتين بالسخرية بالإسلام.

فالسؤال من أناس مسلمين يعتزون بإسلامهم، ويتطلعون إلى دينهم ليعالج مشاكلهم فينفذون منه ما يستطيعون.

والمفتون يفتون بما يفهمون ويعملون من حلول إسلامية لمجتمع مسلم فرضت عليه قوانين غير إسلامية فرضًا من عدو مستعمر.

ألا يدل هذا الإفتاء والاستفتاء على احترام الناس لدينهم وحبهم له وثقتهم فيه؟

وألا يدل على أن العلماء يعتزون بدينهم ويحرصون على ربط الناس به وفزعهم إليه عند المشكلات والملمات التي تلم بهم؟

ثانيهما: وهو الأخطر، وهو رمي المجتمعات الإسلامية بأنها لا تدين بالإسلام، فهذه دندنة حول تكفيرهم.

انظر إلى قوله: «ما له ولأي مشكلة من مشكلات النظم المطبقة في هذا المجتمع الذي لا يدين للإسلام، ولا يرضى حكم الإسلام».

انظر إلى قوله: «إن جواب أي استفتاء عن مشكلة جزئية من مشكلات المجتمعات التي لا تدين بالإسلام ولا تعترف بشريعته أن يقال: حكموا الإسلام أولًا في الحياة كلها، ثم اطلبوا بعد ذلك رأيه في مشكلات الحياة التي ينشئها هو».

وهكذا ينظر إلى المجتمعات الإسلامية بهذا المنظار، ويحكم عليهم بهذه الأحكام، لا في هذا الكتاب، بل في كل كتبه أو جلها.

---

(١) «دراسات إسلامية» (ص٨٦ - ٩٢).

ثم هل الإسلام ينشيء المشاكل؟ حاشاه من ذلك!

إنما هو يعالج المشاكل التي ينشئها أهل الأهواء والضلال والفسوق والنفاق.

ثانيًا: إن معظم رسل الله -صلوات الله وسلامه عليهم- أرسلهم الله إلى أمم تعبد الأوثان، وترتكب المحرمات والفواحش؛ ليعالجوا المشاكل التي أنشأتها جاهلياتهم ووثنياتهم، فدعوا إلى توحيد الله، ونهوا عن الشرك، ونهوا عن الفواحش والمحرمات التي تمارسها تلك الأمم، وقد أنشأتها جاهلياتهم، ويتقدمون إلى تلك الأمم الكافرة الجاحدة الكنودة بالزواجر والنواهي، والتحذير والإنذار من مخالفتها، كل ذلك وأممها ترفض ذلك، كل ذلك ولم يكن لهم دول ولا أنظمة.

ولم يقولوا: ما للإسلام وهذه المشكلات التي لم ينشئها؟! وما للإسلام والفواحش والمنكرات التي لم يشارك في إنشائها؟!

ولم يقفوا مكتوفي الأيدي حتى تقوم لهم دول وحكومات، وإنما يبلغون رسالات الله في حدود طاقاتهم.

قال تعالى عن شعيب: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ [هود: ٨٤].

وقال عن لوط ﷺ: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٨].

وقال تعالى عن العبد الصالح لقمان: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٧-١٨].

ولقد واجه رسول الله ﷺ الجاهلية في العهد المكي، وهي في شركها منغمسة في كثير من الانحرافات الأخلاقية والاجتماعية، وليس له دولة، فدعا إلى التوحيد

ونبذ الأوثان وخلعها، وحارب الفواحش والمنكرات والمحرمات، ولم يقل: ما لي ولهذه المنكرات التي لم يشارك الإسلام في إنشائها؟!

قال تعالى لرسوله الكريم: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[١].

وقد عالجت السور المكية كثيرًا من المشاكل الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية، وإن كان محور الدعوة الأصيل هو التوحيد ومحاربة الشرك.

ولاسيما هذه السورة المكية سورة الأنعام التي استشهدنا بالآيتين السابقتين منها؛ فإن فيها بالإضافة إلى ما سبق: تحريم الميتة، ولحم الخنزير، والدم، وما أهل به لغير الله.

كل ما ذكرناه كان في مجتمعات جاهلية، فكيف بمجتمع يدين بالإسلام؟

فإذا سأل سائل وأجابه مفتٍ عالم، استنكر ذلك سيد قطب واعتبر الاستفتاء والإفتاء سخرية بالإسلام . . . إلى آخر ما اعترض به سيد قطب على المفتين والمستفتين، وإلى آخر تكفيره للمجتمعات الإسلامية.

إن الله يبغض الفواحش أشد البغض، ولا أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرم الفواحش.

عن المغيرة بن شعبة ﷺ قال: قال سعد بن عبادة: «لو رأيت رجلًا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ؛ فقال: **تعجبون لغيرة سعد، والله لأنا أغير منه، والله أغير مني، ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن**»[٢].

---

(١) الأنعام ١٥١-١٥٢.

(٢) البخاري (التوحيد، حديث ٧٤١٦).

فكيف يقول سيد قطب: «ما للإسلام اليوم وأن تدخل المرأة في البرلمان أو لا تدخل، وأن يختلط الجنسان أو لا يختلطان...» إلخ.

ما هكذا الدعوة إلى تطبيق نظام الإسلام بإزهاق آخر نفس للإسلام، ثم يدعو إلى إنشاء مجتمع إسلامي جديد في خيال سيد بعد الحكم على المجتمعات الإسلامية بالكفر، ما هكذا يكون الإصلاح، وما هكذا يا سعد تورد الإبل!

ثالثًا: يجب أن يفهم العقلاء نوع الحكم الذي يتحمس له سيد قطب ويكفر الناس المحكومين قبل الحكام من أجله لأنهم لم يطبقوه.

إنه حكم يختلس من الديمقراطية إنشاء البرلمانات والانتخابات تحت ستار الشورى الإسلامية، يشارك في قمتها وإدارة دفتها اليهود والنصارى والعلمانيون تحت ستار أن لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين، وقبلهم الروافض وغلاة الصوفية القبورية، وسيكون من علامات تقدمها إنشاء الكنائس والبيع، وتشييد القبور والحسينيات، وإنشاء مجلس أعلى للصوفية يتبعه إدارة أو إدارات للأضرحة تجبي غلال صناديق النذور!!

ويستل من الشيوعية الحمراء الاشتراكية المدمرة التي تبدأ بالعلماء فتجردهم من مناصبهم؛ لأنهم يساندون النظام الإقطاعي، وينتزع من كبار الملاك أراضيهم ودورهم، ويعرج على أصحاب الأموال يبتز أموالهم لأنهم إقطاعيون ورأسماليون، ويطرد الموظفين والمستخدمين من وظائفهم، ثم يسوق الجميع بسياط الاشتراكية إلى المصانع والمعامل والحقول الزراعية المؤممة.

وكل هذا وذاك سيكون باسم الإسلام، واشتراكية الإسلام، وعدالة الإسلام، الإسلام الذي يقول عنه سيد قطب: «إنه يصوغ من الشيوعية والمسيحية مزيجًا كاملًا يتضمن أهدافهما، ويزيد عليهما بالتناسق والتوازن والاعتدال».

* * *

الفصل السابع: وعد الرفاق بمطاردة العلماء الذين يرميهم بضيق الأفق وجمود التفكير ويسخر بعمائمهم

يقول سيد قطب: «بقي الخوف من ضيق آفاق القائمين على الحكم الإسلامي وجمود تفكيرهم، وما أحسب هذه الصورة التي قامت في أذهان هؤلاء الرفاق[1] إلا من اقتران حكم الإسلام بعمائم الشيوخ ومسابح الدراويش.

وإذا تبين أن هؤلاء لن يكونوا إسناد حكم الإسلام في مصر بل طرداؤه، ما لم يغيروا ما بأنفسهم، ويعملوا عملًا منتجًا غير مجرد الصلوات والأذكار والتراتيل، وإذا تبين هذا فيجب أن تخفى هذه الصورة النكدة لحكم الإسلام ما لم تكن هذه التهمة موجهة لمبادئ الإسلام في ذاتها، لا للمشايخ والدراويش، فهل إنه لكذلك ذلك الدين العظيم؟!»[2].

أقول:

١- نعم هناك دراويش، لكن ما علاقتهم بالحكم في الإسلام؟

ثم هل علماء الإسلام والحق على هذه الصورة المزرية التي يصورهم بها سيد؟

ثم لماذا -وهذا هو البلاء- يذكر الصلوات والتراتيل والأذكار في هذا السياق الساخر المرضي للعلمانيين وأعداء الإسلام من الرفاق؟

إن هذا الأسلوب وأمثاله من سيد وأمثاله هو الذي جرأ الشباب على الطعن في العلماء واحتقارهم واحتقار علمهم وفتاواهم.

٢- انظر ماذا يبيت سيد قطب للعلماء؟

---

(١) كلمة: «الرفاق» مصطلح شيوعي.

(٢) «معركة الإسلام والرأسمالية» (ص٨١).

إنه يهددهم بالمطاردة، ومن هو البديل؟ إنهم الرفاق والمثقفون من الجهلاء بالإسلام.

٣- إنه سيسوقهم بسياط الجلادين إلى حقول المصانع وسائر الأعمال المنتجة، كل ذلك تنفيذاً لمبادئ دولة سيد قطب التي يلبسها بقوة لباس الإسلام.

٤- من المؤسف تكراره لذكر الصلوات والأذكار في هذه السياقات المشينة التي يهين فيها العلماء أشد أنواع الإهانات.

* * *

الفصل الثامن: طعنه في حكومات إسلامية منها الحكومة الإسلامية السلفية في الجزيرة العربية

قال سيد قطب:

«وبعض هذه الشبهات ناشئ من التباس صورة حكم الإسلام ببعض أنواع الحكومات التي تسمي نفسها (حكومات إسلامية)، وتمثيل هذه الحكومات لحكم الإسلام كتمثيل من يسمونهم (رجال الدين) لفكرة الإسلام!

كلاهما تمثيل مزور كاذب مشوه، بل تمثيل النقيض للنقيض، ولكن الجهل بحقيقة فكرة الإسلام عن الحكم حتى بين (المثقفين) لا يدع صورة للحكم الإسلامي أخرى غير هذه الصورة المزورة الشائهة الكريهة»[1].

فهذه الطعنات الآثمة الموجهة في الدرجة الأولى للحكومة الإسلامية الصحيحة دولة التوحيد والسنة، وعلى قمتها علماء السنة والتوحيد، التي أثبتت بواقعها الإسلامي الصحيح وشهادة العلماء المنصفين أنها قائمة على كتاب الله وعلى سنة رسوله في عقيدتها، ومنهجها، وحكمها، وتعليمها، وإن كان هناك نقص لم تسلم منه دولة بعد الخلافة الراشدة؛ فإنها هي الدولة الإسلامية الحقة والقلعة الحصينة للإسلام، وندعوها إلى تلافي هذا النقص الذي يوجبه الإسلام، ونسأل الله لها التوفيق والسداد.

والحكومة الإسلامية التي يتصورها سيد قطب لن تكون أصلح من أفسد الحكومات التي يقول: «إنها تمثل الإسلام تمثيلًا مزورًا مشوهًا»، فهي على علاتها تعتز بالإسلام وتحترم العلماء، وتقوم على جوانب منه.

وأعتقد أن هذه الحكومات التي أشار إليها منها حكومة الأدارسة في ليبيا،

---

(١) «معركة الإسلام والرأسمالية» (ص٦٤).

والحكومة المتوكلية في اليمن، فمهما قيل فيها فإنها خير من التي يتخيلها ويصورها للناس، والتي ستكون عقائدها أفسد ونظامها أبعد من الإسلام.

فهو يتخيل حكومة اشتراكية لا تبقي للناس سبدًا ولا لبدًا، وحكومة برلمانية يزعم لها أنها شورية هذا إن التزمت بذلك، وإلا فستكون دكتاتورية مستبدة كما يلمس ذلك من الأحزاب القائمة على فكره التي لا تحتمل نقدًا مهما سطع فيه نور الحق، ولا توجيهًا إسلاميًّا مهما صحت دلائله وبراهينه، سواء تعلق بالعقيدة أو تعلق بالسياسة، وحتى لو جاء به مثل أبي بكر وعمر، كما هو واقع بعض الحكومات التي قامت على منهجه وفكره.

لو كان يريد حكومة إسلامية صادقة لساند الدولة السعودية وأشاد بها، ولطالب الحكومات الأخرى أن تحذو حذوها في العقيدة والمنهج، والتطبيق الصحيح، ولكنه يريد شيئًا آخر نضحت به كتبه، لا نقوله تخرصًا ولا تكهنًا.

قد يقال: إنه كان لا يعرف شيئًا عن هذه الحكومة الإسلامية؟

فيقال: كلا؛ فلقد كان على معرفة واسعة بما يجري في العالم الإسلامي وغيره، والذي يقرأ كتابه «دراسات إسلامية» مثلًا يدرك أنه كان يعرف ما يجري في الاتحاد السوفييتي على المسلمين، وما يجري عليهم في الصين، والهند، والحبشة، وفي أدغال إفريقيا وآسيا[1].

فكيف يجهل ما يجري في جزيرة العرب بلاد الحرمين والبترول التي يعلم ما يجري فيها وما يوجد فيها من الخير عامة المسلمين وخاصتهم، بل حتى غير المسلمين يعرف ذلك؟

* * *

---

(١) انظر كتاب «دراسات إسلامية» (من ص ١٦٩ - ٢١٨).

الفصل التاسع: سيد يسخر بدعوة هيئة كبار العلماء في مصر إلى تغيير المنكرات ومحاربة الأخلاق الإباحية والتحلل

قال سيد قطب تحت عنوان (إني أتهم) تكلم فيه بأسلوب ثوري مادي لا يشبه أساليب العلماء والمصلحين، وكثير من عباراته لا يستطاع نقلها لثقلها على أسماع المسلمين، بل وغير المسلمين.

وفي هذا المقال تناول العلماء بأسلوب ساخر جدًّا، لأنهم قالوا كلمة حق تتضمن إنكار المنكرات، قال ساخرًا مع الأسف:

«وهنا ينبعث السادة الأجلاء من هيئة كبار العلماء من سباتهم الطويل العميق، ينعون الأخلاق الضائعة والفواحش الشائعة، ولا يدعون ثبورًا واحدًا، بل ثبورًا كثيرًا، فلننصرف إلى السادة الأجلاء لحظة لنسمع منهم الوعظ الشريف، ترويحًا للنفس عن ذلك الجد الكريه الذي نعانيه.

هذه بعض عريضتهم إلى رئيس الحكومة في يوم من الأيام: وإن الناظر في حال أمتنا العزيزة، وما آل إليه أمر الدين والخلق فيها، ليهوله ما يرى، ويأخذه كثير من الحزن على حاضرها الذي صارت إليه، ويخالجه كثير من الإشفاق على مستقبلها الذي هي مقبلة عليه؛ فقد استهان الناس بأوامر الدين ونواهيه، وجنحوا إلى ما يخالف تقاليد الإسلام، ودخل على كثير منهم ما لم يكن يعهد من أخلاق الإباحية والتحلل، جريًا وراء المدنية الزائفة، واغترارًا ببريقها الخادع، وكثرت عوامل الإفساد والإغراء في البلاد، ولاسيما أمام ناشئتها وفتيانها المرجوين للنهوض بها والأخذ بيدها في حاضرها ومستقبلها . . .

فمن حفلات ماجنة خليعة يختلط فيها الرجال والنساء على صورة متهتكة جريئة يشرب فيها الخمر، ويرتكب فيها ما ينافي المروءة والخلق الكريم . . .

إلى أندية يباح فيها القمار، ويسكب على موائدها الذهب، وتبرز فيها

الأموال، وتزلزل بسببها البيوت والكرامات..

إلى ملاعب للسباق والمراهنات تنطوي على ألوان من الفساد وإضاعة المال...

إلى مسابقات للجمال؛ إنما هي معارض للفسوق والإثم يرتكب فيها ما يندى له جبين الدين والخلق والمروءة، ويباح فيها من المحرمات أكبرها وأخطرها

إلى شواطئ في الصيف يخدع فيها العذار، ويطغى فيها الأشرار...

إلى أخبار غير ذلك تذكر وتنشر، وتوصف وتصور، وتستثار بها كوامن الشهوات والغرائز، في غير تورع ولا حياء...

إلى كثير من ألوان المنكرات وفنون الموبقات...»[1].

قال سيد قطب معلقًا في سخرية وتهكم وتعجب:

«وي! وي! أو هذا هكذا أيها العلماء الأجلاء؟!

يا سبحان الله! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

حقًا إنه لأمر جلل يوجب النقمة ويستوجب اللعنة... ولكن! وقد قدر لشفاهكم الكريمة أن تنفرج عن كلام في المجتمع.

أفما كانت هناك كلمة واحدة تقال عن المظالم الاجتماعية الفاشية، وعن رأي الإسلام في الحكم، ورأيه في المال، ورأيه في الفوارق الاجتماعية التي لا تطاق؟

وما الذي كنتم تنتظرونه أيها السادة الأجلاء من أوضاعنا الاجتماعية القائمة إلا هذا الفساد التي تناولت خطبتكم الشريفة ظواهره وتجنبت خوافيه؟!

أوضاعنا الاجتماعية التي تجد منكم السند والنصير، والتي يصيبكم البكم فلا تشيرون إليها عارضة من قريب أو بعيد؛ لأن السكوت عنها من ذهب: ذهب إبريز»[2].

---

(١) «معركة الإسلام والرأسمالية» (ص١٤-١٦).

(٢) راجع المصدر السابق.

هذا بعض شكوى هيئة كبار العلماء في بلده وفي عصره؛ فبدل أن يشكرهم على هذا الموقف الطيب، ويشجعهم على المضي قدمًا في معالجة الأوضاع المتردية ومحاربة المنكرات الفاشية، ويطلب منهم المزيد من المواقف الطيبة بدءًا بمحاربة مظاهر الشرك التي لم تخطر ببال سيد قطب وبصيبه وأمثاله الكم تجاهها، وتجد فيهم السند والنصير، بدلًا من تشجيعهم طفق يسخر منهم ويهون من خطوتهم الطيبة الإيجابية في طريق الإصلاح.

ألأجل أنهم خالفوا منهجه الثوري فقط يسخر بهم هذه السخرية الظالمة؟

أتدري ما الذي جرته دعوتك السياسية الثورية على الإسلام والمسلمين من البوار والدمار؟

يشهد الله وملائكته والعقلاء من الناس وكبار الإخوان المسلمين أن دعوة الإخوان المسلمين السياسية التي اعتنقها سيد قطب حتى مات من أجلها أنها كانت مفتوحة الأبواب على مصاريعها لكل أرباب البدع والضلال، من روافض، وخوارج، وصوفية غالية قبورية، ولكل راغب من النصارى، ولكل منافق زنديق، ولكل عشاق المناصب، ولكل حاقد ومتعطش للدماء وسلب الأموال إلى مآخذ أخرى لا يتسع المقام لذكرها.

فيا معشر الشباب المخدوعين، أفيقوا من سكرتكم، واخرجوا من الزنازين المظلمة والسراديب والقماقم التي سجنكم فيها سماسرة ودهاقين السياسة الماكرة، وكبلوا عقولكم بأصفاد وأغلال التبعية الخرقاء العمياء، ينعقون بكم كقطعان المواشي، زاعمين لكم أن هذا هو طريق الإسلام، وهذا هو طريق الحرية، وما من شيء من هذا أو ذاك إلا ما ذكرته لكم، وأمثل الإسلام عندهم ما في السودان وأفغانستان.

ولا يمكن أن تعرفوا حقيقة ذلك إلا إذا خرجتم من تلك السراديب والزنازين والقماقم، وحطمتم تلك الأغلال والأصفاد؛ فإن آثرتم عبودية الزنازين والقماقم والسراديب، فلن تزروا عند الله وعند من يعرف هذه الحقائق إلا بأنفسكم، ولن تضروا الله شيئًا، وسيقول من يعرف الحقيقة والواقع.

ولو أن قومي أنطقتني رماحهم   نطقت ولكن الرماح أجرت

وسيقول:

لقد أسمعت لو ناديت حيًّا   ولكن لا حياة لمن تنادي

وسيصدق فيكم:

ومن يكن الغراب له دليلًا   يمر به على جيف الكلاب

* * *

الفصل العاشر:
كشف تواطؤ رجال الدين المحترفين

ويقول سيد قطب:

«فرائض غير الزكاة:

ومع ذلك فالزكاة ليست وحدها حق المال، وإنا لنلحظ شبه تواطؤ بين من يتحدثون عن الزكاة في هذه الأيام على اعتبارها الحد الأقصى الذي يطلبه الإسلام دائمًا من رءوس الأموال، لذلك ينبغي أن نكشف هذا التواطؤ الذي يتعمده رجال الدين المحترفون، كما يتعمده من يريدون إظهار النظام الإسلامي بأنه غير صالح للعمل في عصر (الحضارة)[1].

إن الزكاة هي الحد الأدنى المفروض في الأموال، حين لا تحتاج الجماعة إلى غير حصيلة الزكاة، فأما حين لا تفي؛ فإن الإسلام لا يقف مكتوف اليدين، بل يمنح الإمام الذي ينفذ شريعة الإسلام سلطات واسعة للتوظيف في رءوس الأموال، أي الأخذ منها بقدر معلوم في الحدود اللازمة للإصلاح، ويقول بصريح الحديث: إن في المال حقًّا سوى الزكاة.

ودائرة المصالح المرسلة وسد الذرائع دائرة واسعة تشمل تحقيق كافة المصالح للجماعة، وتضمن دفع جميع الأضرار»[2].

والشاهد من كلام سيد هذا هو طعنه في العلماء، واتهامهم بأقبح أنواع الاتهام وأفظعها.

ثم إن الحديث الذي احتج به ضعيف رواه الدارمي (١/ ٣٨٥)، والترمذي من طريق شريك عن أبي حمزة، عن الشعبي، عن فاطمة بنت قيس، وقال الترمذي:

---

(١) لا أدري أهو ضغط هؤلاء الذي يدفع سيدًا على انتحال الاشتراكية باسم الإسلام أم هي السياسة؟

(٢) «العدالة الاجتماعية (ص١١٨ - ١١٩)، ط. ثانية عشرة.

هذا حديث ليس إسناده بذاك، وأبو حمزة ميمون الأعور يضعف، وروى بيان وإسماعيل بن سالم عن الشعبي هذا الحديث قوله، وهذا أصح، وقال فيه الحافظ: ضعيف. انظر التقريب.

ولو كان الحديث صحيحًا، لكان معناه غير ما يهدف إليه سيد قطب من الاشتراكية الظالمة.

والمصالح المرسلة مختلف فيها، ولو اتفق العلماء على اعتبارها، فلا يمكن أن يخطر ببال العلماء هذه الاشتراكية الظالمة التي يدعو إليها سيد قطب ويقررها.

ويقول سيد:

«وقد احتج بعض المحترفين من رجال الدين ذات يوم بالقول بأن ما أديت زكاته ليس بكنز للتدليل على أن حق المال هو الزكاة وحدها، وأن لا حرج في الكنز بعد ذلك، ولكن هناك حديثًا صريحًا يُبين حدود الكنز، ويبين فيم يحتفظ الباقي بعد الزكاة حتى لا يكون كنزًا، ذلك هو قوله ﷺ: **«من جمع دينارًا أو درهمًا أو تبرًا أو فضة، ولا يعده لغريم، ولا ينفقه في سبيل الله، فهو كنز يكوى به يوم القيامة»**.

وقد أبان هذا الحديث ما يجوز الاحتفاظ به، والأغراض التي يجوز الاحتفاظ به من أجلها، وما عدا هذا فهو كنز ينطبق عليه نص التحريم، وهكذا فليفهم الإسلام على ضوء مبادئه الكلية العامة في هذا المجال»[1].

الشاهد من هذا الكلام: طعن سيد قطب في العلماء بهذا الأسلوب، والملاحظ أنه لا يذكرهم إلا باسم رجال الدين على طريقة الأوربيين والأمريكان، ومن سار على دربهم.

ثم إنه أحال بهذا الحديث على تفسير القرطبي، وهو حديث ضعيف رواه عبد الرزاق في المصنف (٤٢٨/٢) من طريق موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف، ومعناه منكر؛ لأنه يخالف نصوصًا كثيرة في الكتاب والسنة منها أحاديث الزكاة ومقاديرها.

---

(١) «السلام العالمي والإسلام» (ص١٥٥).

لقد تعلق سيد بهذا الحديث الباطل وعارض به نصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة على تحريم أموال المسلمين، وخالف به جمهور علماء الأمة في تفسير الكنز.

قال النووي -رحمه الله تعالى-: قال القاضي: واختلف السلف في المراد بالكنز في القرآن والحديث؛ فقال أكثرهم: هو كل مال وجبت فيه الزكاة، فلم تؤد، فأما مال أخرجت زكاته، فليس بكنز.

قيل: الكنز: هو المذكور عن أهل اللغة، ولكن الآية منسوخة بوجوب الزكاة.

وقيل: المراد بالآية أهل الكتاب المذكورون قبل ذلك.

وقيل: كل ما زاد على أربعة آلاف فهو كنز، وإن أديت زكاته.

وقيل: هو ما فضل عن الحاجة، ولعل هذا كان في أول الإسلام وضيق الحال.

واتفق أئمة الفتوى على القول الأول، وهو الصحيح؛ لقوله ﷺ: «ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته...»[1] وذكر عقابه.

وفي الحديث الآخر: «من كان عنده مال، فلم يؤد زكاته؛ مثل له شجاعًا أقرع...»، وفي آخره: «فيقول: أنا كنزك»[2].

وقال النووي أيضًا في شرح حديث جابر في عقوبة من يقصر في أداء حق المال وحق الإبل، ومنه:

قال رجل: يا رسول الله، ما حق الإبل؟ قال: «حلبها على الماء، وإعارة دلوها، وإعارة فحلها، ومنيحتها، وحمل عليها في سبيل الله»[3].

قال النووي قال القاضي: قال المازري: يحتمل أن يكون هذا الحق في

---

(١) صحيح مسلم مع شرح النووي (٧/ ٦٧-٦٨).

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم (٧/ ٦٨).

(٣) صحيح مسلم مع شرح النووي (٧/ ٧١).

موضع تتعين فيه المواساة، قال القاضي: هذه الألفاظ صريحة في أن هذا الحق غير الزكاة، قال: ولعل هذا كان قبل وجوب الزكاة.

وقد اختلف السلف في معنى قول الله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾؛ فقال الجمهور: المراد به الزكاة، وأنه ليس في المال حق سوى الزكاة، وأما ما جاء غير ذلك فعلى وجه الندب ومكارم الأخلاق...

وقال بعضهم: هي منسوخة بالزكاة، وإن كان لفظه لفظ خبر فمعناه أمر.

قال: وذهب جماعة منهم الشعبي، والحسن، وطاوس، وعطاء، ومسروق وغيرهم إلى أنها محكمة، وأن في المال حقًّا سوى الزكاة من فك الأسير، وإطعام المضطر، والمواساة في العسرة، وصلة القرابة.

أقول: من هذه النقول يدرك القارئ أن ما يفتي به من يسميهم سيد قطب بالمحترفين من رجال الدين هو قول جمهور علماء الأمة، واتفق عليه أئمة الفتوى، وهو القول الصحيح الراجح الذي تؤيده الأدلة، ولو أفتوا بقول مرجوح مما يحق لسيد أن يطعن فيهم هذه الطعون، فكيف وهم يفتون بالقول الراجح؟

* * *

الفصل الحادي عشر: الكتب الصفـــراء

ويقول: «وكل هذه الشبهات كان يكفي في جلائها مجرد المعرفة الصحيحة للحقائق التأريخية والاجتماعية للإسلام أي أن يتلقى الجيل ثقافة حقيقية لا ثقة . . . أجل لا ثقة . . . وليست هذه الثقافة عسيرة -كما يتصور الكثيرون- حين يتصورون الكتب الصفراء، وتتمثل لهم صورة الدراسة الأزهرية بما فيها من ألغاز ومعميات!

كلا إن هذا ليس هو الثقافة الإسلامية المطلوبة للجيل، فالإسلام يسر لا عسر، وهو عقيدة بسيطة واضحة لا تعقيد فيها ولا غموض، ونظام اجتماعي متوازن متناسق لا إقطاع فيه، ولا ترف ولا حرمان، ونظام للحكم ليس فيه حقوق إلهية، ولا دم أزرق ولا استبداد ولا طغيان»[1].

أقول:

أولًا: إن الكتب الصفراء التي يسخر منها سيد قطب جلها كتب الحديث والتفسير والفقه.

ثانيًا: الدراسة الأزهرية على ما فيها من بدع وتصوف هي أقرب إلى الإسلام من الدراسات التي قدمتها باسم الإسلام، فما من شيء يؤخذ على الأزهر إلا وهو عندك على أسوأ صورة، ولك زيادات باطلة يحاربها الأزهر وغيره بحق.

ثالثًا: كيف تحيل المثقفين بما فيهم الشيوعيين والعلمانيين على الحقائق التاريخية والاجتماعية للإسلام، وقد شوهت كل ذلك بما كتبته في كتابك «العدالة الاجتماعية» بالطعن في الخليفة الراشد عثمان وفي حكمه وخلافته وسيرته وعهده كله؟

وبالطعن في الدولة الأموية والعباسية حتى أخرجتهما عن حدود الإسلام في

---

(١) معركة الإسلام (ص٦٤).

سياسة الحكم والمال.

وبالطعن في الأمة بعد ذلك وتكفيرها في «العدالة الاجتماعية»، وفي «ظلال القرآن»، و«معالم في الطريق»، و«الإسلام والحضارة».

رابعًا: إن الإسلام يسر لا عسر، كما قال ذلك رسول الله ﷺ لمعاذ وأبي موسى - ﷺ -: «ادعوا وبشرا ولا تنفرا، ويسرا ولا تعسرا»[(1)].

وكما قال: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا»[(2)].

وكما قال: «إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين»[(3)].

وليس كما تصوره أنت بأنه يصوغ من المسيحية والشيوعية معًا مزيجًا كاملًا يتضمن أهدافهما جميعًا.

وهل من يسره ورحمته انتزاع الثروات والملكيات جميعًا كما ينسب سيد قطب ذلك إلى الإسلام؟

وهل من يسره الطعن في أصحاب رسول الله ﷺ وتكفير المسلمين بدون ضوابط ولا ورع؟!

وهل من يسره السخرية بالعلماء، ومداهنة الرفاق والمثقفين، والشدة على المسلمين؟!

وهل من يسره رقة الحديث ولينه إذا كان الحديث عن موقف المسلمين من الكفار سواء كانوا من الذميين أو غير الذميين؟!

إن في الإسلام يسرًا لا تمييع فيه، وقوة وحزمًا لا ظلم فيهما ولا عسف.

* * *

---

(١) البخاري (المغازي حديث ٤٣٤٢، ٤١٤٥)، مسلم (الأشربة، ح ١٧٣٣) (٧١)

(٢) البخاري (العلم، حديث ٦٩)، ومسلم (الجهاد ١٧٣٤).

(٣) الترمذي (الطهارة، حديث ١٤٧)، وأحمد (٢ / ٢٣٩).

الفصل الثاني عشر: طعنه في علماء الأمة الإسلامية على امتداد عصورها

ويقول سيد قطب: «ويرتب الإسلام على نظرته نتائجها، فينهى الله نبيه ﷺ أن يعطي قيمة لما يتمتع به بعضهم من متاع خلاب، فإنما هو فتنة واختبار وابتلاء: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾.

ويفهم بعضهم أن هذه الآية ونظائرها إنما تدعو إلى ترك الأغنياء يفتنون كما يشاءون[1] ورضا الفقراء بحرماتهم حقوقهم التي يكفلها الإسلام لهم، وهو خاطئ لا يلتفت إلى التصور الإسلامي العام.

وهو تفسير المحترفين من (رجال الدين) في عصور الاستبداد، لتنويم الشعور العام، وكفه عن المطالبة بالعدالة الاجتماعية، وعليهم وزرهم، والإسلام من تأويلهم بريء».

الشاهد منه: الطعن في العلماء لا في هذا العصر الحاضر، بل في العصور الإسلامية كلها بما في ذلك عصر عثمان وبني أمية وهلم جرًّا.

لماذا؟! لأن علماء الإسلام كلهم على خلاف منهجه الاشتراكي.

فلذا هو يوجه لهم هذه الطعنة التي تلقفها عن زعماء المذهب الاشتراكي الهدام للدنيا والدين.

ارجع إلى أقوال علماء الإسلام في كتب التفسير، وشروح الحديث، وكتب الفقه فلن تجد من يوافق سيد قطب على اشتراكيته التي يسميها بـ: (العدالة

---

(١) في الإسلام أن الغنى والفقر بيد الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، فإذا كان غنى الأغنياء من الطرق التي أباحها الله لهم ثم أدوا الحقوق التي فرضها الله عليهم فيها، واجتنبوا الطرق المحرمة من الربا والغش والرشوة، فهذا الغنى على هذا الوجه لا يحاربه إلا الشيوعيون والاشتراكيون، وشغبهم على علماء المسلمين باطل وحرام.

الاجتماعية).

ولن تجد من يوافقه على محاربة الغنى من الطرق المشروعة إذا أدوا زكاتها وأدوا الحقوق التي فرضها الله فيها؛ لذا فهو يطعن في العلماء.

إن سيد قطب يشبه هنا حال المسلمين بحال المجتمعات الأوربية النصرانية في عهود الظلام -ولا تزال في ظلام- والاستبداد التي قاومها الثوار، وقاومها الشيوعيون، والتي لا يمكن أن يقاس فيها العالم الإسلامي، ولا يقاس علماؤه على علماء الكنائس التي كانت تساند تلك الأوضاع المظلمة التي بلغت أقصى غايات السوء، وسيد يعرف الفروق الهائلة بين هذه الأوضاع التي كانت في أوربا وبين أوضاع المسلمين قديمًا وحديثًا، وإن حصل فيها مخالفات وخلل.

قال سيد قطب نفسه في كتابه «الإسلام ومشكلات الحضارة»، قال بعد كلام عن أوضاع أوربا والصراعات فيها:

«ويجب ابتداء أن نميز بين الخصائص الأساسية المميزة للإقطاع بمعناه الاصطلاحي التاريخي الذي عرفته أوربا، وتلك المظاهر الثانوية السطحية التي ربما تكون قد وجدت في أنحاء أخرى من الأرض في عصور مختلفة؛ فهذا التمييز ضرورة من الناحية العلمية ومن الناحية الشعورية كذلك»[1].

إن نظام الإقطاع في أوربا لم يكن مجرد وجود ملكيات كبيرة، ولكنه كان مصحوبًا بخصائص هذا النظام الأساسي، وأخص خصائص هذا النظام كانت:

١- تبعية الفلاحين للأرض، حيث كان وضعه فيها كوضع آلات الزراعة وحيواناتها، وانتقالهم -مع الأرض- إلى المالك الجديد كما تنتقل الآلات والحيوانات - ولو كانوا لا يباعون كما هو الحال في نظام الرق-، ولكن تبعيتهم للأرض تحرمهم حق الانتقال منها إلى أرض أخرى، كما تحرمهم بطبيعة الحال حق اختيار حرفة أخرى فردية مستقلة.

---

(١) كثيرًا ما يسمى سيد ومن على نهجه هذا التمييز الذي يته جيدًا هنا، ويرى أنه ضروري من الناحية العلمية والناحية الشعورية.

٢- كما كانت إرادة السيد (الشريف) هي القانون في إقطاعيته، فهو الذي يشرع للأقنان (رقيق الأرض)، وهو الذي يحدد علاقاتهم به وبالأرض وعلاقات بعضهم ببعض.

وهذا هو الإقطاع كما عرفته أوربا، وكما ثارت عليه أيضًا.

وهاتان الخاصيتان تعتبران العلامتين المميزتين لهذا العهد البغيض.

وقد ظلت أوربا ترزح تحت وطأة هذا النظام الفظيع الذي تهدر فيه قيمة الإنسان -ابتداء- بجعله تابعًا للأرض كالماشية وأدوات الزراعة ينتقل معها إلى المالك الجديد، ولا يملك أن يحس بكينونته (الإنسانية) مستقلة عن الأرض، ولا يملك أن يغادرها -ولو إلى إقطاعية أخرى-، وإلا اعتبر آبقًا بحكم القانون، ووجب القبض عليه ورده إلى الأرض التي يتبعها»[1].

أقول: فهل كانت الأوضاع في العالم الإسلامي تشبه هذه الأوضاع في أوربا؟

كلا ليس الأمر كذلك، بل الأمر يختلف تمام الاختلاف بشهادة سيد قطب وشهادة كل العقلاء من المسلمين وغيرهم.

قال سيد قطب نفسه في السياق نفسه:

«ظلت أوربا ترزح تحت وطأة هذا النظام الفظيع حتى انساحت جموع الصليبيين في الشرق الإسلامي، واحتكوا بالمجتمع الإسلامي، وعرفوا عن كثب أوضاع حياة الناس فيه، ورأوا نظامًا آخر غير ذلك النظام الفظيع.

رأوا شريعة يتحاكم إليها الناس جميعًا، حاكمهم ومحكومهم، غنيهم وفقيرهم، مالكهم ومعلمهم، صاحب الأرض والعامل فيها على السواء، شريعة ليست هي إرادة السيد صاحب الأرض، وليست هي إرادة الأمير كذلك، ولا السلطان، إنما هي شريعة تجيئهم جميعًا من عند الله، ويتولى الحكم بها قضاة طالما وقفوا بها في وجه الأمراء والسلاطين عندما كان أحدهم يهم بظلم الرعية أفرادًا أو جماعات.

---

(١) «الإسلام ومشكلات الحضارة» (ص٩٢-٩٣).

وقد ظهر في هذه الفترة بالذات أئمة أقوياء، وقفوا مرات في وجه سلاطين المماليك، وكان لوقفاتهم صداها الذي تتناقله الجماهير في الوطن الإسلامي، وتعرفها جموع الصليبيين الذين يحتكون بهذا المجتمع خلال قرنين من الزمان.

وعلى الرغم من كل ما كان قد وقع في المجتمع الإسلامي في هذا الوقت من انحرافات وعدم مراعاة لشريعة الله في بعض جزئيات الحياة، فإن المسافة بين هذا المجتمع الإقطاعي الذي جاء منه الصليبيون كانت بعيدة بعيدة»[1].

ثم استمر يعدد مزايا العالم الإسلامي، ويذكر الفروق بينه وبين المجتمعات في أوربا.

وإذا كان حال العالم الإسلامي وحال علماء الأمة الإسلامية كما ذكر هنا، فهل يجوز له أن يطعن في العلماء الذين يسميهم (رجال الدين) على طريقة ثوار أوربا من العلمانيين والشيوعيين؟!

وهل علماء المسلمين مثل الباباوات والقسس وسائر رجال الكنيسة في مساندة الظلم والظلمة والإقطاع والإقطاعيين حتى يطعن فيهم سيد قطب بهذا الأسلوب السيئ البالغ النهاية في السوء؟!

يفعل هذا وهو يعرف هذه الفروق الشاسعة بين حال المسلمين وغيرهم.

إن سيد قطب يترسم خطى الثوار في أوربا في منهجه الثوري وأسلوبه الحماسي حذو القذة بالقذة، ويلبس كل ذلك بلباس الإسلام.

وكثير من شباب الأمة اليوم يترسمون خطاه حذو القذة بالقذة دون علم ولا هدى ولا كتاب منير.

لقد نسي سيد كل هذه الفروق، ثم دأب في جل مؤلفاته على أساليب ثورية تهييجية تكفيرية يعرفها كل من قرأ كتبه، وما كتابه «معركة الإسلام والرأسمالية» إلا تهييج وثورة ثم سخرية بالعلماء في الوقت نفسه، وذلك ركن من أركان ثورته!

وخذ مثلًا واحدًا من أمثلة التهييج والتثوير:

(١) «الإسلام ومشكلات الحضارة» (ص٩٣).

لقد ختم كتابه «معركة الإسلام والرأسمالية»[1] بفصل يلهب فيه مشاعر الجماهير ويحركهم لأخذ حقوقهم -كما يزعم- بأيديهم، على غرار دعوة ثوار أوربا وماركس ولينين ومزدك قبلهم.

قال فيه:

«والآن أيتها الجماهير... الآن ينبغي أن تتولى الجماهير الكادحة المحرومة المغبونة قضيتها بأيديها... ينبغي أن تفكر في وسائل الخلاص... إن أحدًا لن يقدم لهذه الجماهير عونًا إلا أنفسها، فعليها أن تعنى بأمرها، ولا تتطلع إلى معونة أخرى...».

ثم استمر في إلهاب مشاعر الغوغائيين بمثل هذا الأسلوب المهيج باسم الإسلام والإسلام منه براء...

إلى أن قال في خاتمة هذا الفصل:

«والآن أيتها الجماهير... لقد تبين أن أحدًا لن يمد يده إليك ما لم تمدي أنت يدك إليك، إن الطرق جميعًا لا تؤدي إلى الخلاص الحق، اللهم إلا طريقك الواحد الأصيل.

أيتها الجماهير... لقد تعين لك طريق الكرامة الإنسانية، وطريق العدالة الاجتماعية، وطريق المجد الذي عرفته الأمة الإسلامية مرة، والذي تملك أن تعرفه مرة أخرى... لو تفيق.

أيتها الجماهير... هذا هو الإسلام حاضر يلبي كل راغب في العزة والاستعلاء والسيادة، وكل راغب في المساواة والحرية، وكل من يؤمن بنفسه وقومه ووطنه[2] وكل من يشعر أن له مكانًا كريمًا في ذلك الوجود

أيتها الجماهير:... هذا هو الطريق».

بهذا الأسلوب المهيج المثير الذي احتذى فيه أسلوب من ذكرناهم.

---

(١) (ص١١٣-١٢٢).

(٢) هكذا يجعل الإسلام مطية القومية والوطنية والأغراض الشخصية تملقًا للجماهير المكونة من كل الفئات

وكل عاقل دارس يعرف أن شعارات: المساواة، والحرية، والأخوة، شعارات ماسونية، وشعارات الثورة الفرنسية التي وضعها اليهود، كل ذلك يلبسه سيد لباس الإسلام ويهيج به الغوغاء والهمج بما فيه سواد الإخوان المسلمين.

وقامت الثورة بقيادة ضباط الإخوان وبقيادة الضباط الأحرار، وهم جزء من الإخوان وعلى رأسهم سيد قطب على فاروق الذي لا يماري أحد في فساد حكمه، ولكن ليس هذا هو الطريق الصحيح.

فكيف كانت النتائج لهذه الثورة؟!

لقد تحولت الأوضاع إلى أسوأ مما كانت عليه في عهد فاروق بما لا يقاس في كل ناحية من نواحي الحياة الدينية والدنيوية.

وأول ما انصبت عواقب هذه الثورة الغوغائية على رءوس مهندسيها الإخوان المسلمين ومنهم سيد قطب، والله يعلم ماذا سيلاقون من الجزاء على هذه السنة السيئة التي سنوها للأنظمة الثورية في العراق، وليبيا، واليمن، وغيرها، التي تحولت بها الأوضاع في هذه البلدان من سيئ إلى أسوأ بما لا يقاس في كل النواحي الدينية والدنيوية، وتحولت بها الحريات المنشودة لا إلى عبودية وذل، بل إلى جحيم ودمار لكل القيم.

فليدرك العقلاء أنه ليس هذا هو الطريق، فليس هذا هو طريق الإسلام، بل هذا طريق ثوار أوربا الذين انتقلوا بأهل أوربا من الرق الروماني الشهير إلى الإقطاع إلى الرأسمالية... إلى الماركسية والنازية.

غلو في طرف يعالجه غلو آخر في الطرف الآخر، وظلم لطبقة يعالجه ظلم آخر لطبقة أخرى...»[1].

إن الطريق الصحيح هو الذي شرعه الله العليم الحكيم على لسان رسوله الرحيم الذي لا ينطق عن الهوى، الطريق الذي تمسك به علماء الإسلام إلى يومنا هذا، والذي لا يعرفه الثوريون، بل يحاربون من يرشد إليه، ويتهمونهم

---

(١) «الإسلام ومشكلات الحضارة» (ص٩١).

بالجاسوسية والعمالة على طريقة الثوريين الأوربيين وأذنابهم من العلمانيين والشيوعيين . . .

فأفيقوا أيها الشباب ، واحترموا العلماء ، وابحثوا عن طريق السداد والهدى ، ولا تسيروا في طريق أهل الجهل والفتن و الغوغاء .

وفي الحقيقة ليس هناك فرق كبير بين عصر المماليك والعصر الذي عاش فيه سيد قطب ، بل العصر الذي عاشه كان في الجملة خيرًا من عصر المماليك ؛ ففي عهده قامت دولة التوحيد في الجزيرة على الكتاب والسنة ، وكانت هناك دعوات سلفية قوية رافعة راية التوحيد والسنة في الهند ، وباكستان ، وبنجلاديش ، وشرق آسيا ، بل في مصر ، والسودان ، والجزائر ، والمغرب العربي ، ولم تواجه من الأذى ما واجهه شيخ الإسلام ومن معه في عهد المماليك .

وما كان في عصر المماليك شيء من ذلك حتى نهض ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ وتلاميذه ، فلاقوا من الأذى والاضطهاد ما لاقوه ، ولكي تتأكد مما قلته أنقل لك ما قاله ونقله المودودي عن المقريزي .

حيث قال المودودي : « . . . وكانت حال الأمراء عندئذٍ أن أكبر دولة كانت بقيت بأيدي المسلمين سليمة من غارات التتر وعدوانهم هي دولة المماليك في مصر والشام ، وهؤلاء المماليك كانوا قسموا قانون دولتهم على قسمين :

أحدهما : قانون شخصي تنحصر دائرته في أمور النكاح والطلاق والميراث ، فكان يفصل فيها بحسب أحكام الشرع .

والآخر : قانون مدني يحيط بجميع شئون الناس الداخلية تحت قسمي الحقوق والجنايات ، ويسيطر على نظام الدولة كله ، وهو مبني تمامًا على الدستور الجنكيزي المتطرف ، ذلك إلى أن ما كان رائجًا في البلاد من قانون الشرع الشخصي لم يكن إلا لعامة الرعايا ، وأما المماليك الحاكمون ، فكانوا يتبعون حتى في أمورهم الشخصية القانون الجنكيزي لا الشرع المحمدي في أغلب الأحوال .

لكي تقدر كيفية سلوكهم المعارض للإسلام حسبك ما رواه المقريزي من أن

المماليك كانوا قد أذنوا في قيام دور البغاء في بلادهم مطلقًا، وكانت ضربت على البغايا ضريبة يودع دخلها في بيت مال الدولة الإسلامية، كان معظم من عاصر ابن تيمية من العلماء والصوفية عالة على هذه الدولة، فلم يحز في نفس واحد منهم كل هذه النكبة والحال السيئة التي كان فيها الدين الإسلامي.

ولكنه لما قام الإمام ابن تيمية يسعى للإصلاح، أخذتهم الأنفة والحمية بغتة، فغدوا يفتون أن هذا الرجل ضال مضل يقول بالتجسيم والتشبيه، منحرف عن طريقة السلف، عدو للتصوف وأهله، يجرؤ على الصحابة والتابعين بنقده، ويختلق في الدين أشياء، فلا تجوز خلفه الصلاة، وأن كتبه ومؤلفاته لخليقة بأن تحرق»[1].

وبالجملة، فعصر المماليك كان فيه شر كبير وانحراف في العقيدة والشريعة والسياسة والحكم، كما ذكر المقريزي، ومع ذلك فلم يدع أحد من العلماء -صالحهم وطالحهم سنيهم وبدعيهم- إلى الثورات والانقلابات التي يدعو إليها سيد قطب والإخوان المسلمون، ولم تنتشر موجات التكفير في ذلك العصر، بل لم يوجد منها شيء لا في عهد ابن تيمية وتلاميذه، ولا قبله ولا بعده، مع شدة سوء الحال في العقيدة والمنهج والدستور والقوانين.

ولم يطبق العلماء على السكوت، بل كانوا يعالجون الأمور بالعلم والحكمة والصبر.

ولو واجهوا الحكام كمواجهة الإخوان المسلمين، لزادت الأمور سوءًا وشرًّا وفسادًا.

---

(١) «تجديد الدين» (ص٧٤ - ٧٥)، مؤسسة الرسالة، وما ذكره المودودي ونقله عن دولة المماليك فمسلم، ولعل الحاكم في عهد ابن تيمية قد تحسن وضعه، وأما ما قاله عن العلماء، فلم يحز في نفس أحد منهم كل هذه النكبة والحال السيئة التي كان فيها الدين الإسلامي؛ ففي هذا الإطلاق والتعميم نظر؛ فقد كان هناك من العلماء على ما فيهم من انحراف عقدي من يحز في نفسه هذه النكبة ويناصح هؤلاء الحكام بالحكمة وفي حدود الطاقة.

ثم لما قام الإمام ابن تيمية برفع راية السنة والتوحيد ومجابهة الشرك والضلال والبدع، اعترضه وعارضه وشنع عليه كثير من علماء السوء والضلال، ولكنه في الوقت نفسه وجد من العلماء وعامة الناس من يؤيده وينصره في حمل راية التوحيد والسنة في مصر والشام والعراق وغيرها، وإن خذله الحكام في أغلب الأحيان ونصروا خصومه.

انظر إلى علاج الإخوان المسلمين لمشاكل المسلمين التي انطلقت منها دعوة سيد قطب.

يقول الغزالي: «ولئن مددنا أبصارنا، فوجدنا طريق الرجولة مفروشًا بالأشواك مضرجًا بالدماء، فإن عزاءنا في الدنيا -إلى جانب ما نرجوه في الآخرة- أن الخيانة والنكوص قد كلف أصحابه شططًا، وأذاقهم ويلًا»(١).

ويقول الغزالي عن نفسه وعن الإخوان المسلمين: «وعلى كل حال، فنحن ماضون إلى غايتنا، من عمل للإسلام وعمل للأمة، سائلين الله أن يرزقنا التوفيق والسداد في هذا اللون من الجهاد.

واليوم تصدر هذه الطبعة وفي الشرق دوي هائل للعمل الضخم الذي حققته عناية الله في مصر.

لقد طرد مليكها الغر (فاروق) شر طردة، وهتكت الأستار عن الفضائح المخزية التي طالما ارتكبها هذا الفاسق وأعوانه، وتمت هذه الآية على يد الجيش الذي حسبه الطغاة سندًا لهم، وأبى الله إلا أن يكون هلاكًا عليهم

﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾(٢).

وددنا لو انجابت ظلمات الليل المخيم على بلاد الإسلام كلها فاختفت من آفاقها الداكنة بقية الطواغيت التي ما زالت تعيث فسادًا هنا وهناك!!

إنما نحس بأن كتاباتنا المتواصلة بدأت تؤتي ثمارها، وأن سهمنا كبير في هذا

---

(١) «الإسلام المفترى عليه» (ص٤).

(٢) وفي الحقيقة أن الآية هذه تنطبق عليهم أكثر من فاروق، بل انطبقت على رءوسهم أكثر من فاروق، وعاد وبال مكرهم وثورتهم الفاسدة عليهم سجونًا، وتعذيبًا، وتقتيلًا، وتشريدًا، وظلمًا، واستبدادًا لا يوجد له نظير في مصر إلا في عهد فرعون، فهذه ثمرة جهاد الغزالي وإخوانه في مصر، لأنهم لم يسلكوا طريق الإسلام في علاج المشاكل، بل سلكوا طرق الثوار في روسيا وأوربا في الشغب والتهييج وإثارة الجماهير الغوغائية، وأخيرًا، في قيادة الجيش إلى الثورة، فكان ما كان من الشرور والويلات والعواقب الوخيمة، ولم يكفهم ذلك، ولم يأخذوا منه العبرة، بل لا يزالون سائرين في هذا الطريق المدمر.

النصر المبين.

إن الحملات التي شنناها على الأصنام قد انتهت بتحطيم أكبر الأصنام قدرًا[1]، والجهود التي بذلناها لتجرئ الجماهير على أخذ حقوقها وتحقير جلاديها نجحت في إيغار الصدور على الباغين، وتكثير السواد المتألب ضدهم، وتقليل العبيد[2] الذي[3] طالما عاشوا في خدمتهم.

وسوف نظل على هذا النهج الواضح، نهتف بالحق ونشغب على الباطل قدر ما نستطيع»[4].

وفي الحقيقة: أن دعوة الإخوان المسلمين مستمدة من المناهج الكافرة الغربية ألبست لباس الإسلام.

استمع إلى قول الغزالي:

«وأرى أن بلوغ هذه الأهداف يستلزم أن نقتبس من التفاصيل التي وضعتها الاشتراكية الحديثة مثلما اقتبسنا صورًا لا تزال مقتضبة -من الديمقراطية الحديثة- مادام ذلك في نطاق ما يعرف من عقائد وقواعد، وفي مقدمة ما نرى الإسراع بتطبيقه في هذه الميادين تقييد الملكيات الكبرى وتأميم المرافق العامة»[5].

---

(١) وقامت على أنقاضها أصنام أظلم وأطغى بما لا يقاس في مصر، والعراق، والشام، وليبيا، واليمن، والسودان، وغيرها، فهذه ثمار دعوات الإخوان!! وما كفتهم هذه الثمار فلا يزالون يطلبون المزيد حتى يقضوا على آخر نفس للإسلام بسيف الإسلام.

(٢) ليذهب إلى السودان هو وغيره ليروا جرأة الجماهير الإسلامية على أخذ حقوقها، وليروا عزة إسلام الإخوان المسلمين متمثلة في الدعوة إلى وحدة الأديان، ويروا بأعينهم الكنائس تتسابق في التشييد، واحتلال النصارى لأعلى المراكز في الحكومة الإخوانية، وليسمعوا ويروا برامج التنصير تذاع في إذاعة الحكومة السودانية عبر شاشات التلفزيون ووسائل الإعلام، فهذه ثمار ناضجة لدعوة الإخوان المسلمين تكشف هويتها وحقيقتها. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾.

(٣) كذا، ولعله: الذين.

(٤) «الإسلام المفترى عليه» (ص٥).

(٥) «الإسلام المفترى عليه» (ص٦٦)، وهو يمثل فكر الإخوان المسلمين ونشر في مجلتهم انظر «الإسلام المفترى عليه» (ص٦)، ولقد أشاع هذا الكتاب وأمثاله من كتب الغزالي وكتب سيد قطب والإخوان المسلمين، أشاعها الإخوان المسلمون في العالم الإسلامي ولا يزالون يعتزون بها وبمؤلفيها وأفكارهم

انظر إليه كيف يختبئ ويتستر وراء الإسلام وعقائده وقواعده لإقناع السذج البلهاء بالاشتراكية والديمقراطية.

ويقول: «ما أسرع ما جاء الليل وفي الليل تظهر الأشباح... وتنطلق المردة... وتولد الأساطير... وكان من الأساطير التي راجت عن الإسلام أن الدين الذي يدعو للأخوة العامة أصبح حملته يتعصبون لقبيلة من القبائل أو جنس من الأجناس، وأن الدين الذي يقوم على الاشتراكيه العامة أصبح القوام عليه فئات من المترفين والعاطلين الذين لا يكن لهم هذا الدين إلا البغض والاحتقار.

قال سائح أمريكي: لقد عرفت الحال عندكم، لما شاهدت ريفكم نظام بيوتكم فيه.

فقيل له: وكيف؟

قال: قصر واحد مشيد، وأكواخ مبعثرة مهدمة، إن لهذا دلالته الصارخة.

ومن عجب أن تكون هذه الصورة المزرية، صورة الأنانية المتفردة، والجماعة البائسة المنكودة، هي الصورة التي يراد أن تسود في ميدان السياسة والاجتماع والاقتصاد، وأن يكون ذلك في حماية من الدين ذي المناهج الاشتراكية التي لا ينكرها ذو عينين...»[1].

أقول: ومن أكثر افتراء على الله ممن يقول: إن الدين يقوم على الاشتراكية العامة، ويقول عن هذا الدين بأنه ذو مناهج اشتراكية، وممن يدعو إلى المساواة وهو يحمل في نفسه من التعالي والاستعلاء، وينغمس في الترف الحرام والأموال التي يختلسها من الأمة تحت شعارات ودعايات لم تزد الأمة إلا فقرًا وذلًا وبوارًا.

فلقد أصبح دعاة الاشتراكية والأخوة والمساواة أثرى الناس وأنعم الناس، وما زادت بلدانهم بهم إلا فقرًا وشقاء ومذابح ودماء، لا يستفيد منها إلا هم ومن وراءهم من أعداء الإسلام.

وقد سادت هذه الصورة المزرية -صورة الأنانية المتفردة والجماعة البائسة

(١) «الإسلام المفترى عليه» (ص١٠٠).

المنكودة- في ميدان السياسة والاجتماع والاقتصاد على أيديكم، وتحت شعاراتكم البراقة الخلابة لعقول البلهاء، والبلدان التي نجت من سطوتكم تعيش في بحبوحة، وأنتم تبذلون جهودكم التي لا تعرف الكلل لإلحاقها بركب أخواتها.

فاللهم الطف بعبادك وبلادك، وأنعم عليهم بالوعي والإدراك لكشف الألاعيب الحقيقية.

* * *

الخاتمة:
نداء إلى العلماء وأساتذة الجامعات والقضاة

إلى أساتذة الجامعات والمعاهد العلمية . . .

إلى القضاة في المحاكم الشرعية، وفقهم الله وسدد خطاهم وجعلنا وإياهم من شهداء الله في الأرض.

أما بعد:

فإني أرى نفسي -فيما أناقش فيه سيد قطب- على الحق، وأرى أنه قد جانب الصواب.

وإنّي أرى نفسي بهذه المحاولة أؤدي واجبًا افترضه الله علي وعليكم،

ولا أدعي أنني معصوم من الخطأ.

ولعل الناس قد اشرأبت أعناقهم وأصغوا بآذانهم ليسمعوا منكم كلمة الحق الفاصلة، فقوموا بواجب العبودية لله رب العالمين في نصرة الحق سواء علي أو لي.

وإنني أذكركم بقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥].

وأذكركم بقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٨ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٨-٩]

فأثبتوا للعالم أنكم قوامون لله شهداء بالقسط.

وأثبتوا للدنيا ميزتكم على علماء الملل الباطلة والنحل الضالة في الصدع بالحق، ونصرته والقيام بالحق والشهادة به.

إن أنظار الأمة والشباب لتمتد إليكم لتقولوا كلمة الحق مدوية، وإن الله

مستخلفكم لينظر كيف تعلمون.

ووالله، إن هذا المسكين لجاد فيما يقول، ويرى نفسه بارًا راشدًا فيما يكتبه، وفي الوقت نفسه لا يبرئ نفسه من الخطأ.

فما كان فيما كتبت من صواب فمن الله وبتوفيقه وتسديده، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان، والله بريء من ذلك الخطأ.

والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا، وإن نصرتكم للحق لنصرة لله.

﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾.

﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

وكتبه

ربيع بن هادي عمير المدخلي

المدينة النبوية

١٤١٥هـ

* * *

نظرات في كتاب

«التصوير الفني في القرآن الكريم»

لسيد قطب

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقًا

بوزيد بلقاسم
بوزيد بلقاسم

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

الحمد لله الذي قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩].

وصدق رسوله الكريم القائل: «لاتزال طائفةٌ من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك» أخرجه مسلم (١٩٢٠).

وبشر وأنذر ومما أنذرها به قوله -عليه الصلاة والسلام-: «إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين». أخرجه أبو داود (٢/ ٢٠٣)، والدارمي (١/ ٧٠، ٢/ ٣١١)، والترمذي (٣/ ٢٣١تحفة)، وأحمد (٥/ ١٧٨).

ومما أنذرها به في سياق الحديث عن الدجال قوله ﷺ: «غير الدجال أخوفني عليكم». أخرجه مسلم (٢١٣٧).

فهذه النوعيات أشد خطرًا على الإسلام من الدجال ومن أعداء الإسلام الواضحين.

إن هذه الأصناف لا تحارب الإسلام جهارًا، وإنما تتظاهر بالإسلام، وتحمل شعارات براقة خلابة، وهي تحمل في ثناياها السموم القتالة والموت الزؤام.

ومن المؤسف أشد الأسف: أن تجد هذه الأصناف أتباعًا وجنودًا يعظمونهم تعظيمًا يؤدي إلى رفعهم فوق مستوى النقد مهما بلغوا من الضلال والانحراف، ويؤدي إلى استصغار عظائمهم وطوامهم؛ فتصير في أعينهم أدق من الشعر ولو كانت أعظم من الجبال الشامخة، فيصدق عليهم قول أنس ﷺ: «إنكم لتعملون أعمالًا هي أدق في أعينكم من الشعر، كنا نعدها في عهد رسول الله ﷺ من الموبقات».

فلو عاش أنس وإخوانه أولو الأحلام والنهى حتى رأوا هؤلاء وعرفوا حالهم

وواقعهم؛ لذهلوا عما كانوا يعدونه من الموبقات، ولرأوا الفروق الهائلة الشاسعة بين حال من عاصروهم وواقعهم، وبين حال هؤلاء وواقعهم، ولعل كثيرًا منهم يفرون منهم إلى الجبال والشعاب.

إنه والله لواقع مرير وإن الأمر كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

فنعوذ بالله من حال هؤلاء وإنا لنضرع إلى الله ونضرع إليه أن يعافي المسلمين من هذا البلاء وأن يأخذ بنواصي من أصابهم هذا البلاء إلى الحق والهدى.

ومما ابتلي به المسلمون في هذا العصر: كتب ومناهج سيد قطب التي راجت في أوساطهم وروج لها كثيرًا، وعميت بصائر وأبصار كثيرٍ منهم؛ فلا يدركون خطرها الماحق ولا ضررها المدمر.

ومن أشدها خطرًا: «التصوير الفني في القرآن» الذي أعجب به كثيرٌ من عميان البصائر؛ فاغتر سيد قطب بإعجاب هؤلاء العميان التائهين فاندفع بكل اعتزاز قائلًا في خاتمة كتابه «التصوير الفني» (ص٢٥٣): «منذ سبعة أعوام صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب، وأحمد الله على أن صادف التوفيق فقوبل من الأوساط الأدبية والعلمية والدينية على السواء مقابلة طيبة، إن دلت على شيء فإنما تدل على أن الدين لا يقف في طريق البحوث الفنية والعلمية التي تتناول مقدساته تناولًا طليقًا من كل قيد، وعلى أن البحوث الفنية والعلمية لا تصدم الدين ولا تخدشه حينما تخلص فيه النية، وتتجرد من الحذلقة والادعاء، وأن حرية الفكر لا تعني حتمًا مجافاة الدين كما يفهم بعض المقلدين في التحرر».

لقد أخذ سيد قطب من هذه المقابلة الطيبة في زعمه من الأوساط المذكورة دليلًا على أن الدين لا يقف في طريق البحوث الفنية والعلمية التي تتناول مقدساته تناولًا طليقًا من كل قيد، ولا يشك عاقل أن هؤلاء الذين قابلوا كتابه هذه المقابلة إما جهال أغبياء، وإما متحررون منفلتون في الدين كانفلاته الذي شهد به على نفسه حينما كتب هذا الكتاب.

ونقول لسيد قطب: فماذا يبقى لهذه المقدسات إذا تناولتها البحوث الفنية

والعلمية تناولًا طليقًا من كل قيد وكيف لا تصدم المقدسات ولا تخدش مكانتها، وقد انفلت في هذه البحوث من كل قيد؛ فلا عقيدة تمسكه وتقيده، ولا أدب، ولا احترام، ولا إجلال، ولا هيبة لهذه المقدسات.

فهذا سيد قطب نفسه يصرح بقوله في خاتمة هذا الكتاب: «وأنا أجهر بهذه الحقيقة الأخيرة وأجهر معها بأنني لم أخضع في هذا لعقيدة دينية تغل فكري عن الفهم». «التصوير الفني» (ص٢٥٥).

ووالله لقد فعل الأفاعيل بسبب هذا الانفلات، مهما زعم لنفسه من المزاعم، ومهما زعم له غيره من المزاعم أيضًا.

إن عقيدة الإسلام لا تغل العقل والفكر، بل هي:

١- تبصر العقل وتنيره، وتوجهه التوجيه الصحيح إلى احترام الحق، وتحري الحقائق، والبحث عنها بتثبت وأناة وأدب.

٢- وتفك أسره من الخرافات، والتقاليد، والعقائد الفاسدة التي وقع فيها سيد قطب وأمثاله.

٣- وتحطم أغلالها وآصارها.

٤- وتضع للعقل حدودًا لا يتعداها.

بخلاف ما يتصوره سيد قطب عنها، ولقد أخذ عليه أحمد محمد جمال هذه المجاهرة في كتابه على مائدة القرآن (ص٥٠-٥١)؛ فناقشه في خمس عشرة مسألة منها إنكاره لرؤية الله.

وقد قال في طليعة هذه المناقشة: «وأول ما أريد جدال المؤلف فيه: إصراره الظاهر المكرور في عدة مواضع من كتابه على أنه مثلًا لم يفكر هذا التفكير، أو لم يتصور هذه الصورة، أو لم يقف هذه الوقفة لأنه رجل دين تغله عقيدته الدينية عن الفهم والبحث، ولكنه لأنه رجل فكر يحترم فكره».

أنا لا أريد أن أتدخل بينه وبين إشادته بفكره وعمله دائمًا بوحي هذا الفكر فيما يرى من آراء، ولكني أريد أن أتدخل فيما تشعر به هذه الإشادة السافرة الفاخرة من أن العقيدة الإسلامية -التي ينفي المؤلف اعتبارها في عمله ليثبت اعتبار فكره فيه-

تحول دون الفهم الدقيق والبحث الطليق والانتهاء إلى رأي معقول مقبول، فهل الأمر كذلك يا أستاذ سيد؟

وإني لآسف على أحمد محمد جمال؛ فإنه مع مناقشته لسيد قطب في أخطائه في «المشاهد» ولم يستوفها، وفي الوقت نفسه أبدى إعجابه بكتابه «التصوير الفني» وبصاحبه، فلا أدري ما هي الأسباب التي دفعته إلى هذا الإعجاب لاسيما وقد حوى «التصوير الفني» من الضلالات ما يتضاءل أمامها ما في كتاب «المشاهد»، ولعله لم يطلع على هذه الضلالات التي أعتقد أنه لو وقف عليها لناقش فيها سيد قطب أو في أهمها، والله وحده هو العليم بعباده.

* * *

أصول سيد قطب التي بنى عليها تفسيره لآيات القرآن الكريم التي جعلها مجالًا لتطبيق أصوله ونظرياته

لقد بنى سيد قطب عمله في هذا الكتاب وغيره على أصول فاسدة مدمرة وهي:

١- قاعدة التصوير الفني وما يتبعها وينبع عنها.

٢- اعتقاده أن الدين والفن صنوان.

ومن هنا ومن أصل قاعدته يرى جواز التصوير اليدوي وما يرافقه من ريش ولوحات، وقد استعان بأستاذ الرسم التصوير في عمله في كتاب «التصوير الفني»، وهو التصوير المحرم الذي ورد فيه اللعن والوعيد الشديد، ومن هنا يرى جواز العمل الموسيقي بأنواعه وقواعده وهو محرم ومن أخبث آلات اللهو، ولقد استعان في عمله هذا بأستاذ الموسيقى كما صرح هو بذلك.

٣- انفلاته من العقيدة حيث صرح بقوله: «وأنا أجهر بهذه الحقيقة الأخيرة وأجهر معها بأنني لم أخضع في هذا لعقيدة دينية تغل فكري عن الفهم» «التصوير الفني» (ص٢٥٥).

٤- اعتداده بالفكر فيما يقرره عن القرآن وحقائق أخرى؛ حيث قال في سياق الدفاع عن القرآن ومقرراته على حسب فهمه: «لم أكن في هذه الوقفة رجل دين تقيده العقيدة البحتة عن البحث الطليق بل كنت رجل فكر يحترم فكره عن التجديف والتلفيق» «التصوير الفني» (ص٢٥٨).

وليس الأمر كما يزعم؛ فلقد جدّف ولفق كثيرًا بسبب هذا الانفلات من العقيدة وبسبب الاعتداد بفكره، ويكرر اعتزازه بهذا التحرر الفكري فيقول في كتاب «مشاهد القيامة في القرآن»: «لم تكن هذه كلمات رجل تنقصه حرية التفكير، وإني لأعتز بالكلمة القصيرة الحاسمة التي وصف بها الأستاذ المحقق الكبير عبد العزيز فهمي باشا هذا الاتجاه فقال: إنه ينم عن تحرر في العقل لم يتفق أن سمعنا

بمثله من قبل».

وحقًا قال عبد العزيز فهمي باشا إنه ما سمع بمثل تحرر سيد قطب.

٥- إنه في عمله هذا ما كانت تحجزه عقيدة عن تطبيق قاعدته الفاسدة على نصوص القرآن، بما يتبع تلك القاعدة من عرض مشاهد سينمائية ومسرحية وتمثيليات وتصوير وموسيقى بأنواعها وقواعدها ومناظر ونظارة. . إلخ.

حيث جعل معظم نصوص القرآن مجالًا فسيحًا لهذه الاختراعات اليهودية والنصرانية، بل والإلحادية لإفساد الدين والأخلاق.

٦- انطلاقه من أصل الجهمية الذي قال عنه ابن تيمية ﷺ: «إنه ينبوع البدع»، وهو الاستدلال على حدوث العالم بحدوث الأجسام، والاستدلال على حدوث الأجسام بحدوث الأعراض فقال: «الأجسام لا تنفك عن أعراض محدثة، وما لا ينفك عن الحوادث أوما لا يسبق الحوادث فهو حادث». انظر منهاج السنة (١/ ١١٢-١١٣) الطبعة القديمة

وقال في موضع آخر من المنهاج (١/ ٤٠٣) الطبعة الجديدة: «والاستدلال بهذه الطريقة أوجب نفي صفات الله القائمة به، وأوجبت من بدع الجهمية ما هو معروف عند سلف الأمة، وسلطت بذلك الدهرية على القدح فيما جاءت به الرسل عن الله».

وقد جمع سيد قطب بين هذين الأصلين الفاسدين في تعطيل صفة استواء الله على عرشه، وعلوه على خلقه.

فقال في تفسير سورة (يونس) في تفسيره من ظلال القرآن (٣/ ١٧٦٢) التي يقول عنها في فصل التخييل الحسي والتجسيم (ص٧١-٧٢): «حينما نقول: إن التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن والقاعدة الأولى للبيان، لا نكون قد انتهينا من الحديث عن هذه الظاهرة الشاملة؛ فإن وراء ذلك بقية تستحق أن نفرد لها هذا الفصل الخاص. . .

ثم واصل يوضح فكرته الباطلة فقال: «﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ والاستواء على العرش كناية عن مقام السيطرة العلوية الثابتة الراسخة باللغة التي يفهمها البشر،

ويتمثلون بها المعاني على طريقة القرآن في التصوير، كما فصلنا هذا في فصل التخييل الحسي والتجسيم من كتاب التصوير الفني في القرآن». «في ظلال القرآن» (٣/ ١٧٦٢).

وقال في تفسير (سورة طه) من الظلال (٤/ ٢٣٢٨): «والاستواء على العرش كناية عن غاية السيطرة والاستعلاء».

وفي تفسير سورة الفرقان من «الظلال» (٥/ ٢٥٧٥) قال: «أما الاستواء على العرش فهو معنى الاستعلاء والسيطرة، ولفظ(ثم) لا يدل على الترتيب الزمني؛ إنما يدل على بعد الرتبة رتبة الاستواء والاستعلاء».

وفي تفسير(سورة السجدة) من «الظلال»(٥/ ٢٨٠٧) قال: «﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ والاستواء على العرش رمز لاستعلائه على الخلق كله، أما العرش ذاته فلا سبيل إلى قول شيء عنه، ولابد من الوقوف عند لفظه، وليس كذلك الاستواء؛ فظاهر أنه كناية عن الاستعلاء، ولفظ (ثم) لا يمكن قطعًا أن يكون للترتيب الزمني؛ لأن الله ﷻ لا تتغير عليه الأحوال، ولا يكون في حال أو وضع سبحانه، ثم يكون في حال أو وضع تالٍ؛ إنما هو الترتيب المعنوي؛ فالاستعلاء درجة فوق الخلق يعبر عنها هذا التعبير».

وذهب يكرر الاستعلاء والسيطرة في سياق يدل أنه لا يعترف بعرش مخلوق استوى عليه الرحمن كما أخبر بذلك أخبارًا متكررة يؤكد بعضها بعضًا.

وفي تفسير سورة الرعد من «الظلال» (٤/ ٢٠٤٤-٢٠٤٥) قال: «ومن هذا المنظور الهائل الذي يراه الناس إلى المغيب الهائل الذي تتقاصر دونه المدارك والأبصار ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ فإن كان علو فهذا أعلى، وإن كانت عظمة فهذا أعظم، وهو الاستعلاء المطلق يرسمه في صورة على طريقة القرآن في تقريب الأمور المطلقة لمدارك البشر المحدودة، وهي لمسة أخرى هائلة من لمسات الريشة المعجزة، لمسة في العلو المطلق إلى جانب اللمسة الأولى في العلو المنظور تتجاوران وتتسقان في السياق، ومن الاستعلاء المطلق إلى التسخير».

وفي تفسيرسورة الحديد من «الظلال» (٦/ ٣٤٨٠) يقول: «وكذلك العرش؛

فنحن نؤمن به كما ذكره ولا نعلم حقيقته، أما الاستواء على العرش فنملك أن نقول: إنه كناية عن الهيمنة على هذا الخلق؛ استنادًا إلى ما نعلمه من القرآن عن يقين من أن الله سبحانه لا تتغير عليه الأحوال، فلا يكون في حالة عدم استواء على العرش ثم تتبعها حالة استواء.

والقول بأننا نؤمن بالاستواء ولا ندرك كيفيته لا يفسر قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ﴾، والأولى أن نقول: إنه كناية عن الهيمنة كما ذكرنا، والتأويل هنا لا يخرج عن المنهج الذي أشرنا إليه آنفًا؛ لأنه لا ينبع من مقررات من عند أنفسنا، إنما يستند إلى مقررات القرآن ذاته، وإلى التصور الذي يوحيه عن ذات الله سبحانه وصفاته».

فالقارئ يرى سيد قطب يؤول صفة الاستواء والعلو أينما وردت بهذا التفسير الجهمي، ويبني تفسيره على قاعدة جهم (ينبوع البدع)، ويزيد ذلك بقاعدته في «التصوير الفني» وما يتبعها (من التخييل والتجسيم)، وهي أيضًا ينبوع آخر لبدع شنيعة دونها سيد قطب في كتبه «التصوير الفني»، و«المشاهد»، و«الظلال».

وقوله: «والتأويل هنا لايخرج عن المنهج الذي أشرنا إليه آنفًا؛ لأنه لا ينبع من مقررات من عند أنفسنا؛ إنما يستند إلى مقررات القرآن». قول باطل فليس مستندًا إلى مقررات القرآن؛ وإنما هو مستندٌ إلى مقررات سابقة فعلًا مستمدة من الفلسفة الجهمية الضالة التي تشربها من كتب أهل البدع والضلال، وتشربها من فلسفة غلاة الصوفية التي أدت بهم وبه إلى القول بوحدة الوجود، وأكدها بفلسفته الجديدة التي استمدها من دور السينما ومن المسارح، وما يتبعهما وينبع عنهما من مشاهد ومناظر ونظرات، ومن قواعد التصوير وقواعد السينما وفنونهما التي طبقها بكل جرأة على القرآن.

ولسيد قطب نظائر من هذا التلبيس والإيهامات؛ فحينما يعطل صفات الله يقول مثل هذا الكلام، وحينما يطعن في الصحابة يقول: «ولست شيعيًا»، كما قال هذا في «كتب وشخصيات».

ومن أساليبه هذه تعلم أتباعه الذين يحاربون المنهج السلفي وأهله، ثم يدعون

أنهم سلفيون ويسلكون مسلكه في التمويه والتلبيس، تشابهت قلوبهم، والأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف؛ فقد تناكرت نفوسهم ونفوس السلفيين، وتآلفت نفوسهم ونفس سيد قطب وأشباهه.

٧- غلوه في تقدير الفن، واعتداده به من التصوير والتمثيل والموسيقى؛ فالفن والدين صنوان عند سيد قطب كما قال في (ص١٤٣-١٤٤) من كتاب «التصوير الفني»، و(ص٢٣١-٢٣٢) من كتاب «مشاهد القيامة في القرآن»: «والدين والفن صنوان في أعماق النفس، وقرارة الحس وإدارك الجمال الفني دليل استعداد لتلقي التأثير الديني[1] حين يرتفع الفن إلى هذا المستوى الرفيع، وحين تصفو النفس لتلقي رسالة الجمال».

وفي هذا الاعتقاد الباطل افتراءٌ على دين الله؛ فالدين -وهو الإسلام- في كل الرسالات تشريع الله رب العالمين.

قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى:١٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

ومن الطواغيت: الصور التي شرعها الشيطان وأضل بها أجيالًا وأجيالًا من عهد نوح وإلى يومنا هذا، وبعث الأنبياء بخلعها وتحطيمها، وتطهير الأرض والعقول منها.

روى البخاري في صحيحه في تفسير سورة نوح حديث (٤٩٢٠): «أن ودًّا، وسواعًا، ويغوث، ويعوق، ونسرًا أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا

(١) هل الأنبياء والصحابة والصالحون كانوا هكذا في التعلق بالفن الذي تعلق به سيد قطب ويمدحه هذا المدح؟

وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عُبدت».

والشاهد: أن التصوير من وحي الشيطان، وقد لعن رسول الله ﷺ المصورين، وقال ﷺ: «إن أشد الناس عذابًا عند الله يوم القيامة المصورون». أخرجه البخاري (٥٩٥٠).

وورد في تحريم التصوير عدا هذين الحديثين أحاديث أخر مما يبين شدة تحريم التصوير، وأنه من الكبائر.

وسيد قطب يستحله ويفسر به كتاب الله، ويرى ذلك من أرقى ما يفسر به القرآن، وقد استعان في كتابه «التصوير الفني في القرآن» بالأستاذ الفنان ضياء الدين محمد مفتش الرسم بوزارة المعارف في مراجعة القسم الخاص بتناسق التصوير، انظر كتاب «التصوير الفني في القرآن» (ص١١٤).

أما التمثيل: فأصله عبادة وثنيه اخترعه اليونان، وأخذه عنهم الرومان، ونشره الكفار في بلاد المسلمين لما استعمروها وأهلها، واستخدموا كل سلاح لإفساد المسلمين في دينهم وأخلاقهم، ومنها دور السينما، والمسارح، والملاهي، والتمثيليات الشيطانية.

ولا شك أن التمثيل حرام:

١- لما فيه من الكذب؛ إذ الكذب ركن من أركانه، ولما استخدمه سيد قطب وقع في الكذب كما سيأتي في مناقشته.

٢- ولما فيه من التشبه بالكفار وتقليدهم الأعمى فيه.

٣- ولما فيه من تشبه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال، واختلاط الجنسين فيه.

ولذا شدَّد كثير من العلماء في إنكاره ومنهم الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، والشيخ الألباني، والشيخ حمود التويجري، والشيخ صالح الفوزان، والشيخ صالح اللحيدان، وقد ألفت كتب في تحريمه لأهل السنة، بل ولأهل البدع كالشيخ الغماري.

وأما الموسيقى: فهي من شر آلات اللهو، ومن شر أنواع المعازف، وقد ورد

في تحريمها أحاديث صحيحة، وحرمها علماء الإسلام.

راجع كتاب تحريم آلات الطرب للعلامة المحدث الألباني كله إن شئت، وراجع فصل الأحاديث الفصل الأول من (ص٣٦-٧٤)؛ حيث أورد سبعة أحاديث في هذا الفصل في تحريم الغناء وآلات اللهو.

وله كلام جيد في الموسيقى ذكره في مقدمة الكتاب المذكور حيث قال في (ص١٥): ومن ذلك: مقال آخر نشرته مجلة الإخوان المسلمون أيضًا في العدد (٥) تحت عنوان الموسيقى الإسلامية، جاء فيه: والسيمفونية هي أرقى ما وصل إليه عباقرة الموسيقى أمثال (بيتهوفن)، و(شورب)، و(مرزار)، و(تشايكوفسكي)، وهي تعبير عن عواطف وإحساسات تنعكس من الطبيعة أو الإنسان، ويجمع لها أكبر عدد من العازفين المهرة بأحدث الآلات على اختلافها حتى يكون التعبير أقرب إلى الحقيقة بقدر الإمكان.

وقد تألفت فرق لـ(السيمفونية) المصرية تضم أكثر من ثلاثين عازفًا، ساعدتهم جمعية الشبان المسيحية (!) وعزفت في الجامعة الأمريكية (!) فما أجدرنا بهذا، وما أحوجنا إلى داعية (!) من نوع جديد سوف يكون فتحًا في عالم الموسيقى وتقدمًا عالميًّا لها، وحينئذٍ يبرز لون فريد يسيطر على أفئدة العالم هو الموسيقى الإسلامية (!) بدلًا من الموسيقى الشرقية!

قال العلامة الألباني: قلت: فهذا من أكبر الأدلة على أن استباحة الآلات الموسيقية قد فشت بين المسلمين، حتى الذين ينادون منهم بإعادة مجد المسلمين وإقامة دولة الإسلام كالإخوان المسلمين مثلًا، ولولا ذلك لما استجازت مجلتهم أن تنشر هذا المقال الصريح في استحلال ما حرم الله من الموسيقى، بل والدعوة إليها، وليس هذا فقط بل وسماها (الموسيقى الإسلامية) على وزن (الاشتراكية الإسلامية)، و(الديمقراطية الإسلامية)، وغيرها، مما يصدق عليه قوله -تبارك وتعالى-: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾.

وقد أشار النبي ﷺ إلى شيء من ذلك بقوله: «ليستحلن طائفة من أمتي الخمر باسم يسمونها -وفي رواية: يسمونها بغير اسمها-» وهو مخرج في الصحيحة

(ص٩٠)، وسيأتي (ص٨٦). انتهى كلام الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

فهذه بعض أصول سيد قطب الفاسدة التي سار عليها في تفسيره للآيات الكريمة التي أوردها في كتاب «التصوير الفني في القرآن»، والتي جعلها ميدانًا لتطبيق هذه الأصول الضالة، ويرى أن القرآن كله مجال لتطبيق هذه الأصول، وطبقها في كتابه «مشاهد القيامة في القرآن، وظهرت آثارها في «الظلال»، وله أصول أخرى طبقها في كتاب «الظلال».

* * *

اتجاهات الناس في تفسير القرآن

أهل السنة يتفقهون في كتاب الله وسنة رسوله على طريقة الصحابة والتابعين في العقائد، والعبادات، والمعاملات، ويردون النصوص المتشابهة إلى النصوص المحكمة.

وأهل الأهواء يفسرون القرآن والسنة حسب أهوائهم، ويقدمون المتشابهات على المحكمات، وكل طائفة تفسر القرآن ونصوص السنة على حسب أهوائها، وتدعي أنها على الحق.

فالجهمي يفسر القرآن حسب أصول الجهمية الفلسفية.

والمعتزلي حسب أصوله الاعتزالية.

والخوارج والروافض يفسرون القرآن والسنة حسب أهوائهم وأصولهم الخارجية والرافضية.

والصوفية يفسرون القرآن والسنة حسب أهوائهم وأصولهم الصوفية.

وجاء في هذا العصر سيد قطب وفسر القرآن بحسب هواه، وبحسب الأصول الفنية من تصوير وموسيقى وقواعدهما، وعلى أصول السينما وأصول المسرحيات، وما يتبعها من تمثيليات، ومشاهد، ولوحات، وريشات، ونظارة، ومفاجآت، ويرى نفسه أنه اهتدى في هذا التفسير على هذه الوجوه إلى ما لم يسبق إليه، أضف إلى ذلك ما ورثه من أصول أهل الضلال على اختلافهم.

١- الدين والفن والقصة:

هذا عنوان أحد فصول كتاب «التصوير الفني» (ص١٧١).

قال سيد قطب تحت هذا العنوان:

«قلنا: إن خضوع القصة للغرض الديني لم يمنع بروز الخصائص الفنية في عرضها، فالآن نقول: إنه كان من أثر هذا الخضوع بروز خصائص فنية بعينها

تحسب في الرصيد الفني للقصة في عالم الفنون الطليق».

قال في تفسير قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ إلى قوله تعالى ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ [الفجر: ٢١-٢٦] قال:

«في وسط هذا الروع الذي يبثه العرض العسكري الذي تشترك فيه جهنم بموسيقاه العسكرية المتنظمة الدقات، المنبثقة من البناء اللفظي الشديد الأسر، وبين العذاب العد والوثاق النموذجي، يقال لمن آمن: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾».

فسرها سيد قطب بأسلوبه إلى قوله: «بهذا الانسجام الذي يعمر الجو كله بالرضا والتعاطف ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى﴾ ممتزجة بهم متوادة معهم ﴿وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ المضافة لي، والموسيقى حول المشهد مطمئنة متموجة رخية في مقابل تلك الموسيقى القوية العسكرية».

قال: «فأما تنوع أسلوب الموسيقى وإيقاعها بتنوع الأجزاء التي تطلق فيها فعندنا ما نعتمد عليه في الجزم بأنه يتبع نظامًا خاصًا، وينسجم مع الجو العام باطراد لا يستثنى.

وقد نحتاج في ضبط هذه الفروق وتوضيحها إلى قواعد موسيقية خاصة، وإلى اصطلاحات في الموسيقى لا يتهيأ العلم بها لكل قارئ، ولا لنا نحن أيضًا، ولكننا نحسب المسألة أيسر من ذلك إذا نحن اخترنا ألوانًا متباعدة وأساليب متباينة من هذه الموسيقى، في سورة النازعات أسلوبان موسيقيان، وإيقاعان ينسجمان مع جوَّين فيهما تمام الانسجام...». «التصوير الفني» (ص١١٠-١١١).

ثم واصل بذكر أنواع الموسيقى، وتموجها وإيقاعها وأن الموسيقى واضحة في بعض الآيات قد تستغني لوضوحها عن معرفة قواعد الموسيقى (ص١١٢-١١٣).

وفي (ص١١٤-١١٥) تحدث عن التصوير وتناسق الصور والرسم (وهو التصوير) فقال: «هذا اللون من التناسق هو مفتاح الطريق إلى التناسق الذي نعنيه هنا بالذات.

والذي نعنيه هو:

أولًا: ما يسمى بوحدة الرسم، وحتى المبتدءون في القواعد يعرفون شيئًا عن هذه الوحدة، فلسنا في حاجة إلى شرحها ويكفي أن نقول: إن القواعد الأولية للرسم تحتم أن يكون هناك وحدة بين أجزاء الصورة؛ فلا تتنافر جزئياتها.

ثانيًا: توزيع أجزاء الصورة بعد تناسبها على الرقعة بنسب معينة؛ حتى لا يزحم بعضها بعضًا، ولا تفقد تناسقها في مجموعها.

ثالثًا: اللون الذي ترسم به، والتدرج في الظلال، بما يحقق الجو العام المتسق مع الفكرة والموضوع.

والتصوير بالألوان يلاحظ هذا التناسق كما يلاحظه التوزيع في المشاهد المسرحية والسينمائية، والتصوير في القرآن يقوم على أساسه، وإن كانت وسيلته الوحيدة هي الألفاظ، وبذلك يسمو الإعجاز فيه على تلك المحاولات».

قال سيد قطب في (ص١١٤) من كتاب «التصوير الفني في القرآن»: «تفضل الأستاذ الفنان ضياء الدين محمد مفتش الرسم بوزارة المعارف بمراجعة هذا القسم الخاص بتناسق التصوير...

ثم قال: «خذ سورة من السور الصغيرة التي ربما يحسب البعض أنها شبيهة بسجع الكهان أو حكمة السجاع، وخذ سورة الفلق فما الجو المراد إطلاقه فيها؟ إنه جو التعويذة بما فيه من خفاء وهيمنة وغموض وإبهام».

وما أظن أحدًا مسلمًا يقول مثل هذا الكلام في تفسير القرآن، ولكنه الانفلات من العقيدة، ثم فسر السورة على قاعدته من الصور والتصوير والتقابل والأجزاء والمشاهد.

ثم قال في (ص١١٧): «وهذه الأجزاء موزعة على الرقعة توزيعًا متناسقًا متقابلة في اللوحة ذلك التقابل الدقيق، وكلها ذات لون واحد، فهي أشياء غامضة مرهوبة يلفها الغموض والظلام، والجو العام قائم على أساس هذه الوحدة في الأجزاء والألوان.

ليس في هذا البيان شيء من التمحل، وليست هذه الدقة كلها بلا هدف،

وليس هذا الهدف حلية عابرة، فالمسألة ليست مسألة ألفاظ أو تقابلات ذهنية، إنما هي لوحة وجو وتنسيق وتقابلات تصويرية يعد فنًّا رفيعًا في التصوير، وهي إعجاز إذا أداه مجرد التعبير».

وأقول: إنه هجوم عجيب على كتاب الله، وإساءة عظيمة إلى رب العالمين، وتمحل فعلًا، وكأن الله -تعالى وجل وتنزه- فنان لا غاية له إلا أن يحرز إعجاب الفنانين والرسامين، وكأن القرآن لا يكون معجزًا إلا إذا كان على منهج سيد قطب وقاعدته الضالة الفاسدة، التي انفلت بها من العقيدة، وسهلت عليه الجرأة على مكانة القرآن وقداسته، وعظم من تكلم به وأوحاه لهداية عباده.

قال سيد قطب في فصل التناسق الفني (ص٨٧): «حينما نقول: إن التصوير هو القاعدة الأساسية في أسلوب القرآن، وإن التخييل والتجسيم هما الظاهرتان البارزتان في هذا التصوير، لا نكون قد بلغنا المدى في بيان الخصائص القرآنية بصفة عامة، ولا خصائص التصوير القرآني بصفة خاصة، ووراء هذا وذاك آفاق أخرى يبلغ إليها النسق القرآني، وبها تقويمه، منها الصحيح من ناحية الأداء الفني، ومنها ذلك الإيقاع الموسيقي الناشئ من تخيير الألفاظ ونظمها في نسق خاص.

ومع أن هذه الظاهرة واضحة جد الوضوح في القرآن، وعميقة كل العمق في بنائه الفني؛ فإن حديثهم عنها لم يتجاوز ذلك الإيقاع الظاهري، ولم يرتق إلى إدراك التعدد في الأساليب الموسيقية، وتناسق ذلك كله مع الجو الذي تطلق فيه هذه الموسيقى، ووظيفتها التي تؤديها في كل سياق».

ثم ساق خصائص أخرى ثم قال في (ص٨٩): «ومع أن الخصائص التي طرقوها حقيقية وقيمة، فإنها لا تزال أولى مظاهر التناسق التي يلمحها الباحث في القرآن، ووراءها آفاق أخرى لم يتعرضوا لها أصلًا فيما عدا ظاهرة الإيقاع الموسيقي؛ فهي أحد هذه الآفاق العالية ولكنهم كما قلت: وقفوا عند مظاهرها الخارجية، ولما كان التصوير في القرآن مسألة لم يعرضوا لها بوصفها أساسًا للتعبير القرآني جملة؛ فقد بقي التناسق الفني في هذا التصوير بعيدًا عن آفاق بحثهم

بطبيعة الحال».

أقول: الحمد لله الذي عافاهم وأبعدهم مما ابتلاك به من الجرأة والانطلاق بغير عقيدة في التقول على كتاب الله العظيم، الذي جعلته ميدانًا لأحط الفنون.

وهل الفنانون أو غيرهم من البشر لهم حق تقويم القرآن تقويمًا صحيحًا؟

يقول سيد قطب في فصل القصة في القرآن (ص١٤٣-١٤٤): «حقيقة القرآن الكبرى في التعبير هي التصوير».

ويقول: «والفن والدين صنوان في أعماق النفس».

نقول: لو كان الأمر كما ذكرت لما فرق الإسلام بين الدين والفن؛ فحرم الغناء وآلات اللهو ومنها الموسيقى والطبول، وحرم التصوير، وأخبر أن المصورين أشد الناس عذابًا يوم القيامة، ولعن المصورين.

ولو كان الأمر كما ذكرت لكان الأنبياء والصحابة وخيار هذه الأمة العلماء أشد الناس اهتمامًا بالفن، وحاشى الدين أن يعتبر الفن صنوه، وحاشى خيار هذه الأمة، بل وشرارها أن يعتبروا الدين والفن صنوان.

ولو كان الأمر كما ذكر سيد قطب لرأيت مدارس الفن إلى جانب مدارس الدين، ولكان علماء الأمة أبرع الناس فيه، لكن أعاذهم الله من وساوس الشياطين شياطين الإنس والجن.

* * *

٢- التخييل الحسي والتجسيم

هذا أحد عناوين سيد قطب في كتاب «التصوير الفني في القرآن» (ص ٧١-٧٢).

قال سيد قطب تحت هذا العنوان. «التخييل الحسي والتجسيم، حينما نقول: إن التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، والقاعدة الأولى فيه للبيان، لا نكون قد انتهينا من الحديث عن هذه الظاهرة الشاملة؛ فإن وراء ذلك بقية تستحق أن نفرد لها هذا الفصل الخاص، فعلى أية قاعدة يقوم هذا التصوير؟

لقد ألمعنا إلى شيء من ذلك في مفتتح الفصل السابق، حينما قلنا: إنه يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن النموذج الإنساني، والطبيعة البشرية، كما يعبر بها عن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، ثم يرتقي إلى الصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة.

فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، فأما الحوادث والمشاهد والقصص والمناظر، فيردها شاخصة حاضرة فيها الحياة وفيها الحركة، فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخييل.

وكل ما تقدم من الأمثلة في الفصل السابق يصلح برهانًا على هذه الظاهرة، وإن تكن سياقته في ذلك الفصل كانت سريعة لمجرد البرهنة على أن التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، ولكننا في هذا الفصل لا نكتفي بالإحالة على تلك الأمثلة، فالقرآن بين أيدينا حافل بالأمثلة الجديدة، ونحن نختار منها بعض ماله دلالة خاصة على هذه الطريقة المعينة: ظاهرة التخييل الحسي والتجسيم في ذلك التصوير...

ثم قال: وظاهرة أخرى تتضح في تصوير القرآن وهي التجسيم، **تجسيم** المعنويات المجردة، وإبرازها أجسامًا أو محسوسات على العموم، وإنه ليصل في

هذا إلى مدى بعيد حتى ليعبر به في مواضع حساسة جد الحساسية، يحرص الدين الإسلامي على تجريدها كالذات الإلهية وصفاتها.

ولهذا دلالته الحاسمة أكثر من كل دلالة أخرى على أن طريقة (التجسيم) هي الأسلوب المفضل في تصوير القرآن، مع الاحتراس والتنبيه إلى خطورة التجسيم في الأوهام، والآن فلنأخذ في الأمثلة...».

ثم شرع يعدد أنواع التخييل والتجسيم في القرآن حسب تصوره إلى أن قال في (ص٨٣): «٧- ثم لما كان هذا التجسيم خطة عامة صور الحساب في الآخرة كما لو كان مجسمًا للحسنات والسيئات ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾. ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾، وكل ذلك تمشيًا مع تجسيم القرآن».

فالميزان عنده شيء معنوي مجرد، وليس شيئًا محسوسًا يحصل به الوزن الحقيقي الذي قرره القرآن والسنة؛ فهو سائر في هذا على المنهج العقلاني الاعتزالي.

إلى أن قال في هذا الفصل فصل التخييل والتجسيم في النوع السابع منه (ص٨٥): «بهذه الطريقة المفضلة في التعبير عن المعاني المجردة سار الأسلوب القرآني في أخص شأن يوجب فيه التجريد المطلق والتنزيه الكامل فقال: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾.

﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾.

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾.

﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾.

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾.

﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾.

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾.

﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾... إلخ.

وثار ما ثار من الجدل حول هذه الكلمات، حينما أصبح الجدل صناعة والكلام زينة، وإن هي إلا جارية على نسق متبع في التعبير، يرمي إلى توضيح المعاني المجردة وتثبيتها، ويجري على سنن مطرد لا تخلف فيه ولا عوج، سنن التخييل الحسي والتجسيم في كل عمل من أعمال التصوير.

ولكن اتباع هذا السنن في هذا الموضع بالذات، قاطع في الدلالة كما قلنا على أن هذه الطريقة في القرآن أساسية في التصوير، كما أن التصوير هو القاعدة الأولى في التعبير».

وهكذا يسلك الرجل مسلك غلاة المعطلة في تعطيل صفات الله ﷻ وغيرها؛ فليس لله يد، ولا عرش، ولا ماء، وليس لله يمين يطوي بها السموات، ولا يقبض الأرض، ولا قبض ولا بسط؛ فالله منزه في نظره عن ذلك، ولا يجيء ربنا يوم القيامة، وليس له يدان، وعيسى لم يرفع إلى الله.

وقد عطل ما تيسر له تعطيله من صفات الله، ومنها تعطيل صفة استواء الله على عرشه، والقول بأن القرآن مصنوع -وهو يريد مخلوق-، وإنكار أن الله كلم موسى بطريقة ملتوية، وإنكار رؤية الله في كتاب «الظلال»، و«المشاهد».

وهنا يرى القارئ ماذا فعل تجاه صفات الله وغيرها بناءً على الأصل الجهمي، وعلى أصله في التصوير والتخييل، وعلى الأصل الجهمي الذي يدعي التنزيه توصلًا إلى تعطيل صفات الله.

ويرى انحياز سيد قطب إلى الجهمية المعطلة، ورده للمذهب الحق مذهب أهل السنة والجماعة القائم على النصوص الواضحة من كتاب الله، وسنة رسوله، وإجماع الصحابة والتابعين.

ويرى كيف يموه ويتظاهر بإنكار الجدل الذي ثار حول هذه القضايا بعد انحيازه إلى الذين يجادلون في آيات الله بالباطل ليدحضوا به الحق.

٣- أدب سيد مع رسول الله وكليمه موسى -عليه الصلاة والسلام-:

قال في كتابه «التصوير الفني في القرآن» (ص٢٠٠-٢٠٥):

«لقد عرضنا من قبل قصة صاحب الجنتين وصاحبه، وقصة موسى وأستاذه، وفي كل منهما نموذجان بارزان، والأمثلة على هذا اللون من التصوير هي القصص القرآني كله؛ فتلك سمة بارزة في هذا القصص، وهي سمة فنية محضة، وهي بذاتها غرض للقصص الفني الطليق[1]، وهاهو ذا القصص القرآني، ووجهته الأولى هي الدعوة الدينية، يلم في الطريق بهذه السمة أيضًا، فتبرز في قصصه جميعًا، ويرسم بضع نماذج إنسانية من هذه الشخصيات، تتجاوز حدود الشخصية المعنية إلى الشخصية النموذجية.

فلنستعرض بعض القصص على وجه الإجمال، ولنعرض بعضها على وجه التفصيل:

١- لنأخذ موسى؛ إنه نموذج للزعيم المندفع العصبي المزاج.

فهاهو ذا قد رُبي في قصر فرعون، وتحت سمعه وبصره، وأصبح فتى قويًّا[2].

﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ۖ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥].

وهنا يبدو التعصب القومي، كما يبدو الانفعال العصبي.

وسرعان ما تذهب هذه الدفعة العصبية، فيثوب إلى نفسه؛ شأن العصبيين[3]:

---

(١) ما المراد بالقصص الفني الطليق؟

(٢) لا ندري أنسي سيد قطب إكرام الله لنبيه موسى بقوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾، ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾ فقال هذا الكلام، أو تناساه ليتسجم مع سخريته بهذا النبي الكريم؟

(٣) انظر كم طعنة في نبي الله موسى في هذا التعليق؛ فالتعصب القومي مذموم، والانفعال العصبي مذموم، وقوله: شأن العصبيين. في غاية الذم!

﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص:١٥-١٧].

﴿فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص:١٨].

وهو تعبير مصوِّر لهيئة معروفة: هيئة المتفزع المتلفت المتوقع للشر في كل حركة، وتلك سمة العصبيين أيضًا.

ومع هذا، ومع أنه قد وعد بأنه لن يكون ظهيرًا للمجرمين؛ فلننظر ما يصنع... إنه ينظر: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾ [القصص ١٨]، مرة أخرى على رجل آخر.

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص:١٨].

ولكنه يهم بالرجل الآخر كما همَّ بالأمس، وينسيه التعصب والاندفاع استغفاره وندمه وخوفه وترقُّبه، لولا أن يذكره من يهم به بفعلته فيتذكر ويخشى[(١)].

﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [القصص:١٩]، وحينئذٍ ينصح له بالرحيل رجل جاء من أقصى المدينة يسعى فيرحل عنها كما علمنا.

فلندعه هنا لنلتقي به في فترة ثانية من حياته بعد عشر سنوات؛ فلعله قد هدأ وصار رجلًا هادئ الطبع حليم النفس[(٢)].

كلا! فها هو ذا ينادي من جانب الطور الأيمن: أن ألق عصاك. فألقاها؛ فإذا هي حية تسعى، وما يكاد يراها حتى يثب جريًا لا يعقِّبُ ولا يَلوي...

إنه الفتى العصبي نفسه، ولو أنه قد صار رجلًا؛ فغيره كان يخاف نعم، ولكن لعله كان يبتعد منها، ويقف ليتأمل هذه العجيبة الكبرى[(٣)].

---

(١) كلا ليس هناك تعصب ولا اندفاع، ولم ينس ما التزم به؛ فلم يكن ظهيرًا للمجرمين.

(٢) وهذا غاية الذم والتشويه، أي فلا هدوء لديه ولا حلم؛ فهو موصوف بضدهما عند سيد قطب.

(٣) وهذا فيه أيضًا ذم شنيع وسخرية بهذا النبي الكريم.

ثم لندعه فترة أخرى لنرى ماذا يصنع الزمن في أعصابه؛ لقد انتصر على السحرة، وقد استخلص بني إسرائيل، وعَبَرَ بهم البحر، ثم ذهب إلى ميعاد ربه على الطور، وإنه لنبي، ولكن هاهو ذا يسأل ربه سؤالًا عجيبًا:

﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

ثم حدث ما لا تحتمله أيَّة أعصاب إنسانية، بَلْه أعصاب موسى[1]: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. عودة العصبي في سرعة واندفاع!

ثم هاهو ذا يعود، فيجد قومه قد اتخذوا لهم عجلًا إلهًا، وفي يديه الألواح التي أوحاها الله إليه، فما يتريَّث وما يني، ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ﴾ [الأعراف: ١٥٠].

وإنه ليمضي منفعلًا يشد رأس أخيه ولحيته ولا يسمع له قولًا: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى﴾ [طه: ٩٤].

وحين يعلم أن السامريَّ هو الذي فعل الفعلة؛ يلتفت إليه مغضبًا ويسأله مستنكرًا حتى إذا علم سر العجل:

﴿قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾ [طه: ٩٧].

هكذا في حنق ظاهر وحركة متوترة[2].

فلندعه سنوات أخرى.

---

(١) وفي هذا أيضًا نهاية في اللمز والتحقير، فمرض موسى العصبي لا يلحق فيه أحد عند سيد قطب.

(٢) انظر كم طعنة فاجرة في هذه الصحيفة، فوالله لو وجهت هذه الإساءات والطعنات لأحقر الناس لعدت من المستنكرات والمستقبحات لدى العقلاء الشرفاء، فكيف وقد قيلت بكل جرأة في رسول كريم من كبار الرسل من أولي العزم الذين أمر الله رسوله ﷺ أن يتأسى بهم في الصبر؛ فقال تعالى ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾.

لقد ذهب قومه في التيه، ونحسبه قد صار كهلًا حينما افترق عنهم، ولقي الرجل الذي طلب إليه أن يصحبه ليعلمه مما آتاه الله علمًا، ونحن نعلم أنه لم يستطع أن يصبر حتى ينبئه بسرِّ ما يصنع مرة ومرة ومرة، فافترقا. . . .

تلك شخصية موحدة بارزة، ونموذج إنساني واضح في كل مرحلة من مراحل القصة جميعًا[1].

٢- تقابل شخصية موسى شخصية إبراهيم... إنه نموذج الهدوء والتسامح والحلم: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥].

فهاهو ذا في صباه يخلو إلى تأملاته، يبحث عن إلهه.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ۝٧٦ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ۝٧٧ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝٧٨ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝٧٩ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٧٦-٨٠].

وما يكاد يصل إلى هذا اليقين حتى يحاول في بِرٍّ وودٍّ أن يهدي إليه أباه في أحب لفظ وأحياه:

﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ۝٤٢ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ۝٤٣ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ۝٤٤ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٢-٤٥].

ولكن أباه ينكر قوله ويغلظ له في القول ويهدده تهديدًا:

﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٦].

---

(١) وفي كل ما سبق ذم شنيع لهذا النبي الكريم، وليتذكر القارئ تصريح سيد قطب بأنه ليس هناك حقيقة دينية تغله عن التفكير، فهذا نتيجة لانفلاته عن العقيدة الإسلامية في شأن موسى -عليه الصلاة والسلام- وغيره، وفي شأن القرآن ذاته.

فلا يخرجه هذا العنف عن أدبه الجمّ، ولا عن طبيعته الودود، ولا يجعله ينفض يديه من أبيه:

﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤٧-٤٨].

ثم هاهو ذا يحطم أصنامهم، ولعله العمل الوحيد العنيف الذي يقوم به، ولكنه إنما تدفعه إلى هذا رحمة أكبر، عسى أن يؤمن قومه إذا رأوا آلهتهم جُذاذًا، وعلموا أنها لا تدفع عن نفسها الأذى، ولقد كادوا يؤمنون فعلًا، وحينئذٍ ﴿فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٤].

ولكنهم عادوا فهمُّوا بإحراقه، وحينئذٍ ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

ولقد اعتزلهم عهدًا طويلًا مع النفر الذي يمن معه، ومنهم ابن أخيه لوط...».

والظاهر أن سيدًا ساق قصة إبراهيم ﷺ في مقابل ما صور فيه موسى من باب: (وبضدها تتبين الأشياء)! بل صرح بهذه المقابلة المقصودة.

ثم قابله أيضًا بيوسف ﷺ فقال: «ويوسف إنه نموذج الرجل الواعي الحصيف». يريد أن موسى ﷺ بخلاف ذلك، وكرر وصف يوسف بالوعي والحصافة في أثناء شرح قصته لتأكيد قصده، وإن يوسف لكذلك، وإن موسى لكذلك أيضًا.

وإن له عند الله لمنزلة عظيمة ومكانة رفيعة توجب على الناس تعظيمه وتوقيره كسائر أنبياء الله ورسله -عليهم الصلاة والسلام-.

قال الله في شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ [طه: ١٣].

لقد كان يكفي سيدًا أن يقرأ (كتاب أحاديث الأنبياء) من (صحيح البخاري) ليرى أنه قد أسرف واشتط وحلق بعيدًا في خياله المجنح، وأسلوبه القصصي في

التهويل والتمثيل، بما ألصقه من صفات الاندفاع، والعصبية، والحدة، والفزع، والتوتر، بكليم الله ورسوله موسى -عليه الصلاة والسلام-.

فلقد أخرج البخاري في (صحيحه) عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قسم النبي ﷺ قسمًا، فقال رجلٌ: إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله. فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه ثم قال «**يرحم الله موسى، قد أوذي بأكثر من هذا فصبر**».

إن ما نسبه سيد إلى نبي الله وكليمه موسى -عليه الصلاة والسلام- ينافي ما يستحقه من التبجيل والتوقير والاحترام، وذلك مما تقشعر له الجلود، وإن حكم هذا العمل الخطير عند العلماء غليظ جدًا وكبير.

راجع: كتاب «الشفا» للقاضي عياض، وكتاب «الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ» لشيخ الإسلام ابن تيمية.

* * *

٤- العرض السينمائي في القرآن في نظر سيد قطب

وفي فصل التصوير في القصة بعد هذا العنوان (ص١٩٠-١٩١) يقول:

«وأخيرًا نخصص هذا العنوان للخصيصة الرابعة أبرز الخصائص الفنية في القصة، وأشدها اتصالًا بموضوع هذا الكتاب.

فلقد سبق أن قلنا: إن التعبير القرآني يتناول القصة بريشة التصوير المبدعة التي يتناول بها جميع المشاهد والمناظر التي يعرضها، فتستحيل القصة حادثًا، ويقع مشهدًا يجري لا قصة تروى ولا حادثًا قد مضى».

انظر هذه العبارات لترى أن العرض في القرآن في نظر سيد قطب إنما هو عرض سينمائي، تلقاه وأمثاله عن أعداء الإسلام، ثم طبقه بكل جرأة على كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وصدق الله تعالى إذ يقول؛ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء:١٦-١٨].

فهانحن نقذف أباطيل سيد قطب بالقرآن فيدمغها بما فيها من ألاعيب ولهو سينمائي ومسرحي بمشاهدهما ومناظرهما، ونقول له ولأساتذته الأوربيين: ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾، ولا أعرف أحدًا تجرأ على القرآن مثل سيد قطب في قوالب دينية وفنية؛ فالفن عنده صنو الدين.

ثم قال سيد قطب بعدما سبق: «والآن نقول: إن هذا التصوير في مشاهد القصة ألوان، لون يبدو في قوة العرض والإحياء، ولون يبدو في تخييل العواطف والانفعالات، ولون يبدو في رسم الشخصيات، وليست هذه الألوان منفصلة ولكن أحدها يبرز في بعض المواقف، ويظهر على اللونين الآخرين فيسمى باسمه.

أما الحق فإن هذه اللمسات الفنية كلها تبدو في مشاهد القصص جميعًا... وهنا يوضح المثال ما لا يوضحه المقال، استعرضنا من قبل قصة أصحاب الجنة،

ومشهد إبراهيم وإسماعيل أمام الكعبة، ومشهد نوح وابنه في الطوفان. . .

وكلها أمثلة لقوة العرض والإحياء، حتى ليظن القارئ أن المشهد حاضر يحس ويرى على نحو ما بينا، أما الآن فنضيف مثلًا جديدًا.

هانحن أولاء نشهد أهل الكهف يتشاورون في أمرهم بعدما اهتدوا إلى الله بين قوم مشركين: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾.

بهذا ينتهي المشهد ويسدل الستار، أو تنقطع الحلقة على أحدث الطرق التي اهتدى إليها المسرح والسينما في القرن العشرين، فإذا رفع الستار مرة أخرى وجدناهم قد نفذوا ما استقر عليه رأيهم، فهاهم أولاء في الكهف، هاهم أولاء نراهم رأي العين فما يدع التعبير هنا شكًا في أننا نراهم يقينًا».

انظر كيف يتحدث عن الآيات القرآنية حديث فنان درس فنون الغرب الكافر، ومارس أساليب القصاصين والروائيين الذين تعرض قصصهم في دور السينما والمسارح بحلقاتها وفصولها، ومشاهدها ونظاراتها!

انظر إلى هذا المجون الجريء في قوله: «بهذا ينتهي المشهد ويسدل الستار، أو تنقطع الحلقة على أحدث الطرق التي اهتدى إليها المسرح والسينما في القرن العشرين، فإذا رفعنا الستار مرة أخرى . . .»!

انظر إليه كيف يدعي أنه مع غيره يشهدون أهل الكهف، فهل هو حقًا شهدهم؟

فهذا رسول الله ﷺ يقول الله له. ﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [الكهف: ١٨].

فرسول الله وأصحابه لم يروهم، فكيف يصح قول سيد: «هانحن أولاء نشهد أهل الكهف يتشاورون في أمرهم، فإذا رفع الستار مرة أخرى وجدناهم قد نفذوا ما استقر عليه رأيهم، فهاهم نراهم في الكهف نراهم رأي العين فما يدع التعبير

شكًا في أننا نراهم».

وهذا كذب واضح في تفسير كتاب الله وفي أحسن القصص.

وانظر كيف يقذر تفسير كتاب الله بأقذار أبغض بقاع الأرض إلى الله التي تمارس في المسارح ودور السينما، التي يزعم أنه اهتدى إليها، المسرح والسينما في القرن العشرين، ومن هداهم إليها؟ إنه الشيطان. ومن هم المهتدون هذه الهداية؟ إنهم دعار اليهود والنصارى والشيوعيين.

أيجوز أن نفسر كتاب الله العظيم بأحط وأقذر ما أنتجته العقول العفنة الشريرة في القرن العشرين؟

ألا بعدًا وسحقًا لأهل الأهواء والضلال الذين يقلدون اليهود والنصارى تقليد الببغاوات، ويدعون أنهم أصحاب أفكار متحررة وعقول نيرة.

* * *

٥- كيف نفهم القرآن

هذا أحد عناوين سيد قطب في كتاب التصوير الفن في القرآني (ص٢٥)، تحدث سيد قطب في هذا الفصل عن التفسير والمفسرين وعن الباحثين والمباحث البلاغية مع إبداء ما فيها من قصور من وجهة نظره.

ثم قال في (ص٣٤):

«وأيًا ما كانت تلك الجهود التي بذلت في التفسير وفي مباحث البلاغة والإعجاز، فإنها وقفت عند حدود عقلية النقد العربي القديمة، تلك العقلية الجزئية التي تتناول كل نص على حدة فتحلله وتبرز الجمال الفني فيه، إلى الحد الذي تستطيع دون أن تتجاوز هذا إلى إدراك الخصائص العامة في العمل الفني كله.

هذه الظاهرة قد برزت في البحث عن بلاغة القرآن، فلم يحاول أحد أن يجاوز النص الواحد إلى الخصائص الفنية العامة، اللهم إلا ما قيل في تناسق تراكيب القرآن وألفاظه، أو استيفاء نظمه لشروط الفصاحة والبلاغة وهذه ميزات -كما قال عبد القاهر بحق- لا تذكر في مجال الإعجاز؛ لأنها ميسرة لكل شاعر وكاتب شب عن الطوق.

وبوقوف الباحثين في بلاغة القرآن عند خصائص النصوص المفردة، وعدم تجاوزها إلى الخصائص العامة، وصلوا إلى المرحلة الثانية من مراحل النظر في الآثار الفنية، وهي مرحلة الإدراك لمواضع الجمال المتفرقة وتعليل كل موضع منها تعليلًا منفردًا ذلك مع ما قدمنا من أن هذا الإدراك كان بدائيًا ناقصًا».

أقول:

١- إذا كان هذا هو حال أهل المرحلة الثانية إدراكهم بدائي ناقص، فما هو حال أهل المرحلة الأولى، بل ما حال من قبلهم من الصحابة والتابعين؟ ولا يسعنا إلا أن نقول: إنا لله وإنا إليه راجعون.

٢- كأن سيدًا لا يرى ما ذكر عن القرآن من فصاحة وبلاغة وتناسق في التركيب

والألفاظ إعجازًا، وإنما الإعجاز فيما اكتشفه هو من ألوان التصوير الفني وأساليب الفن الحديثة التي تروجها دور السينما والمسارح.

★ اكتشاف سيد قطب لمنهج جديد لم تصل إليه الأمة بعلمائها قبله:

٣- ثم قال: «أما المرحلة الثالثة -مرحلة إدراك الخصائص العامة-، فلم يصلوا إليها أبدًا لا في الأدب، ولا في القرآن، وبذلك بقي أهم مزايا القرآن الفنية مغفلًا خافيًا، وأصبح من الضروري لدراسة هذا الكتاب المعجز من منهج للدراسة جديد، ومن بحث عن الأصول العامة للجمال الفني فيه ومن بيان للسمات المطردة التي تميز هذا الجمال عن سائر ما عرفته اللغة العربية من أدب، وتفسر الإعجاز الفني تفسيرًا يستمد من تلك السمات المنفردة في القرآن الكريم» (ص٣٤).

وهو منهج جديد ومبتدع استمده من البيئة التي عاشها والحياة المحيطة به، بما فيها من مسرحيات وسينما وملاوٍ وغيرها مما وفد على بلاده أو بلاد غيره من أوربا وأمريكا.

وإذا كان الأمر كذلك فلم يكن ليخطر ببال أحد هذا المنهج الجديد، ولو بعثهم الله لتبرءوا منه وحاربوه؛ لما فيه من إهانة للقرآن الكريم، ونزول به عن منزلته الرفيعة إلى مواءمة أحط الحضارات وأردئها، كما سيتجلى للقارئ من متابعة هذا المنهج الجديد.

القاعدة الكبيرة التي انطلق منها سيد قطب في هذا الكتاب وفي الظلال ومشاهد القيامة: هي «التصوير الفني»؛ فالتصوير عنده هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن.

يقول سيد قطب في (ص٣٦): «والأمثلة على هذا الذي نقول هي القرآن كله، ويجب أن نتوسع في معنى التصوير حتى ندرك آفاق «التصوير الفني في القرآن»، فهو تصوير باللون، وتصوير بالحركة، وتصوير بالتخييل، كما أنه تصوير بالنغمة تقوم مقام اللون في التمثيل، وكثيرًا ما يشترك الوصف والحوار، وجرس الكلمات، ونغم العبارات، وموسيقى السياق في إبراز صورة من الصور تتملاها العين، والأذن، والحس، والخيال، والفكر، والوجدان».

على هذه القاعدة الخطيرة وعلى قاعدته الثانية وهي الانفلات من العقيدة، وعلى قاعدته الثالثة: أن الدين والفن صنوان، وعلى أمور أخرى حوّل آيات القرآن إلى مشاهد ونظارة ومسارح وسينما وموسيقى وتصفيق إلى آخر الأساليب التي يعرفها رواد السينما والمسارح لا ذوي العقول والنهى الذين يخاطبهم القرآن.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾ [طه: ٥٤].

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ١٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

وهم أهل الإيمان والخشية والتقى، لا أصحاب المتع الشهوانية من رواد المسارح والسينما والراقصين على نغمات الموسيقى، فلننظر كيف عملت فيه وفي عقله وتصرفاته هذه القواعد بالإضافة إلى ما سبق، ولا يمكننا أن نستقصي آثار هذه القواعد في هذا الكتاب؛ فكله تطبيق لها، ولكننا سنكتفي ببعض الأمثلة، ومنها يدرك اللبيب العاقل مدى جرأة هذا الرجل على كتاب الله، وعلى بعض أنبيائه وأصفيائه.

* * *

٦- التصوير الفني

قال تحت هذا العنوان (ص٣٦):

«والتصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن؛ فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني، والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة؛ فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية.

فأما الحوادث والمشاهد والقصص والمناظر فيردها شاخصة حاضرة، فيها الحياة وفيها الحركة، فإذا أضاف إليها الحوار؛ فقد استوت لها كل عناصر التخييل، فما يكاد يبدأ العرض حتى يحيل المستمعين نظارة، وحتى ينقلهم نقلًا إلى مسرح الحوادث الأول الذي وقعت فيه أو ستقع، حيث تتوالى المناظر وتتجدد الحركات، وينسى المستمع أن هذا كلام يتلى، ومثل يضرب ويتخيل أنه منظر يعرض، وحادث يقع.

فهذه شخوص تروح على المسرح وتغدو، وهذه سمات الانفعال بشتى الوجدانات المنبعثة من المواقف المتساوقة مع الحوادث، وهذه الكلمات تتحرك بها الألسنة، فتنم عن الأحاسيس المضمرة إنها الحياة هنا، وليست حكاية الحياة.

فإذا ما تذكرنا أن الأداة التي تصور المعنى الذهني والحالة النفسية وتشخص النموذج الإنساني، أو الحادث المروي إنما هي ألفاظ جامدة لا ألوان، تصور

ولا شخوص تعبر؛ أدركنا بعض أسرار الإعجاز في هذا اللون من تعبير القرآن.

والأمثلة هي القرآن كله حيثما تعرض لغرض من الأغراض التي ذكرناها، حيثما شاء أن يعبر عن معنى مجرد، أو حالة نفسية، أو صفة معنوية، أو نموذج إنساني، أو

حادثة واقعة، أو قصة ماضية، أو مشهد من مشاهد القيامة، أو حالة من حالات النعيم والعذاب، أو حيثما أراد أن يضرب مثلًا في جدل أو محاجَّة، بل حيثما أراد هذا الجدل إطلاقًا واعتمد فيه على الواقع المحسوس والمتخيل المنظور.

وهذا هو الذي عنيناه حيثما قلنا: إن التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن؛ فليس هو حلية أسلوب، ولا فلتة تقع حيثما اتفق؛ إنما هو مذهب مقرر[1]، وخطة موحدة وخصيصة شاملة، وطريقة معينة، يفتن في استخدامها بطرائق شتى، وفي أوضاع مختلفة، ولكنها ترجع في النهاية إلى هذه القاعدة الكبيرة: قاعدة التصوير.

ويجب أن نتوسع في معنى التصوير، حتى ندرك آفاق «التصوير الفني في القرآن»؛ فهو تصوير باللون، وتصوير بالحركة، وتصوير بالتخييل، كما أنه تصوير بالنغمة تقوم مقام اللون في التمثيل.

وكثيرًا ما يشترك الوصف والحوار، وجرس الكلمات، ونغم العبارات، وموسيقى السياق في إبراز صورة من الصور، تتملاها العين، والأذن، والحس، والخيال، والفكر، والوجدان.

وهو تصوير حي منتزع من عالم الأحياء، لا ألوان مجردة وخطوط جامدة، تصوير تقاس الأبعاد فيه والمسافات بالمشاعر والوجدانات؛ فالمعاني ترسم وهي تتفاعل في نفوس آدمية حية، أو في مشاهد من الطبيعة تخلع عليها الحياة».

انظر لهذه المصطلحات:

١- المشهد.

٢- الصورة.

٣- التي يرسمها.

٤- لوحة.

---

(١) أي أن هذا العرض السينمائي وما يتبعه من موسيقى ومسرحيات ومشاهد ونظائره هو مذهب مقرر وخطة موحدة إلخ.

٥- المشاهد.

٦- القصص.

٧- الحوار.

٨- النظارة.

٩- المسرح.

١٠- الأداة التي تصور.

١١- الحادث المروي.

وألحق بها:

١٢- الجرس.

١٣- الموسيقى.

١٤- السينما.

١٥- الإيقاع.

١٦- والجرس.

١٧- والنغمات.

١٨- والريشة المبدعة.

١٩- وعدسة التصوير. (ص٢٥١).

هذه مصطلحات تقوم عليها أعمال كلها تسخط الله، وتحطم الأخلاق والدين، يشرف عليها مؤسسو دور السينما والمسارح، ومؤلفو القصص والتمثيليات، فيها أحط الناس دينًا وأخلاقًا، قد يكونون يهودًا، وقد يكونون نصارى، وقد يكونون ملاحدة زنادقة، ولهم أهداف خبيثة من إفساد عقول الناس، ودينهم، وأخلاقهم، وعاداتهم، وتقاليدهم الطيبة التي لا تتنافى مع الإسلام، إلى جانب الأهداف المادية التي يجنون من ورائها الملايين.

وسيد قطب فيما أعتقد يعرف كل هذا بعد معرفته بهذه الدور وما حوته، ومعرفته بنوعيات البشر التي ترتاد هذه الدور وهم النظارة والمستمعون بأنهم في الغالب من

أحط طبقات البشر، وأن أشراف الناس رجالًا ونساءً يربئون بأنفسهم عن هذه الدور وما فيها من مسارح وسينما، ومن فيها من نظارة ومستمعين، الغارقين في الملاذ والشهوات والعبث وتضييع الأوقات والصلوات فيما يسخط الله.

فلماذا يستخدم هذه المصطلحات الخسيسة الحقيرة هي وأهلها، ودورها، وفنانوها، والروائيون، والمطربون، والمخنون، والراقصون من أهلها، والراقصات من أهلها؟

لماذا يجعل كتاب الله العظيم مجالات لمصطلحات هذه الدور الخبيثة هي ومؤسسوها والمشرفون عليها وروادها، ويعتبر هذا مذهبًا مقررًا في القرآن وخطة موحدة... إلخ.

إذا كان لابد له من تطبيق هذه المصطلحات المندرجة تحت قاعدته التصوير الفني، فليختر ما شاء من أشعار وإلياذات وقصص البشر، سواءً كانوا من الروائيين، أو شعراء أوربيين، أو ممن قلدهم من غيرهم من عرب وعجم من المنحرفين.

وكان عليه أن ينزه القرآن العظيم كلام رب العالمين من هذه القاعدة الفنية، وما بنى عليها من تطبيق هذه المصطلحات التي لا يعرفها العرب الذين نزل القرآن بلغتهم؛ فلا يعرفون المسارح والسينما، وما فيها من مشاهد وتمثيليات، ولا يعرفون الموسيقى وقواعدها وأنواعها، بل لو عرفوها في جاهليتهم فضلًا عن إسلامهم لاحتقروها وتنزهوا عنها؛ لمنافاتها للرجولة والشهامة والمروءة، فما علاقة هذه الأمور بالقرآن الذي جعله سيد قطب كله مجالًا لها مع الأسف الشديد؟

ولكن الحال السيئة التي اختارها لنفسه وجاهر بها بقوله: «وأنا أجهر بهذه الحقيقة الأخيرة وأجهر معها بأنني لم أخضع في هذا لعقيدة دينية تغل فكري عن الفهم». «التصوير الفني» (ص٢٥٥).

وإذا كان هذا حاله وهذا اعترافه هو بنفسه فأي شيء يقف أمامه وأي شيء يحجزه؟

لا جلال القرآن، ولا مكانة الأنبياء، ولا مراقبة الله ﷻ، ومن ثمَّ أساء جدًّا

إلى عظمة كتاب الله؛ فجال فيه وصال بقاعدته الفاسدة ومصطلحاته التي تواضع عليها أحط البشر، ويمارسها شرهم وأحقرهم في أخبث وأبغض البقاع إلى الله؛ فجعل كتاب الله ونصوصه المقدسة على نمط التمثيليات، والأقاصيص، والروايات التي تعرض في دور السينما والمسرحيات؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ويأسف المسلم أشدَّ الأسف أن يحاط هذا الكتاب ومؤلفه بغاية من القداسة، وكذلك مؤلفات هذا الرجل، مما يدل أن كثيرًا من الناس قد انحطت مداركهم إلى منحدر سحيق، وأغلقت عقولهم، وضعف وازع الدين واحترام القرآن والسنة في نفوسهم، نسأل الله الكريم أن يرحمهم فينقذهم مما هم فيه من البلاء.

وقال في (ص٥٣) من فصل التصوير الفني في القرآن عرض نماذج من الأمثال القصصية في التعليق على قول الله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾:

«لقد قر رأيهم على أن يقطعوا ثمرها عند الصباح الباكر دون أن يستثنوا شيئًا للمساكين، فلندعهم على قرارهم ولننظر ماذا يقع الآن في بهمة الليل، حيث يختفون هم ويخلو منهم المسرح، فماذا يرى النظارة هناك مفاجأة تتم خلسة، وحركة خفية كحركة الأشباح في الظلام ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾.

والآن هاهم يتصايحون مبكرين وهم لا يدرون ماذا أصاب جنتهم في الظلام ﴿فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾.

ليمسك النظارة[1] ألسنتهم فلا ينبهوا أصحاب الجنة إلى ما أصاب جنتهم، وليكتموا ضحكات السخرية التي تكاد تنبعث منهم وهم يشاهدون أصحاب الجنة

---

(١) هذه الحالة لم يطلع عليها إلا الله ﷻ وإخبار الله بها محمدًا ﷺ معجزة وآية وبرهان على صدق هذا الرسول، وأن هذا القرآن من عند الله، فإذا كان هناك نظارة ضاحكين ساخرين يشهدون أصحاب الجنة في دار من دور السينما، كانت قصة أو تمثيلية ساقطة تعرض في أحط الأماكن وأخبثها؛ فتعالى الله وتنزه عما يقوله سيد قطب.

المخدوعين يتنادون متخافتين خشية أن يدخل عليهم مسكين، ليكتموا ضحكات السخرية، بل ليطلقوها فها هي ذي السخرية العظمى . . .

وهاهم أولاء يفاجئون فليضحك النظارة كما يشاءون ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ . . .».

وقال في موضع آخر (ص١٨٩): «وظللنا نحن النظارة نسخر منهم وهم يتنادون ويتخافتون، والجنة خاوية كالصريم، حتى انكشف لهم السر أخيرًا بعد أن شبعنا تهكمًا وسخرًا: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ۝ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾».

أقول: ما دخل المسرح والنظارة؟

وما دخل الضحك والسخرية في تفسير هذه الآيات الكريمات التي ساقها الله للاعتبار والاتعاظ والازدجار؟

ما الداعي إلى الهبوط بكتاب الله في هذا التفسير العجيب؟

إذا كان لسيد قطب هوايات يريد تطبيقها، فليبحث عن مجالات يناسبها تطبيق هذه الهوايات في قصص وتمثيليات تناسب أخلاق النظارة الفارغين اللاهين.

وهذه المسرحية فيها كذب؛ لأن سيد قطب ومن عاصره بعد قصة أصحاب الجنة بقرون كثيرة فكيف يصح قوله: «وظللنا نحن النظارة نضحك منهم وهم يشاهدون أصحاب الجنة وهذا شأن التمثيليات والمسرحيات».

هذه لغة القصاصين والروائيين الفارغين للمتسكعين في المسارح ودور السينما، وليست لغة القرآن العربي الذي نزل لهداية البشر على أفضل الرسل - عليهم الصلاة والسلام-.

وفي (ص١٨٦) تابع لعنوان الخصائص الفنية في القصة قال: «ومرة يكشف بعض السر للنظارة وهو خافٍ على البطل في موضع، وخافٍ على النظارة وعن البطل في موضع آخر في القصة الواحدة.

مثال ذلك: قصة عرش بلقيس الذي جيء به في غمضة، وعرفنا نحن أنه بين يدي سليمان في حين أن بلقيس ظلت تجهل ما نعلم ﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾.

فهذه مفاجأة عرفنا نحن سرها سلفًا، ولكن مفاجأة الصرح الممرد من قوارير ظلت خافية علينا، وعليها حتى فوجئنا بسرها معها حينما ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾.

هكذا يفسر كلام الجليل بالكذب، وهذا ثمرة مُرَّة للتعلق بالفن، والانفلات من العقيدة التي يعتبرها غُلًا، فما علاقة كلام الله بالتمثيليات التي يعد الكذب من أركانها ولا ينسجها إلا الكذابون؟

فهل كان سيد قطب من الحاضرين المشاهدين؟

وهل علم بحضور العرش بين يدي سليمان قبل بلقيس؟

ومن هم هؤلاء النظارة؟

وهل هذا البطل رجل أو امرأة؟

وهكذا إلى آخر هذه المهزلة التي يفسر بها سيد قطب كلام الله باسم الفن الذي يراه سيد قطب صنو الدين، وهل هذا حقًا من الخصائص الفنية في القرآن؟

وقال في (ص١٨٧): «وثالثة الخصائص الفنية في عرض القصة: تلك الفجوات بين المشهد والمشهد التي يتركها تقسيم المشاهد وقص المناظر، مما يؤديه في المسرح الحديث إنزال الستار، وفي السينما الحديثة انتقال الحلقة بحيث تترك بين كل مشهدين أو حلقتين فجوة يملؤها الخيال، ويستمتع بإقامة القنطرة بين المشهد السابق والمشهد اللاحق، وهذه طريقة متبعة في جميع القصص القرآني».

ونقول: سبحانك هذا بهتان عظيم، حاشى كتاب الله مما يلصقه به هذا الرجل، أتفسر كتاب الله بهذه الفنون الفاسدة إنتاج ملاحدة الغرب ودعارها؟

ثم واصل سيد قطب تفسير آيات الله الكريمة في صورة عرض مشاهد مسرحية فيها تارة يرفع الستار، وتارة يسدله في عداد مما يسميه بالمشاهد في قصة يوسف، ويقول: «إن فيها ثمانية وعشرين مشهدًا» عرض بعضها والباقي تنطبق عليها قواعده الباطلة في نظره.

ثم قال: «وتسير قصة أهل الكهف ومريم وسليمان على النسق نفسه، وسنعرضها بالتفصيل في الفقرة التالية».

وساق قصة أهل الكهف في مشاهد يسدل فيها الستار ويرفعه، وأشار إلى قصة أصحاب الجنة، ومشهد إبراهيم وإسماعيل أمام الكعبة، ونوح أمام الطوفان، وكلها في نظره تجري على نسق واحد.

وهكذا يطبق سيد قطب فنون الجاهلية الغربية على القرآن العظيم تعالى وتقدّس منزّله الذي قال في شأنه: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

وفي (ص١٩٥-١٩٩) ذكر قصة مريم في سورة مريم، وقسمها إلى مشاهد أو هزات على طريقة المسرحيات فيها الفجوات والمفاجآت وإسدال الستار، إلى أن قال في (ص١٩٩): «ولولا أننا قد جربنا من قبل لوثبنا على أقدامنا فزعًا، أو لسمرنا في مواضعنا دهشًا، أو لفغرنا أفواهنا عجبًا، لكننا جربنا فلتفض أعيننا بالدمع من التأثر، ولترتفع أكفنا بالتصفيق من الإعجاب، وفي هذه اللحظة يسدل الستار، والأعين تدمع للانتصار، والأيدي تدوي بالتصفيق».

هذه هي الخصائص الفنية التي حرمها من سبق سيد قطب من الصحابة والتابعين والمفسرين أجمعين، وحظي باكتشافها وإدراكها سيد قطب، ويدعي سيد قطب: أنه لا يتم الإبداع والإعجاز إلا بها.

٢- وهل كان الصحابة والتابعون، بل وسائر المسلمين، بل حتى جهال المسلمين وفساقهم يصفقون عند سماع القرآن؟

قال تعالى في وصف المؤمنين وبيان حالهم عند سماع القرآن: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ الآيات.

والآيات في بيان تأثر المؤمنين بالقرآن كثيرة، وذلك هو الذي يتناسب مع جلالة القرآن، وذلك التأثر المحمود هو الذي يريده الله ويرضاه من عباده، وليس المقصود الضحك والتصفيق... إلى آخر ما يقوله سيد من الهزل والعبث واللعب.

* * *

٧- إطلاق سيد قطب السحر على القرآن كرات ومرات

لقد وصف الكفار المشركين القرآن الكريم والرسول العظيم ﷺ بأوصاف شنيعة، منها: السحر، والكهانة، والكذب، والافتراء، وغير ذلك من الأوصاف القبيحة التي يشوهون بها القرآن والرسول ﷺ؛ لينفر الناس منهما، وقد رد الله عليهم ردودًا قوية تدحض هذه الافتراءات والتشويهات؛ ذبًّا عن نصوص كتابه، وعن رسوله الصادق الأمين المرسل حقًّا من رب العالمين.

وإذا كان هذا هو الواقع؛ فلا يجوز بحال من الأحوال أن يوصف الرسول بأنه ساحر، كما لا يجوز أن يوصف بأنه كاهن أو كاذب.

وكذلك القرآن لا يجوز أن يوصف بأنه سحر، كما لا يجوز أن يوصف بأنه كهانة، أو كذب، أو أساطير، تلك الأوصاف الخبيثة التي افتراها الكاذبون على كتاب الله العظيم ورسوله الصادق الأمين.

كما لا يجوز أن يوصف بأنه شعر، أو كهانة، أو أساطير، أو غير ذلك من الألفاظ القبيحة التي استخدمها الكفار للذم والتشويه للقرآن الكريم، وتشويه سمعة رسول الله ﷺ وصد الناس عن الإيمان به واتباعه.

لقد أطلق سيد قطب هذا اللفظ المذموم الحقير عند كل الأمم مرات كثيرة، أذكر بعضًا منها:

١- قال في (ص٨): «ولكن سحرها لا يزال وجاذبيتها لا تزال» يعني: الصور التي يتخيلها في نصوص القرآن.

٢- وفي (ص١١) قال معنونًا: «سحر القرآن».

٣، ٤- سحر القرآن العرب.

وقال عن قصة عمر رضي الله عنه والوليد بن المغيرة: «وكلتاهما تكشفان عن هذا السحر».

٥- وفي (ص١١): «عن مدى هذا السحر القاهر الذي استوى في الإقرار به المؤمنون والكافرون».

٦- وفي (ص١٣)، قال: «ولكن هذه العوامل لا تنفي أنه كان لسحر القرآن».

٧، ٨، ٩، ١٠- في (ص١٤) قال: «سحر يؤثر؛ فهو يعلل إيمانه بهذا السحر، وإنها لأدل على سحر القرآن للعرب، ومن هنا تلتقي قصة الكفر بقصة الإيمان في الإقرار لسحر القرآن، ولا يقل عن هاتين القصتين في الدلالة على هذا السحر ما حكاه القرآن . . . عن قول بعض الكفار: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ﴾».

١١- قال معنونًا في (ص١٧): «منبع هذا السحر».

١٢- وفي (ص١٧): «كيف اجتمع على الإقرار بسحره المؤمنون والكافرون».

أقول: حاشى المؤمنين من الإقرار بأنه سحر، وإنما آمنوا بأنه وحي من عند الله.

١٣، ١٤- قال في (ص١٨): «يجب أن نبحث عن منبع هذا السحر في القرآن».

وقال: «وكان مع ذلك محتويًا على هذا النبع الأصيل الذي تذوقه العرب فقالوا: ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾».

أقول: ومعلوم أنهم ما قالوه مدحًا، إنما قالوه ذمًّا منشؤه الحسد والكبر والعداوة.

١٥، ١٦، ١٧- قال في (ص١٩): «فلننظر في هذه السور على سبيل المثال لنرى أي سحر كان فيها اضطرب له الوليد، فأين هو السحر الذي تحدث عنه ابن المغيرة بعد التفكير والتقدير، لابد إذن أن السحر الذي عناه كان كامنًا في مظهر آخر غير التشريع».

أقول: ومعلوم أن الوليد ما قال: ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ إلا خبثًا منه وتشويهًا للقرآن وتنفيرًا منه؛ ولهذا ذمه الله أشد الذم وتوعد بأنه سيصليه سقر.

١٨- في (ص٢٤): «فلننظر في هذه السور بالإجمال لنرى أي سحر كان فيها استأثر بالسابقين الأولين الذين تابعوا محمدًا حتى قبل أن يعتز الإسلام بعمر».

١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢- (ص٢٥) قال عن العرب المعاصرين لنزول القرآن: «إنهم سموه تارة شعرًا وسموه تارة سحرًا . . .

ثم قال: لقد تلقوه مسحورين يستوي في ذلك المؤمنون والكافرون، هؤلاء يسحرون فيؤمنون، وهؤلاء يسحرون فيهربون، ثم يتحدث هؤلاء وهؤلاء عما مسهم منه فإذا هو حديث غامض لا يعطيك أكثر من صورة المسحور المبهور الذي لا يعلم موضع السحر».

وانظر إليه كيف يستخدم لفظ المس الذي يصاب به من به مس من الجن أو السحر.

قد تقول: إن سيدًا إنما يقصد تأثير القرآن.

أقول: نعم لكن أما كان يسعه أن يستخدم لفظ التأثير وقوة التأثير مثلًا؟ بلى ولكن سيدًا قد صرح بأنه لم يخضع في عمله هذا لعقيدة دينية تغل فكره عن الفهم.

وقال في (ص٢٥): «وإننا لنستطيع أن ندع مؤقتًا قداسة القرآن الدينية».

فهذا هو السر في إطلاق السحر على القرآن، وإطلاق المسرح والسينما والموسيقى وغيرها مما لا يليق إطلاقه على كلام من يحترم نفسه وكلامه من البشر، فكيف بكلام الأنبياء؟ فكيف بكلام الله ﷻ؟!

يرى سيد قطب في «(التصوير الفني)» (ص٢٥) أنه أتى بما لم تستطعه الأوائل في فهم القرآن بما فيهم الصحابة والمفسرون وعلماء البلاغة وغيرهم فقال: «كيف فهم القرآن؟ لا نستطيع أن نجد في حديث العرب المعاصرين لنزول القرآن صورة معينة لهذا الجمال الفني الذي سموه تارة شعرًا، وتارة سحرًا.

وإن استطعنا أن نلمح فيه صورة لما مسهم منه من تأثير، لقد تلقوه مسحورين يستوي في ذلك المؤمنون والكافرون، هؤلاء يسحرون فيؤمنون، وهؤلاء يسحرون فيهربون، ثمَّ يتحدث هؤلاء وهؤلاء بما مسهم منه، فإذا هو حديث غامض

لا يعطيك أكثر من صورة المسحور المبهور الذي لا يعلم[1] موضع السحر فيما يسمع من هذا النظم العجيب، وإن كان ليحس منه في أعماقه هذا التأثير الغريب.

فهذا عمر بن الخطاب يقول في رواية: فلما سمعت القرآن رقَّ له قلبي فبكيت ودخلني الإسلام.

ويقال عنه في رواية أنه قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه، ثم ساق قصة الوليد بن المغيرة فقال وهو كافر بمحمد وبالقرآن لا يتهم بحبه وموالاته: والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه ليحطم ما تحته، وإنه يعلو وما يعلى عليه، ثم يقول: ما هو إلا سحر يؤثر».

التعليق:

أولًا: لا يجوز إطلاق السحر على القرآن، ولا على تأثيره في العقول والنفوس.

ثانيًا: تصوير فهم العرب ومنهم أصحاب محمد ﷺ، ومن أبرزهم عمر بن الخطاب بأن حديثهم عن تأثير القرآن في نفوسهم حديث غامض.

وإن حديثهم عن هذا التأثير الذي يصفه سيد قطب بالسحر حديث من لا يعلم موضع التأثير -الذي يسميه بالسحر- من الجرأة بمكان، لاسيما وفي القوم عمر بن الخطاب المحدَّث الذي كان ينزل القرآن بموافقاته وتأييد نظراته العميقة، عمر الذي شهد له رسول الله ﷺ بالعلم.

قال رسول الله ﷺ: **«بينا أنا نائم أتيت بقدح لبن فشربت حتى إني لأرى الري يخرج في أظفاري، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب»**، قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: **«العلم»**. رواه البخاري في كتاب العلم رقم (٨٢)، ومسلم في العلم رقم (٢٦٧١).

---

(١) الحق أنهم يدركون إعجازه ومواضع هذا الإعجاز من لغتهم، وسيد قطب لم يدرك هذا الإعجاز، لكن عقله الغربي المقتبس للفنون السخيفة صور له أنه أدرك سرَّ الإعجاز في القرآن، وهو عنده التصوير الفني، وما يتبعه من موسيقى ومسرحيات، فخيّل له هذا العقل أنه أدرك ما لم يدركه الصحابة العظماء ومن بعدهم من العلماء.

وقال في أصحاب محمد ﷺ: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾.

ماذا يرى سيد قطب في علمهم وفهمهم؟

إنه يرى ويا للداهية أن حديثهم عن تأثير القرآن غامض، وأنهم لا يعلمون موضع التأثير فيما يسمعون من هذا النظم العجيب، والقرآن نزل بلغتهم ويعرفون مقاصده ومراميه أكثر من غيرهم، ويدركون بلاغته وإعجازه إلى درجة لا يلحقهم فيها فحول أئمة اللغة والعلم في كل الفنون، يعترف بهذا أمثال الشافعي، والأصمعي، وأبي عبيد القاسم بن سلام، بل وكل المسلمين.

ويأتي سيد فيقول في علمهم وإدراكهم ما قال، ويرى نفسه أنه قد أوتي ما لم يؤتوا وعلم ما لم يعلموا، ووالله لو كان علمًا صحيحًا نافعًا لسبقه إليه أدناهم فضلًا عن أعلاهم، ولكن ليس عند سيد قطب إلا إخضاع النصوص لفنه الباطل المأخوذ عن أوربا من مسرحيات وتمثيليات وسينما وموسيقى وإيقاعات و... و... إلخ. مع الأسف الشديد.

ونزه الله الإسلام والقرآن مما يلصقه بهما سيد قطب.

ونزه الله عقول الصحابة وأخلاقهم وديانتهم أن يفهموا من كتاب الله العظيم ما فهمه سيد قطب؛ وإنما هي إيحاءات وخيالات شيطانية.

*** الكفار لا يقصدون من إطلاق السحر على الرسول ﷺ وعلى القرآن إلا الذم والتشويه:**

قال تعالى: ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ﴾ [ص: ١-٨].

فهذه مقاومة وحرب على رسول الله ﷺ، وعلى القرآن الكريم؛ فهم في عزة

وشقاق، وكفر وعناد، ولا يريدون بإطلاق السحر والكذب على رسول الله إلا تشويهه وصد الناس عن اتباعه، ومنشأ هذه الحرب التكذيب والشك فيما أنزل إليه ﷺ.

قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝٤ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ [الأنبياء: ١-٥].

فهم في غفلة وإعراض، وأهل قلوب لاهية، واستماعهم للقرآن استماع اللاعبين، وأهل مكر وكيد وظلم في حربهم للرسول ﷺ وللقرآن؛ فهم لا يألون جهدًا في تشويه الرسول ﷺ، وتشويه القرآن ولا في الصد عن الإسلام؛ فالرسول في نظرهم بشر يستحيل أن يرسله الله، وهذا حاله، وما أنزل إليه سحر وأضغاث أحلام، افتراه محمد، بل هو شاعر، والقرآن شعر وسحر، وهذا منهم نهاية الخبث والتكذيب والتشويه.

قال تعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝٤ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأنعام: ٤-٥].

ويرد الله عليهم بالتهديد بالإهلاك على تكذيبهم ومواقفهم المشينة.

ثم قال تعالى في هذا السياق مبينًا عنادهم وعتوهم والإيغال في هذا العناد والعتو والتكذيب:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ۝٧ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ۝٨ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ۝٩ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأنعام: ٧-١٠].

فهم في حربهم يستخدمون أقوى ما عندهم من الأسلحة في مقاومة الرسول والحق فلا شيء عندهم أقبح من السحر -قبحهم الله-، ولا يصرفون الناس عنه

إلا بهذا الأسلوب المقرون بالسخرية والاستهزاء؛ مبالغة في التشويه، وإمعانًا في صد الناس على الإيمان بالرسول ﷺ والقرآن، كحال من قبلهم من أعداء الرسل -عليهم الصلاة والسلام-، بل هم أشد في حرب هذا الرسول ﷺ وأشد مقاومة.

قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ۝٢٩ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ۝٣٠ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ۝٣١ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ۝٣٢ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ۝٣٣ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ [الطور: ٢٩-٣٤].

فهم يصفون الرسول ﷺ والقرآن بأخبث الأوصاف المتعارف عليها عندهم مبالغة في التشويه والتنفير؛ فالرسول ﷺ كاهن ومجنون، وما جاء به كهانة، بل جنون وهو شاعر، ومتقول على الله، فالذي جاء به تقول وكذب، ومصدر ذلك ومنشؤه إنما هو الكفر والطغيان، ولا يقصدون بذلك إلا الطعن والتشويه.

وإذا كان هذا هو واقع الكفار المكذبين وهذه هي مقاصدهم الدنيئة؛ فلا يجوز أن يقال في القرآن: إنه سحر، كما لا يجوز أن يقال: إنه شعر، وكما لا يجوز أن يقال: إنه كهانة، كما لا يجوز أن يقال: إن الرسول ساحر أو شاعر أو كاهن أو مجنون أو كذاب؛ فإطلاق السحر على القرآن والرسول في التحريم والمنع كتحريم إطلاق الكذب والكهانة والشعر والجنون وسائر الأوصاف التي أطلقها الكفار على الرسالة والرسول ﷺ؛ تكذيبًا واستهزاءً وسخرية وتشويهًا وتنفيرًا.

فمن يقول إن الكفار إنما كانوا يطلقون السحر على القرآن والرسول ﷺ لغير هذه المقاصد التي نص عليها القرآن، ولغير البواعث التي نص عليها القرآن: فإنما هو مجازف متهور مصادم للقرآن الكريم المنزل من العليم الخبير بأقوال هؤلاء الكافرين المكذبين.

﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾.

* * *

٨- من كتاب مشاهد القيامة في القرآن الذي جرى فيه على قواعده في كتاب التصوير الفني[1]

قال في تفسير قوله تعالى في سورة الرحمن: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٤٦] إلى آخر السورة وهو يقارن بين الجنتين وما فيهما من نعيم، نعيم حضري ونعيم بدوي.

قال: «هما درجتان في النعيم تمثل الدرجة الأولى بالترف والرفاهية في الحضر، وتمثل الثانية بالترف والرفاهية في الوبر، ترى هذه الصور والأشكال مجرد مثل للنعيم تقربه للحس وتصوره للخيال؟ لا أجزم بشيء فليس لدي برهان».

أي لا يستطيع الجزم بأن هناك نعيم حسي جسماني من جنتين، فيها العيون الجارية، والأشجار، والفواكه، والحور العين كأنهن الياقوت والمرجان، وفيها الفرش بطائنها من إستبرق، وفيها الخيام والرفرف الخضر.

لا يستطيع الجزم بأن هذه حقائق ثابتة تشاهد بالعين، والنعيم فيها محسوس من أكل وشرب واتكاء وجماع للحور العين الموصوفات بالجمال المتناهي.

لا يستطيع الجزم بوجود شيء من هذه الأشياء؛ لأنها مجرد مثل للنعيم تقربها للحس وتصورها للخيال، وهو ليس لديه برهان أنها حقائق تلمس وتشاهد، والنعيم بها نعيم جسدي. انظر كتابه «مشاهد القيامة في القرآن» (ص٢١٦).

ويقول في تفسير قول الله تعالى من سورة المدثر: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ۝٣٩ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝٤٠ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٤١ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ﴾ [المدثر:٣٨-٤٢]: «والنعيم هنا لا يكون بالنجاة والفكاك وحدهما، ولكنه كذلك بالشعور به وبالامتياز دون المجرمين؛ فهو نعيم نفسي معنوي يرسمه في مشهد حوار بينهم

---

(١) وقد غلا فيه أي: كتاب «المشاهد» في التصوير الفني والتخييل

وبين المجرمين ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾.

فهو لا يؤمن بالنعيم المادي الحسي الجسماني في الجنة، وإنما هو في عقيدته نعيم نفسي روحي معنوي، وهذه عقيدة باطنية.

* * *

عقيدة سيد قطب في النعيم الأخروي في كتاب الظلال

ويبدو أنه قد تغيرت عقيدته هذه شيئًا ما، لكنه انتقل عنها إلى عقيدة فاسدة أخرى وهي عقيدة غلاة الصوفية، بل هي عقيدة وصفها العلماء بأنها زندقة.

قال سيد قطب في ظلال القرآن (٦/ ٣٢٩٢): «إن هذه الصور الحسية للنعيم والعذاب ترد في مواضع من القرآن، وقد تجيء معها صورة معنوية أو تجيء مجردة، كما أن صور النعيم والعذاب المجردة عن الحسيات تجيء في مواضع أخرى، والله الذي خلق البشر أعلم بمن خلق، وأعرف بما يؤثر في قلوبهم، وما يصلح لتربيتهم، ثم ما يصلح لنعيمهم ولعذابهم.

والبشر صنوف، والنفوس ألوان، والطبائع شتى، تلتقي كلها في فطرة الإنسان، ثم تختلف وتتنوع بحسب كل إنسان؛ ومن ثم فصل الله ألوان النعيم والعذاب وصنوف المتاع والآلام، وفق علمه المطلق بالعباد، هنالك ناس يصلح لتربيتهم ولاستجاشة همتهم للعمل، كما يصلح لجزائهم ويصلح نفوسهم أن يكون لهم أنهار من ماء غير آسن، أو أنهار من لبن لم يتغير طعمه، أو أنهار من عسل مصفى، أو أنهار من خمر لذة للشاربين، أو صنوف من كل الثمرات مع مغفرة من ربهم تكفل لهم النجاة من النار والمتاع بالجنات. . .

فلهؤلاء ما يصلح لتربيتهم وما يليق لجزائهم، وهنالك ناس يعبدون الله لأنهم يشكرونه على نعمه التي لا يحصونها، أو لأنهم يحبونه ويتقربون إليه بالطاعات تقرب الحبيب لحبيبه، أو لأنهم يستحيون أن يراهم على حالة لا يحبونها، ولا ينظرون وراء ذلك إلى جنة أو إلى نار، ولا نعيم أو عذاب على الإطلاق، وهؤلاء يصلح لهم تربية ويصلح جزاء أن يقول الله لهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦].

أو أن يعلموا أنهم سيكونون: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٥].

ولقد روي عن الرسول ﷺ أنه كان يصلي حتى تتفطر رجلاه فقالت عائشة رضي الله عنها: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أحب أن أكون عبدًا شكورًا». رواه البخاري (٤٨٣٧).

وتقول رابعة العدوية: أوَ لَوْ لم تكن جنة ولا نار لم يعبد الله أحد ولم يخشه أحد؟

وتجيب سفيان الثوري وقد سألها: ما حقيقة إيمانك؟ تقول: ما عبدته خوفًا من ناره ولا حبًا لجنته، فأكون كالأجير السوء، عبدته شوقًا إليه.

وبين هذا اللون وذلك ألوان من النفوس والطباع . . . وكلها تجد فيما جعله الله من نعيم وعذاب ومن ألوان الجزاء ما يصلح للتربية في الأرض، وما يناسب للجزاء عند الله.

والملاحظ عمومًا أن صور النعيم والعذاب ترق وتشف كلما ترقى السامعون في مراقي التربية والتهذيب على مدى نزول القرآن، وحسب أنواع المخاطبين، والحالات المتنوعة التي كانت تخاطب بالآيات.

وهي حالات ونماذج تتكرر في البشرية في جميع الأعصار».

أقول: وهذا تخرص وكلام باطل؛ فأفضل الرسل يخافون عذاب الله في الدار الآخرة، فهذا رسول الله محمد ﷺ يقول: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام: ١٥، الزمر: ١٣].

ويقول أكرم الرسل محمد ﷺ: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: ١٥].

ويقول ﷺ: «أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له» أخرجه البخاري (٥٠٦٣).

ويقول خليل الله إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ [الشعراء: ٨٧].

وكل الأنبياء يعبدون الله رغبًا ورهبًا؛ قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وقال الله مخبرًا عن خليله إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- أنه قال: ﴿وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الشعراء: ٨٥].

وكان رسول الله ﷺ يقول وأصحابه يحفرون الخندق: «اللهم إن العيش عيش الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة» فقالوا مجيبين له: نحن الذين بايعوا محمدًا على الجهاد ما بقينا أبدا. رواه البخاري (٤١٠٠).

ويقوم رسول الله ﷺ في ساحة الجهاد خطيبًا فيقول: «واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف» رواه البخاري (٢٨١٨)، وفي أصحابه أبو بكر وعمر وأفاضل الصحابة.

ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾ [التوبة: ١١١].

وقال تعالى مخبرًا عن امرأة فرعون إنها قالت: ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتًا فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١].

وقال جبريل لرسول الله ﷺ: «بشر خديجة ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب»، وهما أفضل من رابعة، وأفضل من الصحابيات فضلًا عن غيرهن.

وكم شوّق الله في القرآن أفاضل المؤمنين إلى الجنة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [الصف: ١٠-١٢].

فيدعوهم إلى الجهاد في سبيل الله لينجوا من النار، وليفوزوا بالجنة، فيقدمون أنفسهم رخيصة لأجل النجاة من النار والفوز بالجنة.

ويخبر الله عن أفضل المؤمنين: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦-١٧].

فهذا حال الأنبياء وأفاضل المؤمنين من صحابة وصديقين وشهداء وعلماء، وهم أعظم الناس شكرًا لله، وأشد الناس حياءً منه، وأشد الناس حبًّا لله، وفيهم أخلاء لله فوق مرتبة المحبة؛ فهذا التصنيف باطل أشد البطلان ومن خرافات الصوفية.

وهل يأخذ المسلم بالقرآن والسنة وما عليه الأنبياء واتباعهم حقًّا، أو يأخذ بهذه الزندقة التي ينسبها الصوفية إفكًا إلى رابعة العدوية وسفيان الثوري.

فلابد للعبد من الحب لله، والخوف من عذابه، والطمع والرغبة في ثوابه.

وقرر العلماء أن من عبد الله بالخوف وحده فهو خارجي، ومن عبده حبًّا له دون خوف فهو زنديق، ومن عبده بهما فهو المؤمن.

ثم من أين لسيد قطب هذا التصنيف الباطل الذي صنف به الناس، وإذا كان الأنبياء يعبدون الله خوفًا من عذابه، وطمعًا في جنته فهل يكون الأصناف الأخرى بما فيهم الصوفية أفضل من الأنبياء؟

نعوذ بالله من الجهل والضلال، ونبرأ إلى لله من هذه العقيدة المهلكة، ولا ينسى طالب العلم أن هذه العقيدة الخبيثة قائمة على تفضيل الأولياء على الرسل والأنبياء، ومنها ينطلق كاهن الصوفية ابن عربي في قوله:

مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي

هذا ما تيسر لي عرضه ومناقشته من أصول هذا الرجل، وما بناه عليها من أقوال ومواقف ونظريات وتصرفات تسيء إلى الإسلام والقرآن، ولم أستطع استيفاء كل ما يجب عرضه ومناقشته، وإنما استطعت أن أضع المفاتيح بيد من يريد أن ينصر الإسلام والقرآن، ويدفع عنهما عادية هذا الرجل وأمثاله.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

ينبوع الفتن والأحداث

الذي ينبغي للأمة معرفته ثم ردمه

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقًا

بوزيد بلقاسم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد:

فمن طباع البشر -ولاسيما الإعلاميين- الاهتمام بالأحداث وكثرة الحديث عنها وعن ظواهرها وأعراضها، وقليل منهم من ينظر إلى أسبابها وخوافيها.

وكثر الحديث في شتى وسائل الإعلام المسموعة والمرئية، والصحف، والقنوات الفضائية، وشبكات المعلومات العنكبوتية -الإنترنت- عن أحداث أفغانستان والعراق، وعن حوادث التفجير في بلاد المسلمين وغيرها.

وأكثر الناس يربط هذه الأعمال بالقاعدة التي يتزعمها أسامة بن لادن ومن شايعه فحسب.

ولقد جعل الأغمار من هؤلاء أبطالًا إسلاميين مجاهدين، وإن كانوا من أشد الناس فرارًا من الحرب، وأكثرهم تدسسًا في الكهوف والغيران، أو عيشًا في بلاد الكفر للتأليب على المسلمين والسعي في سفك دمائهم.

وإن كانت مساعيهم لا تحقق إلا إذلال المسلمين وإسقاط دولهم، ولا تحقق إلا فرصًا لأعداء الإسلام وانتصارات سهلة لهم.

ولا ندري ما هي مقاييس البطولة عند هؤلاء المساكين: أهو السعي في تسليم شباب المسلمين للأعداء يذبحونهم مثل الدجاج ويتصيدونهم ويأسرونهم كالحمام؟

مع أن هؤلاء الشباب المدفوعين لا يملكون دفعًا عن أنفسهم، فضلًا عن أن يمتلكوا أشياء من وسائل النصر والظفر بالأعداء، وما أشد حرص أعداء الإسلام على مثل هذه الحروب الفاشلة.

هذا الصنف الغريب يدفع هؤلاء الشباب إلى إدخال المسلمين في دوامات من

التفجيرات والتهديد بها بل بالإكثار منها[١].

فما يسع المسلمين إلا الفزع إلى كثرة الحديث عنها، ما بين مؤيد وكاره، وعند هذا الحد ينتهي الكثير منهم، وأقل القليل من يشير إلى أصل هذا البلاء.

والحقيقة المرة: أن أعمال أسامة ومن شايعه على فظاعتها ما هي إلا ثمرة لفكر ومنهج تحمله مؤلفات حظيت بكل وسائل الدعاية والترويج والطبع والنشر بشتى اللغات.

شحنت بها المكتبات، وتسللت محتوياتها إلى كثير من المدارس والجامعات، وشحنت بها عقول كثير من الشباب في العالم حتى وصلت إلى الغابات والأدغال، ألا وهي كتب ومنهج سيد قطب.

إن هذا السيل الجارف لم يلق من الإعلام في بلاد المسلمين، ولم يلق من كثير من المعلمين والمربين إلا المدح والإشادة والترويج، ومن حاول إيقاف مده واكتساحه قُوبل بالحرب الضروس والدعاية، والإعلام المشوه له ولجهوده القائمة على الشعور بالمسئولية أمام الله، وعلى الشعور بواجب الأمانة والنصيحة للإسلام والمسلمين عامتهم وخاصتهم، فتحاصر هذه الجهود، وتقام في وجهها السدود، ويحال بين وصولها إلى أيدي الأمة، بشتى الوسائل الأثيمة، من الأكاذيب والتشويهات، مع التمجيد والإطراء الفائق لتلك الكتب التي تحمل في طياتها المنايا والبلايا[٢].

لقد قمت أنا العبد الضعيف بكشف كل أو جُلّ ما تحمله كتب سيد قطب التي هي المنابع الأصيلة للفتن والإرهاب والدمار في بلاد الإسلام، بل وغيرها؛ لأنها حوت ألواناً من تدمير الأسس والعقائد والمناهج الإسلامية.

---

(١) الأمور التي تتيح لأعداء الإسلام فرصًا سياسية وعسكرية وإعلامية تضر بالمسلمين وبدينهم وبمصالحهم الدنيوية.

(٢) ولشدة مكر هؤلاء وكيدهم وتمويهاتهم يلصقون اليوم كل هذه الرزايا والبلايا بمنهج الإمام محمد بن عبد الوهاب المجدد والمصلح العظيم، الذي أعماله عظيمة وبناءة أعادت للإسلام جدته ونصاعته، وأنارت العالم الإسلامي بضياء الحق الذي حملته دعوته الواعية الصادقة، ومع كل هذا يلصق هؤلاء الماكرون بهذا الإمام ودعوته ومنهجه ظلمهم وظلماتهم، كفاهم الله بما يستحقون

حوت: فكر الروافض الذي أهان به سيد قطب أصحاب رسول الله ﷺ:

١- كما في كتاب «العدالة الاجتماعية».

٢- وكتاب «كتب وشخصيات».

إلى جانب ما حواه الكتابان من ضلالات عقائدية تهدم الإسلام والمجتمعات الإسلامية.

٣- وكما في كتاب «التصوير الفني»، الذي فيه سخرية بنبي الله موسى.

وأصول فاسدة تعطل صفات الله.

وأصول فاسدة أخرى تحول نصوص القرآن إلى مسرحيات بحلقاتها وتمثيليات وموسيقى بفنونها المختلفة.

ومع ذلك لا يقابل هذا الكتاب الذي حوى هذه الموبقات التي لم يسبق لها مثيل في تاريخ الإسلام، لا يقابل إلا بالاحترام والتقديس طوال عقود من السنين، وتقوم عليه الدراسات الجامعية التي لا تزيد أفكاره المهلكة إلا تعظيمًا وتهويلًا؛ حتى قام هذا العبد الضعيف بنقده وكشف خباياه وبلاياه.

٤- وكتاب «مشاهد القيامة في القرآن» وهو صنو: «التصوير الفني» في كثير من القضايا، ولم ينتقده إلا الأستاذ أحمد محمد جمال -فيما أعلم-.

٥- وكتاب «في ظلال القرآن» الذي شحنه سيد قطب بتكفير المجتمعات الإسلامية، وحتى إنه ليكفر من يعلن بالأذان على المنارات، حتى يكفر بالجزئية مهما دقت.

كما ضمنه كثيرًا من العقائد الباطلة كالقول بالحلول، ووحدة الوجود، والجبر، وكتعطيل صفات الله ﷻ، وكالقول بأزلية الروح، والدندنة حول إنكار معجزات رسول الله ﷺ.

وكتحريف كلمة لا إله إلا الله متبعًا تحريفات المتكلمين، ومخترعًا لها تفسيرًا سياسيًا يناسب منهجه السياسي التكفيري، إلى تحميل نصوصه بالموسيقى وما شاكلها مما حواه كتاب «التصوير الفني».

٦- وكتاب «السلام العالمي»، الذي ميع فيه الإسلام؛ إرضاء وتملقًا لساسة الغرب ومستشرقيه.

٧- وكتاب «دراسات إسلامية».

٨- وكتاب «معالم في الطريق»، الذي ملأه بالتكفير والشحن لشباب الأمة.

٩- وكتاب «مشكلات الحضارة».

١٠- وكتاب «معركة الإسلام والرأسمالية».

وفيها من الضلال ما الله به عليم.

وقد فندت كل أباطيله أو جلها في ضوء كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في خمسة كتب، وهي:

١- أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره.

٢- مطاعن سيد قطب في أصحاب رسول الله ﷺ.

٣- الحد الفاصل بين الحق والباطل.

٤- العواصم مما في كتب سيد قطب من القواصم.

٥- نظرات في كتاب التصوير الفني.

إلى جانب بعض المقالات التي تنتقد عقيدة هذا الرجل ومنهجه وفكره، ومنها: أطوار سيد قطب في وحدة الوجود؛ حيث بينت أطواره فيها من شعره ونثره من ١٩٣٥م إلى قرابة ١٩٦٠م.

ومع ما فيها من البيان الواضح النير لضلالات سيد قطب التي جددت أو ساندت البدع الكبرى التي لقيت منها المجتمعات الإسلامية الويلات، وأحيت أصولها، وسفكت بسببها دماء كثير من المسلمين جددها سيد قطب بكل ما أوتيه من دهاء.

وما لقي سيد قطب إلا التقديس، وما لقيت كتبه المهلكة إلا الإجلال والترحيب والحفاوة التي لم يحظ بمثلها كتب كبار أئمة الإسلام، كمالك، والشافعي، وأحمد، والبخاري، ومسلم.

وحسبك أن تعرف أن كتاب «في ظلال القرآن» قد طبع إلى عام ١٤١٨م أكثر من ثلاثين طبعة، ولعله قد زادت طبعاته، هذا عدا الترجمات باللغات الأخرى.

وحسبك أن تعلم أن «معالم في الطريق»، وهو من أهم أسس التكفير والدمار الفكري قد طبع إلى عام ١٤١٢هـ خمس عشرة طبعة هذا عدا الترجمات، ولا أدري إلى كم وصلت طبعاته إلى الآن، وهناك من كتبه ما طبع إلى عشر طبعات.

وقلَّما ترى نقدًا لبعض كتبه إلا مع الارتجاف والحذر والتمجيد.

أما المدح والدفاع بالباطل فحدث ولا حرج، وأما الحرب والتشويه لمن ينتقده فقد ملئوا به أدمغة ملايين الشباب في كل البلدان.

ولم تحظ العقيدة الإسلامية والقرآن والصحابة الكرام، بل وبعض الأنبياء وأصول الإسلام من الغيرة الإسلامية لدى هؤلاء الضحايا إلا شيئًا أو شيئًا هزيلًا، وهانت هذه العقائد والأصول والصحابة، بل ومنزلة النبوة تجاه عظمة سيد قطب.

فلو وضعتها كلها في كفة وسيد قطب في كفة؛ لرجحت كفة سيد قطب عندهم.

هذا وهم يتباكون على الإسلام، ويفدونه بأرواحهم ومهجهم، ولكنه إسلام سيد قطب الذي قدمه لهم في كتبه، ومنها: «العدالة الاجتماعية»، و«الظلال»، و«المعالم».

أما إسلام الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وإسلام أئمة الهدى كمالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وأبي زرعة، وأبي حاتم، والبخاري، وابن تيمية، وابن عبد الوهاب، وغيرهم فليس له عندهم إلا الدعاوى.

فإن قالوا: هذا غير صحيح.

قلنا: لقد اعتدى على إسلامهم سيد قطب عدوانًا عظيمًا، بل اعتدى على حملته وعلى رأسهم الصحابة الكرام، بل بعض الأنبياء الكرام.

ومع كل هذا العدوان الصارخ، فما لقي منكم إلا الإجلال والإكبار، والدفاع عنه وعن كتبه وأفكاره التي دمرت شباب الأمة وذخيرتها، ولا تزالون توردونهم المهالك والموارد المسمومة والموبوءة التي تعتبرونها تجديدًا للإسلام.

والدفاع الظالم عن سيد قطب، والعدوان الصارخ الظالم على من ينتقده؛ ذبًّا عن حياض الإسلام، وعلى رأسها الكتاب والسنة والعقائد والأصول المستمدة منهما.

وذبًّا عن حياض حملته من الصحابة ومن تبعهم بإحسان.

ألا فليدرك العقلاء الناصحون لهذه الأمة وعلى رأسهم العلماء وكافة المسئولين في هذا البلد -بلد التوحيد والسنة- خطورة تراث سيد قطب على الإسلام والمسلمين، وخاصة شباب الأمة وعدتها.

إن من أوجب الواجبات عليهم: أن يبذلوا أقصى جهودهم لحماية الأمة منه، وليضربوا بيد من حديد على من يروج له -أي: تراث سيد قطب- و يسربه إلى الشباب في مدارسهم وبيوتهم ومراكز نشاطاتهم.

وعلى من يروج له أن يتوبوا إلى الله توبة نصوحًا، وأن يعلنوا توبتهم ومواقفهم منه -أي: تراث سيد قطب- الموقف الذي يتطلبه منهم الإسلام وواقع المسلمين؛ نصيحة لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم.

فكفى الشباب والأمة ما نزل بهم في الجزائر، وأفغانستان، ومصر، والشام، والمملكة العربية السعودية، والمغرب، واليمن، وغيرها من البلدان.

وكفى ما يتغلغل في صدور الشباب من الأحقاد والضغائن على من يشير أو يلمح إلى كتب سيد قطب، ومن تربى عليها بل وعلى المجتمعات الإسلامية كلها التي يكفرها سيد قطب.

فلا يقدمون لهم علمًا صحيحًا، ولا توجيهًا سديدًا؛ وإنما يقدمون لهم التكفير، والتدمير، والتفجير.

كما على المسلمين التحذير من الكتب والأشرطة التي انبثقت عن منهج سيد قطب مثل مؤلفات محمد قطب، والصاوي، وأبي بصير، وأبي محمد المقدسي، وأمثالهم.

* * *

فكرة عن كتاب «لماذا أعدموني؟»

وهو آخر هدايا سيد قطب للمجتمعات الإسلامية، فمن زلزلة العقائد، ثم التكفير، إلى التصفيات الجسدية بالتفجير والتدمير.

وإني أقدم كل ما أقدمه؛ نصحًا للأمة، وحماية لها، وقيامًا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو ميزة هذه الأمة.

قال سيد قطب (ص ٤٨-٤٩) من كتابه «لماذا أعدموني»[١]:

«وقد بدأت أدرس معهم تاريخ الحركة الإسلامية، ثم مواقف المعسكرات الوثنية والملحدة والصهيونية والصليبية قديمًا وحديثًا من الإسلام، مع إلمام خفيف بالأوضاع في المنطقة الإسلامية في التاريخ الحديث منذ عهد الحملة الفرنسية، وأحيانًا التعليق على الأحداث والأخبار والإذاعات، مع محاولة تدريبهم على تتبعها بأنفسهم؛ فقد كلفتهم أن يخصصوا منهم ومن بعض مَن يختارونهم ممن وراءهم تتبع الصحف العالمية، والإذاعات العالمية، وإذا أمكن الكتب التي تصدر باللغتين الإنجليزية والفرنسية، وتهتم بالإسلام وبالمنطقة الإسلامية»[٢].

وحدث أربع مرات أن جاءني أحمد عبد المجيد بحصيلة تتبعهم للأخبار الصحفية العالمية والمحلية والإذاعات كذلك[٣]، وكانت صورة بدائية ساذجة،

(١) لقد علقت على بعض الفقرات التي عرضتها من هذا الكتاب وتركت بعضها لفهم القارئ.

(٢) هذا منطلق ما يسمونه بفقه «الواقع» الذي شغل كثيرًا من الشباب عن الاهتمام بالعلوم الشرعية، وغرس في نفوسهم احتقار العلماء وصرف الشباب عنهم، بل ذهب بهم الهوى إلى إصدار التُّهم والأحكام بأنهم عملاء وجواسيس، وعلماء حيض ونفاس، وأنهم الطابور من المخططين، وأن علومهم قشور، وقد سنّ سيد قطب السخرية بالعلماء والطعن فيهم وفي علمهم وكتبهم.

(٣) يتحدث سيد قطب مع شباب الإخوان الذين لم يعرفوا العقيدة الإسلامية التي دعا إليها وناضل من أجلها الرسل الكرام، وناضل الرسول ﷺ، وعودي وحورب من أجلها من هذه المعسكرات التي يتحدث عنها سيد قطب، وسيد قطب والإخوان الذين يحدثهم مفلسون منها، وليسوا على استعداد من قريب ولا من بعيد لحمل رايتها، بل يحاربونها ويحاربون أهلها، ويرونها عقبة في طريقهم إلى تسنم كراسي الحكم، ومستعدون للتحالف مع هذه المعسكرات في أي وقت إذ رأوا في هذا التحالف ما يوصلهم إلى غاياتهم المنشودة، وهي التربع على كراسي الحكم، أو احتلال مقاعد في البرلمانات الديمقراطية.

ولكنها الخطوات الأولى الضرورية، ومنها كنت أعرف مدى عقليتهم العامة.

غير أن جلساتي معهم كانت محدودة بحكم قصر المدة التي اتصلوا بي فيها؛ فهي في مجموعها إذا استبعدنا الفترات التي كنت مشغولًا فيها، أو مريضًا، أو بعيدًا عن القاهرة لا تزيد على ستة أشهر، ولا تحتمل أكثر مما يتراوح بين عشرة واثني عشر اجتماعًا، لا يتسنى فيها إلا القليل، وبعضها كان يشغل بمسائل عملية أخرى تختص بموقف التنظيم من بقية الإخوان، كما تتعلق بمسائل التدريب وأسلحته[1]... وبخطة مقابلة الاعتداء على التنظيم وتوقع ضربة حسب ما يتردد

---

(١) لا يدرب سيد قطب هؤلاء ويسلحهم إلا لإحداث المذابح والفتن في بلدان المسلمين، وعملهم هذا مرفوض في أي بلد كان.

فهل درب أحد من الأنبياء الكرام أتباعه مثل هذا التدريب وسلحهم لمثل أهداف سيد قطب؟

كان فرعون في بلاد مصر وهو أكبر طاغية؛ قال الله تعالى في شأن موسى وشأنه ﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۝ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص ٣-٦].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ۝ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ۖ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝ قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف ١٢٧-١٢٩]

انظر؛ هناك علو في الأرض وإفساد، وجعله أهل مصر شيعًا، ومضاعفة الطغيان، والعلو على بني إسرائيل يستضعفهم فيقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم، يقابله من نبي الله وصفيه وكليمه موسى أمر بني إسرائيل بالاستعانة بالله، والصبر على الطغيان والشدائد، ومواجهة المذابح، ويعدهم بأن العاقبة للمتقين، والرجاء في الله أن يهلك عدوهم، وأن يستخلف بني إسرائيل في الأرض.

والله يريد أن يمن على هؤلاء المستضعفين وأن يجعلهم أئمة، وأن يمكن لهم في الأرض، كل ذلك جزاء صبرهم على الظلم والطغيان، وجزاء تقواهم لله واستعانتهم به على هذا العدو الطاغي المتجبر.

وحقق الله لهم وعده وحقق ما كان يرجوه كليم الله موسى -عليه الصلاة والسلام-

والله ما قص علينا هذه القصص إلا لنعتبر ونستفيد منها، ونتأسى بالأنبياء في الصبر والثبات، ورجاء النصر على الأعداء، ولا نرضى سلوك أهل الضلال والجهل في التخريب والتدمير، وسفك دماء المسلمين من نساء وأطفال، وإهلاك حرثهم ونسلهم، كما فعل أتباع سيد قطب في أفغانستان، والجزائر، والسودان، واليمن، واليوم في المملكة، والمغرب، وغيرها، وكل ذلك منهم بغي وظلم وعدوان على الضعفاء والمساكين والنساء والأطفال؛ فكم هي الفروق الهائلة بين منهج سيد قطب وأتباعه وبين الأنبياء وأتباعهم!

من أخبار وإشاعات. . .

وأظن أن هذه هي المسألة الرئيسية التي تهم المشرفين على القضية أكثر من غيرها . . . ولكني كنت أرى أنه لابد من عرض الصورة الكاملة التي تساعد على فهم هذه المسألة من كل جوانبها».

وقال سيد قطب في (ص٤٩-٥٠):

كنا قد اتفقنا على استبعاد استخدام القوة كوسيلة لتغيير نظام الحكم، أو إقامة النظام الإسلامي، وفي الوقت نفسه قررنا استخدامها في حالة الاعتداء على هذا التنظيم الذي سيسير على منهج تعليم العقيدة وتربية الخلق، وإنشاء قاعدة للإسلام في المجتمع[1].

وكان معنى ذلك البحث في موضوع تدريب المجموعات التي تقوم برد الاعتداء، وحماية التنظيم منه، وموضوع الأسلحة اللازمة لهذا الغرض، وموضوع المال اللازم كذلك.

فأما التدريب - فقد عرفت أنه موجود فعلًا من قبل أن يلتقوا بي، ولكن لم يكن ملحوظًا فيه ألا يتدرب إلا الأخ الذي فهم عقيدته[2] ونضج وعيه؛ فطلبت منهم مراعاة هذه القاعدة، وبهذه المناسبة سألتهم عن العدد الذي تتوافر فيه هذه الشروط

---

(١) أي عقيدة، وأي خلق، وأي قاعدة ومنهج التي يربي عليها سيد قطب؟ لينظر المسلم العاقل ماذا يعاني الإسلام والمسلمون من منهج سيد قطب وعقائده وتربيته وتربية من يحمل هذا المنهج.

(٢) قد ينخدع بعض الناس بترداد سيد قطب لفهم العقيدة والنضج فيها، فيظن أن هذا الرجل من علماء الإسلام وخاصة في أبواب العقيدة.

إن العقيدة التي عرضها سيد قطب في كتبه مضادة تمامًا للعقيدة التي جاء بها محمد ﷺ، وكان عليها أصحابه والسلف الصالح.

فلقد جمع بين عقائد المعتزلة، والخوارج، والجهمية، والروافض، وفلاسفة التصوف؛ فهناك تعطيل لصفات الله على طريقة الفرق الضالة، وهناك القول بوحدة الوجود والحلول والجبر، وهناك طعن شديد في الصحابة الكرام، بل هناك سخرية بمقام النبوة ظهرت في سخريته بموسى.

هذا عدا ما أضافه إلى هذه البلايا من تطاول على نصوص القرآن التي يرى أنها ميدان فسيح لكل الفنون من موسيقى، ومسرحيات، وتمثيليات، وتصوير، على قواعد فاسدة، ومنها أن التين والتفاح صنوان... إلى ضلالات أخر دوَّنها سيد قطب في كتبه منها التكفير، والاشتراكية.

عندهم، وبعد مراجعة بينهم ذكروا لي أنهم حوالي السبعين، وتقرر الإسراع في تدريبهم؛ نظرًا لما كانوا يرونه من أن الملل يتسرب إلى نفوس الشباب إذا ظل كل زادهم هو الكلام من غير تدريب وإعداد»[1].

وقال في (ص٥٠-٥٢):

«ثم تجدد سبب آخر فيما بعد عندما بدأت الإشاعات ثم الاعتقالات بالفعل لبعض الإخوان... وأما السلاح فكان موضوعه له جانبان:

الأول: أنهم أخبروني -ومجدي هو الذي كان يتولى الشرح في هذا الموضوع- أنه نظرًا لصعوبة الحصول على ما يلزم منه حتى للتدريب، فقد أخذوا في محاولات لصنع بعض المتفجرات محليًا[2]، وأن التجارب نجحت وصنعت بعض القنابل فعلًا، ولكنها في حاجة إلى التحسين، والتجارب مستمرة...

والثاني: أن علي عشماوي زارني على غير ميعاد، وأخبرني أنه كان منذ حوالي سنتين قبل التقائنا قد طلب من أخ في دولة عربية قطعًا من الأسلحة حددها له في كشف، ثم ترك الموضوع من وقتها والآن جاءه خبر أن هذه الأسلحة[3] سترسل، وهي كميات كبيرة حوالي عربية نقل، وأنها سترسل عن طريق السودان مع توقع وصولها في خلال شهرين[4].

وكان هذا قبل الاعتقالات بمدة، ولم يكن في الجو ما ينذر بخطر قريب، ولما كان الخبر مفاجئًا فلم يكن ممكنًا البت في شأنه حتى نبحثه مع الباقين، فاتفقنا على موعد لبحثه معهم.

---

(١) ما هي الغاية من السرعة بالتدريب والإعداد؟

(٢) هكذا قنابل ومتفجرات محليًا! وانظر كيف وإلى أي مدى وصلت في رفع شأن الإسلام وحماية المسلمين، فهل ترى شيئًا لدعوة سيد قطب في سيرة الأنبياء أو المصلحين ودعواتهم؟

(٣) انظر كيف يهرب الإخوان المسلمون الأسلحة لتقتيل المسلمين وللإفساد في الأرض، فإذا انتقد انحرافهم أحد قالوا: تتركون الكفار والعلمانيين وتتكلمون على الدعاة الإسلاميين؟ فبيان أخطائهم جريمة، وتلبيحهم للمسلمين هنا وهناك جهاد إسلامي وسعي لإعلاء الإسلام والمسلمين!!

(٤) انظر كيف يهرب الإخوان المسلمون الأسلحة لتقتيل المسلمين وللإفساد في الأرض، فإذا انتقد انحرافهم أحد قالوا: تتركون الكفار والعلمانيين وتتكلمون على الدعاة الإسلاميين؟ فبيان أخطائهم جريمة، وتلبيحهم للمسلمين هنا وهناك جهاد إسلامي وسعي لإعلاء الإسلام والمسلمين!!

وفي اليوم التالي على ما أتذكر وقبل الموعد جاءني الشيخ عبد الفتاح إسماعيل وحدثني في هذا الأمر، وفهمت أنه عرفه طبعًا من علي، وكان يبدو غير موافق عليه ومتخوفًا منه، وقال: لابد من تأجيل البت في الموضوع حتى يحضر صبري، وقلت له: إننا سنجتمع لبحثه.

وفي الموعد الأول على ما أتذكر لم يحضر صبري؛ لذلك لم يتم تقرير شيء في الأمر، وفي موعد آخر كان الخمسة عندي وتقرر تكليف علي بوقف إرسال الأسلحة من هناك حتى يتم الاستعلام من مصدرها عن مصدر النقود التي اشتريت بها، فإن كان من غير الإخوان ترفض، والاستفهام كذلك عن طريق شرائها دفعة واحدة أو مجزأة، وطريقة إرسالها وضمانات أنها مكشوفة أم لا؟

وبعد ذلك يقال للأخ المرسل ألا يرسلها حتى يخطره بإرسالها . . .

ومضى أكثر من شهر على ما أتذكر حتى وصل للأخ علي رد مضمونه الباقي في ذاكرتي: أن هذه الأسلحة بأموال إخوانية من خاصة ما لهم، وأنهم دفعوا فيها ما هم في حاجة إليه لحياتهم تلبية للرغبة التي سبق إبداؤها من هنا، وأنها اشتريت وشحنت بوسائل مأمونة . . .

ولا أتذكر إن كان هذا الرد أو رد تال جاء بعده قد تضمن أن الشحنة أرسلت فعلًا، ولا يمكن وقف وصولها، وأنهم يفكرون في طريق ليبيا إلى جانب طريق السودان، أو لأنه قد يكون أيسر من طريق السودان، لا أتذكر النص بالضبط.

والأرجح أنه رد واحد، وعند ذكر ليبيا قلت: إنهم إذا فكروا في طريق ليبيا فإني أعرف من يستطيعون مساعدتنا في نقل مثل هذه الأشياء . . .

وكنت أفكر وقتها في اثنين من إخوان ليبيا عرفتهما بعد خروجي من السجن، أحدهما: الطيب الشين، وكان يدرس في مركز التعليم الأساسي بسرس الليان، وله علاقة بسائقي عربات النقل بخط الصحراء بين ليبيا ومصر، والآخر المبروك،

ولا أذكر إن كان اسمه الأول محمد، أم لا لأني أعرفه باسم واحد . . . وكان في مناسبة ذكر لي أن بعض أقاربه يشتغلون بالقوافل بين مصر وليبيا . . ولم أستوضحه وقتها عن القوافل؛ لأنه كان كلامًا عابرًا بخصوص ما إذا كان يلزمني أي

شيء ليس موجودًا في مصر ويمكن الحصول عليه من ليبيا أو من الخارج، وقوله لي أن أطلب أي شيء فنقله مأمون تمامًا؛ لأن أقاربه في القوافل...

كذلك لا أعرف بالضبط نوع التجارة التي يزاولها هو ويحضر من أجلها إلى مصر.. إلا أنه في مرة قال لي: أنه يستورد من الإسكندرية البرانس التي تلبس في المغرب وتصنع هنا في مصر وليس في المغرب... ومرة قال لي: إن معه شحنة كتب... ولكني غير متأكد من نوع التجارة التي يزاولها».

وقال في (ص٥٢-٥٣):

«وأما مسألة المال: فقد جاء ذكرها مرات في اجتماعاتنا، أو في أحاديثهم متفرقين معي، وعرفت أن لدى الشيخ عبد الفتاح مبلغًا، ولكنه كان يقول لهم دائمًا: إنه هو مؤتمن عليه، وهو وديعة عنده لينفق في أغراض معينة، ولذلك فهو لا يملك أن ينفق منه في إعانات البيوت مثلًا، ولا يملك التصرف في شيء إلا بإذنه...

وقد قال لي الشيخ عبد الفتاح مثل هذا الكلام، ولكن لما عرضت مسألة الإنفاق على الصناعة المحلية للمتفجرات، وعلى الإنفاق لتسلم شحنة الأسلحة التي أرسلت بعدما تبين أنه لا يمكن وقفها ولا يمكن تركها[1] كذلك؛ قال: إن أي مبلغ تحت تصرفكم، واستأذنني في هذا فأذنت له، وفهمت أنه كان يعتبر المبلغ أمانة لا يتصرف فيه إلا بإذن قيادة شرعية[2].

ولكني لم أعلم بالضبط مصدر هذا المبلغ ولا مقداره، كل ما كان واضحًا أنه من إخوان في الخارج وليس من أية جهة أخرى... فهذا ما كنت أحب أن أتأكد منه في علاقاتهم السابقة، لأني كما قلت لهم: لا أجيز للحركة الإسلامية أن تستعين بأجنبي عنها لا في مال، ولا في سلاح، ولا في حركة[3]

---

(١) إذن هناك اتفاق على الصناعة المحلية للمتفجرات، وعلى تسلم الأسلحة المهربة وبذل المال في هذا الباب أمر لا تردد فيه، وواضح أن هذه الصناعة قد تطورت.

(٢) انظر إلى سيد قطب كيف يعتبر نفسه قيادة شرعية، بأمر قطاع، ولا ندري هل كان يعتبر نفسه ويعتبره أتباعه إمامًا للمسلمين، أم أنه قائد حزبية ملبئة مدمرة.

(٣) هذا الكلام يدل على مدى الهوة بين هذا الرجل وبين المسلمين، ويدل على أن حركته سرية قاتلة لا تستمد هذه السرية من الإسلام، وإنما استمدت من الحركات الاشتراكية والعلمانية التي تقلب فيها، ثم نكب بها الإسلام والمسلمين.

كذلك لم أعرف بالضبط مقداره، ولكني أستنتج أنه أكثر من ألف جنيه... فقد جاء ذلك في كلمات عرضية».

وقال في (ص ٥٤ - ٥٥):

«خطة رد الاعتداء على الحركة الإسلامية:

كما تقدم كنا قد اتفقنا على مبدأ عدم استخدام القوة لقلب نظام الحكم، وفرض النظام الإسلامي من أعلى، واتفقنا في الوقت ذاته على مبدأ رد الاعتداء على الحركة الإسلامية التي هي منهجها إذا وقع الاعتداء عليها بالقوة[1].

وكان أمامنا المبدأ الذي يقرره الله سبحانه: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤].

وكان الاعتداء قد وقع علينا بالفعل في سنة (١٩٥٤)، وفي سنة (١٩٥٧) بالاعتقال والتعذيب، وإهدار كل كرامة آدمية في أثناء التعذيب، ثم بالقتل، وتخريب البيوت، وتشريد الأطفال والنساء.

ولكننا كنا قررنا أن هذا الماضي قد انتهى أمره فلا تفكر في رد الاعتداء الذي وقع علينا فيه، إنما المسألة هي مسألة الاعتداء علينا الآن، وهذا هو الذي تقرر الرد عليه إذا وقع...

وفي الوقت نفسه لم نكن نملك أن نرد بالمثل؛ لأن الإسلام ذاته لا يبيح لمسلم أن يعذب أحدًا، ولا أن يهدر كرامة الآدمية، ولا أن يترك أطفاله ونساءه بالجوع، وحتى الذين تقام عليهم الحدود في الإسلام ويموتون تتكفل الدولة بنسائهم وأطفالهم، فلم يكن في أيدينا من وسائل رد الاعتداء التي يبيحها لنا ديننا إلا القتال والقتل[2] أولًا: لرد الاعتداء؛ حتى لا يصبح الاعتداء على الحركة

---

(١) كان هناك جماعات إسلامية ومنها أنصار السنة، فما كانت تترقب هذه الاعتداءات، ولا كانت تقوم ضدها اعتداءات، وأنصار السنة آنذاك يمثلون الإسلام الصحيح والتوحيد، في حين أن دعوتكم قائمة على البدع والضلال تتهرب من الدعوة إلى التوحيد دعوة الأنبياء وإلى يومنا هذا.

(٢) لقد صبر إمام أهل السنة أحمد بن حنبل وإخوانه على القتل والتعذيب، وما كان الإمام يفكر في مثل ما يفكر فيه سيد قطب، بل لا أحد من المصلحين يفكر في أقل شيء مما يفكر فيه سيد قطب من القتل والتخطيط للتدمير، وإن تفكيره وأعماله لوافدةٌ على الإسلام من الخارج، وإن الإسلام لبريء منها.

الإسلامية وأهلها سهلًا يزاوله المعتدون في كل وقت

وثانيًا: لمحاولة إنقاذ وإفلات أكبر عدد ممكن من الشباب المسلم النظيف المتماسك الأخلاق في جيل كله إباحية، وكله انحلال، وكله انحراف في التعامل والسلوك، كما هو دائر على ألسنة الناس وشائع لا يحتاج إلى كلام»[1]

وقال في ص (٥٥-٥٦):

لهذه الأسباب مجتمعة فكرنا في خطة ووسيلة ترد الاعتداء... والذي قلته لهم ليفكروا في الخطة والوسيلة باعتبار أنهم هم الذين سيقومون بها بما في أيديهم من إمكانيات، لا أملك أنا معرفتها بالضبط ولا تحديدها .. الذي قلته لهم: إننا إذا قمنا برد الاعتداء عند وقوعه فيجب أن يكون ذلك في ضربة رادعة [2] توقف الاعتداء، وتكفل سلامة أكبر عدد من الشباب المسلم.

ووفقًا لهذا جاءوا في اللقاء التالي، ومع أحمد عبد المجيد قائمة باقتراحات تتناول الأعمال التي تكفي لشل الجهاز الحكومي عن متابعة الإخوان في حالة ما إذا وقع الاعتداء عليهم، كما وقع في المرات السابقة لأي سبب؛ إما بتدبير حادث كحادث المنشية الذي كنا نعلم أن الإخوان لم يدبروه، أو مذبحة طرة التي كنا على يقين أنها دبرت للإخوان تدبيرًا، أو لأية أسباب أخرى تجهلها الدولة أو تدس عليها، وتجيء نتيجة مؤامرة أجنبية أو محلية...

وهذه الأعمال هي الرد فور وقوع اعتقالات لأعضاء التنظيم بإزالة رءوس في مقدمتها رئيس الجمهورية، ورئيس الوزارة، ومدير مكتب المشير، ومدير المخابرات، ومدير البوليس الحربي، ثم نسف لبعض المنشآت التي تشل حركة مواصلات القاهرة لضمان عدم تتبع بقية الإخوان فيها وفي خارجها كمحطة

---

(١) هذه نظرة سيد قطب إلى المجتمعات الإسلامية، وهو يصرح بأنها مجتمعات جاهلية مثل المجتمعات النصرانية واليهودية والهندوكية والشيوعية، كما في كتابه «المعالم»، وهو يلهج كثيرًا بتكفير هذه المجتمعات في كتابه «الظلال».

(٢) هذه الضربة الرادعة تشمل إزهاق النفوس وتدمير المنشآت والمؤسسات كما سيأتي بعد أسطر، وأنها والله لعقلية تخريبية تدميرية تدمر العقول وتدمر الدين والمجتمعات، وثمارها اليوم أكبر شاهد.

الكهرباء، والكباري، وقد استبعدت فيما بعد نسف الكباري كما سيجيء[1].

وقلت له: إن هذا إذا أمكن يكون كافيًا كضربة رادعة، ورد على الاعتداء على الحركة وهو الاعتداء الذي يتمثل في الاعتقال والتعذيب والقتل والتشريد كما حدث من قبل، ولكن ما هي الإمكانيات العملية عندكم للتنفيذ...

وظهر من كلامهم أنه ليس لديهم الإمكانيات اللازمة[2]، وأن بعض الشخصيات كرئيس الجمهورية ورئيس الوزارة -فيما يذكر- وربما غيرهما كذلك عليهم حراسة قوية لا تجعل التنفيذ ممكنًا، فضلًا على أن ما لديهم من الرجال المدربين والأسلحة اللازمة غير كاف لمثل هذه العمليات...

وبناء على ذلك أتفق على الإسراع في التدريب، بعدما كنت من قبل أرى تأجيله ولا أتحمس له باعتباره الخطوة الأخيرة في خط الحركة وليس الخطوة الأولى...

ذلك أنه كانت هناك نذر متعددة توحي بأن هناك ضربة للإخوان متوقعة، والضربة[3] كما جربنا معناها التعذيب، والقتل، وخراب البيوت، وتشرد الأطفال والنساء؛ فقد أخذ الشيوعيون ينشرون الإشاعات في كل مكان بأن الإخوان المسلمين يعيدون تنظيم أنفسهم، واختيار قيادة جديدة لهم، وبلغتنا إشاعة أن الشيوعيين[4] وضعوا منشورات في نقابة الصحفيين يبدو فيها طابع الإخوان

---

(١) ما أظن أن هذه العقلية المدمرة تستبعد شيئًا من هذه المدمرات على من يشفق هذا الرجل؟ ومن يرحم والمجتمعات كلها كافرة جاهلية، والتعامل معها لا ينبثق من الإسلام الذي يفرق بين المحارب وغيره، ويرفض قتل النساء والأطفال، ولا يقاتل الكفار المعاندين إلا بعد الدعوة إلى الله دون غدر أو خيانة، هذا مع الكفار والمحاربين، فكيف مع المسلمين الذين يكفرهم سيد قطب ويخطط لهذه الأعمال؟

فإذا كان جمال عبد الناصر ومن معه قد ظلموه، أفلا يسعه الصبر وكف أذاه عن المسلمين؟

(٢) إن الرجل لا يتردد في تنفيذ مخططه التدميري إلا من أجل أنه ليس لديهم الإمكانيات اللازمة إلخ، وإلا لرأيت العجائب.

(٣) وما أكثر توقع الإخوان المسلمين للضربات، يحسبون كل صيحة عليهم.

(٤) إن الحرب بين الإخوان المسلمين والشيوعيين والعلمانيين إنما هي حرب سياسية وعلى الكراسي والمصالح، وربما كان هؤلاء يحققون لهم مصلحة أو يوصلونهم إلى الكراسي التي يلهثون وراءها، نسوا عقيدتهم المهلهلة وولاءهم للإسلام والمسلمين وتحالفوا معهم ضد المسلمين كما فعلوا في أفغانستان وتركيا واليمن مرات.

للتحريض عليهم، ولم يكن هذا غريبًا؛ فقد سمعنا من قبل أنه ضبطت منشورات معدة للتوزيع في حقيبتي رجلين من رجال الدين المسيحي ماتا في حادث منذ سنوات، وعليها توقيع الإخوان المسلمين بقصد الإيقاع بهم...

فقررنا الإسراع في التدريب بقدر الإمكان، وانصرفنا على أنه ليس لدينا الإمكانيات الآن.

وأتذكر أن هذا كان آخر اجتماع للمجموعة، فلم ألتق بعد ذلك إلا بالشيخ عبد الفتاح وبالأخ علي العشماوي في رأس البر، ولم أتبين تفصيلات ما اتخذوه بينهم من إجراءات التدريب، ولا أية خطوات أخرى تنفيذية، ولا أذكر أنه جاء ذكر شيء من هذا سواء في مقابلتي مع الشيخ عبد الفتاح، أو مع الأخ علي في رأس البر إلى أن وقعت الاعتقالات الأولى للإخوان بالفعل، ولم يكن منهم أحد من أعضاء التنظيم بعد، وكانت المسافة قصيرة بين آخر اجتماع والاعتقالات لا تمكنهم من تدريب حقيقي...

وهنا أرسلت إليهم عن طريق الحاجة زينب في تعبيرات ملفوفة غير صريحة، أن يوقفوا نهائيًا عملية السودان[1] -أي: الخاصة بالأسلحة- بأي شكل، وأن يلغوا كل عملية أخرى -أي: الخاصة برد الاعتداء-؛ فجاءني استفهام من الأخ علي عن طريق الحاجة زينب كذلك عما إذا كانت هذه تعليمات نهائية حتى لو وقع التنظيم، فأجبته بأنه في هذه الحالة فقط وعند التأكد من إمكان أن تكون الضربة رادعة وشاملة[2] يتخذ إجراء، وإلا فصرف النظر عن كل شيء وكنت أعلم أن ليس لديهم إمكانيات بالفعل وأنه لذلك لن يقع شيء.

وكان قد جرى في أثناء المناقشات الأولية عن الإجراءات التي تتخذ للرد على الاعتداء إذا وقع على الإخوان اعتداء حديث غير تدمير القناطر الخيرية الجديدة،

---

(١) هل الحاجة زينب محرمًا لسيد قطب والإخوان المسلمين؟ وكيف يستجيز سيد قطب الخلوة بها والحديث معها وتكليمها بهذه الأمور، هل هذا مستمد من قاعدة الغاية تبرر الوسيلة.

(٢) الظاهر أنه يريد الشمول الذي لا يفرق بين من يريد رد عدوانهم كما يزعم، وبين غيرهم من عموم المجتمع، وهل الإسلام يقر مثل هذا القتل الفوضوي الجاهلي؟ حاشا وحاشا.

وبعض الجسور، والكباري كعملية تعويق، ولكن هذا التفكير استبعد؛ لأنه تدمير لمنشآت ضرورية لحياة الشعب وتؤثر في اقتصاده.

وجاء استبعاد هذه الفكرة بمناسبة حديث لي معهم عن أهداف الصهيونية في هذه المرحلة من تدمير المنطقة:

أولًا: من ناحية العنصر البشري بإشاعة الانحلال العقيدي والأخلاقي...

وثانيًا: من ناحية تدمير الاقتصاد. . وأخيرًا التدمير العسكري...

فقال الأخ علي العشماوي بهذه المناسبة: ألا يخشى أن نكون في حالة تدمير القناطر والجسور والكباري مساعدين على تنفيذ المخططات الصهيونية من حيث لا ندري ولا نريد[1]، ونبهتنا هذه الملاحظة إلى خطورة العملية؛ فقررنا استبعادها والاكتفاء بأقل قدر ممكن من تدمير بعض المنشآت في القاهرة لشل حركة الأجهزة الحكومية عن المتابعة؛ إذ إن هذا وحده هو الهدف من الخطة...

ولكن الأمر في هذا كله سواء في القضاء على أشخاص، أو منشآت لم يعد التفكير النظري كما تقدم. . ذلك أنه إلى آخر لحظة قبل اعتقالنا لم تكن لديهم إمكانيات فعلية للعمل -كما أخبروني من قبل-، وكانت تعليماتي لهم ألا يقدموا على أي شيء إلا إذا كانت لديهم الإمكانيات الواسعة[2]....».

(١) هكذا يفكر سيد قطب والإخوان المسلمون، وهكذا يخططون، وهكذا ينفذون خططهم في بلاد المسلمين إذا سنحت لهم أي فرصة، ولقد دوخوا المسلمين وأخروهم ولم يفعلوا شيئًا يذكر ضد أعداء الإسلام؛ فإن فعلوا شيئًا كان فرصة للأعداء في إذلال المسلمين وإسقاط دولهم كما حصل لدولة طالبان في أفغانستان، وكما حصل لدولة الشيشان؛ لأنه مجرد تحرش يعلم الله وحده دوافعه، ولا يزالون يعطون الفرص لأعداء الإسلام لإذلال المسلمين ووضع رقابهم ورقاب دولهم بأيدي الأعداء المتربصين المترقبين لهذه الفرص التي يسمي فيها الإخوان المسلمون، ولم يدرك ذلك كثير من المسلمين ولاسيما شبابهم الذي يستولي الإخوان المسلمون وفصائلهم على عقولهم ويقودونهم بالعواطف الهوجاء المدمرة، فيا ليت قومي يعلمون.

(٢) أي أنه لا يمنع سيد قطب من تنفيذ خطته الجهنمية إلا عدم توفر الإمكانيات الواسعة، ولو توفرت له الإمكانيات الواسعة لنفذ خطته التي ما قتل إلا من أجلها، ثم ألبسها الإخوان اللباس الإسلامي وقالوا: إنه ما قتل إلا من أجل الإسلام ومن أجل لا إله إلا الله، وما تفطن المسلمون المخدوعون إلى أن الصراع بينهم وبين جمال عبد الناصر وحزبه إنما هو صراع سياسي انتهى إلى لجوئهم لمثل هذه الأعمال التي دفعت جمالًا إلى أن يتعشى بهم قبل أن يتغدوا به. ■

نسأل الله أن يوفق المسلمين جميعًا للقيام بواجباتهم، ومنها التخلص من هذا المنهج وسائر المناهج الضالة.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ربيع بن هادي عمير المدخلي
٢٥/ ٣/ ١٤٢٤هـ

* * *

=ولا شك أن جمالًا كان اشتراكيًا طاغيًا غير أنه تلقى اشتراكيته وطغيانه من حركة الإخوان المسلمين وتربيتهم، وما ظالم إلا سيبلى بظالم.

أضواء على سيد قطب

في وحدة الوجود

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقًا

بوزيد بلقاسم

بسم الله الرحمن الرحيم

أطوار سيد قطب في وحدة الوجود

أولًا: نعق بها وهو في سن الكهولة في حدود عام (١٩٣٥م) أي في حدود (١٣٥٥هـ) في ديوانه الشعري، حيث يقول في قصيدته إلى الشاطئ المجهول والتي منها هذه الأبيات:

إلى الشاطئ المجهول والعالم الذي ... حننتُ لمرآه إلى الضفة الأخرى
إلى حيث لا تدري إلى حيث لا ترى ... معالم للأزمان والكون تُستَقرى
إلى حيث لا حيث تميز حدوده ... إلى حيث تنسى الناسَ والكونَ والدهرا
وتشعر أن الجزء والكل واحد ... وتمزج في الحس البداهة والفكرا
فليس هنا أمس وليس هنا غد ... ولا اليوم فالأزمان كالحلقة الكبرى
وليس هنا غير وليس هنا أنا[1] ... هنا الوحدة الكبرى[2] التي احتجبت سرا[3]

يقول سيد قطب في شرحه لهذه الأبيات في مقدمة كتابه ديوان سيد قطب (ص٣٠-٣١):

الجسم والزمن والوحدة:

القُوى الروحية -عند الشاعر- هي التي تربطه بالوحدة الكونية الكبرى[4] كما

(١) السوية والغيرية اصطلاحان صوفيان مأخوذتان من كلمتي: سوى وغير، والصوفي الحق في دين الصوفية من يوقن أنه لا سوى ولا غير، أي يرى الكل عينًا واحدة. انظر هذه هي الصوفية (ص١٥).
والقارئ يرى أن سيد قطب قد أضاف اصطلاحات أخرى، فليس هنا أمس وليس هنا غد وأن الكل والجزء واحد ولا حيث ... إلخ.
(٢) الوحدة الكونية الكبرى هي وحدة الوجود.
(٣) ديوان سيد قطب (ص١٢٣).
(٤) انظر التعليق السابق.

تقدم، في حين تَقصُرُ القوى العقليةُ عن ذلك، وهو يرى أن الشعورَ بالزمن؛ نتيجةٌ لوجودِ الجسمِ والقوى الواعية؛ وأن الروح تحسُّ بالوجود المطلقِ[1]؛ لا يقيده الزمن؛ وبالبداهة لا يقيده المكان.

ولذلك فهو حينما خَلعَ الجسم وخلع الحِجا في (الشاطئ المجهول) رأى أنْ ليس هناك (حيث) ولا (أمس) ولا (اليوم) ولا (الغد) ولا (غير) ولا (أنا)... إلخ.

ولكنه رأى (الأزمان) كالحَلْقَةِ الكبرى ورأى (الوحدة التي احتجبت سرًّا).

وكذلك في قصيدة (الليلات المبعوثة)[2] حين تجرد لم يَرَ للزمان مَعْلَمًا ولا رسمًا، ورأى كلَّ شيء كرمز الدوام.

وله أبيات في (ص٩١) من ديوانه عنوانها عبادة جديدة نعق بها في عام (١٩٣٧م)، منها:

لك يا جمال عبادتي ... لك أنت وحدك يا جمال

ومنها:

وأرى الألوهة فيك تُو ... حي بالعبادة في جلال
ما أنت إلا مَظْهرٌ ... منها تُوشِّيهِ بالعبادة في جلالْ
فإذا عَبدتُكَ لم أكنْ ... يا حُسْنُ مِنْ أهل الضَّلال
بل كنتُ محمود العقيـ ... دةِ في الحقيقةِ والخيالْ
أعنُو لمن تعنُو له ... كل النفوسِ بلا مثالْ
مُتفرِّقا في الكون في ... شتى المرائي والخِلالْ[3]
فإذا تركَّز ها هُنا ... بطَلَ التَّمحُّلُ والجِدالْ

---

(١) هذه العبارة يقولها أهل وحدة الوجود.

(٢) هذه القصيدة لا ندري متى قالها وهي واحدة من الأدلة على لهج سيد قطب بوحدة الوجود.

(٣) فسر الخلال بقوله: الخلال: منعرج ما بين الشيئين جاسوا خلال الديار، ساروا وترددوا بينها والمراد منتشر في كل ما نرى وما بين الأشياء وبعضها.

وفي شيخوخته في حدود سنة ١٩٤٦م أو سنة١٩٤٧م تحمس للدفاع عن عقيدة النيرفانا؛ فمدحها وذبَّ عنها وعن أهلها، وهي تتضمن أخبث عقائد الوثنيين الهندوك والبوذيين، من مثل وحدة الوجود، وعقيدة التناسخ[1] تحت عنوان (سندباد عصري) انتقد سيد قطب الدكتور حسين فوزي؛ فقال بعد مقدمة تحدث فيها عن السندباد والسندبادات، ثم قال: والدكتور حسين فوزي هو سندبادنا اليوم، وهو رجل ندب لرحلة علمية في البحر الأحمر والمحيط الهندي ضمن بعثة عالمية لدراسة أحياء البحر الأحمر والمحيط، وقد طوّف -مع البعثة- على باخرة مصرية طوال تسعة أشهر في البحر والبر في الجزر والقارة، وزار معابد الهند

(١) عُرفت النيرفانا في الموسوعة الميسرة (٢/ ١١٧٠- ١١٧١) الصادرة عن الندوة العالمية للشباب.
«النيرفانا: كلمة غامضة معناها النجاة، ويعني بها نجاة الروح التي ظلت على صلاحها أثناء دورتها التناسخية المتعاقبة، حيث لم تعد في حاجة إلى تناسخ جديد، وبذلك يحصل لها النجاة من الجولان، وتتحد بالخالق الذي صدرت عنه وتفنى فيه.
والنرفانا أو الحصول على النجاة من أسمى الأهداف للحياة عند الهندوس والبوذيين؛ يقول كرشنا: «من يعرف ظهوري وأعمالي التجاوزية لا يولد ثانية عند تركه الجسد في هذا العالم المادي، بل يدخل مقامي السرمدي».
ويذكر الدكتور محمد ضياء الأعظمي في فصول من أديان الهند أنه من ثمرات النرفانا فناء الشخصية والاتحاد بالجوهر الذاتي (برم آتما)، ومن هنا جاء إحراق الموتى تخلصًا من الجسم المادي لتعلو الروح إلى العالم العلوي، والنار هي إحدى مظاهر الألوهية (أكني)، وهي بدورها تقرب إلى (برميشور) الذات العليا.
ولا يحصل على النرفانا عند البوذية إلا بعد اقتلاع الشهوة اقتلاعًا تامًا.
يقول بوذا في آخر دروسه: «الذي يؤمن بالبوذية والجماعة والدين يحل له النرفانا».
بل كان يحث أتباعه على تحصيلها حتى آخر لحظات حياته؛ فيقول في آخر وصاياه: «فعليكم أيها التلاميذ مجاهدة النفس جهاد المخلص الجاد للحصول على النرفانا».
أما الجينيون فيعتقدون أنه بحصول الأرواح على النرفانا تبلغ درجة الإله، وهذا الأمر يفسر انتشار الرهبنة في هذه الديانات
وقد تأثر هؤلاء المتصوفة أمثال: الحلاج وابن عربي ومن تابعهما بهذه العقيدة الوثنية الباطلة التي تلغي اليوم الآخر والثواب والعقاب بالإضافة إلى إلغاء توحيد الله -جل وعلا-، وقد أظهروا مقالات كفرهم بالقول بالفناء والاتحاد ووحدة الوجود»اهـ
وانظر فصول في أديان الهند (ص١٢٤)، والثقافة الإسلامية -المستوى الرابع- تأليف: محمد قطب، ومحمد المبارك، ومصطفى كامل (ص١١٩).

وسيلان وسواها من الجزر المنثورة في المحيط ثم عاد . . .

وتحدث عن كتاب ألفه في هذه الرحلة سماه (سندباد عصري) أودعه ملاحظاته الإنسانية وانفعالاته الوجدانية واستجاباته العاطفية . . . إلخ .

ثم ذهب يتكلم عن هذا الرجل بكلام يطول ذكره ولا فائدة في ذكره، والذي يهمنا من هذا المقال هو حديثه عن النيرفانا ودفاعه عنها وعن أهلها، علمًا بأن كلامه هذا في مرحلة إسلامياته كما يصفه أنصاره ومحبوه.

قال :

١- «وإذا شاهد فيلمًا هنديًا يمثل الروح الهندية المتسامحة التي تنتهي من الصراع على الحقوق الخاصة، إلى الزهد في أعراض الدنيا والاتجاه إلى عبادة الروح الأعظم قال : أدركت ناحية من نواحي الضعف في بعض الحركات الروحية حين تدخل ميدان السياسة العلمية».

في هذا المقطع مدح للروح الهندية الضالة الملحدة بالتسامح والزهد في أعراض الدنيا، والاتجاه إلى عبادة الروح الأعظم .

وفي وصف الله بأنه الروح الأعظم ضلال مبين يرفضه الإسلام، وفي وصف الهنادك بأنهم يعبدون الله واعتداده بعبادتهم ضلال آخر .

٢- ثم قال : «وإذا سمع زميله الإنجليزي يقول عن (النيرفانا) أي الفناء في الروح الأعظم وهو الغاية التي يطمح إليها الهندي من وراء حرمانه وآلامه : دعنا من هذا فلا قبل لي بهذا الهجص وتلك الشعوذة يا عم حسن، لم يجد في نفسه أية حماسة للرد على هذا الكلام، وهكذا و هكذا مما قد يبالغ فيه فيصل إلى حدِّ الزراية والسخط الشديدين على الروح الشرقية بوجه عام».

في هذا المقطع تعريف للنيرفانا بأنها الفناء في الروح الأعظم، أي بأنها وحدة الوجود ولوم وعذم للدكتور حسين فوزي على إقراره لزميله الإنجليزي على الطعن في هذه العقيدة، واعتباره إياها هجصًا وشعوذة؛ قال : فلم يجد في نفسه أي حماسة للرد على هذا الكلام؛ فالنصراني على كفره وضلاله أدرك تفاهة هذه العقيدة وخستها، وقد أقره حسين فوزي على هذا الوصف الذي لا يكفي في ذم هذه

العقيدة الملحدة.

وسيد قطب تأخذه الغيرة لها فيعذم الرجلين على نقدها والاستهانة بها فيقول المسكين متألمًا لهذه العقيدة: (وهكذا و هكذا) إلخ.

٣- ثم يقول: «ومهما افترضنا للسندباد من الأعذار في قسوة الأوضاع الاجتماعية والمظاهر البائسة التي شاهدها في الهند، فقد كنَّا نرجو أن يكون أوسع أفقًا، وأكثر عطفًا، وأعمق اتصالًا بروح الشرق الكامنة وراء هذه المظاهر والأوضاع، والروح الصوفية المتسامحة المشرقة بنور الإيمان».

في هذا المقطع يبين في أسى شديد ما كان ينتظره ويرجوه من حسين فوزي؛ فيقول: فقد كنا نرجو أن يكون أوسع أفقًا، ثم ويا للهول يصف أخبث عقيدة وأكفرها بأنها المتسامحة المشرقة بنور الإيمان.

٤- ثم يقول: «إنه يقول عن لوحة الكنج المقدس: لم يكن الإغريقي ليصور نبعًا مقدسًا... إلخ، أجل! وهذا هو مفرق الطريق بين الشرق والغرب؛ في الشرق قداسة تمت إلى القوة العظمى المجهولة، وفي الغرب حيوية تمت إلى المشهود الحاضر المحسوس.

وليس لي أن أفضل هذا أو ذاك؛ فكلاهما جانب من جوانب النفس الإنسانية الكبيرة التي تهش لكليهما على السواء؛ إن لم تؤثر في حسابها الروحي والفني جانب المجهول على جانب المشهود».

في هذا المقطع يصف الكنج وهو نهر يعبده الهنادك بأنه نهر مقدس، ويصف عادة الهنادك وطقوسها الكافرة بالقداسة التي تمت إلى القوة العظمى المجهولة؛ فيصف اللَّه بالقوة العظمى المجهولة؛ فلا حول ولا قوة إلا باللَّه.

وفي قوله: «وليس لي أن أفضل هذا أو ذاك». نوع من الاعتراف بوحدة الأديان، وقد قال في مناسبة أخرى: «إن الإسلام يصوغ من الشيوعية والمسيحية معًا مزيجًا كاملًا يتضمن أهدافهما ويزيد عليهما بالتناسق والاعتدال» [معركة الإسلام والرأسمالية (ص٦١)].

وله في السلام العالمي مدح للعقيدة النصرانية.

٥- ثم يقول: «وهو يسخر بعقيدة (النيرفانا) كسخرية زميله الإنجليزي الذي يقول: ما كنت أحسب أن دينًا يعد بنعمة الفناء! ووجه الخطأ هو اعتبار (النيرفانا) فناء! إنها كذلك في نظر الغربي الذي يصارع الطبيعة وينعزل عنها، فأما الهندي الذي يحس بنفسه ذرة منسجمة مع الطبيعة، ويعدها أمًّا رءوما، فيرى في فنائه في القوة العظمى[1] حياة وبقاء وخلودًا.

وعلينا أن نفهم هذا ونعطف عليه ولا نراه بعين الغربيين، وهو يبدو في أرفع صورة في (ساد هانا تاجور) فلنقف خشعًا أمام هذا السمو الإلهي، ولو لحظات!!».

في هذا المقطع تأخذ سيد قطب الغيرة على النيرفانا وأهلها، ويأخذه الحماس فيرى نقد حسين فوزي والإنجليزي للنيرفانا سخرية ويخطّئ نظرتهما إليها، ويريد أن يبين وجه الخطأ، بل قام في زعمه ببيان هذا الخطأ فيقرر بذكائه وحدة الوجود ويمدحها ويمدح أهلها بأسلوبه الغريب، فتصل به عاطفته الجياشة بالحنان والعطف على هذه الديانة وأهلها إلى قوله: «وعلينا أن نفهم هذا ونعطف عليه...» إلخ.

وهكذا يقرر سيد قطب النيرفانا ويمدحها ويمدح أهلها، ويعتبر كفرهم وزندقتهم وإلحادهم سموًّا إلهيًّا، ويدعو نفسه والناسَ إلى الوقوف أمام هذا السمو الإلهي خاشعين.

وبعد هذا أريد أن يعرف الناس ما هي النيرفانا، ثم ليحكم العقلاء المنصفون على سيد قطب وعلى حماسه لها ولأهلها ودفاعه عنها وعنهم.

وفي حدود سنة ١٩٥١م تظاهر بنفي القول بوحدة الوجود في أول تفسير سورة البقرة في ظلال القرآن بأسلوب بارد لا ندري ما باعثه.

وفي نهاية الخمسينات[2] عاد مع الأسف إلى تقرير عقيدة وحدة الوجود،

---

(١) وهذا تصريح بالقول بوحدة الوجود.

(٢) انظر كتاب «سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد» للخالدي (ص٥٤٦)، حيث ذكر إكمال سيد قطب لتفسيره في ظلال القرآن في نهاية الخمسينات.

والقول بالحلول والجبر في أواخر تفسيره الظلال في تفسير سورة الحديد؛ فقال في تفسير قول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

١- قال سيد قطب: «وما يكاد يفيق من تصور هذه الحقيقة الضخمة، التي تملأ الكيان البشري وتفيض، حتى تطالعه حقيقة أخرى لعلها أضخم وأقوى، حقيقة أن لا كينونة لشيء في هذا الوجود على الحقيقة، فالكينونة الواحدة الحقيقية هي لله وحده سبحانه، ومن ثم فهي محيطة بكل شيء عليمة بكل شيء.

فإذا استقرت هذه الحقيقة الكبرى في القلب؛ فما احتفاله بشيء في هذا الكون غير الله ﷻ؟! وكل شيء لا حقيقة له ولا وجود، حتى ذلك القلب ذاته، إلا ما يستمده من تلك الحقيقة الكبرى، وكل شيء وهم ذاهب، حيث لا يكون ولا يبقى إلا الله، المتفرد بكل مقومات الكينونة والبقاء.

وإن استقرار هذه الحقيقة في قلب ليحيله قطعة من هذه الحقيقة، فأما قبل أن يصل إلى هذا الاستقرار؛ فإن هذه الآية القرآنية حسبه ليعيش في تدبرها وتصور مدلولها، ومحاولة الوصول إلى هذا المدلول الواحد».

كتبه

ربيع بن هادي المدخلي

٢٩ جمادى الأولى ١٤٢٦هـ

تأكيد ما ورد في مقال أطوار سيد قطب في وحدة الوجود ودفع شبه المعترضين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمي الأمين، وعلى آله وصحبه الأكرمين.

أما بعد:

فقد اطلعتُ على مقالٍ لأحد المشاركين في (شبكة سحاب) عبر الإنترنت تضمّن ردًّا على مقالٍ لي انتقدت فيه سيد قطب في قضيتين:

إحداهما: قول سيد بوحدة الوجود، وترداده لها في شعره ونثره، بدأً من عام ١٩٣٥م إلى نهاية الخمسينيّات في (ديوانه) الشعري، وفي كتابه: «كتب وشخصيّات»، وفي كتابه: «في ظلال القرآن».

ولقد مات هذا الرجل وهو يطبع هذه الكتب وينشرها، ويعلن عنها في أغلفة كتبه، ولم يحذر من كتاب واحد من كتبه التي تضمنت هذه العقيدة الإلحادية وغيرها من الضلالات؛ واستمرَّ أخوه والإخوان المسلمون ينشرون هذه الكتب ويروّجون لها، ولم يُسمع منهم أي انتقاد لهذا الإلحاد.

والمسألة الثانية: وهي الطعنُ في جلِّ الصحابة ومَن عاصرهم من خيار التابعين، وعلى رأسهم: عثمان، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، والمقداد بن الأسود، ومعاوية، وعمرو بن العاص ﵃.

وطعنُه هذا كثير، وجراحُه عميقة جدًّا يدمى لها قلب كل مؤمن صادق الإيمان، وذلك في كتابه المسمى بـ«العدالة الاجتماعية في الإسلام» الذي ظلم فيه الإسلام بتقرير الاشتراكية الماركسية، وحرَّف من أجلها نصوص القرآن والسنة،

وحرّف قواعد الشريعة الإسلامية مجاراة للشيوعيين والاشتراكيين؛ فترك سيد قطب خصوم الشيوعية والاشتراكية ممن يسمونهم بـ (الرأسماليين) المعاصرين، وقفز إلى ما قبل ألف وثلثمائة وخمسين سنة، إلى أصحاب محمدٍ ﷺ -وعلى رأسهم عثمان- يشوههم ويقدح فيهم.

يعيد هذا الطعن ويبديه بأسلوب فيه إهانةٌ لهم ويقطر عليهم حقدًا، وهو أمرٌ جليٌ واضح يدركه المسلم والكافر، والبر والفاجر، والغبي والذكي من الطبعة الأولى لكتاب «العدالة» إلى آخر الطبعات وهي الثانية عشرة حسب علمي، وكذلك كتاب «كتب وشخصيات» إلى آخر طبعة من طبعاته.

وهؤلاء المروِّجون لكتب سيد قطب يدَّعون إذا جوبهوا بضلالات سيد قطب التي دوَّنها في كتبه ومنها هاتان الضلالتان يقولون: إن سيد قطب قد تاب ورجع، ولم يقدِّموا للناس أيّ دليل على رجوعه.

وحتى لو فرضنا أنهم قدموا دليلًا على هذا الرجوع، فإنه يلغيه ويجعله حبرًا على ورق:

الأول: إصراره وتماديه في طبع هذه الكتب التي تضمنت ضلالاته الكبرى، ونشره لها بدون مبالاة إلى أن مات.

والثاني: طبع أخيه لهذه الكتب ونشره بعد موت سيد قطب إلى يومنا هذا؛ وهي مدة طويلة تستغرق أربعة وثلاثين عامًا.

وتأييد الإخوان المسلمين ومؤسساتهم بطبعها ونشرها، وقيامهم بالترويج لها؛ فهم مشاركون لسيد قطب في تحمل وزر ومسئولية إذاعة هذه الضلالات الكبرى، وبثها في أوساط المسلمين -ولاسيما شباب المسلمين- في مشارق الأرض ومغاربها بشتى الطبعات، تتراوح هذه الطبعات ما بين ستٍّ وعشرين لبعضها كـ «الظلال»، وإلى خمسة عشر، وإلى تسع طبعات، هذا عدا الترجمات إلى بعض اللغات.

فهل يجوز نشر هذا الضلال في أوساط شباب مسلمين يريد كثيرٌ منهم الحق فيقع في ضدِّه ألا وهو الباطل لظنِّه أنه حق، ويرد الحق ويخاصمه ويخاصم أهلَه

لأنه أصبح يرى أن الحق باطلًا؟

وبعد هذه المقدمة الموجزة نقول للكاتب الذي قام بهذا الرد والدفاع مذكِّرين له بقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥].

فهل قمت بمقتضى هذا التوجيه الرباني في هذه الآية من القيام بالقسط والشهادة لله والعدل ومن اجتناب الهوى... إلخ.

هل قرأتَ كتاب «العدالة» فلم تجد فيه إلا مدحَ سيد قطب لأصحاب محمد ﷺ، أو على الأقل خلوه من الطعن؟

كان من الواجب عليك قبل أن تتورط في الدفاع عن سيد قطب بغير علم أن تقرأ الكتاب في آخر طبعاته إن لم تقرأه في طبعاته كلها؛ لتقف على الطعن بنفسك، وتعرف أي الطرفين صادق الدعوى، أهو القائل أن سيد قطب قد أساء جدًّا إلى أصحاب رسول الله ﷺ بطعنه فيهم، بل أساء إلى الإسلام والمسلمين بهذا الطعن؟

أم هو المدعي لبراءة سيد قطب، وأنه قد حذف فعلًا هذه الإساءات؟

ثم بعد هذه القراءة الموصلة إلى الحقيقة تقوم بالقسط الذي فرضه الله، وتقوم بالشهادة لله، لا لأجل هذا أو ذاك.

وواضحٌ أن الكاتب لم يقم بهذا الأمر العظيم الثقيل؛ فهل في استطاعته أن يعتذر عن إخلاله بالقسط، وعدم قيامه بشهادة الحق في أمرٍ عظيم وخطر جسيم؟

وهل يرى أن ما قلناه في هذا المقال الموجز من إدانة سيد قطب بعدم الرجوع عن أباطيله، وأنه إن حصل منه تراجع فإنه هو حبرٌ على ورق فقط بدليل إصراره على نشر أباطيله إلى نهاية حياته؟

وهل أنت على استعداد لإدانة محمد قطب وأعوانه، وإدانة الإخوان المسلمين ومؤسساتهم في طبع هذه الكتب ونشرها والترويج لها بشكل منقطع النظير؟

أمَا علمتَ أن الله أكثرَ في كتابه المنزَّل من قصص الماضين، وذكر ضلالهم

ومصارعهم، وذكر أخطاء قوم صالحين وآخرين تائبين كإخوة يوسف وهم من أبناء الأنبياء -عليهم الصلاة والتسليم-؟

أمَا ذكر أئمة الإسلام أخطاء أئمة كبار وانتقدوها، وذكروا ضلالات أقوام قد تابوا وأعلنوا توبتَهم، كالجُوَيْني، والغزالي، والرازي، وابن عقيل الحنبلي، والشهرستاني؛ لأن ضلالهم ينتشر في أوساط المسلمين؟

فعل أئمة المسلمين ذلك تحذيرًا ونصحًا لله ولرسوله ولكتابه وللمسلمين.

أما علمت إجماع المسلمين على جواز -بل وجوب- الرد على أهل البدع وأهل الباطل والإنكار عليهم، وأنه جهاد؟

ومن هنا انطلق أئمة الإسلام والسنة في ردودهم وطعونهم في أهل البدع، وكشف عوارهم، وبيان ضلالهم أحياءً كانوا أم أمواتًا، ولو مرَّ على موتهم القرون.

هل أنت مستعد لإدانة الإخوان المسلمين وفصائل القطبيين الذين يخالفون كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في حمايتهم لأهل البدع، وحماية كتبهم التي تحمل من البدع قديمها وحديثها ما لم يعهده المسلمون، ويعتبرون النقد والبيان ظلمًا وعدوانًا وفتنة، ونبشًا للأموات، وتفريقًا للمسلمين.

كبرت كلمةً تخرج من أفواه المبطلين التي تصير الواجب والمعروف منكرًا، والهدى ضلالًا.

٢- أشار الكاتب إلى منهج الموازنات؛ ولي عليه ملاحظة ليس هذا حينها، وأحيلُه إلى كتب الجرح الخاص، وإلى كتب عقائد السلف، وإلى كتاب «منهج أهل السنة والجماعة في نقد الرجال والكتب والطوائف»؛ ليعلم كيف يكون التعامل الصحيح مع مَن هو دون سيد قطب في البدع، فضلًا عمن يساويه.

٣- قال: «وليسمح لي الشيخ ربيع بهذا التعقيب وهذه الملاحظات، على أني أود قبل ذلك التنبيه على بعض المسلمات التي لا أظن الشيخ ربيع يخالفني فيها؛ ومن ذلك: أننا نقبل الحق إذا جاء على لسان سيد قطب أو الشيخ ربيع المدخلي، ونرفض الباطل ونردُّه ونرد عليه إذا جاء على لسان الأستاذ سيد قطب أو الشيخ ربيع

المدخلي؛ فلسنا صوفية نقدِّسُ هذا أو ذاك، وليس هؤلاء بمعصومين».

والتعليق عليه: بأن هذا الكلام جيِّدٌ في الجملة، يقولُه كثيرٌ من الناس، ولكنه عندهم كلام لا يعدو أن يكون نظريًا لا واقعَ له، وليس عندهم تطبيقٌ عمليٌ ولاسيما المخدوعين بأمثال سيد قطب.

ثم ليس معنى هذا الكلام أن نجعل كتب الضلال من مصادر التلقِّي؛ فإن لهذا مخاطره الشديدة، ولهذا حذَّر السلفُ من النظر في كتب أهل البدع، ولكنَّ كثيرًا من الناس لم يستفيدوا من نصائح أئمة السلف الصالح وتحذيرهم من النظر في كتب البدع، فوقعوا فعلًا في مهاوي الضلال، ولاسيما المخدوعون بسيد قطب.

لكننا نسأل اللَّه لهم ولهذا الرجل أن يوفقوا لتطبيقها على الوجه الصحيح، وللأخذ بتوجيهات السلف في التحذير من كتب أهل البدع، ومن اعتبارها من مصادر التلقِّي.

٤- قال: «لا أرجو أن يُفهم من تعقيبي هذا أنني أدافع عن أخطاء الأستاذ سيد رَحِمَهُ اللَّهُ، بل الخطأ خطأ، ولا يُقبل الخطأ من أيٍّ كان، ولسنا بالذين نستنكر على الشيخ -حفظه الله- أن ينشر الأخطاء التي وقع فيها سيد رَحِمَهُ اللَّهُ».

التعليق:

١- إن التعبير عن ضلالات سيد قطب بالخطأ من الكاتب وغيره يهوِّن من شأن هذه الضلالات عند غالب الناس؛ لأن اعتباره من الخطأ عندهم أن صاحب الخطأ معذور، وأحيانًا مأجور.

أما التعبير بلفظ البدع وبلفظ الباطل عن الباطل فإنه يضع الأمور في نصابها، ويحسب الناس له الحساب.

٢- أن الأخ الكاتب ممن يعلم ما يجري في الساحات من الدفاع المستميت

من أولياء سيد قطب لا بالحق ولكن بالباطل؛ فهم الذين يستحقون النقد والتعقيب لا الشيخ ربيع الذي لا يستحق إلا الثناء والتأييد لنصره للحق وكبحه لجماح البطال وأهله.

٣- قد يفهم القارئ من سياق هذه الفقرة أن سيد قطب أقرب إلى الحق من

الشيخ ربيع .

٤- قد مرَّ وقتٌ طويلٌ على كتابات سيد قطب فلم نر تطبيق هذه القاعدة تطبيقًا صحيحًا ، لا من أولياء سيد قطب ولا من هذا الكاتب الذي يرى أن هذه القاعدة من المسلّمات .

وقد مرَّ وقتٌ طويلٌ نسبيًا على نقدي لسيد قطب ، فلم نر تطبيق هذه القاعدة لا من الكاتب ، ولا من غيره من أولياء سيد قطب ، ولم نر لهم تأييدًا ونصرًا لما عند الشيخ ربيع من الحق لا فيما يتعلّق بالعقائد ، ولا فيما يتعلّق بالطعن في نبي الله موسى ، ولا فيما يتعلّق بالطعن في الصحابة ، ولا في غير ذلك من ضلالات سيد قطب .

فما هو رأي الكاتب ؟ لا ندري .

لكن ندعو الله له بالتوفيق لقول الحق والصدع به .

وننصحه بقراءة كتب الشيخ ربيع قراءة جادَّة ، ثم تطبيق هذه القاعدة تطبيقًا صحيحًا ، واضعًا نصب عينيه احترام العقيدة ، واحترام مقام النبوة ، ومقام أصحاب محمد ﷺ ، وواضعًا نصب عينيه قول النبي ﷺ : «القضاة ثلاثة : واحد في الجنة ، واثنان في النار . . .» الحديث .

كما يجب أن يضع نصب عينيه : «لعن الله من سبَّ أصحابي» .

وقوله ﷺ : «لا تسبوا أصحابي ؛ لو أنفق أحدُكم مثلَ أحدٍ ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفَه» .

وقوله ﷺ : «من سبَّ أصحابي ؛ فعليه لعنة الله ، والملائكة ، والناس أجمعين» .

حتى يتحاشى تسمية ضلالات سيد قطب بالأخطاء ، وحتى ينصف العقائد الإسلامية التي ضلَّ فيها سيد قطب ، وحتى ينصر الصحابة المعتدى عليهم ، ومَن هو أفضلُ منهم : كليمُ الله وصفيُّه موسى -عليه وعلى نبينا وسائر النبيين أفضل الصلاة والتسليم- .

٥- وقال : «ومع ذلك فليس هناك حرجٌ من تبيان الأخطاء التي وقع فيها هو أو غيرُه ، وتبيان ما إذا كان قد تراجعَ عنها أم لم يتراجع .

ولم يكن الشيخ ربيع بأول من تكلم في الأخطاء التي وقع فيها سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بل سبقه في ذلك الكثيرون؛ فهناك على سبيل المثال كتاب «المورد الزلال في التنبيه على أخطاء الظلال» للشيخ عبد الله بن محمد الدويش، نبَّه فيه على الكثير من الأخطاء التي وقع فيها الأستاذ سيد قطب.

ومثالٌ آخر: فبعد أن نشر الأستاذ سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتاب «العدالة الاجتماعية» في مبدأ حياته ذات التوجُّه الإسلامي تضمن كتابه ذلك في طبعاته الأولى إساءات صريحة في بعض الصحابة -رضوان الله عليهم- كعثمان بن عفان، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، وكان أن انتقده في ذلك الشيخ محمود شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وكان ذلك سببًا في أن يحذف الأستاذ سيد قطب تلك الإساءات من الطبعة السادسة والأخيرة في حياته رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والتي أصدرتها دار إحياء الكتب العربية عام ١٩٦٤م، وهي طبعة منقحة، حيث حذف منها العبارات التي أخذ عليه محمود شاكر وغيرُه والمتعلقة بعثمان ومعاوية رضي الله عنهما، وأضاف لها فصل (التصور الإسلامي والثقافة) أحد فصول «معالم في الطريق».

نقلًا عن كتاب «سيد قطب الأديب الناقد والداعية المجاهد والمفكر المفسر» (ص٣٩٥-٣٥٦)، للدكتور صالح الخالدي، وتجد مثله في كتاب أبي الحسن الندوي: «شخصيات وكتب» (ص١٠٦).

أقول:

١- يظهر من تصرف الكاتب أنه كغيره قد تأذى من تبيان أخطاء سيد قطب، ويرى في ذلك حرجًا، وأنه لا حرج عليه في الرد على الشيخ ربيع بغير علم ولا حجة.

٢- وإذا كان يعلم أنه قد رد على سيد قطب من سبقوا الشيخ ربيعًا في الرد عليه، ولعله يعلم أن هؤلاء الرادين على سيد قطب قد أنكروا عليه تكفير الأمة بالباطل، وأن بعضهم أنكر عليه مسائل عقدية كإنكاره لرؤية الله، وأن بعضهم ناقشه في أكثر من مائة وثمانين مسألة، منها مسائل عقدية كصفة الاستواء وغيرها.

فإن كان يرى أنهم قد أخطئوا في ردودهم على سيد قطب فكان ينبغي أن يبدأ

بهم، وإن كانوا مصيبين فكان يجب عليه أن يؤيدهم نصرًا للحق ودحضًا للباطل وتطبيقًا للقاعدة المسلمة التي ذكرَها.

ثم يأتي بعدهم إلى ربيع فيدرس ردوده على سيد قطب دراسة متأنّية لنصرة الحق ودحض الباطل؛ فإن وجد الشيخ ربيعًا مصيبًا في نقده جميعًا أيده، وإن وجد عنده حقًّا وباطلًا أيد الحق ورد الباطل بالحجة والبرهان في كل قضية، ثم يحكم على سيد بما يستحقه.

ولا أقول هذا لهذا الكاتب فقط، بل أقولُها لكل من يتكلم في هذه القضايا بغير علم ولا هدى.

٣- هكذا يفعل سيد قطب في بداية توجهه الإسلامي، يفتتح هذا التوجه بالاشتراكية الغالية، وبالطعن في أصحاب رسول الله -أي: بالرفض-، وفي أوج حماسته للإسلام المفتتح بما ذكر ينتقده محمود شاكر في هذا الطعن الظالم، فلم يندم، ولم يعتذر، ولم يعلن تراجعه؛ فيصف محمود شاكر ونقده بالصخب ونفض الغبار والأسلوب الصاخب المفرقع، ويستمر في المغالطات وفي الطعن في بني أمية، ثم يرى أنه على حق.

ويتوج هذا التعالي على أصحاب محمد وعلى محمود شاكر بقوله: ما كان لي بعد هذا وأنا أملك زمام أعصابي مطمئن إلى الحق الذي أحاوله أن ألقي بالًا إلى صخب مفتعل وتشنج مصطنع[1].

وما كان لي إلا أن أدعو لصديقي (شاكر) بالشفاء والعافية والراحة مما يعاني، واللهُ لطيفٌ بعباده الأشقياء.

هكذا أجاب محمودًا بهذه الإهانات والأسلوب الساخر، وتزكية نفسه بأنه مطمئن إلى الحق في طعنه لأصحاب محمد ﷺ، وبعدم المبالاة، فضلًا عن التواضع والتوبة والندم.

(١) سبحان الله، يقول هذا تزكية لنفسه، ويصف موسى بتوتّر الأعصاب، وأنه عصبي المزاج... إلى آخر طعنات الشيعة في هذا النبي الكريم، ويصوِّر أكثرَ أصحاب محمد ومعظم التابعين بأنهم على جاهلية وباطل.

هذا حصل منه في عام ١٩٥٢م كما جاء في ردِّه على محمود شاكر في مجلة «الرسالة» العدد (٩٧٧).

ويستمر -وهو في أوج إسلامه- في عدم مبالاته واستشعاره أنه على الحق قرابة ثلاثة عشر عامًا -أي: إلى عام ١٩٦٤م-، كما يدعي الكاتب وحجته الدامغة للشيخ ربيع ما نقله عن صلاح الخالدي الذي أفنى حياته في تقديس سيد قطب وتلميعه وتضخيمه لأغراض يعلمها الله، وقد ندرك شيئًا منها.

وهلا درست ما شئت من طبعات هذا الكتاب من الطبعة السادسة التي تزعم أنه قد أزال الإساءات إلى أفضل البشر وأكرمهم بعد الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- إلى الطبعة الثانية عشر، ثم خرجت بنتائج صحيحة ترضي أهل الشرع والعقل؛ هلا فعلت ذلك قبل أن تخوض غمار النقد.

وهلا درست انتقادي في كتابي «مطاعن سيد قطب في أصحاب رسول الله ﷺ» ودرسته دراسة العلماء الربانيين الذين لا يريدون إلا وجه الله ونصرة الحق، ثم خرجت بنتائج تثلج صدور فحول النقاد المؤمنين بالله والموقِّرين لمحمد ﷺ وأصحابه؟

كيف تستسيغ التقليد الأعمى لشخص من أشدِّ الغلاة في سيد قطب الساب لأصحاب محمد ﷺ، والساب لكليمه موسى، والساخر به، والساخر بمن يذب عن أصحاب محمد ﷺ مجمع أكبر الضلالات والبدع؟

فهلا استحضرتَ أنت والخالدي وأتباع سيد قطب وأنصاره قول النبي ﷺ: «لا تسبوا أصحابي؛ فلو أنفق أحدكم مثل أُحد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفَه».

وقوله: «لعن الله من لعن أصحابي».

وقوله: «من سب أصحابي فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين»؟

وهلا استحضرتم قول أهل السنة بالإجماع: أن من انتقص أصحاب محمد أو أحدًا منهم فهو رافضيٌّ خبيث؟

وهلا استحضرتم قول إمام أهل السنة أحمد بن حنبل: «من انتقص أحدًا من أصحاب محمد ﷺ فاتهموه على الإسلام»؟

٤ - يظهر من كلام الأخ الكاتب أنه يرى أن سيدًا قد تراجع عن أخطائه، وقد أكد هذا بقوله فيما يأتي: «وكان سيد قطب رجاعًا للحق عندما يتبين له».

٥- وأكده بقوله: «وحذف الإساءات». هذا الكلام لا رصيدَ له من الواقع، وإلا فما هو السرُّ في بقاء هذه الطعون الشنيعة في الطبعات السابقة إلى الطبعة الثانية عشرة، ولعل بعدها طبعات أخرى لم نقف عليها.

فما رأيُ الكاتب إن وجد الناس أخبث الطعون الرافضية في الطبعات الأخيرة المشار إليها التي يدعي سيد قطب أنه على الحق فيها، هل يستطيع أن يدين سيد قطب بأنه معاند متمادٍ في الباطل غير رجاع إلى الحق؟

وهل هو مستعد أن يدين الخالدي وكل من يدعي لسيد قطب أنه رجَّاع إلى الحق بما يستحقون؟

لقد أعطيتم هذا الرجل صفة ذلك الصحابي العبقري الخليفة العادل عمر بن الخطاب، «وكان وقافًا عند كتاب الله»، كما قال ابن عباس، وهذا من آثار الغلو المدمر.

٦- ما هي الأخطاء الكثيرة التي كانت في «الظلال» ثم تراجع عنها أخيرًا؟

فإن كنت عرفت هذا بنفسك فبيِّن لنا ذلك.

وإن كنت ناقلًا هذا عن الخالدي أو غيره فبين لنا ذلك أيضًا.

ثم لينظر الناس في ذلك ليروا هل هناك تراجع فعلًا عن أخطاء، أو هو أضاف أخطاء جديدة إلى الأخطاء القديمة بسبب اكتشافه للمنهج الحركي الجديد، كما يشيد بذلك صلاح الخالدي؟

ثم لماذا أبقى عقيدة وحدة الوجود، والحلول، والجبر، والقول بخلق القرآن بأسلوب ملتو كالقول بأنه من صنع الله، وقوله: إن كلام الله هو مجرد الإرادة، يكرر ذلك في الظلال وغيره، والتصريح بأن أخبار الآحاد لا يبنى عليها عقيدة، وتعطيل صفات الله؟

ولماذا لم يتراجع عن الاشتراكية التي صدع بها في «العدالة الاجتماعية»، و«معركة الإسلام والرأسمالية»؟

ولماذا لم يتراجع عن التهويش على معجزات النبي ﷺ، وقد دونها العلماء في مجلدات، والتي يدين بها أهل السنة جميعًا وغير أهل السنة من فرق الضلال، وكل هذه وغيرها من الضلالات مدوّنة في كتابه «الظلال» الذي ينتشر في العالم كله إلى ستٍّ وعشرين طبعة.

أفرأيت لو أن سيد قطب تراجع عن بعض هذه الضلالات في كتاب آخر أفيجوز بقاؤها في «الظلال» وطبعها ونشرها خلال هذا الكتاب في العالمين، وفي أوساط أمم لا تدري عن ذلك الكتاب أو لا تدري أن في هذا الكتاب تراجعًا عن هذه الضلالة أو تلك؟

قال: «وإضافة للشيخ محمود شاكر فإننا نجد على سبيل المثال محمد سرور زين العابدين -حفظه الله- تبيانًا لبعض الأخطاء التي وقع فيها سيد قطب في حادثة السحر التي وقعت للنبي ﷺ من اليهودي لبيد بن الأعصم؛ وذلك في البحوث التي كتبها في السيرة النبوية قبل ما يزيد على ربع قرن، ثم نشرها في كتابه «دراسات في السيرة النبوية»، وانظر ما ذكره من أخطاء لسيد قطب في ذلك الكتاب، (ص٣٢١)».

لا ندري ماذا يريد هذا الكاتب الذي بهذا أورده وهو يتحدث عن تراجع سيد قطب عن الأخطاء؟

فهل هو يريد مدح محمد سرور؛ لأنه قام بواجب النقد والبيان لأخطاء سيد قطب أو أن له قصدًا آخر؟

فإن كان يريد الأمر الأول؛ فقد رجعنا إلى الموضع المشار إليه (ص٣٢١) من الكتاب المذكور، ورجعنا إلى ما قبله وما بعده فوجدنا ما يلي:

أولًا. أنه لم ينتقده إلا في خطأ واحد فقط لا في أخطاء، مع أن سيد قطب قد شارك العقلانيين في هذا الباطل، وهو الطعن في حديث السحر، مع أنه قد ورد من عدة طرق صحيحة، وشاركهم في رد أحاديث الآحاد في أبواب الاعتقاد وأنه لا تقوم عليها عقيدة.

ثانيًا:

أ- ناقش محمد سرور هؤلاء العقلانيين في قضايا يشاركهم فيها سيد قطب،

إن لم يكن بالقول فهو يشاركهم فيها بالعمل، مثل تقديم العقل على النقل؛ فسيد قطب قد شاركهم في تعطيل صفات الله ﷻ كصفة الاستواء وغيرها في كتابه «الظلال»، و«التصوير الفني في القرآن»، و«مشاهد القرآن في القيامة».

ب- ومثل إنكار المعجزات النبوية، أو تأويلها بأسلوب فيه مناورات وتلبيس أحيانًا، ويتعلل لردها بعلل العقلانيين بأن البشرية قد بلغت سن الرشد، وبأن القرآن لا يجبر العقل على الاعتراف بالخوارق أو كما قال، بل صرح بأن الخوارق في صميمها مناقضة لطبيعة الدين كما في كتاب «السلام العالمي» (ص٤٢)، وصرح بأن معجزة النبي الوحيدة هي القرآن، وهذا المذهب -مع ما قبله- يرد ألوف الأحاديث.

ج- والدندنة حول رفع عيسى إلى الله حيًا بالإشارات بأنه قد توفي أي: مات، وأن حياته كحياة الشهداء.

د- وانتقد محمد سرور العقلانيين في موقفهم من الصحابة مع أن سيد قطب قد طعن فيهم أشد من طعن العقلانيين ولم ينقده.

هـ- وانتقد هيكل في القول بوحدة الوجود ولم ينتقد سيد قطب، وأنكر على المراغي ومحمد رشيد رضا عدم إنكارهما على هيكل وحدة الوجود، ولم ينكر على محمد قطب ولا على الإخوان المسلمين ترويجهم لكتب سيد قطب وفيها من البدع الشيء الكثير والخطير، ومنها وحدة الوجود.

ولم يقف محمد سرور عند هذا الحد، بل تجاوز ذلك إلى نسج هالات المدح والتمجيد لسيد قطب، ورمي منتقديه بالظلم.

وهذا المنهج الذي سلكه محمد سرور في نقده يبرأ منه الإسلام؛ لأنه يكيل فيه بمكيالين، ويغمط فيه الحق وأهله.

وفيه تدريب للغلاة في سيد قطب وأمثاله على المغالطات وإنكار الحقائق.

فمع نقده لمحبِّي سيد قطب، ووصفه لهم بأن عقولهم مغلقة مقفلة، فإنه بعمله هذا لا يزيدُهم إلا بلاء؛ إذ انتقد سيد قطب في مسألة واحدة، ثم أسدل الستار على سائر ضلالاته، وناقش شركاءه في ضلالات معينة، ولم يشر إلى سيد قطب فيها من

بعيد ولا من قريب، ولا يخفى على مثل محمد سرور وقوع سيد قطب فيها.

وهذا عملٌ لا شك فيه أنه تدريب لمغلقي العقول على التلبيس والمغالطات والمكابرة.

٦- قال الكاتب: «وأيضًا للشيخ علوي السقاف صاحب كتاب «التوسط والاقتصاد في أن الكفر يكون بالقول أو الفعل أو الاعتقاد» كتاب اسمه: «تخريج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن لسيد قطب» قال في مقدمته (ص٥-٦):

ولما كان هذا الكتاب من الكتب التي يقرؤها الكثير من شباب الدعوة اليوم، وقد لا يملك بعضهم معرفة الصحيح من الضعيف، كما أن مؤلفه سيد لم يكن من أصحاب هذا الشأن؛ فهو يورد أحاديث كثيرة منها الصحيح والضعيف وما لا أصلَ له، رأيتُ أن من أهم ما ينبغي أن يشتغل به طالب العلم هو تنقية الكتب مما شابها من أحاديث لا تصح نسبتها إلى المعصوم ﷺ -وهذا منها- حتى تسلك هذه الدعوة الجادة ولا تخطئ الطريق».

هذا العمل من السقاف جيد لو كان هذا هو العيب الوحيد في الكتاب؛ فكان عليه أن ينتقد ما فيه من ضلالات كبرى ليصح قوله: «حتى تسلك الدعوة الجادة ولا تخطئ»، فإن خطأ الطريق الذي وقع فيه محبو سيد قطب ليس من هذه الناحية، وإنما وقع من التأثر بفكره ومنهجه، ولعل الكثير منهم قد ضل بعقائده نتيجة لهذا الحب الأهوج والغلو القاتل.

فكان على السقاف إن لم يقم بتنقية كتاب «الظلال» من الضلال أن يدعوَ غيرَه إلى القيام بهذا الواجب، فإن تم ذلك استقام قوله: «حتى تسلك الدعوة الجادة ولا تخطئ».

أما ولم يتحقق ذلك فإن الأمرَ خطير، لاسيما ومحبّو سيد قطب -كما وصفهم- أعرف الناس بهم وهو محمد سرور: «ولكن هؤلاء ليسوا على استعداد أن يسمعوا من أحد قوله أخطأ سيد قطب، ولو كان قد أخطأ فعلًا فعقولهم مغلقة مقفلة»، وصاحب الدار أدرى بما فيه، وشهد شاهدٌ من أهلها.

نسأل الله لهم العافية من هذا الداء وأمثاله.

فهل أنت مع من يدرك أدواء محبِّي سيد قطب ويسعى جادًا في انتشالهم ؟

فإن ذلك أنفعُ لهم ولسيد قطب من الدفاع عن أباطيل سيد قطب بأي أسلوب كان.

٧- قال صاحب المقال: «وهناك كتاب «المورد العذب الزلال»، ولا يحضرني بقية اسم الكتاب الآن، وغيرها من الجهود».

صاحب «المورد العذب الزلال» ينطلق من منطلق السلف الصالح في نقده؛ فلماذا تقحمه في محبِّي سيد قطب؟

ولو كان أتباع سيد قطب ممن هضم المنهج السلفي لما احتاجوا إلى هذه الجهود ولتخلو عنه وعن كتبه، بل لحاربوه وحاربوا كتبه كما فعل السلف الصالح بكتبٍ أقل ضلالًا وأخف خطرًا وضررًا، ولكن الفتنة تعمي وتصم.

٨- حاول الكاتب هنا أن يخطئني في تحديد سن الكهولة والشيخوخة، ولم يذكر دليله على هذا الخطأ؛ فرأيت لزامًا بيان وجهة نظري.

قال في «مختار الصحاح»: «الكهل من الرجال من جاوز الثلاثين».

وفي «المعجم الوسيط» في مادة (شيخ): «الشيخ: من أدرك الشيخوخة، وهي غالبًا عند الخمسين، وهو فوق الكهل ودون الهرم».

وقال القرطبي في «تفسيره» (١٥/ ٣٣٠): «والشيخ: من جاوز الأربعين»

وكذا قال الشوكاني في «فتح القدير» (١٤/ ٥٠١)، واللغويون يختلفون في تحديد الكهولة والشيخوخة.

وقال سيد قطب وهو يتحدث عن مراحل الإنسان: «مرحلة الطفولة، ثم بلوغ الأشد حوالي الثلاثين، ثم الشيوخة» انظر: كتاب «في ظلال القرآن» (٥/ ٣٠٩٥).

وإذن فلي وجه فيما قلته، وأنا أرفقُ بسيد قطب في هذا التحديد، ولا أبعد عن قول القرطبي والشوكاني، لاسيما إذا راعينا الفرقَ بين التاريخ الهجري والميلادي.

فإذا ترجح لكم بعد هذا قول سيد قطب فعدلوا كلامي، ويكون التعديل هكذا: نعق بها في طفولته، ثم عند بلوغ الأشد، ثم في شيوخته، فيستقيم لكم الكلام وتسقط الاعتراضات.

قال الكاتب: «وهاهنا وقفة مع الشيخ ربيع في كونه يستدل على عقيدة سيد قطب ومنهجه بالكتب والأشعار التي كتبها قبل المرحلة التي مرَّ بها، بالرغم من أن سيدًا رَحِمَهُ اللَّهُ تبرأ من أكثر تلك العقائد والأفكار فيما بعد كما سنبيِّنه في هذه المسألة إن شاء الله.

فليت الشيخ ربيع كان أكثر حرصًا في بيان رجوع الأستاذ سيد قطب رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذه الأخطاء، وليته على الأقل بين أن كثيرًا من الأقوال المنسوبة لسيد كانت في مرحلة ضياعه وفي مقتبل حياته ذات التوجه الإسلامي، وأنه في الأخير تراجع عن الكثير من تلك الأخطاء.

ولنا أن نضرب للشيخ ربيع مثالًا يوضح المقال: فالعلامة أبو الفضل ابن الرضا البرقعي والذي كان قديمًا من كبار علماء الروافض، وألف في نصرة مذهبهم التصانيف الكثيرة والعديدة، يسر الله هدايته للإسلام الصحيح على عقيدة أهل السنة والجماعة، وألف بعد ذلك الكتب الكثيرة في الردِّ على الروافض من قبيل «كسر الصنم»، و«أحكام القرآن»، و «دراسات في أخبار المهدي» وغير ذلك.

فهل ترى يا شيخ ربيع من العدل والإنصاف أن نقول أن العلامة البرقعي يقول بكذا وكذا من عقائد الروافض، ونستدل لذلك ببعض الكتب القديمة والتي ألفها قبل أن يصبح من أهل السنة والجماعة.

وقل مثل هذا في العلامة البحر مفخرة هذا العصر الشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب «أضواء البيان»؛ فهو في مقتبل حياته لم يكن على العقيدة السلفية عقيدة أهل السنة والجماعة، ثم منَّ الله عليه بالهداية بعد ذلك.

وأما أن يختم الشيخ ربيع كلامه عما أسماه «أطوار سيد قطب في وحدة الوجود» بمثل هذا الكلام: «عاد مع الأسف إلى تقرير عقيدة وحدة الوجود والقول بالحلول والجبر»، فسيأتي بإذن الله ما ينقض هذا الادعاء جملةً وتفصيلًا، وبيان

أن الطورَ الأخير لسيد قطب في هذا هو الرد على القائلين بوحدة الوجود».

التعليق:

١- إن الشيخ ربيعًا في نقده في مؤلفاته «أضواء إسلامية» وما بعدَه لم يعتمد في نقده لسيد قطب إلا على ما كتبه سيد قطب في المرحلة التي تسمونها بالمرحلة الإسلامية.

وفي نقده في المقال الأخير الذي ناقشه إنما أراد بيان أن سيد قطب كان قد ابتلي بداء وحدة الوجود من كهولته -وتحاشى رفقًا به أن يقول من شبابه-، وأن هذا الداء استمر في المرحلة الإسلامية، بل في أوج حماسه للإسلام في نهاية الخمسينيات، بل وفي السجن.

٢- أما أن سيد قطب قد تبرأ من أكثر تلك العقائد والأفكار فهذا شيء لم أعلمه ولا يعلمه غيري فيما أعتقد.

فإذا كان الكاتب عنده تصريحات سيد قطب ببراءته من أكثر تلك العقائد والأفكار؛ فيجب عليه أن يبادر بإعلانها ناصًا على مواضعها من مؤلفاته المعروفة، حتى يصدِّقَه الناس، ثم لي النظر والتأمل في هذه التصريحات بالبراءة، فقد أتراجع بشرط أن يعتذر الإخوان المسلمون ومحمد قطب عن نشر ضلالاته عبر أربعة عقود بنشر كتبه التي حوت تلك الضلالات، وأن يعلنوا توبتهم فيما اقترفوه في حقِّ الإسلام والمسلمين.

ويشرط أن يوقفوا طباعة ونشر كتب سيد قطب التي حوت تلك الضلالات.

وإن عجز الكاتب أن يأتيَ بتلك التصريحات، وعجز كذلك القطبيون والإخوان المسلمون فليعلم المسلمون أن أتباع سيد قطب وأنصاره لا يستطيعون أن يدافعوا عن قطب بحجة، وليقرءوا قوله الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الحج ٣-٤].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٨ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٌۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ [الحج: ٨-٩].

لقد أحيا هؤلاء القوم المذاهب الباطلة، ومنها: السفسطة، والمكابرة، وحاموا وناضلوا عن البدع الكبرى، ومنها: المكفِّرات، وحاربوا أهل الحق بأساليب يخجل منها أحطّ البشر، فضلًا عن عقلائهم وشرفائهم.

ولا ندري بعد هذا ما هو الإسلام الذي ينادون به، ولا من هم أهلُه إذا كان سيد قطب قد طعن في الصحابة وهم ينشرون طعنه فيهم عبر عقود دون خوف ولا وجل من رب العالمين، ولا احترام لمشاعر المسلمين، بل تجاوزوا ذلك إلى حرب من يستنكر هذا البغي والمنكر الكبير.

قال صاحب المقال: «وأما ما ذكره الشيخ ربيع...» إلى قوله: «ثم منَّ اللهُ عليه بالهداية».

نقول: لو فعل سيد قطب مثل ما فعل هذان الفاضلان لما انتقدَه أحدٌ لا ربيع ولا غيره ممن ذكرتَهم أنت سلفًا.

ولكن البون شاسعٌ جدًّا، والمسافة هائلة بينه وبينهما؛ فالبرقعي -كما تذكر- ألف كتبًا في الرد على الروافض منها ما ذكرتَه أنت، ومع ذلك لو بقيت عليه رواسب من مذهبه القديم لوجب على من يعلمها من أهل العلم بيانها.

والشيخ الشنقيطي يدعي له بعض الناس أنه من أصله وأول حياته سلفي، ولو فرضنا أنه كان على غير منهج السلف فإنه لم يؤلف مؤلفات في غير مذهب السلف، وإنما امتلأت مؤلفاته بالعلوم الصحيحة على منهج السلف الصالح والعقائد السلفية الحقة؛ وكتب سيد قطب مشحونة بالضلالات؛ فقياسُك سيد قطب عليهما قياسٌ فاسد الاعتبار.

٣- قال الكاتب. «وقد قال في مناسبة أخرى: إن الإسلام يصوغ من الشيوعية والمسيحية معًا مزيجًا كاملًا يتضمن أهدافهما ويزيد عليهما بالتناسق والاعتدال» «معركة الإسلام والرأسمالية» (ص٦٨).

ونقل للشيخ ربيع جزءًا أكبر مما قاله الأستاذ سيد قطب في تلك الصفحة التي أحالنا إليها الشيخ ربيع حيث يقول سيد قطب: «ولابد للإسلام أن يحكم ليقدم للإنسانية مجتمعًا من طراز آخر؛ قد تجد فيه الإنسانية حلمها الذي تحاوله

الشيوعية، ولكنها تطمسه بوقوفها عند حدود الطعام والشراب، وتحاوله الاشتراكية ولكن طبيعتها المادية تحرمه الروح والطلاقة، والذي حاولته المسيحية ولكن لم تنظم له الشرائع ولم تضع له القوانين، ولابد للإسلام أن يحكم؛ لأنه العقيدة الوحيدة الإيجابية الإنشائية التي تصوغ من المسيحية والشيوعية مزيجًا كاملًا، يتضمن أهدافهما جميعًا، ويزيد عليهما التوازن والتناسق والاعتدال» «معركة الإسلام والرأسمالية» (ص٦١).

ولقد هاجم سيد قطب في هذا الكتاب الشيوعية، والاشتراكية، والنصرانية، وبيّن أوجه الضعف والقصور فيها، وبيّن أن الإسلام جاء بالتوازن بين الجانب المادي الذي تدعيه الشيوعية، والجانب الروحي الذي تدعيه النصرانية، وبذلك يصبح الإسلام هو العقيدة الوحيدة الإيجابية».

التعليق:

إن الكاتب ما زاد بهذه الإضافة الطين إلا بلة، وما زاد الأمرَ إلا سوءًا.

أولًا: إن ظاهر كلام سيد أن الشيوعية ذات منهج سليم ليس فيها عيب، إلا أنها وقفت بمبادئها عند حدود الطعام والشراب، فلو تجاوزت تلك الحدود لحققت حلم الإنسانية، ولقدمت للناس ما يقدمه الإسلام.

وأن النصرانية المحرفة المنسوخة حقٌّ لا ينقصها إلا أنها لم تنظم لهم الشرائع، ولم تضع لهم القوانين، فلو فعلت ذلك لكانت دينًا قويمًا.

وأن الاشتراكية حقٌّ لا ينقصها إلا أنها حرمت الروح والطلاقة.

ولوجود هذا الحق والخير في هذه المذاهب يرى سيد قطب أن الإسلام يصوغ من الشيوعية والمسيحية مزيجًا كاملًا يتضمن أهدافهما ويزيد عليهما بالتناسق والتوازن والاعتدال.

والمعلوم لدى المسلمين والنصارى واليهود أن الشيوعية ديانة ملحدة موغلة في الإلحاد والزندقة، وأن الاشتراكية منهج خبيث من شر دعائم الشيوعية.

وأن النصرانية دين قد أفسده التحريف والتبديل، وأن الجانب الروحي منها فاسد في غاية الفساد والضلال.

ثم إن كلام سيد قطب هذا فيه إهانة للإسلام الكامل الشامل الذي يرفض أن ينسب إليه أي بدعة ولو دقت، ويرفض أخطاء كبار العلماء؛ فهذا الرسول ﷺ يزجر عمر أن ينقل من التوراة نصًا ولو كان حقًا ويقول له: «أمتهوكون يا بن الخطاب؟ والله لو جاء موسى ما وسعه إلا اتباعي».

وهذا حبر الأمة يقول لمن عارض قول رسول الله ﷺ بقول أبي بكر وعمر: «يوشك أن تنزل عليكم حجارةٌ من السماء! أقول: قال رسول الله. وتقولون: قال أبو بكر وعمر!».

والله ﷻ يقصر رسوله على الوحي المنزل عليه من الله، فيقول: ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾ [الأنعام:١٠٦] وما شاكل هذا النص.

ويقصر الأمة على اتباع الوحي كما قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [الأعراف:٣].

وإذا كان الأمرُ كما ذُكر، فهل يجوز لسيد قطب أن يقول هذا الكلام الذي وصفه بعض العلماء بأنه دعوة إلى وحدة الأديان؟

وكيف تستجيز تقرير هذا الكلام الباطل وتدافع عن صاحبه، وما رأيك لو ذم سيد قطب أو غيره الكهانة والسحر، ثم قال: لكن الإسلام يصوغ منها مزيجًا كاملًا يتضمن أهدافهما... إلخ.

ولو ذم سيد قطب أو غيره الخمر ولحم الخنزير، ثم قال: ولكن الإسلام يصوغ منهما مزيجًا كاملًا يتضمن أهدافهما... إلخ.

أترى هذا الكلام حقًا أم ضلالًا وباطلًا من شر وأخبث أنواع الضلال والباطل؟

٤- قال: «يقول الشيخ ربيع: وله في السلام العالمي مدحٌ للعقيدة النصرانية. وكنا نود لو أن الشيخ ربيع ذكر لنا من كلام الأستاذ سيد قطب الذي استنتج منه هذا الاستنتاج؟».

نقول: ارجع إلى كتابي «العواصم مما في كتب سيد قطب من القواصم» (ص٣٤، ٣٩)؛ فقد بينت فيه ما تريده وترده.

وراجع كتاب: «نحو مجتمع إسلامي» (١٣٢-١٣٣)، وكتاب «معركة الإسلام والرأسمالية» (ص٥٦-٥٧) كلاهما لسيد قطب تجد فيهما هذا المدح.

٦- قال: «وحتى تبين لنا يا شيخ ربيع المصدر الذي استنتجت منه مدح الأستاذ سيد قطب لعقائد الهندوك ودفاعه عنها، فإننا نود هنا أن ننقل لك ما قاله الأستاذ سيد قطب رَحِمَهُ اللَّهُ في آخر كتبه، وبعد التاريخ الذي ذكرتَه لنا بما يزيد على ١٧ عامًا؛ حيث إن الشيخ ربيع ذكر أن كلام سيد قطب السابق كان في عام ١٩٤٦م أو ١٩٤٧م، وأما ما ننقله هنا فهو من كتاب صدرت طبعته الأولى عام ١٩٦٢م.

يقول سيد وهو يرد على عقائد الهنود الهندوكية الوثنية في كتاب «خصائص التصور الإسلامي ومقوماته»: يقول في (ص١٨٥): «الهندوكية مثلًا اعترفت براحد هو وحده الموجود وهو براهما، وجعلت من صفاته: التفرد بالكمال. . .

جعلت ما عدا هذا الواحد الموجود عدمًا لا وجود له. . . فهذه الأكوان وما فيها عدم!

ولكنها من جانب آخر جعلت الوجود الذي هو الخير والكمال يحل في العدم الذي هو الشر والنقص. . .

ومهمة الهندوكي المؤمن إذن هي المحاولة المستمرة لتخليص الوجود والخير والكمال والبقاء الذي في كيانه من العدم والشر والنقص والفناء ليصير براهما. . .

ومن هنا حرصه على إفناء جسده الذي هو العدم ليتطلق الوجود الحال فيه، ويصبح طليقًا. . . وهذه هي درجة النرفانا وهي تمثل الخلاص والانطلاق والعودة براهما».

وبين رَحِمَهُ اللَّهُ فساد عقيدتهم من جهة الحلول والتثليث؛ حيث يقولون بالآلهة الثلاثة: براهما، وفشنو، وسيفا.

وبعد أن رد رَحِمَهُ اللَّهُ على كفرياتهم وضلالاتهم استطرد فقال: «وهكذا نستطيع أن نقول باطمئنان: إن التصور الإسلامي هو التصور الوحيد الذي بقي قائمًا على أساس التوحيد الكامل الخالص، وإن التوحيد خاصية من خصائص هذا التصور، تفرده وتميزه من سائر المعتقدات السائدة في الأرض على العموم» (ص١٨٧).

وهذا الفصل مهم في الرد على ضلالات الفلاسفة والنصارى وكفرياتهم حيث بين فساد عقيدتهم وعدم وجود التوحيد عندهم».

التعليق:

أولًا: قال هذا في كتابه «كتب وشخصيات» (ص٢٢٨-٢٢٩)، ودافع عن هذه العقيدة وأهلها بحماس ومدحها، ومدحَ أهلَها.

ثانيًا: يجب أن تثبت بالأدلة أن كتاب «خصائص التصور الإسلامي» هو آخر مؤلفات سيد قطب.

ثالثًا: سأوفر لي ولك الوقت، فأقدم لك شهادة من تعتد أنت بشهادته ألا وهو صلاح عبد الفتاح الخالدي حيث يقول في كتابه «سيد قطب الأديب الناقد...» إلخ (ص٢٢٧) وهو يتحدث عن كتابه «خصائص التصور الإسلامي»:

«وقد أعلن عن الكتاب سابقًا تحت عنوان (فكرة الإسلام عن الله والكون والحياة والإنسان) أعلن عنه في كتابه «معركة الإسلام والرأسمالية»، و«السلام العالمي والإسلام» اللذين أصدرهما عام ١٩٥١م.

واستغرق إعداد هذا الكتاب أكثر من عشر سنوات (١٩٥٠-١٩٦٢م)، فالذي يظهر أن كلام سيد قطب على الهنود النيرفانا كان قبل تقريره لوحدة الوجود في أواخر كتابه «الظلال» بسنوات.

١- لأن إعلانه عن هذا الكتاب في عام ١٩٥١م يدل على أنه قد فرغ منه وأعده للطبع والنشر، ولكن لعله لأسباب -قد يعلم الناس بعضها وهي مشاغله ومشاكله التي عاشها- قد أخر طبع ونشر هذا الكتاب؛ ومثل هذا يحصل له ولغيره».

وقول الخالدي: «إنه استغرق إعداده عشر سنوات» بعيد ولا دليلَ عليه؛ لما سبق ذكره، ولأنه كتيب صغير فكيف يستغرق هذه المدة الطويلة بعد الإعلان عنه؛ فهذا لا يقبله عقل ولا عرف.

٢- أن سيد قطب قد اشتهر بوحدة الوجود وغيرها من الضلالات في شعره ونثره، ثم التحق بالإخوان المسلمين، فأراد أن يثبت لهم رجوعه عن وحدة الوجود ظنًا منه -والله أعلم- أنهم يحاربون مثل هذه العقيدة.

فسجل نقده للنيرفانا في كتابه «الخصائص» الذي بدأ في تأليفه عام ١٩٥٠م، وأعلن عنه في عام ١٩٥١م، ثم سجل نقده لوحدة الوجود في أول جزء من كتاب «الظلال» عام ١٩٥٢م، ونقده لهما في الكتابين في غاية البرودة؛ فلا أدلة ولا حجج ولا براهين على إيغالهما في الكفر والإلحاد، ولا حماس ضدهما؛ فإن ماضيه المظلم يتطلب منه أكثر من غيره أن يكر عليهما ويصول ويجول عليهما أكثر من حماسه للحاكمية والتكفير بهما للمجتمعات الإسلامية في كتبه مثل «الظلال» و«المعالم» و«العدالة».

ثم لما رصد الإخوان المسلمين وعرف حقيقة حالهم، وأنهم لا يهتمون بالعقيدة وفي تنظيمهم يوجد الرافضي، والصوفي الغالي سواء ممن يقول بالحلول، أو وحدة الوجود صرح بما في ضميره في آخر كتاب «في ظلال القرآن» في أواخر كتابه في سورة الحديد، وفي تفسير سورة الإخلاص في نهاية الخمسينات، ولعله بعد هذا.

وهذا الذي نقول يؤكده ماضيه وواقعه، وإلا فكيف ينتقدها في أول كتابه «الظلال» بأسلوب بارد، ثم يقررها بأقوى الأساليب في موضمين في آخر «الظلال» نفسه.

ثم يستمر في نشره والاعتزاز به إلى آخر حياته.

ثم يقوم بتنقيح كتابه -كما يقولون وكما يقول الخالدي- وهو لا يحترم تنقيح الأجزاء الثلاثة الأخيرة التي فيها وحدة الوجود؟!

والأجزاء التي يزعمون أنه نقحها لم ينقحها من العقائد الضالة كتعطيل الصفات، والقول بأزلية الروح، والقول بصناعة القرآن، واللف والدوران حول إنكار المعجزات.

ثم إن حال أخيه وواقعه يؤكد ما نقول؛ فهو يشهد أن أخاه لم يخالف الكتاب والسنة، ويقرنه بشيخ الإسلام ابن تيمية، وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، ولا يرى شيئًا من ضلالاته مخالفًا للكتاب والسنة، ولا يرى شيئًا ينزله عن مرتبة هذين الإمامين.

ولو كان سيد قطب وأخوه يريان وحدة الوجود وغيرها من الضلالات كفرًا وضلالًا لبادرا قبل كل شيء بمحو هذا الضلال من كتب سيد قطب، ولاسيما من كتاب «الظلال»، والكلامُ يطول في هذا.

وعلى كل حال، فمعقولٌ جدًّا أن يكون سيد قطب في أول علاقته بالإخوان قام بنقد النيرفانا ووحدة الوجود ما بين عامي الخمسين والثانية والخمسين بعد التسعمائة والألف من التاريخ الميلادي؛ فهما متقاربان جدًّا.

ثم لما رأى أن القومَ لا يهتمون بالعقائد صرح بعقيدته في أواخر الخمسينات أو فيما بعده، ثم أقرها ونشرها، وأقرها أخوه، واستمرَّ في نشرها في خلال أربعين سنة فيما يزيد على ستٍّ وعشرين طبعة لكتاب «في ظلال القرآن»، بل ثلاث وثلاثين طبعة، ونشر كتاب «كتب وشخصيّات» الذي حوى مدح النيرفانا ومدح أهلها والذب عنهما.

والذي أعرفُه عن سيد قطب: أنه لا يرجع عن أباطيله إلا أندر من النادر بشكل مبهم بارد؛ ذلك لأنه معتدٌّ بنفسه إلى أبعد الحدود، وأنه -والله أعلم- يرى أنه لا يخرجُ من فيه إلا الحق والصواب، وليس عنده أي داعٍ للرجوع.

وعلى كل حال: فلو ثبت للمسلمين رجوعُه فإن لهم الحق أن ينتقدوا ما في كتبه من الضلال ما دامت تنشر في أوساط المسلمين وغيرهم بكثافة؛ وقد رد علماء السنة على أقوام نقلوا هم أنفسهم رجوعهم لما رأوا كتبهم التي حوت الباطل تنتشر في أوساط المسلمين؛ نصحًا لله؛ وحمايةً للمسلمين من الوقوع في الضلال.

واللهُ يقول الحقَّ، ويهدي إلى سواء السبيل.

* * *

من أصول سيد قطب الباطلة

المخالفة لأصول السلف الصالح

تأليف
فضيلة الشيخ العلامة
ربيع بن هادي عمير المدخلي
رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقًا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد:

فقد بينا فيما سلف في كتاب «نظرات في التصوير الفني» أن سيد قطب في هذا الكتاب قد اعتمد على أصول منها:

١- الأصل الجهمي الخطير الذي قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية: إنه ينبوع البدع، وهو الاستدلال بحدوث الأعراض على حدوث الأجسام، وبحدوث الأجسام على حدوث العالم، وبحدوث العالم على وجود الله.

فجرهم هذا إلى تعطيل صفات الله؛ لأن الصفات في نظرهم أعراض، والأعراض لا تقوم إلا بجسم، والله يتنزه عن ذلك.

فعطل الجهمية الأساسية أسماء الله وصفاته، وتأثر بهذا الأصل المعتزلة فعطلوا به صفات الله، وتأثر به الأشاعرة فعطلوا كثيرًا من صفات الله، ومنها: العلو على الكون، والاستواء على العرش، والوجه، واليدين، والرضا، والغضب، والحكمة؛ فلم يثبتوا من صفات الله إلا الصفات السبع التي أثبتوها ومنها: العلم، والإرادة . . . . إلخ.

٢- ومن الأصول التي بنى عليها سيد قطب ضلاله في كتابه «التصوير الفني»: إيمانه بوجود التصوير الفني في نصوص القرآن، بل جُل نصوص القرآن.

٣- ومنها: إيمانه بأن الدين والفن صنوان.

٤-ومنها: غلوه في حرية الفكر والقول، وتجرده من العقيدة حينما كتب التصوير الفني ومشاهد القيامة في القرآن، وافتخاره بذلك، واعتباره العقيدة غلًا يغل التفكير.

٥- ومنها: الأصل الصوفي الخطير: اللهم إنِّي أعبدك لا خوفًا من نارك،

ولا طمعًا في جنتك، هذا الأصل الذي وصفه بعض أهل السنة والجماعة بأنه زندقة.

٦- واليوم ننبه القراء إلى أصل خطير هو من أهم أسس التكفير في الماضي والحاضر، ألا وهو ما قرره سيد قطب في كتابه في ظلال القرآن (٣/ ١٤٧٤-١٤٧٥) في تفسير قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢-٤].

قال: «إن التعبير القرآني دقيق في بنائه اللفظي ليدل دلالة دقيقة على مدلوله المعنوي.

وفي العبارة هنا قصر بلفظ ﴿إِنَّمَا﴾، وليس هنالك مبرر لتأويله، وفيه هذا الجزم الدقيق ليقال: إن المقصود هو الإيمان الكامل.

فلو شاء الله -سبحانه- أن يقول هذا لقاله، إنما هو تعبير محدد دقيق الدلالة.

إن هؤلاء الذين هذه صفاتهم وأعمالهم ومشاعرهم هم المؤمنون؛ فغيرهم ممن ليس له هذه الصفات بجملتها ليسوا بالمؤمنين.

والتوكيد في آخر الآيات: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ يقرر هذه الحقيقة؛ فغير المؤمنين حقًّا لا يكونون مؤمنين أصلًا.

والتعبيرات القرآنية يفسر بعضها بعضًا، والله يقول: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: ٣٢]. فما لم يكن حقًّا فهو الضلال.

وليس المقابل لوصف: ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ هو المؤمنون إيمانًا غير كامل، ولا يجوز أن يصبح التعبير القرآني الدقيق عرضة لمثل هذه التأويلات المميعة لكل تصور ولكل تعبير.

لذلك كان السلف يعرفون من هذه الآيات أن من لم يجد في نفسه وعمله هذه الصفات لم يجد الإيمان ولم يكن مؤمنًا أصلًا...

جاء في تفسير ابن كثير: قال علي بن طلحة عن ابن عباس، في قوله: ﴿إِنَّمَا

﴿الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ قال: المنافقون لا يدخل قلوبهم شيء من ذكر الله عند أداء فرائضه، ولا يؤمنون بشيء من آيات الله، ولا يتوكلون، ولا يصلون إذا غابوا عن أعين الناس، ولا يؤدون زكاة أموالهم؛ فأخبر الله تعالى أنهم ليسوا بمؤمنين.

ثم وصف الله المؤمنين فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فأدوا فرائضه. ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ يقول: زادتهم تصديقًا، ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ يقول: لا يرجون غيره.

وسنرى من طبيعة هذه الصفات أنه لا يمكن أن يقوم بدونها الإيمان أصلًا، وأن الأمر فيها ليس أمر كمال الإيمان أو نقصه، إنما هو أمر وجود الإيمان أو عدمه ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾.

إنها الارتعاشة الوجدانية التي تنتاب القلب المؤمن حين يذكر بالله في أمر أو نهي فيغشاه جلاله، وتنتفض فيه مخافته، ويتمثل عظمة الله ومهابته، إلى جانب تقصيره هو وذنبه، فينبعث إلى العمل والطاعة...

أو هي كما قالت أم الدرداء رضي الله عنها فيما رواه الثوري، عن عبد الله بن عثمان ابن خثيم، عن شهر بن حوشب، عن أم الدرداء قالت: الوجل في القلب كاحتراق السعفة، أما تجد له قشعريرة؟ قال: بلى. قالت: إذا وجدت ذلك فادعوا الله عند ذلك؛ فإن الدعاء يذهب ذلك.

إنها حال ينال القلب منها أمر يحتاج إلى الدعاء ليستريح منها ويقر، وهي الحال التي يجدها القلب المؤمن حين يذكر بالله في صدد أمر أو نهي، فيأتمر معها وينتهي كما يريد الله؛ وجلًا وتقوى لله؛ ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾.

والقلب المؤمن يجد في آيات هذا القرآن ما يزيده إيمانًا، وما ينتهي به إلى الاطمئنان[1].

إن هذا القرآن يتعامل مع القلب البشري بلا وساطة، ولا يحول بينه وبينه شيء

---

(١) وكذلك الطاعات بأنواعها يزيد بها الإيمان.

إلا الكفر الذي يحجبه عن القلب ويحجب القلب عنه، فإذا رفع هذا الحجاب بالإيمان وجد القلب حلاوة هذا القرآن، ووجد إيقاعات القرآن على القلب المؤمن تزيده إيمانًا، فإن القلب المؤمن هو الذي يدرك هذه الإيقاعات[1] التي تزيده إيمانًا . . .

لذلك يتكرر في القرآن تقرير هذه الحقيقة في أمثال قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

ومن ذلك قول أحد الصحابة -رضوان الله عليهم-: كنا نؤتى الإيمان قبل أن نؤتى القرآن. . .» اهـ

أقول: عجيب أمر هذا الرجل؛ إنه لا يختلف أهل السنة والجماعة وطائفة من طوائف الضلال في أصل من الأصول إلا وينحاز هذا الرجل إلى الطائفة المخالفة لأهل السنة، فهاهو في تفسير هذه الآية يتعمد مخالفة أهل السنة والجماعة في أصل عظيم من أصول الإيمان يتميزون به عن سائر فرق الضلال.

ذلك الأصل السني هو أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية؛ فيقرر سيد هنا عن عمد وعلم خلاف معتقد أهل السنة وأصلهم؛ انحيازًا منه كعادته إلى أهل الأهواء من الخوارج والمعتزلة وغيرهم؛ فيقول:

أولًا:

أ- إن التعبير القرآني دقيق في بنائه اللفظي ليدل دلالة دقيقة على مدلوله المعنوي.

ب- وفي العبارة هنا قصر بلفظ ﴿إِنَّمَا﴾.

ج- وليس هناك مبرر لتأويله، وفيه هذا الجزم الدقيق ليقال: إن المقصود هو الإيمان الكامل.

أقول: يعني: ليس هناك مؤمن كامل الإيمان ومؤمن ناقص الإيمان، بل إما مؤمن أو كافر كما سيأتي.

---

(١) لا يجوز تشبيه تأثير القرآن بإيقاعات الموسيقى.

ليس هناك مؤمن كامل الإيمان حتى يكون إيمانه كالجبال لكمال إيمانه وأعماله الصالحة، ومؤمن ناقص الإيمان بذنوبه ومعاصيه، حتى إن إيمانهم لينقص إلى مثاقيل الذر، كما تواترت بذلك الأحاديث النبوية في الشفاعة في أهل الذنوب، بل هناك نصوص قرآنية تدحض باطل هذا الرجل وأشياعه من الخوارج والمعتزلة وغيرهم.

منها: قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢].

ألا ترى كيف قسم المصطفين إلى ثلاثة أقسام، ومنهم الظالم لنفسه الناقص الإيمان.

ثانيًا: قال مؤكدًا كلامه السابق:

«فلو شاء الله سبحانه أن يقول هذا لقاله، إنما هو تعبير محدد دقيق الدلالة إن هؤلاء الذين هذه صفاتهم وأعمالهم ومشاعرهم هم المؤمنون، فغيرهم ممن ليس له هذه الصفات بجملتها ليسوا بالمؤمنين.

والتوكيد في آخر الآيات ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ يقرر هذه الحقيقة؛ فغير المؤمنين حقًّا لا يكونون مؤمنين أصلًا.

والتعبيرات القرآنية يفسر بعضها بعضًا، والله يقول: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾، فما لم يكن حقًّا فهو الضلال وليس المقابل لوصف المؤمنون حقًّا هو المؤمنون إيمانًا غير كامل، ولا يجوز أن يصبح التعبير القرآني الدقيق عرضة لمثل هذه التأويلات المميعة لكل تصور ولكل تعبير». اهـ

أي أن القول الحق هو ما يقرره الخوارج من أن الإيمان لا يقبل النقص بحال، وأن قول أهل السنة والجماعة المستفاد من نصوص القرآن والسنة، والمبني على رد المتشابهات إلى المحكمات تأويل باطل مميع.

وهذا منهج متبع لدى سيد قطب في العقائد التي يختلف فيها أهل السنة والجماعة وأهل الضلال من الجهمية والمعتزلة والخوارج؛ أن ينحاز إلى أهل

الضلال؛ فيقرر باطلهم بأقوى ما يستطيعه من التهاويل، ثم يحط من شأن أهل السنة، ويطعنهم بأسلوب ينطوي على المكر والدهاء والتمويه.

فهو هنا يذم التأويل كما ترى ويراه تمييعًا وهو من أشد الغلاة في تأويل صفات الله، ومن أشد الناس إغراقا في البدع الكبرى وولوعًا بها؛ كتعطيل صفة استواء الله على عرشه، وعلوه، وإنكاره لرؤية الله، وقوله بخلق القرآن، وأزلية الروح، إلى آخر ضلالاته القائمة على التأويل أي التحريف المجري.

ثالثًا: قال عقب كلامه السابق:

«لذلك كان السلف يعرفون من هذه الآيات أن من لم يجد في نفسه وعمله هذه الصفات لم يجد الإيمان ولم يكن مؤمنًا أصلًا.

جاء في تفسير ابن كثير قال علي بن طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ قال: المنافقون لا يدخل قلوبهم شيء من ذكر الله عند أداء فرائضه، ولا يؤمنون بشيء من آيات الله، ولا يتوكلون ولا يصلون إذا غابوا عن أعين الناس، ولا يؤدون زكاة أموالهم، فأخبر الله أنهم ليسوا بمؤمنين.

ثم وصف الله المؤمنين فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فأدوا فرائضه ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ يقول: زادتهم تصديقًا ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ يقول: لا يرجون غيره.

وسنرى من طبيعة هذه الصفات أنه لا يمكن أن يقوم بدونها الإيمان أصلًا، وأن الأمر فيها ليس أمر كمال الإيمان أو نقصه، إنما هو أمر وجود الإيمان أو عدمه».

١- انظر قوله: «لذلك كان السلف يعرفون من هذه الآيات أن من لم يجد في نفسه وعمله هذه الصفات لم يجد الإيمان ولم يكن مؤمنًا أصلًا».

أقول: كيف ينسب مذهب الخوارج إلى السلف؛ لأن ابن كثير نقل عن واحد من السلف المحاربين لمذهب الخوارج ألا وهو ابن عباس حبر القرآن ومبطل مذهب الخوارج التكفيري.

أولًا: في مناظرته المشهورة للخوارج، والتي عاد بسببها إلى مذهب أهل

السنة آنذاك -وهم الصحابة- ألوف من الخوارج.

ثانيًا: تفسيره المشهور المتداول بين أهل السنة والجماعة من عهده ﷺ إلى يومنا هذا لقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] الذي نقله عنه الإمام ابن جرير بإسناده حدثنا هناد: ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال: حدثنا أبي، عن سفيان، عن معمر بن راشد، عن ابن طاوس، عن ابن عباس ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ قال: هي به كفر وليس كفرًا بالله وملائكته وكتبه ورسله.

ثم رواه من طريق الحسن بن يحيى -ويعني به ابن الجعد الجرجاني وهو صدوق- عن عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن طاوس، عن ابن عباس قال: هي به كفر.

قال ابن طاوس: وليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله. تفسير ابن جرير (٦/ ٢٥٦).

وقال ابن جرير قبله (ص٢٥٥): وقال آخرون: عنى بذلك كفر دون كفر، وفسق دون فسق، وظلم دون ظلم.

ونقل قول ابن عباس وطاوس وابنه.

وقال ابن كثير: وقال علي بن طلحة عن ابن عباس قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ من جحد ما أنزل الله فقد كفر، ومن أقرَّ به ولم يحكم فهو ظالم فاسق. رواه ابن جرير. تفسير ابن كثير (٣/ ١١١).

وقد نقل كل من ابن جرير وابن كثير أقوالًا أخرَ عن المفسرين ليس هذا مجال سردها؛ لأن قصدي بيان أن ابن عباس لا يرى رأي سيد قطب: أنه ليس هناك إيمان كامل وإيمان ناقص، ولا كفر دون كفر، وأنه لا ابن عباس ولا السلف معه على هذا الأصل الباطل.

ثم إنه لا يلزم مما نقله عنه ابن كثير من طريق علي بن طلحة في المنافقين والمؤمنين، أنه يرى أن الناس قسمان فقط: مؤمن ومنافق فقط، بل هو وأهل السنة وعلى رأسهم الصحابة الكرام يرون أن الناس ينقسمون إلى كفار، ومنافقين، ومؤمنين كاملي الإيمان، ومؤمنين ناقصي الإيمان وهم العصاة، ومن هنا كانوا

يقيمون الحدود على العصاة مرتكبي الكبائر ولا يكفرونهم، ولا يخرجون أحدًا منهم من دائرة الإسلام بذنب أو ذنوب، مستندين على نصوص الكتاب والسنة المحكمة، فكيف يستجيز سيد قطب نسبة هذا المذهب الحروري إلى السلف؟

وكيف يتغافل سيد قطب عمّا نقله ابن كثير في تفسير هذه الآية بقوله: قال عمرو بن مرة في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ﴾: إنما أنزل القرآن بلسان العرب كقولك: فلان سيد حقًّا وفي القوم سادة، وفلان تاجر حقًّا وفي القوم تجار، وفلان شاعر حقًّا وفي القوم شعراء.

أي أن القصر في الآية إضافي وليس بحقيقي، أي أن قول الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ﴾ لا ينفي الإيمان عمن قصر عن هذه المرتبة، كما لا ينفي عن العرب بقولهم: فلان سيد حقًّا إلى آخره السيادة والتجارة والشعر عن سواهم، وهذا بخلاف فهم سيد قطب والخوارج من هذه الآية.

لقد كرر سيد قطب نفي أصل الإيمان عمن لم تتوفر فيهم هذه الصفات، واستنكر قول أهل السنة أن هناك مؤمنًا كامل الإيمان، ومؤمنًا ناقص الإيمان، وقال: «ولا يجوز أن يصبح التعبير القرآني الدقيق عرضة لمثل هذه التأويلات المميعة لكل تصور ولكل تعبير».

فهل في مذهب أهل السنة الحق القائم على الكتاب والسنة ومنهج السلف تمييع؟!

ثم هل سيد قطب ينكر أحاديث الشفاعة المتواترة في أهل الذنوب الذين يخرجون من النار بالشفاعة وبمحض رحمة الله، فيخرج منهم من النار من كان في قلبه مثقال دينار من إيمان، ويخرج منها من في قلبه مثقال درهم، ويخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، ومن في قلبه أدنى من مثقال ذرة من إيمان؟

فهل هو مع أهل السنة في هذا الباب، أو هو مع الخوارج؟

الظاهر أنه مع الخوارج في هذا الموطن وغيره، بل قد يفوقهم كما يفوق الجهمية في التأويل والتعطيل لصفات الله وفي عقائد سنية أخرى.

رابعًا: قال:

«والقلب المؤمن يجد في آيات هذا القرآن ما يزيده إيمانًا، وما ينتهي به إلى الاطمئنان.

إن هذا القرآن يتعامل مع القلب البشري بلا واسطة، ولا يحول بينه وبينه إلا الكفر الذي يحجبه عن القلب ويحجب القلب عنه، فإذا رفع هذا الحجاب بالإيمان وجد حلاوة القرآن، ووجد في إيقاعاته[1] المتكررة زيادة في الإيمان تبلغ إلى الاطمئنان».

ثم علق هنا في حاشية (ص١٤٧٥) بقوله: «وهنا تعرض قضية: الإيمان يزيد وينقص، وهي قضية من قضايا الفرق، وقضايا علم الكلام في فترة الترف العقلي والفراغ من الاهتمامات العلمية الجادة، فلا ندخل الآن نحن فيها».

وعليه في هذا المقطع مآخذ:

١- هو يقول بأن القلب المؤمن يجد في آيات هذا القرآن ما يزيده إيمانًا، فهل هو يؤمن بأن الإيمان يزيد؟

وإذا كان هذا هو واقعه فبماذا يزيد، هل هو يزيد بتلاوة القرآن فقط، أو هو يزيد بالطاعات كلها من ذكر الله وصلاة، وصيام، وصدقة، وبر، وإحسان إلى غير ذلك من الطاعات وتفقه في سنة رسول الله ﷺ؟

إن اقتصاره على آيات القرآن يثير الريبة في موقفه.

٢- بعد تقريره لمذهب الخوارج وبعد هذه الفقرة المحيرة التي أسلفناها يقول: «وهنا تعرض قضية الإيمان يزيد وينقص، وهي قضية من قضايا الفرق، وقضايا علم الكلام في فترة الترف العقلي...» إلخ.

يأتي بهذا الكلام المموه الذي يشعر القارئ الساذج أنه يحارب علم الكلام والجدل، ولو كان صادقًا في حرب علم الكلام فلماذا لا نجده دائمًا إلا من حزب أهل الكلام، بل من غلاة هذا الحزب من معتزلة، وجهمية، وخوارج، وفلاسفة

---

(١) أي: الإيقاعات الموسيقية.

الصوفية، وغيرهم في تعطيل صفات الله، والقول بخلق القرآن، والقول بأزلية الروح، وتهوينه أو إنكاره لمعجزات الرسول، وإنكاره للميزان، وطعنه في بعض الرسل، وطعنه في أصحاب محمد ﷺ.

فلا نجده إلا في الضفة المحاربة لأهل السنة والجماعة، فهل يصدق بعد كل هذا في ذمه للكلام وأهله، وقد أخذ بأخطر وأشد نتائجه، ومنه ما قرره هنا في قضية زيادة الإيمان ونقصانه، وتكفيره لمن لم يتمتع بجملة الصفات التي فسرها هنا، ثم توج بحثه بهذا التمويه الذي سار عليه في كثير من مواقفه التي ينحاز فيها إلى أصول الضلال ويقررها، ثم يعقب بمثل هذا التمويه الخادع.

ووالله لو كان صادقًا في حربه لعلم الكلام وأهله لما اختار إلا منهج أهل الحق، ودعم أصولهم، وهدم أصول أهل الباطل، ولكنه مكر أهل الضلال والزيغ، ولا ينطلي هذا المكر إلا على من هان عليه الحق الذي أهانه سيد، وأهان أهله كثيرًا وكثيرًا، وكرم الباطل وأصوله وزخرفه وشاده.

٣- إن من أهداف سيد قطب -بعد انحيازه إلى أهل الضلال في أصولهم وتطبيقاتهم- إسكات أهل الحق، بل إرهابهم كما هو عادته التي عرفناها بالدراسة والاستقراء؛ فانظر إليه هنا كيف يشدد ويؤكد مذهب الخوارج في التكفير، ثم يسلق أهل السنة ومنهجهم بقوله: «ولا يجوز أن يصبح التعبير القرآني الدقيق عرضة لمثل هذه التأويلات المميعة لكل تصور ولكل تعبير».

فمتى حارب هذا الرجل التأويل ووصفه بالتمييع، وكيف يفعل ذلك وهو من أشد حملة لواء التأويلات الباطلة الغليظة.

وانظر إليه هنا مرة أخرى كيف يؤكد باطله بإرهاب أهل الحق والسنة؛ فيقول: «هنا تعرض قضية الإيمان يزيد وينقص، وهي قضية من قضايا الفرق، وقضايا علم الكلام في فترة الترف العقلي، والفراغ من الاهتمامات العلمية الجادة، فلا ندخل نحن فيها».

فماذا يريد هذا الرجل بهذا الكلام الذي يتظاهر فيه بالتنزه عن مذاهب الفرق وعن الكلام؟

هل يريد أن ينضم إلى أهل السنة والجماعة في ذم الفرق الضالة وذم مناهجهم الفاسدة وأصولهم الباطلة ومنها علم الكلام.

الجواب: لا وألف لا، والأدلة كثيرة على ما أقول، بل إنه والله لقد زاد أصولًا فاسدة تشيد مذاهب أهل الباطل، كما بينت ذلك في كتابي «نظرات في كتاب التصوير الفني؛ لسيد قطب».

وإذن فالأمر أمر تمويه، الهدف منه أن تؤخذ عقائده الفاسدة ومقرراته الباطلة بالتسليم الخانع الذي لا يطلب أصحابه دليلًا ولا برهانًا؛ لأن البحث عن الأدلة والبراهين لرد الباطل يكون في نظر سيد قطب من قضايا الفرق وعلم الكلام، ومن الترف العقلي الفارغ من الاهتمامات العلمية الجادة.

فمن أراد الاهتمامات العلمية الجادة فعليه أن يحذو حذو سيد قطب في مقرراته الجادة، التي زخرت بها كتبه من تعطيل صفات الله، والقول بالحلول، ووحدة الوجود، ووحدة الفاعلية، والقول بخلق القرآن، وإنكار رؤية الله في الدار الآخرة، وإنكار المعجزات المحمدية إلا القرآن، والقرآن نفسه في نصوصه عبارة عن مسرحيات وتمثيليات ممزوجة بالتصوير الفني، وصخب الموسيقى؛ لأن الدين والفن صنوان عنده، وتكفير الأمة بالجهل والظلم.

فهذه هي الاهتمامات العلمية التي يجب أن يهتم بها شباب الأمة، وما خالف ذلك فهو من الترف العقلي والفراغ من الاهتمامات الحادة، ولو كان ذبًا عن القرآن والسنة، وذبًا عن مقام النبوة، وذبًا عن أصحاب محمد ﷺ.

٤- وأخيرًا نقول: إن أهل السنة والجماعة وأئمتهم هم الذين حاربوا علم الكلام وأهله بصدق، وألفوا في ذمه المؤلفات، وحاربوا التأويلات المميعة التي يدين بها سيد قطب وأسلافه من الجهمية، والخوارج، والروافض.

وهذه أمور معلومة مشهورة، وليست من الترف العقلي ولا من الفراغ من الاهتمامات الجادة، وإنما هي اهتمامات جادة، وجهاد عظيم للحفاظ على دين الله الحق، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، الأمور التي ميز الله بها هذه الأمة.

ومن هؤلاء المجاهدين بعد أصحاب محمد ﷺ ومن تبعهم بإحسان: مالك،

والشافعي، والأوزاعي، والسفيانان، والحمادان، والإمام أحمد بن حنبل، ومدرسته ومنها البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، ومن سار على نهجهم كالدارقطني، وعبد الغني المقدسي، وابن تيمية وتلاميذه، وابن عبد الوهاب وتلاميذه إلى يومنا هذا.

ومن مؤلفاتهم في حرب البدع ومنها علم الكلام: خلق أفعال العباد للبخاري، والسنة لعبد الله بن أحمد، والسنة لابن أبي عاصم، والسنة للخلال، والشريعة للآجري، والإبانتان لابن بطة، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي، وذم الكلام للهروي، والحجة للأصفهاني، ومؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية الكثيرة الغزيرة، ومؤلفات تلاميذه ابن القيم، وابن عبد الهادي، وغيرهما.

وغير ذلك من المؤلفات العظيمة التي يعلو بها الحق ويدحض به الباطل الذي سار عليه أسلاف سيد قطب، ومنه علم الكلام الذي يتظاهر سيد قطب بكراهته ويبتلع لبه الخبيث المهلك، كبر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون.

إننا نطالب أنصار سيد قطب بتقوى الله، ومراقبته في دين الله، وفي شباب الأمة؛ فيحذروا الشباب من كتبه المليئة بالأخطار والمخاطر، وأن يسلكوا سبيل السلف الصالح في مواقفهم من أهل البدع بكل صراحة وشجاعة، وأن يبتعدوا عن التمويه وشهادات الزور لهذا الرجل بأنه مجدد و... و... و... و...

والابتعاد عن الغلو فيه، وإنزاله فوق منزلته التي يستحقها، مما سبب الفتن وضياع الشباب واستهانتهم بالحق، وعدم الغيرة على أهله وأئمتهم الذين داس كرامتهم سيد قطب وظلمهم وافترى عليهم، وعلى رأسهم موسى وأصحاب محمد ﷺ.

ألا إنه يجب أن يدرك أنصار سيد قطب -إن كان بقي لديهم شيء من احترام أهل السنة ومنهجهم وعقيدتهم- أن المعركة حول سيد قطب وعقيدته ومناهجه لا تختلف عن المعارك التي قامت بين أهل السنة وبين خصومهم من جهمية، ومعتزلة، وخوارج، وصوفية، بل هي أشبه ما تكون بالمعركة حول الحلاج وابن عربي وأمثالهم.

وإن منهج السفسطات والكبر والمكابرات الذي ارتكبه الذابون عن ابن عربي وحزبه هو نفس المنهج الذي يسلكه الذابون عن سيد قطب، وكلهم لهم نصيب من قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ۝٨ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ [الحج: ٨-٩].

فوالله ما عندهم من الحجج والبراهين شيء إلا المكابرات والمغالطات والسفسطات، ألا فليتقوا الله في أنفسهم وفي الإسلام وفي شباب الأمة المخدوعين.

اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك، ويذل فيه أهل معصيتك؛ إنك سميع الدعاء.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

* * *

موزيد بالقاسم
موزيد بالقاسم
موزيد بالقاسم

التوضيح لما في خطاب محمد قطب

عن كتب أخيه من التصريح

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقًا

موزيد بلقاسم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد:

فلقد شاء الله -تبارك وتعالى- أن أقف على خطاب للشيخ/ محمد قطب أخي سيد قطب، وهو جواب وجهه إلى عبد الرحمن بن محمد الهرفي الذي يبدو أنه سأله عن «العدالة الاجتماعية» لشقيقه سيد قطب، ونشر هذا الجواب في أحد مواقع الإنترنت «أنا المسلم»، وهذا نصه:

«الأخ الفاضل عبد الرحمن بن محمد الهرفي -حفظه الله-:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

سألتني عن كتاب «العدالة الاجتماعية»؛ فأخبرك أن هذا أول كتاب ألفه بعد أن كانت اهتماماته في السابق متجهة إلى الأدب والنقد الأدبي، وهذا الكتاب لا يمثل فكره بعد أن نضج تفكيره وصار بحول الله أرسخ قدمًا في الإسلام، وهو لم يوصِ بقراءته؛ إنما الكتب التي أوصى بقراءتها قبيل وفاته هي: «الظلال» وبصفة خاصة الأجزاء الاثنا عشرة الأولى المعادة المنقحة، وهي آخر ما كتب من «الظلال» على وجه التقريب، وحرص على أن يودعها فكره كله، «معالم في الطريق» ومعظمه مأخوذ من الظلال مع إضافة فصول جديدة، و«هذا الدين»، و«المستقبل لهذا الدين»، «خصائص التصور الإسلامي»، و«مقومات التصور الإسلامي» وهو الكتاب الذي نشر بعد وفاته، و«الإسلام ومشكلات الحضارة».

أما الكتب التي أوصى بعدم قراءتها فهي كل ما كتبه قبل «الظلال»، ومن بينها «العدالة الاجتماعية».

أما كتاب «لماذا أعدموني» فهو ليس كتاب، إنما هو محاضر التحقيق التي أجريت معه في السجن الحربي، حذفت منها الأسئلة التي وجهها إليه المحقق وبقيت الأجوبة، وقد استخرجها محمد حسنين هيكل من ملفات السجن وباعها

لجريدة الشرق الأوسط، فنشرتها في جريدة المسلمون مجزأة، ثم نشرتها في صورة كتاب.

ولما كنا لم نطلع على أصولها فلا نستطيع أن نحكم على مدى صحتها، ومن المؤكد أنهم حذفوا منها ما يختص بالتعذيب -وقد اعترفت الجريدة بذلك-، أما الباقي فيحتمل صدوره عنه ولكن لا يمكن القطع بذلك، وفضلًا عن ذلك فهذه التحقيقات كلها كانت تجري في ظل التعذيب.

هذا جواب ما سألتني عنه، وبالله التوفيق.

محمد قطب».

وأحب أن أقدم بين هذه المناقشة ما يأتي:

أولًا: أنه لا يعرف عن محمد قطب في عمره المديد أي نقد لسيد قطب، ولا لشيء من كتبه وأقواله كلها حسب تتبعي وعلمي، بل لا يعرف عنه إلا المدح له التزكية العامة لأخيه وإنتاجه.

ثانيًا: أنه هو القائم والمشرف على طبع كتب أخيه التي لا يعرف نظير لطبعها ونشرها في عرض الدنيا وطولها في حدود علمي، ولا يعرف ترويج لمثل كتبه وإعلام وهالات ضخمة، ومن وراء كل هذا محمد قطب وأعوانه، ولم يسمع منه ولا من أعوانه أي نقد أو تحذير.

بل لا يعرف عن أعوانه إلا الحرب الضروس لمن ينتقد شيئًا من أخطاء وضلالات سيد قطب، ولا يعرف عنهم إلا الشائعات والإعلام الماكر الظالم ضد من يقول كلمة حق في سيد قطب أو بعض ضلالاته.

ثالثًا: لم يسمع هذا التفريق بين ما قبل الظلال وما بعده من محمد قطب إلا في هذا الخطاب الجديد الغريب.

رابعًا: لا يعرف عن محمد قطب حول أخيه وتراثه إلا المدح والإطراء، وانتشرت هذه الروح في أتباعه وأتباع أخيه، ولم يؤيدوا جميعًا أي نقد وجه لسيد قطب لا في العقيدة ولا في المنهج، ولو كان هذا النقد دفاعًا عن القرآن أو مكانة النبوة أو مكانة أصحاب محمد ﷺ.

فمن ممادح محمد قطب التي لا يحصيها ويعلم ظاهرها وخفيها إلا الله ﷻ:
هذه الشهادة التي أدلى بها حين احتدم الصراع بين الكتاب من الإخوان المسلمين وغيرهم حول المسائل الفكرية، والفقهية، والدعوية، في رسالة وجهها إلى صهره كمال السنانيري أحد قادة الإخوان المسلمين.

قال محمد قطب ضمن هذه الرسالة:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فإنك تعلم يا أخي ما دار من لغط في محيط الإخوان حول كتابات الشهيد سيد قطب، وما قيل من كونها مخالفة لفكر الإخوان أو جديدة عليه.

وأحب في هذا المجال أن أثبت مجموعة من الحقائق أحس بأنني مطالب أمام الله بتوضيحها حتى لا يكون في الأمر شبهة. . . .

وذكر أن كتابات أخيه تركزت على معنى لا إله إلا الله، والحاكمية، وقضية المفاصلة. عن كتاب «سيد قطب الأديب الناقد» (ص٥٨٦-٥٨٩).

بين دوافعه لذلك.

ثم قال: تلك خلاصة كتابات سيد قطب، ولي -أي محمد قطب-، على هذه الخلاصة تعقيبان:

الأول: هو تأكدي الكامل -بإذن الله- من أنه ليس في هذه الكتابات ما يخالف الكتاب والسنة اللذين تقوم عليهما دعوة الإخوان المسلمين.

الثاني: هو تأكدي الكامل أيضًا من أنه ليس في هذه الكتابات ما يخالف أفكار الإمام الشهيد حسن البنا، مؤسس هذه الجماعة، ولا ما يخالف أقواله. . .

ثم قال: تلك حقائق أرى أن من واجبي أن أبينها وأوضحها أداء للشهادة لله، فإننا لا ندري متى نلقى الله . . . ولا ينبغي لنا أن نلقاه وقد كتمنا الشهادة عندنا لله، والله الموفق إلى سواء السبيل.

ولي ملاحظات على هذه الشهادة وعلى كتاب الإخوان أيضًا؛ حيث حصروا خلافهم لسيد قطب في هذه المسائل المشار إليها، وبنى محمد قطب شهادته على

هذا الحصر.

وذلك يدل على أن القوم على جهل وضلال وهوى تتحكم في عقولهم وفي دينهم؛ فالحلول، ووحدة الوجود، ووحدة الفاعلية، وسب الصحابة، وسب موسى -عليه الصلاة والسلام-، وتعطيل صفات الله، والقول بأزلية الروح، والاشتراكية، إلى ضلالات كبرى تضمنتها كتب سيد قطب ومقالاته، هذه الأمور إما لأنها تافهة لا تستحق النقاش، وإما أن سيد قطب فيها على الحق والهدى لم يخالف فيها كتاب الله وسنة رسوله.

فإذا كان دافع محمد قطب لهذه الشهادة هو أداء الشهادة لله، وإحساسه بالمطالبة أمام الله والخوف من لقاء الله، وحصر كل ذلك فيما شهد به فقط، فمعنى ذلك أنه يحس بالطمأنينة الكاملة أن أخاه على حق في تعطيل صفات الله، وفي طعنه لأصحاب محمد ﷺ إلى آخر الضلالات التي ذكرنا طرفًا منها آنفًا، ومن هنا فهو لا يرى أي داع للإدلاء بالشهادة فيها لله، ولا يحس بالمطالبة أمام الله ولا يرهب فيها لقاء الله.

ومن هنا استمر في نشر الكتب التي حوت هذه الضلالات الكبرى طوال حياته، لم يشر إلى ما يبرئ ذمته منها لا من قريب ولا من بعيد، ومن ورائه الإعلام الإخواني والقطبي يروج لهذه الكتب وما حوته من دمار.

خامسًا: وهو يؤكد ما قررناه سابقًا: إذنه الرسمي بطباعة كتبه وكتب أخيه جميعًا؛ حيث قال في رسالة وجهها إلى دار الشروق ومنها:

«محمد المعلم:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فقد لمستم ولا شك في أثناء اضطلاعكم بمهمة النشر كيف استغلت ظروفنا السيئة من قبل الناشرين، الذين راحوا يطبعون كتبنا المرة تلو المرة كأنها ملك خاص بهم، غير مبالين بحقوق المؤلفين، ولا بالظروف التي يخوضونها.

ولو أن هذا البعض كان يبتغي نشر الدعوة وحده فما كان ليسوءنا علم الله، أما وهم يتجرون بها، ويجعلونها مجالًا للمضاربات والمنافسات، فقد كان الأمر في

حاجة إلى مراجعة ترد الأمور إلى نصابها، وتحفظ للكتب مكانتها وللمؤلفين حقوقهم.

لذلك رأيت -بالأصالة عن نفسي، ونيابة عن ورثة شقيقي الشهيد سيد قطب- أن أعهد إلى دار الشروق ببيروت في إعادة طبع جميع كتبنا، على أن تكون مطبوعاتكم منها هي وحدها المعتمدة للتوزيع والتداول.

ولي كبير الرجاء أن تكون إعادة طبعها في دار الشروق العامرة مناسبة طيبة لمراجعة الكتب كلها، وإجراء ما قد يقتضيه الأمر من تعديلات بها، أو إبراز لمعانٍ معينة فيها، مع إخراجها في ثوب جديد ملائم».

وختامًا، أرجو للدار كل توفيق في حمل رسالة النشر، التي تكمل ولا شك رسالة الكلمة، وتحمل معها الأمانة أمام الله وأمام الناس.

محمد قطب».

المجلد الأول قبيل مقدمة المؤلف.

أقول: إن مجال نقد محمد قطب واسع جدًّا وعميق جدًّا، وهو الذي يتولى كبر هذه الفتنة التي سحقت عقول كثير وكثير من شباب الأمة، وضمائرهم، وأحاسيسهم؛ فهزلت الغيرة على القرآن والسنة والعقيدة، والصحابة، ومكانة النبوة تجاه مواقف سيد قطب وآرائه فيها، ولم يدرك المساكين أن هذا الرجل جاهل خالي الوفاض من العلم، ضال العقيدة والمنهج، نفخ فيه إعلاميون بارعون فأوصلوا الشباب في دينهم بهذا الإعلام الخطير إلى هوة خطيرة، نسأل الله أن ينقذهم منها.

ولي بعد هذا تساؤلات أوجهها إلى محمد قطب وننتظر الإجابة عليها بصراحة وصدق وشجاعة:

أولًا: قلت في هذا الخطاب الموجه لعبد الرحمن الهرفي: «أما الكتب التي أوصى بعدم قراءتها فهي كل ما كتبه قبل الظلال ومن بينها العدالة».

فنسألك:

أ- لماذا لم تبرز هذه الوصية فور موت أخيك؟

ب- لماذا أذنت بطبع هذه الكتب طوال هذه المدة المديدة، فطبع بعضها أكثر من اثنتي عشرة طبعة ككتاب العدالة الاجتماعية الذي ينطوي على الدواهي والطوام، ومنها ظلم سيد قطب وافتراؤه على الخليفة الراشد عثمان، وعلى الصحابة من بني أمية، وعلى الدولة الأموية والعباسية، كما ينطوي على الاشتراكية المجرمة وعلى تكفير الأمة ظلمًا وعدوانًا؟

ولماذا تسمح بنشر كتابه «كتب وشخصيات»، وفيه الإشادة بالفرعونية، والدفاع عن عقيدة النيرفانا الهندوكية وعن أهلها، ومدحها ومدح أهلها، كما تضمن هذا الكتاب رمي الصحابيين الجليلين معاوية وعمرو بن العاص بالكذب والنفاق والخيانة والغش وشراء الذمم، وطعن في جيلهما طعنًا شنيعًا، ورمى الكثيرين منهم بالارتداد إلى الهوة التي انتشلهم منها الإسلام؟

وتكلم على الفتوحات الإسلامية التي كان يشارك في الجهاد فيها كثير من الصحابة بما لم يقل مثله أشد الأعداء.

ولماذا سمحت للناشر (دار الشروق) بنشر هذه الكتب التي أوصى أخوك كما تدعي بعدم قراءتها في عدد من الطبعات، ومنها كتاب: «التصوير الفني» الذي أهان فيه سيد قطب كتاب الله، واعتبره قد أحرز السبق في مجال الفن وجعله كله أو جلَّه ميدانًا للفن؟

انظر قوله: «بهذا ينتهي المشهد، ويسدل الستار، أو تنقطع الحلقة على أحدث الطرق التي اهتدى إليها المسرح والسينما في القرن العشرين، فإذا رفعنا الستار مرة أخرى وجدناهم قد نفَّذوا ما استقر عليه رأيهم، فهاهم أولاء في الكهف، هاهم أولاء نراهم رأي العين، فما يدع التعبير هنا شكًّا في أننا نراهم يقينًا» «التصوير الفني (ص١٩١)».

كيف يقول سيد قطب هذا، والله يقول لنبيه وللناس جميعًا: ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾؟

كيف سمحت بطبع ونشر هذا الكتاب، وفيه اعتداء عظيم على رسول الله وصفيه وكليمه موسى، وسخرية به، وتصويره في أقبح الصور؛ فجعله نموذجًا

لعصبي المزاج وكرر ذلك بأشنع العبارات والأساليب؟

ومنها قوله: «فلندعه هنا لنلتقي به في فترة ثانية من حياته بعد عشر سنوات فلعله قد هدأ و صار رجلًا هادئ الطبع حليم النفس، كلا»!

فلقد بلغ اليأس أقصاه من سيد قطب من أن يهدأ موسى ويصير رجلًا هادئ الطبع حليم النفس فيقول معقبًا: «كلا» أي: لن يكون ذلك من موسى، فأي استهتار وسخرية تفوق هذه السخرية التي ارتكبها هذا الرجل؟

انظر هذه الإساءات في كتاب «التصوير الفني» (ص٢٠٠-٢٠٣).

انظر إلى محمد قطب الذي يقر كل ما في هذا الكتاب من ضلال وإفك ماذا يقول في أخيه الذي أهان أصحاب محمد بأقذع الأساليب وأهان نبي الله موسى -عليه الصلاة والسلام-.

قال: «. . . كان أخي سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحيمًا لا يغضب إلا للحق، وما رأيته مرة واحدة غاضبًا عفّ اللسان حتى عند ذكر أسماء أعداء الله، لطيف المجلس، حلو المعشر، لا تفارقه الابتسامة الوقور ذو دعابة مؤدبة، رقيق المشاعر مرهف الحس. . .

إذا سألت أو ناقشت يستمع إليك حتى تنتهي من كلامك تمامًا فلا يقاطعك ولا يعرض برأيك، ولو خالفته الرأي ولا يرفع صوته حتى لو رفعت صوتك ولا ينفعل حتى لو انفعلت. . .».

كتاب «سيد قطب الأديب الناقد» (ص٧).

أيًا محمد قطب تقول هذا في أخيك وكتبه طافحة بالرعونات وبذاءة اللسان، ومن ذلك طعنه في الصحابة وبهته لهم، وطعنه وبذاءته على نبي الله موسى؟

فعلى وصفك هذا الذي حليت به أخاك يكون البون شاسعًا جدًّا بينه وبين نبي الله موسى.

وإذا كان أخوك قد أوصى بعدم قراءة الكتب التي ألفها قبل الظلال فلماذا لم تحذر الناس من قراءة كتاب التصوير الفني ؟

ولماذا لم تعترض على الخالدي وهو يشيد بكتب سيد قطب ومنها التصوير الفني ؟

لماذا لم تعترض على هذه الإشادة التي تغرر بالناس وتغريهم بقراءة هذه الكتب، بل وتدفعهم إلى الثقة بها والغلو فيها وفي مؤلفها؟

بل لماذا سمحت لك نفسك بمناقشة رسالة سيد قطب ونظرية التصوير الفني في القرآن الكريم، تلك الرسالة التي قدمها الخالدي عام ١٤٠٠هـ لنيل درجة الماجستير، والتي أكد بها غلوه في سيد قطب، وأيد نظريته الباطلة فيما يتقوله على الله وعلى كتابه من وجود التصوير الفني، والأساليب والفنون الموسيقية، وفنون وأساليب السينما والمسارح، وحلقاتها وأدوارها التي اخترعها شياطين الإنس والجن من اليهود والنصارى ؟

فهل أنت تشهد لله وعلى الله بأن هذه الألاعيب موجودة في كتابه ؟

فإن قلت : نعم أشهد بذلك.

قلنا لك : أين شهادتك على أخيك أنه قد أوصى بعدم قراءة الكتب التي ألفها قبل الظلال؟

أنت والناس يعرفون أنه ألف «التصوير الفني» قبل الظلال، فهلا أعلنت هذه الشهادة على الملأ، واعترضت على الخالدي وسعيت في إلغاء رسالته الباطلة بدل مناقشتك لها وإعطائه درجة الماجستير، تلك الشهادة المزيفة في علوم القرآن، بل مدحت وأطريت هذا الرجل وأطريت رسالته كما سجل ذلك الخالدي في كتابه «سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد» (ص١١) ؟

وإذا كان سيد قطب قد نقح كتابه الظلال ولاسيما الأجزاء الاثنا عشر الأولى من الظلال، فلماذا سمحت بطبعه كاملًا، وفيه القول بعقيدة الحلول، ووحدة الوجود، ووحدة الفاعلية، وفيه تعطيل صفات الله، وفيه من التحريف لمعنى لا إله إلا الله ما لا يعلمه إلا الله العزيز الكريم؟

ثم ما قد علمه أهل السنة والتوحيد المناهضين للباطل وخاصة وحدة الوجود، والحلول، ووحدة الفاعلية ؟

فلماذا قدمت له كاملًا ولم تقتصر على التقديم في القسم المنقح، فقلت:

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

في ظلال القرآن، الكتاب الذي عاشه صاحبه بروحه وفكره وشعوره وكيانه كله...

وعاشه لحظة لحظة، وفكرة وفكرة، ولفظة لفظة...

وأودعه خلاصة تجربته الحية في عالم الإيمان...

لقد آن له أن يأخذ وضعه الطبيعي في يد ناشر أمين...

يقدر أنه ناشر فكر قبل أن يكون جامع مال...

وأن نشر الفكر رسالة عليا، وليس انتهازية طامعة...

فلتكن هذه الطبعة المشروعة الصادرة عن دار الشروق...

بعد طول التطواف في طبعات غير مشروعة...

فلتكن في ثوبها الجديد هذا...

تحية منا في رحلتنا العابرة على الأرض...

إلى المؤلف الشهيد..

محمد قطب

المجلد الأول قبيل مقدمة المؤلف

فماذا يفهم القارئ من هذا التقديم الذي قلت فيه: ظلال القرآن، الكتاب الذي عاشه صاحبه بروحه وفكره وشعوره وكيانه كله، وعاشه لحظة لحظة، ولفظة لفظة... إلخ.

فهذه شهادة عامة شاملة لكل لفظ من ألفاظ الظلال، وكل فكرة من أفكار صاحبه أودعها فيه، ألا ترى أن ذلك يشمل كل الضلالات التي أودعها سيد قطب

كتابه هذا، بما في ذلك وحدة الوجود، والحلول، وتعطيل صفات الله، والغمز لنبي الله موسى -عليه الصلاة والسلام-.

لماذا سمحت نفسك المراقبة لله المؤدية للشهادة خوفًا من لقاء الله بطبع هذا الكتاب عشرات الطبعات، وترجمته إلى كثير من اللغات، ونشر ذلك في العالم الشرقي والغربي يبذر هو وسائر كتب سيد قطب بذور الفتن والضلال في شباب الأمة وشيبها ؟

ومن فتنته: الطعن في نبي كريم، وفي خير صحب لأفضل الأنبياء، وتؤكد هذه الكتب بشهادتك لأخيك بأنه لم يخالف كتاب الله وأنه عف اللسان وأنه... وأنه...

أبا محمد قطب: حنانيك، قد جاوزت سبعين حجة، ودوم في عينيك ولو تبصر القبر.

فاتق الله واصدع بتوبتك النصوح، وأعلنها صريحة مدوية.

وأخيرًا نقول: على كل حال فسواء أوصى سيد قطب قبل وفاته بعدم قراءة ما ألفه من كتب قبل كتابه «في ظلال القرآن» أو لم يوص؛ فإن هذا اعتراف من الأستاذ/ محمد قطب بعدم صلاحيتها للقراءة؛ لضررها على الإسلام والأمة، وهذا الاعتراف يشمل ما بعد الجزء الثاني عشر من الظلال.

وهذه خطوة كبيرة من محمد قطب، بل قفزة هائلة منه، نرجو أن يكون فيها شيء من الانتصار على النفس والهوى.

ونأمل منه أن يخطو خطوة أخرى شجاعة؛ فيصرح مرة أخرى بعدم صلاحية كتب سيد قطب كلها للقراءة؛ لأن منبعها جميعًا الجهل والضلال.

ونأمل منه النصح بعدم طبعها ونشرها؛ فإن في ذلك خيرًا كبيرًا له ولأخيه وللإسلام والمسلمين، وإبراء للذمة وأداء للشهادة لله بحق.

ونأمل منه إعلان توبته وندمه؛ ليكون أسوة حسنة لأتباع سيد قطب في الاعتراف بالحق والرجوع عن الباطل وعدم التمادي فيه.

ونأمل من كل مَن دافع عن سيد قطب أن يتقوا الله في أنفسهم وفي الإسلام

والأمة؛ فيغيروا مواقفهم علانية، ويعلنوا توبتهم وندمهم على ما ارتكبوا في حق الإسلام والأمة.

وألا ينتظروا من محمد قطب الخطوة الأخرى، بل نأمل منهم أن يسبقوه إليها؛ فإن في ذلك خيرًا كثيرًا لهم وللإسلام والمسلمين.

ونقول لهم: إن باب التوبة مفتوح لا يستطيع بشر أن يغلقه في وجوهكم، وقد فتحه الله لكم، قال تعالى: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

* * *

نقد كتاب
الثقافة الإسلامية

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقًا

عزيز بلقاسم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة السلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد:

فقد تسنى لي الإطلاع على الكتاب المسمى «الثقافة الإسلامية» المكون من أربعة مستويات، والذي ألفه عدد من الكتاب: محمد الغزالي، وعبد الرحمن حبنكة، ومحمد قطب، ومحمد المبارك، ومصطفى كامل.

وكلهم على عقائد ومناهج تخالف الكتاب والسنة، ومنهج السلف الصالح، وكل إناء ينضح بما فيه، فظهرت عقائدهم في الكتاب.

ومع شديد الأسف أُلِّف هذا الكتاب بما فيه من ضلالات عقائدية لطلاب إحدى الجامعات في المملكة العربية السعودية ألا وهي جامعة أم القرى، تحت ستار الثقافة الإسلامية، واستطاع المروجون له من أهل البدع أن يقرروه في جامعات أخرى كجامعة الملك عبد العزيز بجدة، وجامعة الملك محمد بن سعود، وهو من المواد الإجبارية كما بلغني، ورأيته يباع في بعض المكتبات التجارية بأسعار باهظة.

وحيث إنه يحمل في طياته العقائد الباطلة المخالفة للكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح، رأيت أنه من أوجب الواجبات علي مواجهة هذا المنكر، وبيان ما فيه من ضلال وخطر على شباب هذه البلاد، الذين هيأ الله لهم أن يتلقوا العقائد الصحيحة من نصوص الكتاب والسنة، على فهم ومنهج السلف الصالحين.

فأبى هؤلاء إلا التشويش على عقائدهم، وقد ينحرف الكثير منهم فعلًا لما ينطوي عليه هذا الكتاب من المغالطات، وما يجيده هؤلاء ومن سار على نهجهم من الأساليب المؤثرة في ضعاف العلم والنفوس، الذين لو سلموا من هذه الكتب وأهلها لثبتوا على فطرهم السليمة وعلى العقائد الصحيحة.

قمت بهذا الواجب رجاء أن يقوم العلماء والمسئولون عن هذا الشباب بمنع هذا الكتاب؛ دفعًا لخطره، وحماية لهم ولغيرهم من غوائله، ولا يتسع المجال لاستقصاء كل ما فيه من أباطيل وحسبي أن أذكر بعضها.

فمن تلكم المخالفات:

١- اعتمادهم في تقرير العقيدة على الأصل الخطير الذي وصفه شيخ الإسلام بأنه ينبوع الضلال، وهو الاستدلال بالأعراض على حدوث الأجسام وعلى حدوث العالم، ثم الاستدلال بهذا الطريق على وجود الله، وهو أصل الجهمية، والمعتزلة، ومن تابعهم من أهل الكلام، وقد أدى هذا الأصل إلى تعطيل أسماء الله وصفاته كما هو معلوم لديكم. [ملاحظة (١٣) إلى (١٨)].

٢- دليل الإمكان، وقد أخذه ابن سينا عن ذلكم الأصل فأداه إلى ضلالات وإلحاد، كما وضح ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية. [ملاحظة (١٥)].

٣- اعتمادهم في إثبات وجود الله على أقوال وبحوث من يسمونهم بالعلماء الغربيين والفلاسفة الغربيين، ومع الأسف فقد صدروا البحث في الإيمان بوجود الله ببحوث هؤلاء، وفيها من الضلال ما الله به عليم، ومن ذلكم تقرير وحدة الوجود. [ملاحظة (٤)، (٥)].

٤- الإشادة بعلماء الغرب وبحوثهم وعلمهم، كقولهم: «من أقوال العالم الطبيعي اللامع أوكفر ونْدِلّ».

«ومن أقوال العلامة (ألبرت) صاحب النظرية النسبية، وهو حجة في الرياضيات وفي الطبيعيات».

«من أقوال (سير أرثر أدنجتون) من أكبر العلماء الرياضيين في العالم» إلخ.

وكقولهم: «وهكذا تتسلسل مقالات هؤلاء العلماء الثلاثين من كبار العلماء الماديين المنصفين على هذا الأسلوب العلمي، الذي يقررون فيه حقيقة وجود الله، وهم يعلنون خشوعهم وخضوعهم بين يدي عظمته وقدرته وحكمته ﷻ، مقتبسين من أدلة الكون التي لا تحصى ما يقنعهم في إيمانهم بالله تعالى».

وأنهم «ومتى وصلوا إلى هذا الإيمان وتحققوا هذه المعرفة فلابد أن يكونوا

أكثر الناس خشية لله». [ملاحظة(٢)، (٥) إلى (٨)].

٥- إطلاق ألفاظ على الله ﷻ لا تليق بجلاله، كقولهم: «العقل الأعلى» (ص٤٢)، وهو تعبير الفلاسفة الملحدين، «الروح»، «النظام المستتر» (ص٤٣).

«منزه عن الزمان والمكان» (ص٤٤)، «لا يحتاج إلى مكان» (ص٤٥) يعنون بذلك إنكار علو الله واستوائه وعرشه.

«مجهول الذات»، «سبب الأسباب» (ص٥٢من الكتاب).

٦- إحالتهم (ص١١٨-١١٩) إلى بعض كتب الماتريدية كشرح الفقه الأكبر لأبي منصور الماتريدي، وذكر أعلام الماتريدية والأشاعرة كالتفتازاني، وأبي إسحاق الإسفرائيني، وإمام الحرمين في الرسالة النظامية، تحت عنوان «نصوص من أقوال أهل السنة والجماعة».

إلى ذكر بعض أئمة أهل البيت، ثم ابن تيمية لا ندري لأي غرض، وذلك تنويه بأئمتهم وإشعار للطلاب بأنهم أئمة السنة، وهذا ما في المستوى الأول.

٧- أما المستوى الرابع ففيه تشويههم للعهدين الأموي والعباسي (ص٥٨-٦٠).

٨- الجهل بقضايا التكفير، واعتبار المعاصي شركًا، كالتعامل بعرف القبيلة وعاداتها، واعتبار القبيلة ربًا يطاع، واعتبار عاداتها أربابًا تعبد من دون الله، مع أنه قد يكون في هذه الأعراف ما هو مستحسن ويقره الشرع. [ملاحظة (٢)].

٩- تعظيم الجماعات أو الفرق المخالفة لأهل السنة والتوحيد، وتحسين صورها، كالسنوسية الصوفية، والمهدية، وجماعة الإخوان، وجماعة المودودي، واعتبارهم لها امتدادًا لدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب، ولم يذكروا أهل الحديث وأنصار السنة في عدد من البلدان. [ملاحظة (٣) من الملاحظات على المستوى الرابع].

إلى ملاحظات كثيرة لا يسهل الآن عرضها.

* * *

ملاحظات على كتاب الثقافة الإسلاميَّة

المستوى الأول (١٠١)

تأليف/ عبد الرحمن حبكة، والشيخ محمد الغزالي

مراجعة د/ محمد إبراهيم علي، د/ حسين حامد حسان

(١) جاء في مقدمته (ص٥) أولًا: أهداف مادة الثقافة الإسلاميَّة.

يقصد من تدريس هذه المادة في مختلف الكليات الجامعية تحقيق ما يلي:

١- ترسيخ العقيدة الإسلاميَّة الصحيحة وفق الأسس العلمية التي هدى إليها القرآن والسنة، وأرشدت إليها المعارف والعلوم المختلفة.

ثم أفاضا في بيان الأهداف.

٢- ثم أردف المؤلفان هذه المقدمة بالقسم الأول: العقيدة الإسلامية.

تحت العناوين الآتية:

١- أهمية العقيدة في كيان الإنسان (ص١٥).

٢- أعظم مطالب الإنسان في الحياة (ص١٦).

وأنه اتفق الباحثون من الفلاسفة، وأهل الملل والنحل، وأصحاب المذاهب، وكل ذي فكر معتبر في الحياة على أن بلوغ السعادة أعظم مطلب ينشده الإنسان في الحياة، ولم يذكرا الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-.

ثم جاءا بالأسئلة الثلاثة المشهورة (ص١٨):

١- من الذي أوجدني؟

٢- ما هي الغاية؟

٣- إلى أين المصير؟

ثم قالا (ص٢٠). «الفصل الأول. الإيمان بالله تعالى ﷻ:

١ - وجود الخالق حقيقة ثابتة والشعور به أمر فطري في الأنفس».

قلت: والحديث عن الإيمان هنا يمزج بين كلام أهل الإسلام والفلاسفة.

٢- قالا: العلم يوصل إلى الإيمان بالله، ثم إلى الإيمان بكل عقائده ومبادئه. (ص٢٣-٢٨).

وتحدثا عن البحث العلمي والصداقة بين الإسلام والبحث العلمي، وسعة صدر الإسلام للنقاش المنصف البريء.

واحتجا بقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾، وكأنهما يشيران بذلك إلى ما يسير عليه المميعون من حوار الأديان.

(٢) في (ص٢٦) أوردا عنوانًا باسم البحث العلمي يوصل إلى الإيمان، ونزّلا الآيات الواردة في فضل العلماء على أهل هذه البحوث، وقالا عنهم: «ومتى وصلوا إلى هذا الإيمان وتحققوا هذه المعرفة فلابد أن يكونوا أكثر الناس خشية لله» قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾.

فالعلماء هم الذين يصلون ببحثهم وعلمهم إلى المعرفة الحقة، ومع المعرفة الحقة تكون بواعث الخشية؛ ولذلك مجد الإسلام العلماء والباحثين ومن النصوص الكثيرة في ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

وقوله: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ . . .

إن العالم المادي متى تجاوز في تفكيره حدود ظاهر المادة وصل حتمًا إلى الإيمان.

ومتى سمح العالم المادي الناظر في الطبيعة لنفسه أن يتجاوز حدود ظواهر المادة، وبدأ يتساءل عن تفسير لها وتعليل، وبدأ يفكر في غاياتها بتأمل وإمعان، وبدأ يبحث في النظام الجامع لها وفي قوانينها الثابتة، فإنه لابد أن يصل حتمًا إلى الإيمان بوجود الخالق -جل وعلا-».

قلت: إن هذا الكلام واستشهادهما بالآيات في هذا السياق أي: في الحديث عن هذا النوع ممن سمياهم بالعلماء، يشعر بفضل هؤلاء على الصحابة الكرام

وعلماء الإسلام عقيدة وشريعة . . . إلخ ، إن لم تقل بفضلهم على الأنبياء .

ويشعر بأن مقصود هذه الآيات هذا العلم وعلماؤه وأنهم بهذا العلم يصيرون مؤمنين . . . إلى آخر ما يلزم على كلامهما هذا .

وهذا أمر خطير على الدارسين لهذا الكتاب من تعظيم لهذه العلوم مما قد يصل بهم إلى تفضيل هذه العلوم وأهلها على علوم الشريعة وعلمائها .

(٣) في (ص٢٨) أوردا هذا العنوان :

٣- دلائل وجود الخالق سبحانه منبثة في كل شيء .

ثم قالا : لقد بث الخالق دلائل وجوده في كل شيء في الكون ، فكلما تأمل العقلاء في هذا الكون الكبير المتدفق حكمة وإبداعًا تجدد لهم في كل تأمل جديد برهان جديد يشير إلى الخالق العظيم ، فالساذج من الناس ينكشف له من الدلائل على وجود الخالق والبراهين على وحدانيته وعظمته دلائل تتناسب مع مستوى تفكيره وثقافته .

والذكي يزيد في التأمل فيصل إلى الحقيقة نفسها ، ولكن بدلائل أكثر وأدق وأعم .

والفيلسوف الباحث تضطره الحقيقة بعد البحث والتأمل أن يعلن عن وجود الخالق المبدع بمستوى من الأدلة أكثر عمقًا ، وأدق فلسفة وغوصًا إلى أعماق أسرار الأشياء ، وتكلما عن العالم التجريبي ، والعبقري ، وما يجدان من الأدلة .

ثم قالا : والفطري بفطرته الصافية ووجدانه السليم يتحسس ببساطة لا تعقيد فيها ؛ فيشعر بأن لهذا الكون خالقًا كبيرًا فيؤمن به .

ولم يتحدثا عن أثر القرآن والسنة ولا علمائهما .

وقد يشعر كلامهما أن الفلسفة تعطي أدلة لا يصل إليها علماء القرآن والسنة والعقائد المنبثقة عنهما ، وفي ضمن ذلك إشادة بالفلسفة التي يعتبر أهلها أشد الناس ضلالًا وبُعدًا عن الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر .

(٤) (ص٢٩) قالا :

«فكبار علماء الدنيا وفلاسفة الكون في عصور التأريخ على اختلافها يعتقدون بوجود الخالق سبحانه، وإليك طائفة من أقوالهم واعترافاتهم».

ثم عقدا العنوان الآتي :

«أقوال علماء الكون والفلاسفة في الإيمان بوجود الخالق.

إليك بعض ما يؤنسك عن هذه الحقيقة التي عرضناها لك من أقوال العلماء والفلاسفة في العالم لعلها تنفعك عند المحاجة، وإن لم تزدك إيماناً بربك».

وساقا تحته كلامًا ونقولًا عن عدد من الضلال افتتحاه بقولهما : «إن أقوال علماء الكون وفلاسفته التي يعلنون فيها وجود الكائن الأعظم والمدبر الحكيم (الله) كثيرة، وهنا ننقل إليك طائفة منها.

جاء في كتاب «الله يتجلى في عصر العلم» ثلاثون مقالًا لثلاثين من كبار العلماء الأمريكيين في الاختصاصات العلمية المختلفة من علوم الكون السائدة في العصر الحديث.

وقد أثبت هؤلاء العلماء في مقالاتهم هذه وجود الله -جل وعلا- عن طريق ما وعوه من الأدلة الكثيرة المنبثة في مجالات اختصاصاتهم العلمية.

وهو كتاب حسن في بابه؛ لأنه يطلع القارئ على نوع من الأدلة الكونية التي تفرض سلطانها على العلماء من خلال ملاحظاتهم وتجاربهم واختباراتهم العلمية، فتقول لهم : أفي الله شك فاطر السموات والأرض، فيقولون بتجرد وخشوع : آمنا بالله ربنا العليم الحكيم القدوس خالق كل شيء، وهو على كل شيء قدير».

فعليهما في هذا الكلام :

١- فيه تعظيم لأعداء الله وتفخيم لشأنهم، فقولهما : «وكبار علماء الدنيا»، «وعلماء الكون»، «والفلاسفة»، «وأقوال علماء الكون والفلاسفة» قد يكون له آثار سيئة في نفوس بعض الطلاب؛ فيجد لهم هيبة يتصاغر بها أمامهم، وقد يتصور أن عندهم من العلوم العظيمة والحجج والبراهين القوية ما لا يوجد في القرآن والسنة، ولا يوجد عند كبار علماء الإسلام والتوحيد.

٢- في قولهما: «في كتاب: (الله يتجلى في عصر العلم).».

تعالى الله عما يقولون، فهل كان الله غامضًا مخفيًا حتى في عصور الرسالات حتى أظهرته وجلته بحوث علماء الغرب وفلاسفتهم؟

وهل كانت عصور الأنبياء وعصور الإسلام قبل ما سموه بعصر العلم عصور جهل؟

ثم ما هي قيمة الرسالات وأدلة القرآن على ربوبية الله وألوهيته وآثاره في الكون وسائر مخلوقاته؟

وهل أدلتهم الخفية الغامضة التي لا تكتشفها إلا أجهزة المعامل والمختبرات أقوى وأكثر من الأدلة التي يشترك في رؤيتها وإدراكها كل الناس؟

تلك الآيات العظيمة التي بثها الله في السموات والأرض، بل منها السموات، والأرض، والجبال، والبحار، والشمس، والقمر، والكواكب، والأشجار، والنبات، والدواب في البر والبحر، ومعجزات الأنبياء، وأعظمها معجزة القرآن الكريم، وما عرض الله فيه من آيات شرعية وعقلية وكونية.

(٥) (ص٣٠-٣٩) نقلا أقوالًا لمن يسميانهم بعلماء الكون والفلاسفة ما

لا يساوي شيئًا بالنسبة لأدلة القرآن، وما استنبطه منه أئمة الإسلام من حجج وبراهين.

بل في أقوال بعض هؤلاء من الكفر والإلحاد ما يستحقان أعظم العقوبة على نقله.

ثم قالا في (ص٣٩): «وهكذا تتسلسل مقالات هؤلاء العلماء الثلاثين من كبار العلماء الماديين المنصفين على هذا الأسلوب العلمي الذي يقررون فيه حقيقة وجود الله، وهم يعلنون خشوعهم وخضوعهم بين يدي عظمته وقدرته وحكمته ﷻ، مقتبسين من أدلة الكون التي لا تحصى ما يقنعهم في إيمانهم بالله تعالى».

قلت: فما هذا الإيمان الذي يصدق عليه قول الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾.

وقد يفوقهم في هذا الإيمان من قال الله فيهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

وقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ إلى آيات كثيرة في إيمان المشركين بتوحيد الربوبية.

(٦) في (ص٤٠) ذكرا الأسس التي اعتمدها هؤلاء الفلاسفة في الإيمان بوجود الله.

«١- نظام الكون وما فيه من إبداع.

٢- نفي أن يكون قد حصل هذا الكون عن طريق المصادفة.

٣- أن العلوم الكونية تؤيد أن لهذا الكون بداية، وأنه بدأ بشكل مفاجئ...».

والفقرة الأخيرة فيها مصادمة لقول الله تعالى: ﴿مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾، فلا يعلم كيف كانت بدايته إلا الله.

وهذا يعارض قول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ٩-١٢].

ويعارض قول الرسول الكريم ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى: «كتب الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة».

هذا النص العظيم الذي دان به المسلمون وعلماء الإسلام يدمغ قول هؤلاء الفلاسفة الملاحدة بأن الكون بدأ بشكل مفاجئ.

ثم نقلا عن تسعة آخرين مقرونة أسماؤهم بالتفخيم كقولهما: «من أقوال العالم الطبيعي اللامع أوكفر وُنْدِل».

«ومن أقوال العلامة (ألبرت) صاحب النظرية النسبية، وهو حجة في الرياضيات وفي الطبيعيات».

«من أقوال (سير أرثر أدنجتون) من أكبر العلماء الرياضيين في العالم».

(٧) تقرير وحدة الأديان: إلى أن قالا في (ص٤٣- ٤٤):

«ط- كتب (كميل فلاماريون) في كتاب «الله في الطبيعة»: إذا انتقلنا من ساحة المحسوسات إلى الروحيات فإن الله يتجلى لنا كروح دائم موجود في كل شيء، ليس هو سلطانًا يحكم من فوق السموات، بل نظام مستتر مهيمن على كافة الموجودات، ليس مقيمًا في جنة مكتظة بالصلحاء والملائكة، بل إن الفضاء اللانهائي مملوء به؛ فهو موجود مستقر في كل نقطة من الفضاء، وكل لحظة من الزمان، أو بتعبير أصح هو قيوم لا نهائي منزه عن الزمان والمكان، والتسلسل والتعاقب.

ليس كلامي هذا من جملة عقائد ما وراء الطبيعة المشكوك في صحتها، بل من النتائج القاطعة التي استنبطت من القواعد الثابتة للعلم كنسبة الحركة، وقدم القوانين.

إن النظام العام الحاكم في الطبيعة، وآثار الحكمة المشهودة في كل شيء، المنتشرة كنور الفجر وضياء الشفق في الهيئة العامة لاسيما الوحدة التي تتجلى في قانون التطور الدائم تدل على أن القدرة الإلهية المطلقة هي الحوافظ المستترة للكون، هي النظام الحقيقي، هي المصدر الأصلي لكافة القوانين الطبيعية وأشكالها ومظاهرها».

ثم علقا بقولهما: «وكميل فلامريون فيلسوف ينكر اليهودية والنصرانية

ولا يعرف الإسلام، ولكنه يعرف الله الواحد من إدمانه النظر في العلوم بالأكوان وأمثاله كثيرون».

قلت: وهذه تزكية لهذا الملحد الذي يدين بوحدة الوجود، ويكررها في كلماته المظلمة مع أباطيل أخرى كما يرى القارئ.

فكيف ينقل كلام هذه الملحد وأمثاله في تقرير التوحيد والإيمان بالله؟

وهل من نقل كلامه يدين بوحدة الوجود ويدعو إليها؟

(٨) قالا (ص٤٤):

«ويقول الدكتور (راين): إنه ثبت من أبحاثه في المعامل أن في الجسم البشري روحًا أو جسمًا غير منظور».

فلماذا ينقلان هذا النص السخيف؟

فإن أراد (راين) بهذه الروح الله فهو زنديق ملحد.

وإن أراد روحًا مخلوقًا في الجسم فحتى الشيوعيون والشياطين لا ينكرون الروح فضلًا عن غيرهم من الإنس والجن.

(٩) قالا (ص٤٥):

«٥- اختلاف الناس في ذات الخالق بعد الإيمان بوجوده:

وبعد أن عرفنا أن العقلاء المنصفين كلهم قد استووا في الإشارة إلى خالق ومدبر، والإيمان بذي قدرة عظيمة مهيمن نلاحظ أنهم قد اختلفت مداركهم في تصور ذاته وتحديد صفاته.

فمنهم من استطاع أن يفهم أنه لابد أن يكون مجردًا عن مشابهة كل شيء مادي أو يسرى في المادة أو تتصف به المادة، و أن يكون واجب الوجود قائمًا بذاته، لا إله إلا هو، لا يحتاج إلى مكان ولا يجري على ذاته زمان.

وهذه الحقيقة عن ذات الخالق هي الحقيقة التي جاءت الديانات السماوية لتروي بها غلة كل عالم باحث مفكر، ولتطمئن بها كل ذي فطرة صافية طاهرة سليمة، وكل ذي عقل نافذ وقاد.

ولتصحح بها تصورات المجسمين الماديين والمشركين الذي تنازعتهم الأوهام والتقاليد، واستحوذت عليهم الشياطين فشوهت صفاء فطرتهم، ولتحرر بها العقول البشرية من قيود المحسات، وتنطلق بها إلى آفاق التجريد العقلي؛ حتى يكون الإنسان أهلًا لما كرمه الخالق به؛ إذ منحه هذا العقل الذي يستطيع أن يدرك به وجود الخالق، وتنزهه عن مشابهة الحوادث، واتصافه بكل صفة من صفات

الكمال».

قلت: فهل هؤلاء الكفار الضالون يستحقون أن يوصفوا بأنهم عقلاء منصفون؟!

وماذا يريدان بقولهما: «لا يحتاج إلى مكان ولا زمان»؟ إثبات صفتي علو الله على خلقه واستوائه على عرشه؟!!

كلا؛ وإنما يريدان تعطيل هذين الوصفين العظيمين.

وهل هؤلاء الكفار الضلال تصدق عليهم هذه الصفات (كل عالم باحث مفكر)، (وأنهم أصحاب فطر سليمة)، (وأن عندهم عقولًا نافذة وقادة)، (وأن الرسالات جاءت لتروي غلتهم)؟!!

وهل الرسالات جاءت بالأدلة المستنبطة والمنبثقة عن المعامل والمختبرات، أو جاء بطرق الفلاسفة الضالين التائهين؟!!

وهل جاءت الرسل بإنكار علو الله واستوائه على عرشه؟!!

وهل الرسالات جاءت لإقناع الأمم بأن الله موجود على الطريقة التي جاءت بها هؤلاء الضلال وأسلافهم من الفلاسفة، أو أن الأمم تؤمن بوجود الله وإنما جاءهم الرسل ليدعوهم إلى عبادة الله وحده وإخلاص الدين له، وإلى خلع الأوثان والمعبودات التي كانوا يعبدونها من دون الله؟!!

إن هذين المؤلفين لم يعرفا حقيقة ما بعث من أجله الرسل.

ثم من المعلوم عن هذين أنهما على طريقة الأشاعرة والماتريدية في تعطيل صفات الله الخبرية، ومنها: الاستواء، والعلو، والنزول... إلخ، بحجة تنزيه الله عن مشابهة الحوادث؛ فهم كأسلافهم من أمثال الرازي، والسبكي، والكوثري، يحاربون أهل السنة والجماعة الذين يؤمنون بصفات الله الواردة في الكتاب والسنة الثابتة عن رسول الله بما في ذلك الصفات الخبرية المنوه عنها، ويصفون أهل السنة بأنهم مجسمة ومشبهة.

فهؤلاء لا شك أنهم يقصدون الطعن في أهل السنة، ورميهم بالتشبيه والتجسيم، ثم حشرهم مع الماديين والمشركين، وجعلهم في درجة أسفل من

الفلاسفة الضالين، والمجال لا يتسع لبيان دسائسهما ومكرهما، ومنه دسهما لوحدة الوجود في كتابهما.

(١٠) ثم قالا في (ص٤٥):

«وكان من هؤلاء الناس الذين آمنوا بوجود الخالق صنف تخيل ذات الخالق بالمادة، أو بما يشابه الأجساد المادية، أو بالقوى السارية في ذرات المادة بحسب قصر مداركه وتقيده بواقعه الذي يحسه في نفسه، أو في الكون من حوله، ولو أن هذا الصنف أصغى بفهم وتعقل للمنطق الجلي الواضح الذي نزل به الوحي على الرسل لم يقع بكل هذه التخيلات الباطلة التي يرفضها العقل بقليل من التأمل والنظر المتجردين المنصفين».

ونقول:

١- من هم هؤلاء الذين تنتقدانهم ؟!!

٢- لماذا تنقلا عنهم ما تريانهم قد ضلوا فيه إلى طلاب عوام قد حلتم بينهم وبين منهج القرآن والسنة والسلف؟!!

٣- أين الحجج والبراهين التي يجب أن تقام لدحض هذا الضلال؟!!

٤- فكلامكما يُشْعِر أن الصنف الأول على هدى وعلى منهج الرسل، فما أضر نقلكما عن الصنفين، وما أضر تعليقكما على كلامهم من مدح صاف، ونقد ميت قاصر، قوة في عرض الباطل، وعجز وضعف في نقده.

(١١) ثم قالا في (ص٤٦):

٦- «الإلحاد والملحدون:

ثم لا نجد الإلحاد إلا عند مغفلين مضللين، أو مقلدين متعصبين، أو مجرمين شهوانيين، أو مستكبرين مغرورين بالنزر اليسير الذي تعلموه من ظواهر الكون؛ فظنوا أنفسهم عرفوا كثيرًا، وجهلوا أنهم ما غمسوا بعد أكفهم في شاطئ بحر صغير من بحور علم الكون».

قلت: وهذا الكلام حق في هؤلاء الملاحدة، ولكن من ضرره وخطره أنه

يشعر الطالب أن الأولين منزهين عن هذه الصفات القبيحة التي أطلقوها على هؤلاء من الإلحاد والغفلة والضلال والتقليد والتعصب. . . إلخ.

فهل من مدحتماهم ونقلتما أقوالهم بريئون من هذه الصفات، لا شك أن الطالب الغرّ يفهم هذا؛ فيكن لأولئك من الحب والإجلال والاحترام ما يفسد عليه عقله ودينه وولاءه لله ولدين الحق.

(١٢) ثم قالا في (ص٤٧) بعد مناقشة هزيلة للملحدين في عرفهما:

«أليس يقوم في ظن الملحدين احتمال صدق دعوة الرسل الذين يكذبونهم، وماذا ستكون حجتهم بين يدي الله إذا قال لهم يوم القيامة كذبتم رسلي وأعرضتم عن البراهين التي بثثتها في الوجود الدالة على وجودي والدالة على عدلي فحق عليكم عقابي؟».

وهذا الكلام على علاّته يعطي أن من نقلا عنهم ومدحاهم وأضفيا عليهم صفات ضخمة، قد صدقوا دعوة الرسل وآمنوا بالحجج والبراهين التي أعرض عنها الملحدون، وأنهم ناجون من عقاب الله.

ثم إن الكفار الذين كذبوا الرسل ما كذبوهم في الاعتقاد بوجود الله، وإنما كذبوهم في الدعوة إلى عبادة الله وإخلاص الدين له، والدعوة إلى الإيمان بالبعث والجزاء، والظاهر أن الكاتبين لم يعرفا دعوة الرسل -عليهم الصلاة والسلام-، ولا مواضع النزاع بينهم وبين أممهم المكذبة.

(١٣) من (ص٤٩-٨٢) تكلما عن الله وصفاته على طريقة المتكلمين والفلاسفة لا على طريقة أهل السنة والجماعة، فلم يقررا توحيد الأسماء والصفات على طريقة أهل السنة، بل على الطريقة المنوه عنها، وأشارا إشارات ضعيفة إلى توحيد الألوهية.

قالا مفتتحين هذا البحث بالعنوان التالي:

٧- «بعض المسالك النظرية التي تلزم العقل بالإيمان بوجود الخالق».

ثم قالا: «ولئن كان وجود الخالق من الأمور البدهية المركوزة في فطرة الإنسان منذ نشأته الأولى منذ بدأ يدرك نفسه والكون من حوله كما سبق بيان ذلك.

لكنه لا بد لنا من أن نسوق البراهين النظرية لعلها تستخدم كوسيلة للتعرف على صدق هذا الإحساس الفطري، ولإزالة ما يمكن أن يعرض على النفس من شكوك تأثرت بها من واقع البيئة المادية التي وجد الإنسان فيها».

قلت: اللّٰه يعلم وعلماء الحق والسنة يعلمون سابقًا ولاحقًا أنه ما يجلب الشكوك إلا الطريقة التي سلكتموها وسلكها أسلافكم على طريقة الفلاسفة والمتكلمين، وأن عرضكم لكلام علماء الكون والفلاسفة الأمريكيين لما يغرس الشكوك، وكذلك تعليقاتكما الهزيلة على كلامهم المملوء بالضلال.

ثم ذهبا يتكلمان على إثبات وجود اللّٰه بطريق الفلاسفة الذي أخذه عنهم الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، وهو الاستدلال بالأعراض على حدوث الأجسام والاستدلال على وجود اللّٰه بحدوث الأجسام ذلكم الذي قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية: (إنه ينبوع البدع)، وهو الذي أدى بأهل الضلال إلى تعطيل أسماء اللّٰه وصفاته وأفعاله وكلامه، على تفاوت في الأخذ بهذا الأصل الباطل.

وأضاف الباحثان دليل الإمكان، وهو أصل الملحد ابن سينا ومن تبعه كالرازي ومن تأثر به، وكلامهما طويل جدًا لا يتسع المقام لسرده.

ولكن ننقل من كلامهما بعض الفقرات التي تصدق وتؤكد ما نقول:

(١٤) قالا في (ص٥٢-٥٣) في سياق الاستدلال على وجود المخلوقات، ثم الاستدلال بما فيها من أعراض وتغيرات على وجود الله: «وهنا تبدو لنا حقيقة أننا لم نكن ثم كنا ونحن صنف ممتاز التكوين في هذا العالم» قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾.

وأن أشياء كثيرة كانت في طي العدم في أشكالها وصورها ثم وجدت كما هو مشاهد لنا باستمرار، كما تبدو لنا صورة التغيرات الكثيرة الدائمة في كل جزء من أجزاء هذه المواد الكونية التي نشاهدها أو نحس بها، أو ندرك قواها وخصائصها، فمن حياة إلى موت ومن موت إلى حياة، ومن تغيرات في الأشكال والصور إلى تغيرات في الصفات والقوى.

وكل ذلك لا يعلل في عقولنا وفق قوانين هذا الكون الثابتة التي استفدناها من

الكون نفسه إلا بالأسباب المؤثرة التي تحمل سر هذه التغيرات الكثيرة المتعاقبة في كل شيء من هذا الكون على اختلاف جواهره وصفاته، سواء منها المتناهي في الصغر أو المتناهي في الكبر.

ومن هذه الأسباب ما نشاهده ومنها ما نستنتجه استنتاجًا ولا نزال نتسلسل مع الأسباب حتى تصل إلى سبب مجهول الذات هو السبب الأول».

ثم واصلا كلامهما من هذا النوع الفلسفي.

فهذا الكلام والاستدلال على وجود الخالق والمخلوق في الوقت نفسه قائم على ذلكم الأصل الفاسد الذي وصفه شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه ينبوع البدع، والذي أدى إلى تعطيل أسماء الله وصفاته.

وانظر إلى هذا التعبير الضال عن الله بأنه مجهول الذات.

ومما يؤكد اعتمادهما على ذلك الأصل قولهما: «وبما أنها عرضة للتحول والتغير، وبما أن قوانينها تفرض احتياجاتها على الأسباب والمؤثرات، لزم عقلًا ألا يكون الأصل فيها هو الوجود، وإنما يجب عقلًا أن يكون الأصل فيها هو العدم.

ولذلك فهي تحتاج في وجودها إلى سبب موجود وسنعرض إلى مبدأ السببية في دليل خاص، وبهذه المرحلة من الدليل ثبت لدينا ما يلي:

أ- أن الأصل هو العدم في جميع هذه الأشياء الكونية القابلة للإدراك الحسي وكل ما شابهها في الصفات.

ب- وحيث كان الأصل في جميع هذه الأشياء الكونية العدم وجب عقلًا أن يكون لها سبب مؤثر نقلها من العدم إلى الوجود في مرحلة وجودها الأول، ولا يزال يؤثر باستمرار في جميع صور تغيراتها المتقنة الحكيمة»

قلت: وهذا الاستدلال على وجود المخلوقات باطل مناقض لطريقة القرآن في الاستدلال على الله وقدرته، وعلمه، وحكمته بالآيات الكونية من خلق الإنسان، والسموات، والأرض، والجبال... إلخ.

وقد تكلم شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ على بطلان هذه الطريقة فقال:

«الطريقة المذكورة في القرآن هي الاستدلال بحدوث الإنسان وغيره من المحدثات المعلوم حدوثها بالمشاهدة ونحوها على وجود الخالق ﷻ، فحدوث الإنسان يستدل به على المحدِث، لا يحتاج أن يُستدل على حدوثه بمقارنة التغير أو الحدوث له، ووجوب تناهي الحوادث.

والفرق بين الاستدلال بحدوثه والاستدلال على حدوثه بيِّنٌ.

والذي في القرآن هو الأول لا الثاني، كما قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾» [درء التعارض (٧/ ٢١٩)].

(١٥) في (ص٥٥-٥٩) تحدثا عن دليل الإمكان، وهو من أدلة ابن سينا الباطني.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: إن ابن سينا أخذه من أصل الجهمية وهو الاستدلال على وجود الله بالأعراض والحوادث.

واستشهدا لهذا الأصل الفاسد ببعض الآيات القرآنية، ودندنا حوله.

ثم قالا في سياق دليل التغير والسببية (ص٥٩): «ننظر إلى الموجودات الكونية سواء منها الموجودات المادية المدركة بالحس، أو الموجودات الأخرى الخارجة عن نطاق الإدراك الحسي، والتي نستنتج وجودها ببرهان العقل.

فنلاحظ أن حوادث التغير لا تنفك عنها أبدًا، فما من شيء في هذا الكون الفسيح إلا ونلاحظ أنه في أوضاع من التغيرات الكثيرة بشكل مستمر، وهذه التحاويل الكونية في المواد الكميائية، حوادث مستمرة، وهذه الأعراض في الظواهر الفيزيائية في تغير مستمر، نرى ذلك في تحول البذور إلى أشجار وثمار، ثم تحولها إلى رماد وهشيم، ثم يتحول إلى عناصره الكميائية».

ثم تحدثا عن تغير وتحول أشياء أخرى من المخلوقات.

إلى أن قالا: «ونرى ذلك يوميًا في تعاقب الليل والنهار، وطلوع الشمس والقمر وغروبهما، وظهور النجوم وأفولها».

ثم قالا (ص٦١): «ثم نقول: إن التغير لا ينفك عقلًا عن معنى الحدوث؛ لأنه لو فرضنا أنه حصل تغير في المكان لجسم من الأجسام مع العلم بأن التغير

المكاني هو أبسط أنواع التغيرات الكونية على الإطلاق.

ولنرمز للمكان الذي كان فيه الجسم بنقطة (أ) وللمكان الذي انتقل إليه الجسم بنقطة (ب)».

ثم فصلا ذلك بكلام يتخلله الأشكال والرسوم.

وهذا الاستدلال هو الذي أوقعهم في إنكار استواء الله على عرشه، ونزوله إلى سماء الدنيا، ومجيئه يوم القيامة، إلى غير ذلك من الصفات والأفعال التي عطلوها.

(١٦) في (ص٦٤) ذكرا أن أبا حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ استدل بهذا الدليل (أي: دليل السببية والتغير) على الزنادقة، وأقام عليهم به الحجة يشيران إلى القصة المنسوبة إليه.

(١٧) (ص٦٥-٦٦) ذكرا أن فكرة التغير والسببية قامت في عقول كثير من الفلاسفة القدماء؛ فجعلتهم يؤمنون بواجب الوجود، وذلك أنهم رأوا أحوال الأرض وتغيراتها؛ فثبت لديهم أنها بحاجة إلى مؤثر وحكموا في فلسفتهم بذلك، ولكن بعضهم لما نظروا إلى الأفلاك زعموا أن اتصاف السموات بمقاديرها وأحيازها وأوضاعها وحركاتها أمر واجب لذاته ممتنع التغير عن هذا الوضع...

إلى إن قالا: «فألهوا الأفلاك، وهنا أرشدهم سيدنا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في محاجته لقومه إلى مماثلة الأفلاك والنجوم، وكل ما في السماء للأرض في تغيراتها التي يقضي العقل بأنها حوادث تحتاج إلى مؤثر واجب الوجود، وأثبت لهم أن الرب تعالى الذي هو واجب الوجود غير هذه الأجرام السماوية التي يؤلهونها بدليل أفولها وتغيرها المشاهد بالحس، وقد حكى الله عنه ذلك بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأٓفِلِينَ﴾.

وكانت فلسفة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في نظره العميق هي طريق إيمانه بالله أول الأمر ثم جاءته النبوة فكان من المرسلين».

قلت: وحاشى هذا الرسول الكريم من هذه الفلسفة، وحاشى استدلاله أن يكون منبثقًا عنها وأن يكون قصده إثبات وجود الله.

فقومه ما كانوا ينكرون وجود الله حتى يستدل على هذا الوجه وبهذا الأصل الذي ورثه الكاتبان وأسلافهما عن الفلاسفة الضالين.

وحاشاه أن يكون وصل إلى الإيمان من هذا الطريق الفاسد.

يوضح ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ فيقول: «وهؤلاء -يعني: قوم إبراهيم- هم أعداء إبراهيم الخليل الذي دعاهم إلى عبادة الله وحده، وكان مولده عند أكثر الناس إما بالعراق أو بحران كما في التوراة، ولهذا ناظرهم في عبادة الكواكب والأصنام، وحكى الله عنه أنه لما رأى كوكبًا ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ إلى قوله: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

وقد ظن طائفة من الجهمية والمعتزلة وغيرهم أن مراده بقوله: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ أن هذا خالق العالم، وأنه استدل بالأفول -وهو الحركة والانتقال- على عدم ربوبيته، وزعموا أن هذه الحجة هي الدالة على حدوث الأجسام وحدوث العالم.

وهذا غلط من وجوه:

أحدها: أن هذا القول لم يقله أحد من العقلاء، لا قوم إبراهيم ولا غيرهم،

ولا توهم أحدهم أن كوكبًا أو القمر أو الشمس خلق هذا العالم، وإنما كان قوم إبراهيم مشركين يعبدون هذه الكواكب زاعمين أن في ذلك جلب منفعة أو دفع مضرة، على طريقة الكلدانيين والكشدانيين وغيرهم من المشركين أهل الهند وغيرهم، وعلى طريقة هؤلاء صنف الكتاب الذي صنفه أبو عبد الله بن الخطيب الرازي في السحر والطلسمات ودعوة الكواكب، وهذا دين المشركين من الهند والخطا والنبط والكلدانيين والكشدانيين وغير هؤلاء.

ولهذا قال الخليل: ﴿يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

وقال: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وأمثال ذلك.

وأيضًا: فالأفول في لغة العرب: هو المغيب والاحتجاب، ليس هو الحركة والانتقال.

وأيضًا: فلو كان احتجاجه بالحركة والانتقال لم ينتظر إلى أن يغيب، بل كان نفس الحركة التي شاهدها من حين تطلع إلى أن تغيب هي الأفول.

وأيضًا: فحركتها بعد المغيب والاحتجاب غير مشهودة ولا معلومة.

وأيضًا: فلو كان قوله: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ أي: هذا رب العالمين لكان قصة إبراهيم ﷺ حجة عليهم، لأنه حينئذٍ لم تكن الحركة عنده مانعة من كونه رب العالمين، وإنما المانع هو الأفول.

ولما حرَّف هؤلاء لفظ الأفول سلك ابن سينا هذا المسلك في إشارته؛ فجعل الأفول هو الإمكان، وجعل كل ممكن آفلًا، وأن الأفول هويّ في حظيرة الإمكان، وهذا يستلزم أن يكون ما سوى الله آفلًا». [من منهاج السنة (٢/ ١٩٣-١٩٧)].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ خلال رده على ابن سينا قوله بقدم الأفلاك: «فإن أهل الكلام المحدث لما احتجوا بحدوث الأفعال على حدوث الفاعل الذي قامت به الأفعال، وزعموا أن إبراهيم الخليل احتج بهذا، وأن المراد بالأفول الحركة والانتقال، وأنه استدل بذلك على حدوث المتحرك نقل ابن سينا هذه المادة إلى أصله فجعل هذا الأفول عبارة عن الإمكان، وقال: إنما هوى في حظيرة الإمكان هوى في حظيرة الأفول، ولفظه: فإن الهوي في حظيرة الإمكان أفول ما».

ثم ذكر هذين القولين الباطلين في الاحتجاج بالأفول.

ثم قال: «ومعلوم أن كلا القولين من باب تحريف الكلم عن مواضعه، وإنما الأفول هو المغيب والاحتجاب، ليس هو الإمكان ولا الحركة، وإبراهيم الخليل لم يحتج بذلك على حدوث الكواكب ولا على إثبات الصانع، وإنما احتج بالأفول على بطلان عبادتها، فإن قومه كانوا مشركين يعبدون الكواكب ويدعونها من دون الله لم يكونوا يقولون إنها هي التي خلقت السموات والأرض؛ فإن هذا لا يقوله عاقل، ولهذا قال: ﴿يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

وقال: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝٧٥ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ۝٧٦ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وقد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع». [(منهاج السنة(١/ ٢٠١)].

(١٨) ثم عنونا (ص٦٦-٧٢) بقولهما : التنبيه على دليل التغير والسببية في القرآن الكريم.

ثم قالا : «لقد نبه القرآن الكريم على معنى التغير الدائم القائم بكل شيء في هذا العالم في كثير من الآيات الكريمة التي تتضمن لفت النظر إلى وجود الله سبحانه، وإلى صفة خلقه للأشياء.

ولئن كنا عبرنا بلفظ السبب ومعنى السببية من وجهة النظر التي سقناها في الدليل، فإن الله سبحانه قد اختار في القرآن اللفظ الأدق في التعبير والذي يتناسب مع صفة الألوهية، ألا وهو لفظ (الخلق)؛ ذلك أن السببية متى انتهت إلى العليم الحكيم المريد المختار القادر على كل شيء كانت خلقًا.

فلكل صورة من صور التغير في هذا العالم الذي أسميناه عالم المتغيرات خلق رباني، كان هو السبب في حدوث ظاهرة التغير.

وما أكثر الآيات القرآنية التي تشير إلى مضمون هذا الدليل بصيغة الخلق؛ لأن صيغة الخلق هي التي تتناسب مع الألوهية كما بينا، ومن تلك الآيات القرآنية الكثيرة قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾ الآيات».

ثم قالا : «هذه الآيات وأمثالها في القرآن الكريم تتحدث عن التغيرات الكثيرة التي نشاهدها في هذا العالم وتشير إلى أن هذه التغيرات لابد لها من سبب...».

والآيات لا تدل على أصلهم الفاسد ولا علاقة له بها، وإنما تتضمن الدعوة إلى عبادة الله الخالق وحده، الأمر الذي لا ينكرونه، وإلزامهم بذلك وبطلان الشرك واتخاذ الأنداد مع الله.

(١٩) (ص٧٣-٧٥) عنونا بقولهما : صفات الخالق -جل وعلا-.

ثم قالا : «ظاهرة العمل المتقن تدل على صفة الإتقان لدى من قام به».

وضربا مثلًا بالقصر الجميل المتقن في بنائه، المتقن في هندسته، المتقن في أثاثه وتزيينه، يدل بداهة على أن من هندسه وبناه وأثثه وزينه متقن خبير بالهندسة

حسن الذوق في اختيار الأثاث وتزيين القصور.

وذكرا صفة العلم، والحكمة، والقدرة، والعناية، والتدبير، والهيمنة، والملك، والسمع، والبصر، والرحمة.

ثم قالا: «وهكذا إلى سائر صفات الكمال لله -تبارك وتعالى-، ثم ننظر إلى ما أثبته سبحانه لنفسه من الصفات وما نفى عن نفسه من الصفات فيما أنزل علينا؛ فنثبت له ما أثبت، وننفي عنه ما نفى، وننزهه عن مشابهة خلقه، ونقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾».

ولم يذكرا صفة العلو والنزول وغيرهما من الصفات الخبرية التي تميز السني من المبتدع، والمثبت من المعطل.

وفي الكتاب بلايا لا يتسع الوقت لاستقصائها.

(٢٠) وأخيرًا أكدوا مضامين هذا الكتاب بالإحالة إلى مصادر تزيد الطلاب ضلالًا وتعلقًا بأهل المنهج، الذين يريدون ربط شباب الأمة بهم وبعقائدهم ومناهجهم الفاسدة، وهاكم المصادر المحال عليها (ص٢٦٦):

* «العقيدة الإسلامية وأسسها» عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني.
* «عقيدة المسلم» محمد الغزالي.
* «العقائد الإسلامية» سيد سابق.
* «تعريف عام بدين الإسلام» علي الطنطاوي.
* «نظام الإسلام العقيدة والعبادة» محمد المبارك.
* «الإسلام يتحدى» وحيد الدين خان.
* «الله، الرسول، الإسلام» سعيد حوا.
* «العبادة في الإسلام» يوسف القرضاوي.
* «خلق المسلم» محمد الغزالي.
* «الأخلاق» أحمد أمين.
* «محاضرات في الثقافة الإسلامية» أحمد محمد جمال.

ملاحظات على كتاب الثقافة الإسلاميَّة

المستوى الرابع (٤٠١)

تأليف محمد قطب، والأستاذ محمد المبارك، والأستاذ مصطفى كامل
مراجعة د/ محمد إبراهيم علي، د/ حسين حامد حسان

(١) تحدثوا عن الجاهلية الوجه المقابل للإسلام، فقالوا (ص١٣):

«وكثيرًا ما تخلط الكتب التي نقرؤها بين جوهر الجاهلية ومظاهرها، فتقول في تعريف الجاهلية تلك الجملة المشهورة: كان العرب في الجاهلية يعبدون الأصنام، ويئدون البنات، ويشربون الخمور، ويلعبون الميسر، ويقومون بغارات السلب والنهب، فنهاهم الإسلام عن ذلك.

وهذا كله حق، ولكنه لا يبين الجوهر الحقيقي للجاهلية؛ فقد توجد الجاهلية دون عبادة للأصنام الظاهرة المحسوسة، ودون وأد للبنات، أو شرب الخمر، أو لعب الميسر، أو غارات للسلب والنهب...

إنما هذه كلها مظاهر وجدت في الجاهلية العربية قبل الإسلام، وليس من الضروري أن توجد في كل جاهلية.

بل إن الجاهلية الحديثة المسيطرة على الغرب لتكاد تخلو من هذه المظاهر كلها -فيما عدا الخمر والميسر-، ومع ذلك فهي جاهلية كاملة، بل هي أعتى جاهليات التاريخ».

قلت: سبحان الله! لو قام مجتمع على التوحيد محارب لعبادة الأصنام وما شابهها، وليس فيه شرب للخمر ووأد للبنات... إلخ، يكون مجتمعًا جاهليًا بل أعتى الجاهليات!

وهل الجاهلية المسيطرة على الغرب والشرق خلت فعلًا من عبادة غير الله، ومن هذه المظاهر المذكورة؟!!

وكيف تكون أعتى الجاهليات وهي تكاد تخلو من هذه المظاهر؟!!

أليس عند أهل الغرب عبادة الصلبان والصور والقبور والأحبار والرهبان، وعندهم من الرذائل ما يفوقون فيه جميع الجاهليات، ألم يستعمروا الشعوب ويسلبوا ثرواتهم، ويسفكوا دماءهم، ويستحلوا أعراضهم؟!

(٢) تحدثوا (ص١٦) عن الجاهلية قبل الإسلام وأن الشرك فيها كان قائمًا في جميع صوره وأشكاله مع أنهم يعرفون الله وساقوا بعض الآيات في هذا الصدد، ثم قالوا:

«ولم تكن الأصنام والملائكة والجن هي المعبودات الوحيدة التي يعبدونها من دون الله... بل كانت هناك في الحقيقة أرباب أخرى معبودة ومسيطرة على القلوب أكثر من سيطرة الإله الذي يزعمون عبادته؛ فالقبيلة كانت ربًّا يعبد ويطاع، ولا يجرؤ أحد من أفرادها على المخالفة عن أمرها... بل كان عرف الآباء والأجداد كذلك سلطانًا قاهرًا».

إلى أن قالوا:

«فهذه كلها كانت أربابًا يشرك بها في الاعتقاد وفي الاتباع...» إلخ.

ولمحمد قطب منهم خاصة توسع في إطلاق الآلهة والأرباب على المعاصي والتقاليد والعادات، ولذلك آثاره على طلاب العلم والقراء.

(٣) كما أن هذا المستوى يتضمن تلميع الحركات المخالفة للكتاب والسنة في عقائدها ومناهجها، وكثير من شئونها مثل الطريقة السنوسية الصوفية، والطريقة المهدية الصوفية في السودان، وجماعة الإخوان المسلمون، وجماعة المودودي، وجماعة النورسي التركية الصوفية، وحركة عبد القادر الجزائري الذي كان يحرق كتب شيخ الإسلام ابن تيمية.

ومن أقوال المؤلفين فيهم:

«وقد قامت حركات البعث بتصور الإسلام بشكله الحقيقي وروحه الصحيح الذي اختاره الله للبشر» (ص١٦٤).

وقالوا عن هذه الحركات:

«ما هي إلا صدى لدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب، وامتداد طبيعي لها» (ص١٦٩).

وقالوا عن مبادئ الدعوة السنوسية:

«ككل حركة بعث إسلامية كان هدف الحركة السنوسية هو إنقاذ المسلمين من كل ما ران عليهم من الانحلال الفكري، والثقافي، والاجتماعي، والسياسي، وما أدى إليه من التخلف والضعف والهوان... فكانت مبادئ دعوته هي مطالبة الناس بالعودة إلى صفاء العقيدة، ونداوة الإيمان، والتمسك بروح الإسلام الحقيقية التي هي إخلاص العبودية لله بإفراده وحده بسلطان الألوهية» (ص١٧٠).

وقالوا عن دعوة المهدي:

«ولقد دعا الإمام المهدي إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة ونبذ آراء الرجال...» (ص١٧٣).

وأكدوا هذا المدح في (ص١٧٤) بأنها دعت إلى الرجوع إلى الإسلام، والاستمداد من مصادره النقية وهي الكتاب والسنة وطرح الخلافات والآراء... إلخ.

ومدحوا دعوة الإخوان المسلمين، وذكروا شعاراتهم: الله غايتنا والرسول زعيمنا... إلخ (ص١٧٦).

وقالوا: «دعوة الإخوان دعوة سلفية تأثرت تأثرًا بالغًا بالحركات التي سبقتها، وخاصة الوهابية [هكذا]» (ص١٧٧).

واستمروا في كيل المدح لهذه الجماعة التي جمعت أصنافًا من العقائد والاتجاهات المخالفة للكتاب والسنة ومنهج السلف.

وقالوا عن جماعة المودودي (ص١٧٩):

«هي من أكبر الحركات الإسلامية المعاصرة، قامت على الإدراك السليم لعقيدة التوحيد، وعلى المطالبة الملحة إلى الحكم بكتاب الله وسنة رسوله، والرجوع إلى صفاء الدين بعيدًا عن الشوائب، ولقد أثرت في نشر الوعي الإسلامي وشبه الجزيرة الهندية، ثم انتشر إلى بقية العالم».

وقالوا عن دعوة سعيد النورسي (ص١٧٩):

«وهي صيحة عالية للإسلام في تركيا، وإن كان يغلب عليها الجانب الصوفي والطريقة النقشبندية مع إدراك واعٍ للإسلام وللجو المحيط به».

قلت: ومعلوم أن الطريقة النقشبندية تقوم على الحلول ووحدة الوجود والشرك، ولم يذكروا شيئًا من سلبيات دعوة الإخوان ولا المودودي، ولا غيرهما من الدعوات التي اعتبروها امتدادًا لدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب.

وقد اشتمل عرضهم لهذه الجماعات أو الفرق على المغالطات وتلبيسات تضر كثيرًا بالطلاب والقراء، وهذا ينافي النصيحة لله ولكتابه ولرسوله وللمؤمنين.

وفيها ظلم للإمام محمد ودعوته؛ حيث اعتبروا هذه الدعوات امتدادًا لها.

ومع الأسف فإنهم لم يذكروا أهل الحديث في الهند، وباكستان، وشرق آسيا، ولا أنصار السنة في مصر والسودان التي هي الامتداد حقًّا لدعوة الإمام محمد رَحِمَهُ اللَّهُ.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

نظرة سيد قطب

إلى أصحاب رسول الله ﷺ

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقًا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه باطنًا وظاهرًا، ووالى أصحاب محمد ﷺ باطنًا وظاهرًا، وذب عنهم ابتغاء رضاه.

أما بعد:

فإن لأصحاب محمد ﷺ منزلةً عظيمة، ومكانة رفيعة قررها الله -تبارك وتعالى- في كتبه التي أنزلها الله لهداية البشر، وعلى ألسنة رسله الذين كلفوا بتبليغ تلك الرسالات المتضمنة لهذه الهداية.

قال الله: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال في حقهم: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠].

وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وأثنى عليهم رسوله ﷺ عاطر الثناء؛ فقال ﷺ: «خير الناس: قرني، ثم الذين

يَلُونَهم، ثم الذين يَلُونهم . . .» الحديث.

وقال ﷺ: «لا تسبوا أصحابي؛ فو الذي نفسي بيده لو أنفقَ أحدُكم مثلَ أُحُدٍ ذهبا ما بَلَغَ مُدَّ أحدِهم ولا نَصِيفَه».

ولقد وعى أسلافنا الصالحون هذه الحقائق الكبيرة، وهذه المنزلة العظيمة لهؤلاء الأخيار: سادة هذه الأمة وقادتها وأئمتها في العلم، والجهاد، والعبادة، والأخلاق، والصدق في كل شأن، في الأخبار، وتبليغ هذا الدين، والعمل به، والدعوة إليه، والجهاد في نشره وإعلائه على الأديان كلها.

وعى أسلافُنا الصالحون هذه الحقائق والمنازل الرفيعة لهؤلاء الأمجاد الأكرمين، واستقر هذا الوعي في قلوبهم؛ فدانوا به، وربوا الأمةَ عليه، وألفوا في فضائل هؤلاء الصحب الكرام المؤلفات.

وتلقى ذلك عنهم الأجيالُ جيلًا بعد جيل، لا يخالفهم في هذا المنهج إلا من خذله اللّٰه، فلم يرفع رأسًا بما قرره القرآن والكتب قبله، ولا بما قرره الرسول ﷺ ثم خيار أمته.

ولإيماننا بهذه المنزلة الرفيعة لهؤلاء السادة الأخيار سادة الأمة رأينا أن حتمًا علينا أن نشيد بفضلهم وبمكانتهم، وأن نذب عن حياضهم، ونحمي أعراضهم، وأن نفديهم بمهجنا وأعراضنا وأموالنا رخيصة لا نخشى في اللّٰه لومة لائم.

ونرى أن حبهم وولاءهم أصلٌ عظيم من أصول دين اللّٰه، وأن بغضهم والطعن في دينهم وعدالتهم كفر كما قرر ذلك علماء الإسلام؛ لأن الطعنَ في دينهم وعدالتهم طعنٌ فيمن بلغنا ديننا قرآنًا وسنة.

فعلى من يحامي عن من طعن فيهم أن يعيَ هذه الحقائق، ويحسب لهذا الأمر العظيم ألفَ حساب، وأن يفكر أين يضع قدمَه في الإسلام قبل أن يخوض في الدفاع عن من يطعن في هؤلاء المختارين لصحبة أفضل الرسل وتبليغ هذا الدين العظيم.

وعليه أن يدرك خطورة هذا الأمر وصعوبته، وعليه أن يرفض التبريرات والتأويلات الباطلة، وعلى الأمة جمعاء خاصة شبابها أن يدركوا ذلك.

وفي الصحائف التالية سردٌ أمينٌ لِمَا سجله سيد قطب في كتابه «العدالة الاجتماعية في الإسلام»، و«كتب وشخصيات» من طعون لا يطيقُها مَن شم رائحةَ الإسلام، ولا من في قلبه شيءٌ من الاحترام لهؤلاء الصحب الكرام، في كتاب «العدالة» الذي استمر مؤلفه في طبعه والاعتداد به إلى أن مات، واستمر أولياؤه وأنصاره في نشره بدون أي مبالاة إلى يومنا هذا؛ فأين المسلمون؟

وكيف ينامون تجاه هذا الهوان الذي نزل بأصحاب محمدٍ ﷺ منذ ألف هذا الكتاب من قبل خمسين عامًا إلى يومنا هذا؟

وأين شباب الإسلام بوجهٍ خاص وأخص؟

كيف تحمى الأنوف لمن يهين كرامة أصحاب محمد ﷺ ولا تحمى تلك الأنوف لأصحاب محمدٍ ﷺ؟

أيا معشر المسلمين والعلماء وطلاب العلم شيبًا وشبابًا، كيف يستمر هذا المنكر الفظيع عقودًا من السنين، يروجُ له في أوساطكم بكل هدوء وطمأنينة، ويحاط مرتكبُه بالإجلال والتعظيم والتفخيم؟

اللهم إني أتقربُ إليك بحب أصحاب محمد ﷺ، والغيرة الإسلامية لهم، وأتقربُ إليك بالبراءة ممن يطعنُ فيهم، واغفر لي التقصير في حقك وحقهم، ووفق المسلمين للقيام بحقوقك وحقوقهم، إنك سميعٌ بصير، وعلى كل شيءٍ قدير.

* * *

إساءات عديدة وجهها سيد قطب ضد عثمان منها ما يتعلق بشخصيته ومنها ما يطعن في عدالته وحكمه كإغداق الأموال والولايات على أقاربه وكلها باطلة ظالمة

قال سيد قطب في كتابه «العدالة الاجتماعية» (ص١٥٩):

«هذا التصور لحقيقة الحكم قد تغير شيئًا ما دون شك على عهد عثمان -وإن بقي في سياج الإسلام-؛ لقد أدركت الخلافة عثمان وهو شيخ كبير، ومن ورائه مروان بن الحكم يصرف الأمر بكثير من الانحراف عن الإسلام.

كما أن طبيعة عثمان الرخية، وحدبه الشديد على أهله، قد ساهم كلاهما في صدور تصرفات أنكرها الكثيرون من الصحابة من حوله، وكانت لها معقبات كثيرة، وآثار في الفتنة التي عانى الإسلام منها كثيرًا.

منح عثمان من بيت المال زوج ابنته الحارث بن الحكم يوم عرسه مائتي ألف درهم، فلما أصبح الصباح جاءه زيد بن أرقم خازن مال المسلمين وقد بدا في وجهه الحزن وترقرقت في عينه الدموع، فسأله أن يعفيه من عمله؛ ولما علم منه السبب وعرف أنه عطيته لصهره من مال المسلمين، قال مستغربًا: أتبكي يا ابن أرقم أن وصلت رحمي؟

فرد الرجل الذي يستشعر روح الإسلام المرهف: لا يا أمير المؤمنين، ولكن أبكي لأني أظنك أخذت هذا المال عوضًا عما كنت أنفقته في سبيل الله في حياة رسول الله، والله لو أعطيته مائة درهم لكان كثيرًا!

فغضب عثمان على الرجل الذي لا يطيق ضميره هذه التوسعة من مال المسلمين على أقارب خليفة المسلمين وقال له: ألقِ المفاتيح يا ابن أرقم؛ فإنا سنجد غيرك!

والأمثلة كثيرة في سيرة عثمان على هذه التوسعات؛ فقد منح الزبير ذات يوم

ستمائة ألف، ومنح طلحة مائتي ألف، ونفل مروان بن الحكم خمس خراج إفريقية.

ولقد عاتبه في ذلك ناس من الصحابة على رأسهم علي بن أبي طالب، فأجاب: إن لي قرابة ورحمًا. فأنكروا عليه وسألوه: فما كان لأبي بكر وعمر قرابة ورحم؟ فقال: إن أبا بكر وعمر كان يحتسبان في منع قرابتهما، وأنا أحتسب في إعطاء قرابتي. فقاموا عنه غاضبين يقولون: فهديهما والله أحب إلينا من هديك.

وغير المال كانت الولايات تغدق على الولاة من قرابة عثمان، وفيهم معاوية الذي وسع عليه في الملك فضم إليه فلسطين وحمص؛ وجمع له قيادة الأجناد الأربعة ومهد له بعد ذلك أن يطلب الملك في خلافة علي وقد جمع المال والأجناد.

وفيهم الحكم بن العاص طريد رسول الله الذي آواه عثمان وجعل ابنه مروان بن الحكم وزيره المتصرف.

وفيهم عبد الله بن سعد بن أبي السرح أخوه من الرضاعة... »إلخ. اهـ كلامه.

ونقول: إنه لا يثبت شيء من هذه الدعاوى الظالمة.

* * *

الثورة على عثمان فورة من روح الإسلام ويلعب به مروان وصار عثمان سيقة لمروان يسوقه حيث شاء

وقال أيضًا في (ص١٦٠-١٦١):

«وأخيرًا ثارت الثائرة على عثمان، واختلط فيها الحق والباطل، والخير والشر، ولكن لابد لمن ينظر إلى الأمور بعين الإسلام، ويستشعر الأمور بروح الإسلام، أن يقرر أن تلك الثورة في عمومها كانت فورة من روح الإسلام؛ وذلك دون إغفال لما كان وراءها من كيد اليهودي ابن سبأ عليه لعنة الله!

واعتذارنا لعثمان ﷺ: أن الخلافة قد جاءت إليه متأخرة، فكانت العصبة الأموية حوله وهو يدلف إلى الثمانين، فكان موقفه كما وصفه صاحبه علي بن أبي طالب: إني إن قعدت في بيتي قال: تركتني وقرابتي وحقي؛ وإن تكلمت فجاء ما يريد، يلعب به مروان، فصار سيقة له يسوقه حيث شاء، بعد كبر سنه وصحبته لرسول الله ﷺ». اهـ

هؤلاء الثوار الذين يمدحهم سيد قطب قال رسول الله ﷺ فيهم أنهم منافقون، فبكلام من نأخذ؟!

* * *

اتهام عثمان بأنه باكر الدين الناشئ بالتمكين منه للعصبة الأموية

وقال أيضًا (ص١٦١):

«ولقد كان من جراء مباكرة الدين الناشئ بالتمكين منه للعصبة الأموية على يدي الخليفة الثالث في كبرته: أن تقاليده العملية لم تتأصل على أسس من تعاليمه النظرية لفترة أطول.

وقد نشأ عن عهد عثمان الطويل في الخلافة أن تنمو السلطة الأموية ويستفحل أمرها في الشام وفي غير الشام؛ وأن تتضخم الثروات نتيجة لسياسة عثمان -كما سيجيء-، وأن تخلخل الثورة على عثمان بناء الأمة الإسلامية في وقت مبكر شديد التبكير.

ومع كل ما يحمله تاريخ هذه الفترة وأحداثها من أمجاد لهذا الدين، تكشف عن نقلة بعيدة جدًا في تصور الناس للحياة والحكم، وحقوق الأمراء وحقوق الرعية، إلا أن الفتنة التي وقعت لا يمكن التقليل من خطرها وآثارها البعيدة المدى».

* * *

خلف عثمان الدولة الأموية قائمة بالفعل بفضل ما مكن لها في الأرض بتمكينه للمبادئ الأموية المجافية لروح الإسلام

قال سيد قطب (ص١٦١):

«مضى عثمان إلى رحمة ربه، وقد خلف الدولة الأموية قائمة بالفعل بفضل ما مكن لها في الأرض، وبخاصة في الشام، وبفضل ما مكن للمبادئ الأموية المجافية لروح الإسلام، من إقامة الملك الوراثي والاستئثار بالمغانم والأموال والمنافع، مما أحدث خلخلة في الروح الإسلامي العام.

وليس بالقليل ما يشيع في نفس الرعية: إن حقًا وإن باطلًا أن الخليفة يؤثر أهله، ويمنحهم مئات الألوف، ويعزل أصحاب رسول الله ليولي أعداء رسول الله، ويبعد مثل أبي ذر لأنه أنكر كنز الأموال، وأنكر الترف الذي يخب فيه الأثرياء، ودعا إلى مثل ما كان يدعو إليه الرسول ﷺ من الإنفاق والبر والتعفف..

فإن النتيجة الطبيعية لشيوع مثل هذه الأفكار: إن حقًا وإن باطلًا أن تثور النفوس، وأن تنحل نفوس، تثور الذين أشربت نفوسهم روح الدين إنكارًا وتأثمًا، وتنحل نفوس الذين لبسوا الإسلام رداء، ولم تخالط بشاشته قلوبهم، والذين تجرفهم مطامع الدنيا، ويرون الانحدار مع التيار، وهذا كله قد كان في أواخر عهد عثمان».

* * *

غلوه في علي وتصديقه لروايات سخيفة، وزعمه أن عليًا يرد للحكم صورته كما صاغها النبي ﷺ والخليفتين بعده، أي أن عثمان هدم أو شوه صورة الحكم

قال سيد قطب (ص١٦١-١٦٢):

«جاء علي -كرم الله وجهه- لم يكن من اليسر أن يرد الأمر إلى نصابه في هوادة، وقد علم المستنفعون على عهد عثمان وبخاصة من أمية أن عليًا لن يسكت عليهم، فانحازوا بطبيعتهم إلى معاوية وبمصالحهم إلى معاوية، جاء علي ليرد التصور الإسلامي للحكم إلى نفوس الحكام ونفوس الناس.

جاء ليأكل الشعير تطحنه امرأته بيديها، ويختم هو على جراب الشعير ويقول: لا أحب أن يدخل بطني إلا ما أعلم.

وربما باع سيفه ليشتري بثمنه الكساء والطعام، وكره أن ينزل القصر الأبيض بالكوفة مؤثرًا عليه الخصاص التي يسكنها الفقراء.

جاء ليعيش كما روى عنه النضر ابن منصور عن عقبة بن علقمة قال: دخلت على عليٍّ ﷺ، فإذا بين يديه لبن حامض آذتني حموضته، وكسر يابسة. فقلت: يا أمير المؤمنين، أتأكل مثل هذا؟ فقال لي: (يا أبا الجنوب، كان رسول الله يأكل أيبس من هذا ويلبس أخشن من هذا، وأشار إلى ثيابه؛ فإن لم آخذ بما أخذ به خفت ألا ألحق به).

أو كما روى عنه هارون بن عنترة عن أبيه قال: دخلت على عليٍّ بالخورنق، وهو فصل شتاء، وعليه خلق قطيفة وهو يرعد فيه. فقلت يا أمير المؤمنين، إن الله قد جعل لك ولأهلك في هذا المال نصيبًا، وأنت تفعل هذا بنفسك؟ فقال: (والله ما أرزؤكم شيئًا، وما هي إلا قطيفتي التي أخرجتها من المدينة).

وما يصنع عليٌّ هذا بنفسه وأهله وهو يجهل أن الدين يبيح له فوق ما يصنع،

وأنه لا يحتم التزهد والحرمان والشظف، وأن حظه من بيت المال في ذلك الحين كفرد من المسلمين يبلغ أضعاف ما يأخذ، وأن راتبه كأمير المؤمنين يؤدي خدمة عامة أكبر من هذا لو شاء أن يأخذ مثلما خصصه عمر لبعض ولاته على الأقاليم.

إذ قدر لعمار بن ياسر حين ولاه الكوفة ستمائة درهم في الشهر له ولمساعديه، يزاد عليها عطاؤه الذي يوزع عليه كما توزع الأعطية على نظرائه، ونصف شاة ونصف جريب من الدقيق.

كما قدر لعبد الله بن مسعود مائة درهم وربع شاة لتعليمه الناس بالكوفة وقيامه على بيت المال فيها، ولعثمان بن حنيف مائة وخمسين درهمًا وربع شاة في اليوم مع عطائه السنوي وهو خمسة آلاف درهم...

ما يصنع علي بنفسه ما صنع وهو يجهل هذا كله، إنما كان يعلم أن الحاكم مظنة وقدوة، مظنة التبحبح بالمال العام إذ كان تحت سلطانه، وقدوة الولاة والرعية في التحرج والتعفف.

فأخذ نفسه بعزائم أبي بكر وعمر في هذا الأمر؛ فالأفق الأعلى كان هو الأحرى بخلفاء رسول الله على دين الله، وسار علي -كرم الله وجهه- في طريقه يرد للحكم صورته كما صاغها النبي ﷺ والخليفتان بعده...».

انظر إلى هذه العقلية التي تقبل هذه الخرافات الرافضية وإلى تعليقه عليها مؤيدًا لها، وهي تصور عليًا -مع الأسف- في صورة راهب غال أو صوفي محترق!

لقد كان لعلي الأموال والأراضي الكثيرة والزوجات والسراري والأولاد والخدم والحشم في كفره من اخوانه من أغنياء الصحابة لم يخرجوا عن حدود ما أباحه الله لهم.

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الأعراف: ٣٢]. وراجع كتاب: «مطاعن سيد قطب في أصحاب رسول الله ﷺ».

* * *

خطبة كُذبت على عليٍّ رضي الله عنه فيها مصادرات لكل أعطيات عثمان وفيها رمي للناس بأنهم نفعيون ودعوى لعلي أنه يرد للدين روحه التي ذهبت في عهد عثمان

قال سيد قطب (ص١٦٣-١٦٤):

«ولقد كان منهاجه الذي شرعه هو ما قاله في خطبته عقب البيعة له:

(أيها الناس، إنما أنا رجل منكم، لي ما لكم، وعلي ما عليكم، وإني حاملكم على منهج نبيكم ومنفذ فيكم ما أمرت به...

ألا إن كل قطيعة أقطعها عثمان، وكل مال أعطاه من مال الله، فهو مردود في بيت المال؛ فإن الحق لا يبطله شيء، ولو وجدته قد تزوج به النساء، وملك الإماء، وفرق في البلدان لرددته؛ فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه الحق فالجور عليه أضيق.

أيها الناس، ألا لا يقولن رجال منكم غدًا -قد غمرتهم الدنيا فامتلكوا العقار، وفجروا الأنهار، وركبوا الخيل، واتخذوا الوصائف المرققة- إذا ما منعتهم ما كانوا يخوضون فيه، وأصرتهم إلى الحقوق التي يعلمون: حرمنا ابن أبي طالب حقوقنا.

ألا وأيما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله يرى أن الفضل له على سواه بصحبته، فإن الفضل غدًا عند الله وثوابه وأجره على الله.

ألا وأيما رجل استجاب لله ولرسوله، فصدق ملتنا ودخل ديننا واستقبل قبلتنا، فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده، فأنتم عباد الله، والمال مال الله، يقسم بينكم بالسوية ولا فضل فيه لأحد على أحد، وللمتقين عند الله أحسن الجزاء).

ولقد كان من الطبيعي ألا يرضى المستفعون عن علي، وألا يقنع بشرعة

المساواة من اعتادوا التفضيل، ومن مردوا على الاستئثار، فانحاز هؤلاء في النهاية إلى المعسكر الآخر: معسكر أمية، حيث يجدون فيه تحقيقًا لأطماعهم على حساب العدل والحق اللذين يصر عليهما علي ﷺ هذا الإصرار!

والذين يرون في معاوية دهاء وبراعة لا يرونهما في علي، ويعزون إليهما غلبة معاوية في النهاية، إنما يخطئون تقدير الظروف، كما يخطئون فهم علي وواجبه.

لقد كان واجب علي الأول والأخير: أن يرد للتقاليد الإسلامية قوتها، وأن يرد إلى الدين روحه، وأن يجلو الغاشية التي غشت هذا الروح على أيدي بني أمية في كبرة عثمان.

ولو جارى وسائل بني أمية في المعركة لبطلت مهمته الحقيقية؛ ولما مان لظفره بالخلافة خالصة من قيمة في حياة هذا الدين.

إن عليًا إما أن يكون عليًا، أو فلتذهب الخلافة عنه، بل فلتذهب حياته معها، وهذا هو الفهم الصحيح الذي لم يغب عنه -كرم الله وجهه- وهو يقول -فيما روي عنه إن صحت الرواية-: والله ما معاوية بأدهى مني ولكنه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس».

* * *

حديث ظالم عن عهد بني أمية وبني العباس على طريقة الروافض والخوارج

وقال (ص١٦٤-١٦٥):

« ومضى علي إلى رحمة ربه وجاء بنو أمية.

فلئن كان إيمان عثمان وورعه ورقته، كانت تقف حاجزًا أمام بني أمية... لقد انهار هذا الحاجز... وانفتح الطريق للانحراف.

لقد اتسعت رقعة الإسلام فيما بعد، ولكن روحه انحسرت بلا جدال، ولولا قوة كامنة في طبيعة هذا الدين، وفيض عارم في طاقته الروحية، لكانت أيام أمية كفيلة بتغيير مجراه الأصيل، ولكن روحه ظلت تقاوم وتغالب وما تزال فيها الطاقة الكامنة للتغلب والانتصار.

غير أنه منذ أمية انساحت حدود بيت مال المسلمين، فصار نهبًا مباحًا للملوك والحاشية والمتملقين، وتخلخلت قواعد العدل الإسلامي الصارم، فأصبح للطبقة الحاكمة امتيازات ولأذيالها منافع ولحاشيتها رسوم، وانقلبت الخلافة ملكًا وملكًا عضوضًا، كما قال عنه رسول الله ﷺ في وثبة من وثبات الاستشفاف الروحي العميق.

وعدنا نسمع عن الهبات للمتملقين والملهين والمطربين، فيهب أحد ملوك أمية اثني عشر ألف دينار لمعبد، ويهب هارون الرشيد من ملوك العباسيين إسماعيل بن جامع المغني في صوت واحد أربعة آلاف دينار، ومنزلًا نفيس الأثاث والرياش... وتنطلق الموجة في طريقها لا تقف إلا فترة بين الحين والحين.

ولابد أن نذكر هنا عهد عمر بن عبد العزيز ؓ؛ فقد كان بقية من عهد الخلافة، وإشعاعة مضيئة تنير الطريق، لقد بدأ عهده برد الحكم المغصوب إلى صاحب الحق الأول فيه: إلى الأمة المسلمة، التي يجب أن تختار إمامها حرة طائعة مختارة، لا بقوة الجند، ولا بسلطان الوراثة...

صعد المنبر فقال: (أيها الناس، إني قد ابتليت بهذا الأمر عن غير رأي كان مني فيه، ولا طلبة له، ولا مشورة من المسلمين، وإني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي فاختاروا لأنفسكم) فصاح الناس قد اخترناك يا أمير المؤمنين، ورضينا بك، فلِ الأمر باليمن والبركة.

وبذلك رد الأمر إلى نصابه في ولاية الأمر، فلا ولاية بغير شورى ورضا وقبول.

عندئذٍ خطب الناس فقال: (أيها الناس، إنه قد كان قبلي ولاة تجترون مودتهم بأن تدفعوا بذلك ظلمهم عنكم، ألا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، من أطاع الله وجبت طاعته، ومن عصى الله فلا طاعة له، أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم).

وحينما باشر سلطته بدأ برد المظالم، مبتدئًا بنفسه».

ثم ساق روايات لا تثبت، ومنشئوها والله أعلم الروافض.

* * *

سرده لخطب منسوبة كذبًا لمعاوية والمنصور لا يصدقها إلا الروافض وأمثالهم

قال سيد في (ص١٦٧-١٦٨):

«وإذا كنا لا نؤرخ هنا للدولة الإسلامية، ولكن الروح الإسلامي في الحكم، فإننا نكتفي في إبراز مظاهر التحول والإنحسار بإثبات ثلاث خطب من عهد الملوك، وبموازنتها بالخطب الثلاث التي سبقت في عهد الخلفاء يتبين الفارق العميق.

خطب معاوية في أهل الكوفة بعد الصلح فقال: (يا أهل الكوفة، أتراني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج، وقد علمت أنكم تصلون، وتزكون وتحجون؟ ولكني قاتلتكم لأتأمرعليكم وعلى رقابكم، وقد آتاني الله ذلك، وأنتم كارهون.

ألا إن كل مال أو دم أصيب في هذه الفتنة فمطلول، وكل شرط شرطته، فتحت قدمي هاتين).

وخطب كذلك في أهل المدينة فقال: (أما بعد، فإني والله ما وليتها بمحبة علمتها منكم، ولا مسرة بولايتي، ولكني جالدتكم بسيفي هذا مجالدة، ولقد رضت لكم نفسي على عمل ابن أبي قحافة، وأردتها على عمل عمر، فنفرت نفارًا شديدًا، وأردتها على سنيات عثمان، فأبت علي، فسلكت بها طريقًا لي ولكم فيه منفعة، مؤاكلة حسنة، ومشاربة جميلة، فإن لم تجدوني خيركم، فإني خير لكم ولاية . . .).

وخطب المنصور العباسي، وقد فعلت الموجة الأموية فعلها في تصور الحكم حتى انتهت به أيام العباسيين إلى نظرية الحق الإلهي المقدس التي لا يعرفها الإسلام فقال: (أيها الناس، إنما أنا سلطان الله في أرضه، أسوسكم بتوفيقه وتأييده، وحارسه على ماله، أعمل فيه بمشيئته وإرادته، وأعطيه بإذنه فقد جعلني الله عليه قفلًا، إن شاء أن يفتحني فتحني لإعطائكم وقسم أرزاقكم، وإن شاء أن يقفلني عليه أقفلني)!

وبذلك خرجت سياسة الحكم نهائيًا من دائرة الإسلام وتعاليم الإسلام.

فأما سياسة المال فكانت تبعًا لسياسة الحكم، وفرعًا عن تصور الحكام لطبيعة الحكم وطريقته، ولحق الراعي والرعية.

فأما في حياة محمد ﷺ وصاحبيه وفي خلافة علي بن أبي طالب، فكانت النظرة السائدة هي النظرة الإسلامية وهي أن المال العام مال الجماعة، ولا حق للحاكم بنفسه أو بقرابته أن يأخذ منه شيئًا إلا بحقه، ولا أن يعطي أحدًا منه إلا بقدر ما يستحق، شأنه شأن الآخرين.

وأما حين انحرف هذا التصور قليلًا في عهد عثمان، فقد بقيت للناس حقوقهم، وفهم الخليفة أنه في حل وقد اتسع المال عن المقررات للناس أن يطلق فيه يده يبر أهله ومن يرى من غيرهم حسب تقديره.

وأما حين صار الحكم إلى الملك العضوض فقد انهارت الحدود والقيود، وأصبح الحاكم مطلق اليد في المنع والمنح، بالحق في أحيان قليلة وبالباطل في سائر الأحيان، واتسع مال المسلمين لترف الحكام وأبنائهم وحاشيتهم ومملقيهم إلى غير حد، وخرج الحكام بذلك نهائيًا من كل حدود الإسلام في المال».

* * *

غلوه في علي وإسقاطه لخلافة عثمان وأنها كانت فجوة بين الخليفتين قبله وعلي بعده

قال سيد في (ص١٧٢-١٧٣):

«هما رأيان إذن في تقسيم المال: رأي أبي بكر ورأي عمر، وقد كان لرأي عمر ﷺ سنده: لا أجعل من قاتل رسول الله ﷺ كمن قاتل معه و....

فالرجل وبلاؤه في الإسلام....

ولهذا الرأي أصل في الإسلام وهو التعادل بين الجهد والجزاء

وكان لرأي أبي بكر ﷺ سنده كذلك: إنما أسلموا لله وعليه أجرهم، يوفيهم ذلك يوم القيامة، وإنما هذه الدنيا بلاغ.

ولكننا لا نتردد في اختيار رأي أبي بكر إذ كان أقمن أن يحقق المساواة بين المسلمين، وهي أصل كبير من أصول هذا الدين وأحرى ألا ينتج النتائج الخطرة التي نتجت عن هذا التفاوت، من تضخم ثروات فريق من الناس.

وتزايد هذا التضخم عامًا بعد عام بالاستثمار والمعروف اقتصاديًا أن زيادة الربح تتناسب إلى حد بعيد مع زيادة رأس المال هذه النتائج التي رآها عمر في آخر أيام حياته، فآلى لئن جاء عليه العام ليسوين في الأعطيات، وقال قولته المشهورة: (لو استقبلت من أمري ما استدبرت لأخذت من الأغنياء فضول أموالهم فرددتها على الفقراء)!

ولكن واأسفاه! لقد فات الأوان، وسبقت الأيام عمر، ووقعت النتائج المؤلمة التي أودت بالتوازن في المجتمع الإسلامي، كما أدت فيما بعد إلى الفتنة، بما أضيف إليها من تصرف مروان وإقرار عثمان!

رجع عمر عن رأيه في التفرقة بين المسلمين في العطاء، حينما رأى نتائجه الخطرة، إلى رأي أبي بكر.

وكذلك جاء رأي علي مطابقًا لرأي الخليفة الأول، ونحن نميل إلى اعتبار

خلافة علي رضي الله عنه امتدادًا طبيعيًّا لخلافة الشيخين قبله.

وأن عهد عثمان الذي تحكم فيه مروان كان فجوة بينهما، لذلك نتابع الحديث عن عهد علي ثم نعود للحديث عن الحالة في أيام عثمان.

اختار علي مبدأ المساواة في العطاء، وقد نص عليه في خطبته الأولى حيث قال: (ألا وأيما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله يرى أن الفضل له على سواه بصحبته، فإن الفضل غدًا عند الله، وثوابه وأجره على الله.

ألا وأيما رجل استجاب لله ولرسوله، فصدق ملتنا، ودخل ديننا، واستقبل قبلتنا، فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده.

فأنتم عباد الله، والمال مال الله، يقسم بينكم بالسوية، ولا فضل فيه لأحد على أحد، وللمتقين عند الله أحسن الجزاء).

هذا هو المبدأ الإسلامي السليم الذي يتفق مع روح المساواة الإسلامية، ويكفل للمجتمع الإسلامي التوازن، فلا يدع الثروات تتضخم إلا بقدر الجهد والعمل وحدهما، لا بفضل إتاحة فرصة لا تتاح للآخرين، بوجود وفر من المال للعمل فيه أكبر مما لدى الآخرين.

وقد كان عمر آخر أيامه على أن يفيء إلى هذا المبدأ، ولكنه عوجل فاستشهد ولم ينفذ عزيمته التي اعتزم، بل عزيمتيه - عزيمته في أن يأخذ فضول أموال الأغنياء فيردها على الفقراء، إذ كانت هذه الفضول قد نشأت في الأغلب من تفريقه في العطاء، وعزيمته في أن يسوي بينهم في العطاء فلا تعود هذه الفوارق إلى الظهور كما ظهرت، ولا يختل المجتمع الإسلامي كما بدأ يختل».

* * *

طعنه في عثمان وافتراؤه عليه من منطلق اشتراكي وطعنه في سادة قريش

قال في (ص١٧٣):

«وجاء عثمان ﷺ فلم ير أن يأخذ بالعزيمتين أو إحداهما... ترك الفضول لأصحابها فلم يردها، وترك الأعطيات كذلك على تفاوتها.

ولكن هذا لم يكن كل ما كان، بل وسَّع أولًا على الناس في العطاء فازداد الغني غنى، وربما تبحبح الفقير قليلًا، ثم جعل يمنح المنح الضخمة لمن لا تنقصهم الثروة.

ثم أباح لقريش أن تضرب في الأرض تتاجر بأموالها المكدسة، فتزيدها أضعافًا مضاعفة.

ثم أباح للأثرياء أن يقتنوا الضياع والدور في السواد وغير السواد، فإذا نوع من الفوارق المالية الضخمة يسود المجتمع الإسلامي في نهاية عهده يرحمه الله.

كان أبو بكر وكان عمر من بعده يتشددان في إمساك الجماعة من رءوس قريش بالمدينة، لا يدعونهم يضربون في الأرض المفتوحة، احتياطًا لأن تمتد أبصار هؤلاء الرءوس إلى المال والسلطان، حين تجتمع إليهم الأنصار بحكم قرابتهم من رسول الله، أو بحكم بلائهم في الإسلام وسابقتهم في الجهاد.

وما كان في هذا افتيات على الحرية الشخصية كما يفهمها الإسلام، فهذه الحرية محدودة بمصلحة الجماعة والنصح لها.

فلما جاء عثمان أباح لهم أن يضربوا في الأرض، ولم يبح لهم هذا وحده، بل يسر لهم وحضهم على توظيف أموالهم في الدور والضياع في الأقاليم، بعد ما آتى بعضهم من الهبات مئات الآلاف.

لقد كان ذلك كله برًا ورحمة بالمسلمين وبكبارهم خاصة، ولكنه أنشأ خطرًا عظيمًا لم يكن خافيًا على فطنة أبي بكر، وفطنة عمر بعده.

أنشأ الفوارق المالية والاجتماعية الضخمة في الجماعة الإسلامية، كما أنشأ طبقة تأتيها أرزاقها من كل مكان دون كدٍّ ولا تعب، فكان الترف الذي حاربه الإسلام بنصوصه وتوجيهاته، كما حاربه الخليفتان قبل عثمان، وحرصا على ألا يتبحاه».

* * *

مدحه للثوار على عثمان، وافتراؤه على أبي ذر أنه منهم وسرد خطبة ثورية له وطعن في عثمان وبني أمية ومن يسميهم بالمترفين من كبار الصحابة

قال سيد في (ص١٧٤-١٧٥):

«عندئذٍ ثار الروح الإسلامي في نفوس بعض المسلمين، يمثلهم أشدهم حرارة وثورة أبو ذر.

ذلك الصحابي الجليل الذي لم تجد هيئة الفتوى المصرية في الزمن الأخير إلا أن تخطئه في اتجاهه، وإلا أن تزعم لنفسها بصرًا بالدين أكثر من بصره بدينه!

ثم عادت في مناسبة أخرى فأصدرت فتوى بصواب اتجاهه، عندما تغيرت الظروف الأولى! كأن دين الله سلعة تتجر بها الهيئة في سوق الرغبات.

قام أبو ذر ينكر على المترفين ترفهم الذي لا يعرفه الإسلام، وينكر على معاوية وأمية خاصة سياستهم التي تقر هذا الترف، وتستزيد منه، وتتمرغ فيه، وينكر على عثمان نفسه أن يهب من بيت المال المئات والألوف، فيزيد في ثراء المثرين وترف المترفين.

علم أن عثمان أعطى مروان بن الحكم خمس خراج إفريقية، والحارث بن الحكم مائتي ألف درهم، وزيد بن ثابت مائة ألف... وما كان ضمير أبي ذر ليطيق شيئًا من ذلك كله.

فانطلق يخطب في الناس: (لقد حدثت أعمال ما أعرفها، والله ما هي في كتاب الله ولا سنة نبيه، والله إني لأرى حقًا يطفأ، وباطلًا يحيا، وصادقًا مكذبًا، وأثرة بغير تقى...

يا معشر الأغنياء واسوا الفقراء، وبشر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بمكاوٍ من نار، تكوى بها جباههم وجنوبهم

وظهورهم...

يا كانز المال اعلم أن في المال ثلاثة شركاء: القدر لا يستأمرك أن يذهب بخيرها أو شرها من هلاك أو موت، والوارث ينتظر أن تضع رأسك ثم يستاقها، وأنت ذميم، وأنت الثالث، إن استطعت ألا تكون أعجز الثلاثة فلا تكونن..

إن الله ﷻ يقول: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

اتخذتم ستور الحرير، ونضائد الديباج، وتألمتم الاضطجاع على الصوف الأذربي، وكان رسول الله ينام على الحصير، واختلف عليكم بألوان الطعام، وكان رسول الله لا يشبع من خبز الشعير).

وروى مالك بن عبد الله الزيادي عن أبي ذر أنه جاء يستأذن على عثمان بن عفان، فأذن له وبيده عصاه. فقال عثمان: يا كعب، إن عبد الرحمن توفي وترك مالًا، فما ترى فيه؟ فقال: إن كان يصل فيه حق الله فلا بأس عليه.

فرفع أبو ذر عصاه فضرب كعبًا وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما أحب لو أن لي هذا الجبل ذهبًا أنفقه ويتقبل مني، أذر خلفي منه ست أواق».

أنشدك الله يا عثمان أسمعته؟ ثلاث مرات قال: نعم.

وما كانت مثل هذه الدعوة ليطيقها معاوية، ولا ليطيقها مروان بن الحكم، فما زالا به عند عثمان يحرضانه عليه حتى كان مصيره إلى الربذة منفيًا من الأرض في غير حرب لله ولرسوله، وفي غير سعي في الأرض بالفساد كما تقول شريعة الإسلام!

* * *

يرى سيد قطب أن سياسة عثمان أدت إلى تفريق الجماعة الإسلامية طبقات وإلى تحطيم الأسس التي جاء بها هذا الدين يرافق ذلك طعن في أعيان الصحابة

قال سيد في (ص١٧٥-١٧٦):

«لقد كانت هذه الصيحة يقظة ضمير مسلم لم تخدره الأطماع، أمام تضخم فاحش في الثروات، يفرق الجماعة الإسلامية طبقات، ويحطم الأسس التي جاء هذا الدين ليقيمها بين الناس.

ويحسبنا أن نعرض هنا نموذجًا للثروات الضخام أورده المسعودي، قال: (في أيام عثمان اقتنى الصحابة الضياع والمال؛ فكان لعثمان يوم قُتل عند خازنه خمسون ومائة ألف دينار وألف ألف درهم، وقيمة ضياعه بوادي القرى وحنين وغيرهما مائة ألف دينار، وخلف إبلًا وخيلًا كثيرة.

وبلغ الثمن الواحد من متروك الزبير بعد وفاته خمسين ألف دينار، وخلف ألف فرس وألف أمة.

وكانت غلة طلحة من العراق ألف دينار كل يوم، ومن ناحية السراة أكثر من ذلك.

وكان على مربط عبد الرحمن بن عوف ألف فرس، وله ألف بعير، وعشرة آلاف من الغنم، وبلغ الربع من متروكه بعد وفاته أربعة وثمانين ألفًا.

وخلف زيد بن ثابت من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفئوس غير ما خلف من الأموال والضياع.

وبنى الزبير دارة بالبصرة، وبنى أيضًا بمصر والكوفة والإسكندرية.

وكذلك بنى طلحة دارة بالكوفة، وشيد دارة بالمدينة، وبناها بالجص والآجر والساج.

وبنى سعد بن أبي وقاص دارة بالعقيق، ورفع سمكها وأوسع فضاءها، وجعل على أعلاها شرفات.

وبنى المقداد دارة بالمدينة، وجعلها مجصصة الظاهر والباطن.

وخلف يعلى بن منبه خمسين ألف دينار وعقارًا، وغير ذلك ما قيمته ثلثمائة ألف درهم).

هذا هو الثراء الذي بدأ صغيرًا بإيثار بعض المسلمين على بعض في العطاء في أيام عمر، ذلك الإيثار الذي كان معتزمًا إبطاله وتلافي آثاره لولا أن عاجلته الطعنة التي لم تصب قلب عمر وحده، وإنما أصابت قلب الإسلام، ثم نما وازداد بإبقاء عثمان عليه، فضلًا عن العطايا والهبات والقطائع.

ثم فشا فشوًا ذريعًا بتجميع الأملاك والضياع وموارد الاستغلال، بما أباحه عثمان من شراء الأرضين في الأقاليم وتضخيم الملكيات في رقعة واسعة، وبمقاومة الصيحة الخالصة العميقة التي انبعثت من قلب أبي ذر، وكانت جديرة لو بلغت غايتها، ولو وجدت من الإمام استماعًا لها أن تعدل الأوضاع، وأن تحقق ما أراده عمر في أواخر أيامه من رد فضول الأغنياء على الفقراء، بما يبيحه له سلطان الإمامة لدفع الضرر عن الأمة، بل بما يحتمه عليه تحقيقًا لمصلحة الجماعة.

* * *

حديث ظالم عن عثمان رضي الله عنه وحديث مشوه للعهد الأموي والعباسي يقطر حقدًا وجحودًا لسيادة الإسلام وعزه وعزة أهله في عهد خير القرون

قال سيد في (ص١٧٥-١٧٦):

«وبقدر ما تكدست الثروات وتضخمت في جانب، كان الفقر والبؤس في الجانب الآخر حتمًا، وكانت النقمة والسخط كذلك، وما لبث هذا كله أن تجمع وتضخم لينبعث فتنة هائجة يستغلها أعداء الإسلام، فتودي في النهاية بعثمان، وتودي معه بأمن الأمة الإسلامية وسلامتها، وتسلمها إلى اضطراب وفوات لم يخب أواره حتى كان قد غشي بدخانه على روح الإسلام، وأسلم الأمة إلى ملك عضوض.

لذلك لم يكن غريبًا أن يغضب أصحاب الأموال، والمستمعون من تفاوت الحظوظ في العطاء على سياسة المساواة والعدالة التي اعتزمها علي بعد عثمان، وأن يتظاهروا بأنهم إنما ينصحون بالعدول عن هذه السياسة خوفًا عليه من الانتقاض.

فما كان جوابه إلا أن يستلهم روح الإسلام في ضميره القوي فيقول: (أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه؟ لو كان هذا المال لي لسويت بينهم، فكيف وإنما المال مال الله؟ إلا وإن إعطاء المال في غير حقه تبذير وإسراف وهو يرفع صاحبه في الدنيا، ويضعه في الآخرة).

فأما بنو أمية فقد ساروا في سياسة المال سيرة أخرى، حتى كان عمر بن عبد العزيز فصنع الذي أسلفنا في رد المظالم، وفي الكف عن بعثرة أموال المسلمين في غير حقها، فلم يكن لبني أمية إلا ما لسائر الناس، ولم يكن للمتملقين والملهين نصيب في هذا المال، فقد انقطع عن الشعراء المداح، ولم يجزهم بشيء

من بيت المال».

ثم تكلم عن عهد عمر بن عبد العزيز ثم قال:

«إنما الفقر والحاجة ثمرة التضخم والزيادة، والفقراء في كل وقت هم ضحايا الأغنياء المفحشين، والأغنياء المفحشون في الغالب هم نتاج الأعطيات والإقطاعيات والمحاباة والظلم والاستغلال!

وفي أيام بني أمية، ثم في أيام بني العباس من بعدهم كان بيت المال مباحًا للملوك كأنه ملك لهم خاص، وذلك على الرغم من وجود بيتين للمال: بيت المال العام، وبيت المال الخاص، والأول مفروض أن موارده ومصارفه للجماعة، والثاني مفروض أن موارده ومصارفه من خاصة السلطان.

لكنا نجد أحيانًا أن أموالًا عامة تحمل إلى بيت المال الخاص، وأن مصارف خاصة تؤخذ من بيت المال العام!

جاء في كتاب الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري تأليف آدم ميتز وترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة: أما العطايا وكل ما يتعلق بنفقات دار الخلافة فكان يؤخذ من بيت المال العام.

وعندنا بيان يرجع إلى أول القرن الرابع مشتمل على وجوه الأموال التي تحمل إلى بيت مال الخاصة:

١- الأموال المختلفة التي يتركها الآباء لأبنائهم في بيت المال. ويقال: إن الرشيد خلف أكبر مقدار من المال، وهو ثمانية وأربعون ألف ألف دينار.

وكان المعتضد (٢٨٩-٢٩٧هـ) يستفضل من كل سنة من سني خلافته بعد النفقات مما كان يحصله بيت مال الخاصة ألف ألف دينار، حتى اجتمع في بيت المال تسعة آلاف ألف دينار، وكان يريد أن يتممها عشرة آلاف ألف دينار، ثم يسبكها ويجعلها نقرة واحدة.

ونذر عند بلوغ ذلك أن يترك عن أهل البلاد ثلث الخراج في تلك السنة، وأراد أن يطرح السبيكة على باب العامة ليبلغ أصحاب الأطراف أن له عشرة آلاف ألف دينار وهو مستغن عنها، فاخترمته المنية قبل بلوغ الأمنية.

ثم جاء المكتفي بعد المعتضد (٢٨٩-٢٩٥هـ) فأبلغ المدخر إلى أربعة عشر ألف ألف دينار.

٢- مال الخراج والضياع العامة الذي يرتفع من أعمال فارس وكرمان بعد إسقاط النفقات».

ثم واصل هذا التشويه مستفيدا ذلك من كلام آدم ميتز.

وهكذا يستقي سيد قطب الطعون في الصحابة والتابعين والعهد الأموي والعباسي، ثم يبالغ فيها ويضخمها فلا ندري ماذا أبقى للإسلام والمسلمين من الاعتزاز بتلك العهود ولاسيما القرون المفضلة عهد عزة الإسلام وعهد الفتوحات العظيمة؟

* * *

طعونه في معاوية وعمرو ومن في عهدهما وغلوه في علي رضي الله عنه

قال سيد قطب في كتابه «كتب وشخصيات» (ص٢٤٢-٢٤٣):

«إن معاوية وزميله عَمْرًا لم يغلبا عليًا لأنهما أعرف منه بدخائل النفوس، وأخبر منه بالتصرف النافع في الظرف المناسب؛ ولكن لأنهما طليقان في استخدام كل سلاح، وهو مقيد بأخلاقه في اختيار وسائل الصراع.

وحين يركن معاوية وزميله إلى الكذب والغش والخديعة والنفاق والرشوة وشراء الذمم لا يملك علي أن يتدلى إلى هذا الدرك الأسفل، فلا عجب ينجحان ويفشل، وإنه لفشل أشرف من كل نجاح.

على أن غلبة معاوية على عليٍّ كانت لأسباب أكبر من الرجلين: كانت غلبة جيل على جيل، وعصر على عصر، واتجاه على اتجاه.

كان مد الروح الإسلامي العالي قد أخذ ينحسر، وارتد الكثيرون من العرب إلى المنحدر الذي رفعهم منه الإسلام، بينما بقي عليٌّ في القمة لا يتبع هذا الانحسار، ولا يرضى بأن يجرفه التيار، من هنا كانت هزيمته، وهي هزيمة أشرف من كل انتصار.

وهنا نصل إلى الملاحظة الرابعة؛ إذ نرى المؤلف يهش لروح النفعية في السياسة ويشيد بأصحابها، ولا يعترف بغير النجاح العملي، ولو على أشلاء المثل العليا والأخلاق».

ثم واصل كلامه إلى أن قال:

«لقد كان انتصار معاوية هو أكبر كارثة دهمت روح الإسلام التي لم تتمكن بعد من النفوس، ولو قد قدر لعلي أن ينتصر لكان انتصاره فوزًا لروح الإسلام الحقيقية، الروح الخلقية العادلة المترفعة التي لا تستخدم الأسلحة القذرة في النضال.

ولكن انهزام هذه الروح ولما يمض عليها نصف قرن كامل، وقد قضي عليها فلم تقم لها قائمة بعد إلا سنوات على يد عمر بن عبد العزيز ثم انطفأ ذلك السراج، وبقيت الشكليات الظاهرية من روح الإسلام الحقيقية.

لقد تكون رقعة الإسلام قد امتدت على يدي معاوية ومن جاء بعده، ولكن روح الإسلام قد تقلصت وهزمت، بل انطفأت.

فأن يهش إنسان لهزيمة الروح الإسلامية الحقيقية في مهدها، وانطفاء شعلتها بقيام ذلك الملك العضود... فتلك غلطة نفسية وخلقية لا شك فيها.

على أننا لسنا في حاجة يومًا من الأيام أن ندعو الناس إلى خطة معاوية؛ فهي جزء من طبائع الناس عامة، إنما نحن في حاجة لأن ندعوهم إلى خطة علي، فهي التي تحتاج إلى ارتفاع نفسي يجهد الكثيرين أن ينالوه.

وإذا احتاج جيل لأن يدعى إلى خطة معاوية، فلن يكون هو الجيل الحاضر على وجه العموم؛ فروح (مكيافيلي) التي سيطرت على معاوية قبل (مكيافيلي) بقرون، هي التي تسيطر على أهل هذا الجيل، وهم أخبر بها من أن يدعوهم أحد إليها! لأنها روح (النفعية) التي تظلل الأفراد والجماعات والأمم والحكومات!

وبعد، فلست شيعيًا لأقرر هذا الذي أقول، إنما أنا أنظر إلى المسألة من جانبها الروحي والخلقي، ولن يحتاج الإنسان أن يكون شيعيًا لينتصر للخلق الفاضل المترفع عن الوصولية الهابطة المتدنية، ولينتصر لعلي على معاوية وعمرو، إنما ذلك انتصار للترفع والنظافة والاستقامة».

يريد الرجل بعد هذه الطعون التي يخجل منها، بل ويحرمها كثير من الشيعة أن يتخلص من تهمة التشيع، ولكن من يحترم أصحاب محمد ﷺ يَحكُم بالرفض الخبيث على من انتقص واحدًا من أصحاب محمد ﷺ.

فكيف وهو يحكم على الكثير من أصحاب محمد ﷺ والتابعين بأنهم قد ارتدوا إلى المنحدر الذي انتشلهم منه الإسلام؟!

* * *

بوزيد بلقاسم
بوزيد بلقاسم
بوزيد بلقاسم

سيد قطب

هو مصدر تكفير المجتمعات الإسلامية

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقًا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد:

فإن الأمة الإسلامية تعيش في دوامة من البلايا والكوارث والهوان والذل بسبب بُعد أغلبيتها عن تعاليم الإسلام التي بعث بها خاتم الأنبياء -عليه وعليهم أفضل الصلوات والتسليم-، هذا البعد يشمل العقائد، والعبادات، والأخلاق، والسياسة، والاقتصاد، ومن أدوائهم المهلكة: الإصرار على الباطل، والتمادي فيه، وفقدان الاستعداد من معظمهم للرجوع إلى الله وإلى الرسول في قضايا الخلاف العقائدية والمنهجية والسياسية... إلخ.

على مستوى المؤسسات العلمية والأفراد والمجتمعات.

وعلى مستوى الحركات والأحزاب التي تدعي الإصلاح.

ومن أشدها نكاية على الإسلام والمسلمين: هذه الحركات السياسية التي تدعي أنها تحمل هموم الأمة، وأنها تسعى لإنقاذها من الهوان والذل، ولكنها مع الأسف لم تأت البيوت من أبوابها، لم تسلك طرق الإصلاح التي شرعها الله لأنبيائه ورسله من عهد نبي الله نوح إلى خاتم الرسل محمد ﷺ ألا وهي دعوة الناس إلى توحيد الله وعبادته وحده، وإخلاص الدين، والولاء لله.

لم يقوموا بهذا، بل تراهم خصماء ألداء لمن يدعوا الناس إلى هذا المنهج العظيم الذي اختاره الله للإصلاح في كل الرسالات وعلى امتداد التاريخ الإسلامي.

ومن بين هذه المناهج البعيدة عن منهج الأنبياء في الإصلاح العقائدي والعبادي والسياسي: منهج سيد قطب الذي ما زاد الناس إلا بلاءً، بل ودمارًا.

فهذا المنهج يزعم أنه يدعو إلى حاكمية الله، وهو يحمل في طياته الرفض لحاكمية الله في العقائد والعبادات، وفي طريقة الفهم للنصوص القرآنية والنبوية،

ويحمل في طياته رفض الرجوع إلى الله ورسوله في قضايا الخلاف، ويهون من قضايا الشرك في العبادة وقضايا الانحراف في العقائد بكل أنواعه.

وقد قامت دعايات قوية وقام إعلام قوي لهذا المنهج استولى على عقول كثير من الشباب ولاسيما الطبقات المثقفة فربطهم ربطًا محكمًا بسيد قطب وكتبه، التي تحمل في طياتها البلايا والمنايا والدمار العقدي والمنهجي والسياسي، ويحمل في طياته التكفير والتدمير والتفجير، والأحقاد المهلكة، والاستعلاء على الأمة واستحقارها واحتقار علمائها.

فعلى كل من شارك في هذه الدعاية وفي هذا الإعلام والترويج أن يتوبوا إلى الله توبة نصوحًا، وأن يعلنوا هذه التوبة وأن يعلنوا أحكامهم الإسلامية العادلة دون مراوغة على ما يأتي من القضايا:

١- طعن سيد قطب في نبي الله موسى -عليه الصلاة والسلام- في كتابه «التصوير الفني».

٢- طعنه الشنيع والكثير في الخليفة الراشد عثمان وإسقاطه لخلافته، وزعمه أنه تحطمت روح الإسلام في عهده وتحطمت أسس الإسلام في عهده وغير هذه الطعون، وطعنه في مجتمع عثمان، ومنها رمي معاوية وعمرو بن العاص بالكذب والنفاق وشراء الذمم.

٣- تكفيره للمجتمعات الإسلامية.

٤- قوله بالحلول، ووحدة الوجود في شعره ونثره، ودفاعه عن النيرفانا ومدحه لها ولأهلها كفار الهنود.

٥- تعطيله لصفات الله ﷻ في «الظلال» وفي «التصوير الفني» بناء على الأصول الجهمية وقاعدة التخييل والتجسيم التي اخترعها هو.

٦- قوله بأزلية الروح.

٧- محاولته إنكار معجزات الرسول الكريم، وادعاؤه أن معجزته الوحيدة هي القرآن الذي يقول بأنه من صنع الله، أي أنه مخلوق.

٨- قوله بالاشتراكية، وتحريف النصوص القرآنية والنبوية من أجلها إلى

قضايا أخرى والتي تضمنتها كتبه.

٩- قوله بأن نصوص القرآن كلها أو جلها ميدان للفن من أنواع الموسيقى وأنواع المسرحيات والتمثيليات والسينمائيات، وأن الدين والفن صنوان.

١٠- وعليهم أن ينادوا بالتحذير من كتبه التي تضمنت هذه الضلالات، وصارت هي وما اشتق منها مؤلفات تكفيرية مصادر ومنابع خطيرة للتكفير والتفجير والإرهاب، الأمور التي شوهت الإسلام، ودفعت أعداءه في كل مكان إلى الطعن فيه وفي أهله في شتى وسائل الإعلام، ورميهم للإسلام بأنه دين وحشية وهمجية وإرهاب، ورمي أهله بهذه الصفات.

ولقد أدركت وغيري منذ زمن خطورة منهج سيد قطب؛ فأصدرت -بحمد الله- عددًا من الكتب بيَّنت فيها فساد عقيدته ومنهجه وفكره وخطورتها على الإسلام والمسلمين، منها:

١- «أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره».

٢- «مطاعن سيد قطب في أصحاب رسول الله ﷺ».

٣- «العواصم مما في كتب سيد قطب من القواصم».

٤- «الحد الفاصل بين الحق والباطل».

٥- «نظرات في كتاب التصوير الفني في القرآن».

٦- مقال طويل في بيان أطوار سيد قطب في وحدة الوجود بينت فيه هذه الأطوار من كتبه نثرًا ونظمًا.

٧- «ينبوع الفتن والأحداث الذي ينبغي للأمة معرفته وردمه»، أصدرته بمناسبة كارثة التفجيرات التي ذهب في تحليلها والتحدث عن أسبابها يمينًا وشمالًا بعضهم عن جهل وبعضهم عن مكر وتلبيس.

فبينت أن منبعها بحق هو كتب سيد قطب التي شحنها بالتكفير، وتوجها بما في كتابه «لماذا أعدموني» من التربية على الاغتيالات وصنع المتفجرات والتخطيط لنسف المؤسسات والمنشآت.

واليوم وبعد توالي التفجيرات وسوء التصرفات، أقدم للقراء فصلًا من كتابي «أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره» كنت قد سقت فيه عددًا من أقوال سيد قطب الصريحة في تكفيره للمجتمعات الإسلامية، قامت هذه الأقوال على تحريف معنى لا إله إلا اللَّه، وعلى تحريف كثير من الآيات القرآنية

أسأل اللَّه أن ينفع به المسلمين، فهاكم هذا الفصل:

سيد قطب وتكفير المجتمعات الإسلامية

يقول في كتابه «معالم في الطريق»:

«وأخيرًا؛ يدخل في إطار المجتمع الجاهلي تلك المجتمعات التي تزعم لنفسها أنها مسلمة!

وهذه المجتمعات لا تدخل في هذا الإطار؛ لأنها تعتقد بألوهية أحد غير الله، ولا أنها تقدم الشعائر التعبدية لغير الله أيضًا[1]، ولكنها تدخل في هذا الإطار لأنها لا تدين بالعبودية لله وحده في نظام حياتها؛ فهي -وإن لم تعتقد بألوهية أحد إلا الله- تعطي أخص خصائص الألوهية لغير الله، فتدين بحاكمية غير الله، فتتلقى من هذه الحاكمية نظامها، وشرائعها، وقيمها، وموازينها، وعاداتها، وتقاليدها... وكل مقومات حياتها تقريبًا!

والله سبحانه يقول عن الحاكمين ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[2].

ويقول عن المحكومين: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ

---

(١) بل كثير وكثير من هذه المجتمعات يُضفون على أناس صفات الإله؛ كاعتقادهم أنهم يعلمون الغيب، ويتصرفون في الكون، ويفرجون الكروب، ويتقدمون لهم بالشعائر التعبدية من الاستغاثة في الشدائد والدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، والطواف بقبورهم، وتعظيم هذه القبور، وإقامة الأعياد والاحتفالات والموالد لهذه الأضرحة، وشد الرحال إليها، وتقديم الذبائح، والنذور بالأموال الطائلة لها، كل هذه الأمور وغيرها من أنواع الشرك لا يعدها سيد من أنواع الشرك الناقضة لتوحيد الله المنافية لمعنى لا إله إلا الله.

ونحن -والحمد لله- مع أننا نرى هذا من أنواع الشرك الأكبر، لا نكفر إلا من قامت عليه الحجة، وسيد لا يرى هذا من الشرك، ولا يستنكره؛ كحال كثير من الصوفية والروافض، لا يرون الشرك إلا في عبادة الأوثان، فإذا كفر سيد الناس؛ فإنما يكفرهم لأنهم يدينون بالحاكمية لغير الله، ولا يشترط إقامة الحجة، ولا يدرك أن أكثر من يكفرهم بالحاكمية لا يدينون بالحاكمية لأحد على الوجه الذي ذكره، ولا يدرك أن الروافض والقبوريين يفرحون بموقفه هذا من القبورية، ويأنسون إليه.

(٢) المائدة: ٤٤.

وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ
ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ
رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ
أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ
ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَآ
أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ
فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟
تَسْلِيمًا﴾[1].

كما أنه سبحانه قد وصف اليهود والنصارى من قبل بالشرك والكفر والحيدة عن عبادة الله وحده، واتخاذ الأحبار والرهبان أربابًا من دونه لمجرد أن جعلوا للأحبار والرهبان ما يجعله الذين يقولون عن أنفسهم أنهم مسلمون لناس منهم!

واعتبر الله سبحانه ذلك من اليهود والنصارى شركًا؛ كاتخاذهم عيسى بن مريم ربًّا يؤلهونه ويعبدونه سواء؛ فهذه كتلك: خروج من العبودية لله وحده، فهي خروج من دين الله، ومن شهادة أن لا إله إلا الله[2].

وهذه المجتمعات بعضها يعلن صراحة علمانيته وعدم علاقته بالدين أصلًا، وبعضها يعلن أنه يحترم الدين، ولكنه يخرج الدين من نظامه الاجتماعي أصلًا، ويقول: إنه ينكر الغيبية، ويقيم نظامه على العلمية؛ باعتبار أن العلمية تناقض الغيبية! وهو زعم جاهل، لا يقول به إلا الجهال[3].

وبعضها يجعل الحاكمية الفعلية لغير الله، ويشرع ما يشاء، ثم يقول عما يشرعه من عند نفسه: هذه شريعة الله! وكلها سواء في أنها لا تقوم على العبودية لله وحده. . .

---

(١) النساء: ٦٠-٦٥.

(٢) وهذا واضح في تكفيره المجتمعات الإسلامية.

(٣) وهذا في غاية الصراحة والوضوح في تكفير المجتمعات الإسلامية.

وإذا تعين هذا؛ فإن موقف الإسلام من هذه المجتمعات الجاهلية كلها يتحدد في عبارة واحدة: إنه يرفض الاعتراف بإسلامية هذه المجتمعات كلها وشرعيتها في اعتباره»!!

قلت: يلاحظ أن سيد قطب في هذا الموضع، وفي جميع كتاباته في «الظلال» وغيره أنه لا يعبأ بشرك القبور، والغلو في أهل البيت، وفي الأولياء بالاعتقاد بأنهم يعلمون الغيب ويتصرفون في الكون، وبتقديم القرابين لهم، وإراقة الدموع والخشوع عند عتباتهم، ودعائهم والاستغاثة بهم لكشف الكروب وإزالة الخطوب، وشد الرحال والحج إلى قبورهم، والطواف بها، والاعتكاف حولها، وإقامة الأضرحة والمشاهد، وتشييد القباب بالأموال الطائلة لها، وغير ذلك من التصرفات.

ولا يحاسب الناس إلا على مخالفة الحاكمية، ولا يدور في تفسيره لـ (لا إله إلا الله) إلا على الحاكمية والسلطة والربوبية؛ مفرغًا لا إله إلا الله عن معناها الأساسي الذي جاءت به جميع الكتب وجميع الرسل، ودان به علماء الإسلام مفسرون ومحدثون وفقهاء.

ولا يكفر الناس إلا بالعلمنة وما تفرع عنها، ويبالغ في هذا أشد المبالغة؛ لأنها ضد الحاكمية في نظره، ويرمي المجتمعات الإسلامية بالكفر من هذا المنطلق.

فيكون كلامه حقًا في العلمانيين فعلًا، وهم قلة في المجتمع، ويكون كلامه باطلًا وظلمًا بالنسبة للسواد الأعظم من الناس؛ فإن كثيرًا منهم يعادون العلمنة، ويبغضون أهلها إذا عرفوهم بذلك، وكثير منهم لا يعرفون هذه العلمنة، فهم مسلمون في الجملة، وعندهم خرافات وبدع، فإذا عُرِّفوا بها؛ حاربوها وأهلها حاكمين أو محكومين، أحزابًا أو أفرادًا.

وبالجملة؛ فسيد سلك مسلكًا في تكفير الناس لا يقره عليه عالم مسلم[1]؛

(١) وقد أنكر ذلك عليه كثير من الناس، منهم - أبو الحسن الندوي، وحسن الهضيبي، ويوسف القرضاوي في مؤلفاتهم.

يرسل الكلام على عواهنه في باب الحاكمية، ويكفر عامة الناس بدون ذنب وبدون إقامة حجة وبدون التفات إلى تفصيلات العلماء في هذا الباب، هذا من جهة.

ولا يعبأ بشرك القبور الذي يرتكبه الروافض، وغلاة الصوفية ومن تابعهم من جهة أخرى، ولا يرى في هذا الموضوع وفي كثير من المواضع هذه الشركيات منافية لمعنى لا إله إلا الله!

لذا ترى الخوارج والروافض وكثيرًا من أهل البدع والأهواء يرحبون بمنهجه وبكتبه، ويفرحون ويعتزون بها، ويستشهدون بأقواله وتفسيراته.

وإني لأرجو لكل مسلم صادق في دينه، خصوصًا الشباب الذين انخدعوا بمنهج سيد قطب أن يمن الله عليهم بجوده وفضله، فيدركوا ما وقعوا فيه من خطأ وبعد عن فقه الكتاب والسنة، وفقه سلف الأمة، فيعودوا إلى رحاب الحق والعلم والفهم الصحيح.

* * *

اعتبار سيد قطب مساجد المسلمين معابد جاهلية إنطلاقًا من تكفير مجتمعاتهم واعتبارها جاهلية

قال سيد قطب في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1] قال[2]:

«وتلك هي التعبئة الروحية إلى جوار التعبئة النظامية، وهما ضروريتان للأفراد والجماعات، وبخاصة قبيل المعارك والمشقات، ولقد يستهين قوم بهذه التعبئة الروحية، ولكن التجارب ما تزال إلى هذه اللحظة تنبئ بأن العقيدة هي السلاح الأول في المعركة، وأن الأداة الحربية في يد الجندي الخائر العقيدة لا تساوي شيئًا كثيرًا في ساعة الشدة.

وهذه التجربة التي يعرضها الله على العصبة المؤمنة ليكون لها فيها أسوة، ليست خاصة ببني إسرائيل، فهي تجربة إيمانية خالصة، وقد يجد المؤمنون أنفسهم ذات يوم مطاردين في المجتمع الجاهلي، وقد عمت الفتنة، وتجبر الطاغوت، وفسد الناس، وأنتنت البيئة، وكذلك كان الحال على عهد فرعون في هذه الفترة، وهنا يرشدنا الله إلى أمور:

١- اعتزال الجاهلية نتنها وفسادها وشرها ما أمكن في ذلك، وتجمع العصبة المؤمنة الخيرة النظيفة على نفسها، لتطهرها وتزكيها، وتدربها وتنظمها، حتى يأتي وعد الله لها.

٢- اعتزال معابد الجاهلية، واتخاذ بيوت العصبة المسلمة مساجد تحس فيها بالانعزال عن المجتمع الجاهلي، وتزاول فيها عبادتها لربها على نهج صحيح، وتزاول بالعبادة ذاتها نوعًا من التنظيم في جو العبادة الطهور».

---

(١) يونس: ٨٧.

(٢) «في ظلال القرآن» (٣/ ١٨١٦).

فأي تكفير بعد هذا؟!

وقد ينظر هذا الرجل إلى بعض الأعمال الإسلامية، وإلى المعتقدات الإسلامية الصحيحة، فيراها جاهلية وضلالًا!!

أليس هذا منه سعيًا في تخريب مساجد الله، وتعطيل أعظم شعائر الإسلام؟!

هذا الرجل لو عاش في بلاد التوحيد؛ لرآها تعيش في جاهلية جهلاء وضلالة عمياء.

قال سيد عند آية: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[1]، وذكر الشرك الخفي:

«وهذا الشرك الواضح الظاهر، وهو الدينونة لغير الله في شأن من شئون الحياة، الدينونة في شرع يتحاكم إليه، وهو نص في الشرك لا يجادل عليه، والدينونة في تقليد من التقاليد، كاتخاذ أعياد ومواسم يشرعها الناس ولم يشرعها الله، والدينونة في زي من الأزياء[2] يخالف ما أمر الله به من الستر، ويكشف أو يحدد العورات التي نصت شريعة الله أن تستر.

والأمر في مثل هذه الشئون يتجاوز منطقة الإثم والذنب بالمخالفة حين يكون طاعة وخضوعًا ودينونة لعرف اجتماعي سائد من صنع العبيد، وتركًا للأمر الواضح الصادر من رب العبيد...

إنه عندئذٍ لا يكون ذنبًا، ولكنه يكون شركًا؛ لأنه يدل على الدينونة لغير الله فيما يخالف أمر الله. وهو من هذه الناحية أمر خطير. ومن ثم يقول الله:

---

(١) يوسف ١٠٦

(٢) كل من سيد قطب وأخيه يحلقان لحاهما، ويكشفان رأسيهما، ويلبسان البدلة والكرفتة على طريقة الإفرنج؛ تقليدًا واعتزازًا بهذا المظهر الإفرنجي، ولا ينكران على غيرهما هذا وأمثاله، فماذا يحكمان على أنفسهما؟!

وبعد جهد ومدة طويلة في الحجاز، أرسل محمد قطب رمزًا للحيته، وعمره يناهز الستين، ولعله على مضض، ولم يغير زيه.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[(١)](٢).

وفي هذا الكلام أمران خطيران:

أولهما: تكفير المجتمعات الإسلامية بالمعاصي والمخالفات الواقعة في العادات والتقاليد والأزياء، وهذا المذهب أشد وأخطر من مذهب الخوارج.

وثانيهما: تفسير القرآن بغير ما أراده الله بالشرك، إذ المراد بالشرك هنا ما استقر في القرآن والسنة وعرفه المسلمون، وهو الشرك الأكبر المطلق، وهو اتخاذ أنداد مع الله يستغاث بهم، ويذبح لهم، ويتقرب إليهم، ويصرف لهم حق الله من العبادات التي أمرهم الله أن يعبدوه بها ويخلصوا بها الدين لله.

* * *

---

(١) يوسف ١٠٦.

(٢) «الظلال» (٤/ ٢٠٣٣).

شرك العرب الحقيقي والأساسي عند سيد قطب إنما هو في الحاكمية فقط، وليس في العبادة والاعتقاد

قال سيد:

«فهكذا كان تصورهم للحقيقة الإلهية، واستحضارهم لها في كل مناسبة، ولم يكن أمرهم أنهم لا يعرفون الله، أو لا يعرفون أنه ما لأحد بالله من طاقة، أو لا يعرفون أنه هو الذي يحكم ويفصل بين الجبهتين حيث لا راد لحكمه! إنما كان شركهم الحقيقي يتمثل ابتداء في تلقي منهج حياتهم وشرائعهم من غير الله، الذي يعرفونه ويعترفون به على هذا النحو...

الأمر الذي يشاركهم فيه اليوم أقوام يظنون أنهم مسلمون على دين محمد كما كان المشركون يظنون أنهم مهتدون على دين أبيهم إبراهيم! حتى لكان أبو جهل -وهو أبو جهل- يستفتح على الله، فيقول: اللهم أقطعنا للرحم، وآتانا بما لا يعرف -وفي رواية: اللهم أضل الفريقين وأقطعهما للرحم- فأحنه الغداة!

فأما تلك الأصنام التي عرف أنهم يعبدونها؛ فما كان ذلك قط لاعتقادهم بألوهية لها كألوهية الله سبحانه، ولقد صرح القرآن الكريم بحقيقة تصورهم الاعتقادي فيها، وبسبب تقديمهم الشعائر لها في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾[1].

فهذا كان مبلغ تصورهم لها... مجرد شفعاء عند الله... وما كان شركهم الحقيقي من هذه الجهة، ولا كان إسلام من أسلم منهم متمثلًا في مجرد التخلي عن الاستشفاع بهذه الأصنام، وإلا فإن الحنفاء الذين اعتزلوا عبادة الأصنام هذه وقدموا الشعائر لله وحده ما اعتبروا مسلمين!

إنما تمثل الإسلام في الاعتقاد والشعائر وإفراد الله سبحانه بالحاكمية،

---

(١) الزمر: ٣.

والذين لا يفردون اللّٰه سبحانه بالحاكمية -في أي زمان وفي أي مكان- هم مشركون، لا يخرجهم من هذا الشرك أن يكون اعتقادهم أن لا إله إلا اللّٰه -مجرد اعتقاد-، ولا أن يقدموا الشعائر لله وحده. . .

فإلى هنا يكونون كالحنفاء الذين لم يعتبرهم أحد مسلمين، إنما يعتبر الناس مسلمين حين يتمون حلقات السلسلة، أي: حين يضمون إلى الاعتقاد والشعائر إفراد اللّٰه سبحانه بالحاكمية، ورفضهم الاعتراف بشرعية حكم أو قانون أو وضع أو قيمة أو تقليد لم يصدر عن اللّٰه وحده. . . وهذا وحده هو الإسلام؛ لأنه وحده مدلول شهادة أن لا إله إلا اللّٰه وأن محمدًا رسول الله؛ كما عرف هذا المدلول في الاعتقاد الإسلامي وفي الواقع الإسلامي سواء!. .

ثم أن يتجمع هؤلاء الذين يشهدون أن لا إله إلا اللّٰه على هذا النحو وبهذا المدلول في تجمع حركي بقيادة مسلمة، وينسلخوا من التجمع الجاهلي وقيادته الجاهلية!

وهذا ما ينبغي أن يتبينه الذين يريدون أن يكونوا مسلمين، فلا تخدعهم عن حقيقة ما هم فيه خدعة أنهم مسلمون اعتقادًا وتعبدًا؛ فإن هذا وحده لا يجعل الناس مسلمين ما لم يتحقق لهم أنهم يفردون اللّٰه سبحانه بالحاكمية، ويرفضون حاكمية العبيد، ويخلعون ولاءهم للمجتمع الجاهلي ولقيادته الجاهلية.

إن كثيرًا من المخلصين الطيبين تخدعهم هذه الخدعة. . . وهم يريدون لأنفسهم الإسلام، ولكنهم يُخدعون عنه، فأولى لهم أن يستيقنوا صورة الإسلام الحقيقية والوحيدة، وأن يعرفوا أن المشركين من العرب الذين يحملون اسم المشركين لم يكونوا يختلفون عنهم في شيء! فلقد كانوا يعرفون اللّٰه بحقيقته - كما تبين-، ويقدمون له شفعاء من أصنامهم، وكان شركهم الأساسي يتمثل لا في الاعتقاد، ولكن في الحاكمية[1].

---

(١) أقول: إن النجاشي أسلم في عهد النبي ﷺ، وكان إسلامه في الاعتقاد فقط، فلم يستطع أن يطبق شعائر الإسلام التعبدية، ولم يطبق الحاكمية في دولته، ولم يقم بالهجرة، ومع هذا كله كان له منزلة عند رسول الله ﷺ، ولما مات أخبر رسول الله ﷺ بموته، وقال لأصحابه: «صلوا على أخيكم»، وصلى عليه رسول الله ﷺ وأصحابه.

وإذا كان ينبغي للطيبين المخلصين الذين يريدون أن يكونوا مسلمين أن يثبتوا هذه الحقيقة؛ فإن العصبة المسلمة التي تجاهد لإعادة نشأة هذا الدين في الأرض في عالم الواقع يجب أن تستيقن هذه الحقيقة بوضوح وعمق، ويجب ألا تتلجلج فيها أي تلجلج، ويجب أن تعرف الناس بها تعريفًا صريحًا واضحًا جازمًا . . .

فهذه هي نقطة البدء والانطلاق . . فإذا انحرفت الحركة عنها -منذ البدء- أدنى انحراف؛ ضلت طريقها كله، وبنت على غير أساس، مهما توافر لها من الإخلاص بعد ذلك والصبر والتصميم على المضي في الطريق!»[1].

فترى الرجل يضطرب ويتناقض في هذا الموضع، ولكنه ينتهي إلى تقرير أن الشرك الحقيقي والأساسي إنما يتمثل في الحاكمية، لا في الاعتقاد، وهذه هي القاعدة الخطيرة التي ينطلق منها اليوم كثير ممن يسمون بالدعاة إلى الإسلام، في الضياع توحيد الأنبياء!

انظر قوله: «. . . فهذا كان مبلغ تصورهم لها -أي: الأصنام- مجرد شفعاء عند الله . . وما كان شركهم الحقيقي من هذه الجهة، ولا كان إسلام من أسلم منهم متمثلًا في مجرد التخلي عن الاستشفاع بهذه الأصنام، وإلا فإن الحنفاء الذين اعتزلوا عبادة الأصنام هذه وقدموا لله وحدة الشعائر ما اعتبروا مسلمين»!

= أفرأيت لو أن النجاشي آمن بالحاكمية فقط، ولم يؤمن بعقيدة التوحيد، أيعده رسول الله ﷺ مؤمنًا ويصلي عليه هو وأصحابه كما يصلي على المسلمين؟!

نريد الإجابة على هذا السؤال الملح.

ثم ألا يرى السياسيون على طريقة سيد قطب الفرق الهائل بين دعوة الأنبياء إلى التوحيد وبين دعوتهم، وأنهم متنكبون لدعوة الرسل ومنهجهم في الدعوة إلى توحيد الله في العبادة أولًا، ثم بناء ما بعدها من أمور الإسلام عليها؛ إذ هي الأصل والأساس والقاعدة الصلبة لدعواتهم جميعًا.

أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب الصلاة على الجنائز بالمصلى والمسجد عن أبي هريرة، ولفظه نعى لنا رسول الله ﷺ النجاشي صاحب الحبشة يوم الذي مات فيه، فقال: «استغفروا لأخيكم» (٣/ ٢٣٦/ رقم ١٣٢٧-الفتح).

وله بلفظ آخر عن جابر قال: قال النبي ﷺ: «قد توفي اليوم رجل صالح من الحبش، فهلم فصلوا عليه...» الحديث (باب الصفوف على الجنازة/ ٣/ ١٣٢٠-الفتح).

وأخرجه مسلم بلفظ: «إن أخًا لكم قد مات، فقوموا فصلوا عليه» (التكبير على الجنازة / ٧/ ٢٣-نووي).

(١) «الظلال» (٣/ ١٤٩٢).

أقول: هذه حال معظم الأنبياء والرسل وأممهم، حيث لم تكن لهم دول ولا حكومات، ويأتي النبي ومعه الرهط، ويأتي النبي ومعه الرهيط، والرجل، والرجلان، ويأتي النبي وليس معه أحد...

وهذا يكشف لنا سر تهاون سيد قطب بالشرك الأكبر، الشرك الاعتقادي، شرك القبور، والشرك في العبادة، الذي حاربه الرسل جميعًا، والذي هو محور الصراع بينهم وبين أقوامهم.

ومن موقف سيد قطب هذا من عبادة الأوثان ندرك أنه أقل حساسية وأقل مبالاة ضد عبادة الأوثان من الروافض والقبوريين؛ لأن هؤلاء لا يشكون ولا يترددون في الحكم على عبادة الأوثان أنها أعظم الذنوب، وأنها الشرك الأكبر، ولا يهونون من شأنه؛ مثل سيد، أما سيد؛ فحاله وموقفه كما رأيت مع الأسف الشديد.

ومن هنا ندرك سر اهتمام أتباعه بالسياسة والحاكمية، وتجنيدهم كل طاقاتهم وإمكاناتهم في سبيلهما، وتوجيه الأمة لهما، ورمي من اشتغل بغيرهما من التوحيد وفروض الأعيان والكفايات من أمور الإسلام بالعلمنة، واستخفافهم بدعاة التوحيد وإخلاص العبادة لله على طريقة الرسل -عليهم الصلاة والسلام-، واتباعًا لتوجيهات القرآن الكريم المنزل من رب العالمين، يستخفون بهم وبدعوتهم، ويعتبرون ذلك من الانشغال بالجزئيات.

ويسمون الشرك الأكبر بالشرك البدائي والشعبي، وما يسمونه هم شركًا ويتخيلونه بالشرك الحضاري، ويلبسون على الناس دينهم وعقائدهم، ويزعمون لهم أن الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- إنما كانوا على منهج قطب وأمثاله، همهم الأكبر ودعوتهم الأساسية إنما هما الصراع السياسي والمصارعة على الكراسي، ومحاربة القصور لا الأوثان والقبور.

فاللهم أنقذ دينك وأمة الإسلام من هذا الخبط والتلبيس والحيل والتدليس.

وأما قوله: «إن الحنفاء ما كانوا مسلمين»: ففي غاية المجازفة والقول على الله وعلى الإسلام بغير علم، ومن البراهين الواضحة على استهانته بالتوحيد،

واستهانته بالشرك الأكبر!

كيف يقول هذا في قوم بذلوا غاية وسعهم في الفرار من غضب الله والفرار من الشرك الأكبر، والفرار من النار من دون داع يدعوهم إلى الله، بل ذلك بدافع من فطرتهم السليمة وعقولهم المستقيمة، بل قبل ذلك برعاية الله لهم وتوفيقه إياهم، بهذا وذاك خرجوا من الجاهلية والشرك إلى التوحيد والحنيفية دين إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-، الذي قال الله في شأنه لنبيه الكريم: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[1].

أفمن كان على هذا الدين وهذه الملة يقال: إنه ليس من المسلمين؟!

فهذا زيد بن عمرو بن نفيل، أحد الحنفاء، يروي البخاري[2] قصته عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ قال: «إن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويتبعه، فلقي عالمًا من اليهود، فسأله عن دينهم، فقال: إني لعلي أن أدين دينكم؛ فأخبرني؟

فقال: لا تكون على ديننا حتى تأخذ نصيبك من غضب الله.

فقال زيد: ما أفر إلا من غضب الله، ولا أحمل من غضب الله شيئًا أبدًا، وأنى أستطيعه، فهل تدلني على غيره؟

قال: ما أعلمه إلا أن يكون حنيفًا.

قال زيد: وما الحنيف؟

قال: دين إبراهيم؛ لم يكن يهوديًا ولا نصرانيًا، ولا يعبد إلا الله.

فخرج زيد، فلقي عالمًا من النصارى، فذكر مثله، فقال: لن تكون على ديننا حتى تأخذ نصيبك من لعنة الله.

قال: ما أفر إلا من لعنة الله، ولا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئًا أبدًا، وأنى أستطيع، فهل تدلني على غيره؟

---

(١) الأنعام: ١٦١.

(٢) (٦٣-مناقب الأنصار/ رقم ٣٨٢٦ و ٣٨٢٧).

قال: ما أعلمه إلا أن يكون حنيفًا.

قال: وما الحنيف؟

قال: دين إبراهيم، لم يكن يهوديًا ولا نصرانيًا، ولا يعبد إلا الله.

فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم ﷺ؛ خرج، فلما برز رفع يديه، فقال: اللهم إني أشهد أني على دين إبراهيم».

أفبعد هذا الجد والإلحاح في طلب الحق واختياره بعد رفض الشرك واليهودية والنصرانية يقال فيه وفي أمثاله من الحنفاء[1]: إنهم ليسوا بمسلمين؟!

وقد روى البخاري عن ابن عمر عن زيد بن عمرو: أنه كان ينكر على قريش الذبح للأوثان.

وقال ابن كثير: وكان زيد بن عمرو قد ترك عبادة الأوثان، وفارق دينهم، وكان لا يأكل إلا ما ذبح على اسم الله وحده[2].

وقال يونس بن بكير: عن محمد بن إسحاق، حدثني هشام بن عروة، عن أبيه، عن أسماء بنت أبي بكر؛ قالت: لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مسندًا ظهره إلى الكعبة؛ يقول: يا معشر قريش، والذي نفس زيد بيده؛ ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيري. ثم يقول: اللهم لو أني أعلم أي الوجوه أحب إليك عبدتك به، ولكنني لا أعلمه، ثم يسجد على راحته[3].

وروى ابن كثير رحلة زيد بن عمرو في البحث عن الدين الحق نحوًا مما روى البخاري، وفي آخرها: قال زيد: اللهم إني أشهدك أني على دين إبراهيم، عليه أحيا وعليه أموت، فذكر شأنه للنبي ﷺ، فقال: «هو أمة وحده»[4].

ثم قال ابن كثير: إن ابن عساكر أورد من طرق متعددة عن رسول الله ﷺ أنه

(١) كقس بن ساعدة، وورقة بن نوفل، وشيوخ سلمان الفارسي من الرهبان الذين كانوا على دين الحق.

(٢) «البداية والنهاية» (٢/ ٢٢١).

(٣) «البداية والنهاية» (٢/ ٢٢١)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٢٢٤).

(٤) «البداية والنهاية» (٢/ ٢٢٢).

قال: «يبعث يوم القيامة أمة وحده».

ثم ساق ابن كثير طريقًا عن مجالد عن الشعبي عن جابر قال: سئل رسول الله ﷺ عن زيد بن عمرو بن نفيل أنه كان يستقبل القبلة في الجاهلية، ويقول: إلهي إلهُ إبراهيم، وديني دين إبراهيم، ويسجد، فقال رسول الله ﷺ: «يحشر ذاك أمة وحده بيني وبين عيسى بن مريم»، ثم قال: إسناده جيد[1].

وقال الحافظ ابن حجر. وكان -يعني: زيدًا- ممن يطلب التوحيد وخلع الأوثان، وجانب الشرك، لكنه مات قبل المبعث، فروى محمد بن سعد والفاكهي من حديث عامر بن ربيعة... وساق قصة طويلة عنه، وفيها قال النبي ﷺ: «ولقد رأيته في الجنة يسحب ذيولًا»[2].

وقال الحافظ: وروى البزار والطبراني من حديث زيد بن عمرو... وذكر قصته، وفي آخرها قال سعيد بن زيد: فسألت أنا وعمر رسول الله ﷺ عن زيد، فقال: «غفر الله له ورحم؛ فإنه مات على دين إبراهيم».

فهذا حاله وواقعه في نظر الإسلام وعلمائه، ومثله كل من مات على الحنيفية، وذلك يخالف ما يراه سيد قطب الذي لا يرى للتوحيد والكفر بالأوثان كبير قيمة ولا كبير وزن، والله المستعان.

وانظر مرة أخرى إلى قوله -بعد تمهيد خطير فيه أن المسلمين اعتقادًا أو تعبدًا ليسوا مسلمين، ولا فرق بينهم وبين مشركي العرب في الجاهلية-؛ يقول:

«فأولى لهم أن يستيقنوا صورة الإسلام الحقيقية الوحيدة، وأن يعرفوا أن المشركين من العرب الذين يحملون اسم المشركين لم يكونوا يختلفون عنهم في شيء؛ فلقد كانوا يعرفون الله بحقيقته -كما تبين-، ويقدمون له شفعاء من أصنامهم، وكان شركهم الأساسي يتمثل لا في الاعتقاد، ولكن في الحاكمية»!!

ألا ترى في قوله هذا أكبر مغالطة ومجازفة؟!

---

(١) «البداية والنهاية» (٢/ ٢٢٤).

(٢) «الفتح» (٧/ ١٤٣).

ألا ترى في محاولة إبعاد الشرك الاعتقادي والعبادي عن ميدان الدعوة والجهاد؟!

ومن هنا يكاد يحصر الشرك الأساسي والحقيقي في شرك الحاكمية، ويوجه نصيحته لأتباعه بأن الحاكمية هي نقطة البدء والانطلاق، فإذا انحرفت الحركة عنها -منذ البدء- أدنى انحراف؛ ضلت طريقها كله، وبنيت على غير أساس، مهما توافر لها من الإخلاص بعد ذلك والصبر والتصميم على المضي في الطريق.

أقول: إن من يعرف دعوات الأنبياء التي قصها الله علينا في كتابه الكريم ليدرك تمام الإدراك المصادمة الواضحة بين كلام سيد وبين ما قصه الله عن الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- في منطلق الدعوة إلى الله، وأنها تبدأ بالتوحيد ومحاربة الشرك الأكبر (عبادة الأوثان) وما شاكلها، وأن ما يدعو إليه سيد ويدعيه من أن نقطة البدء تكون من الحاكمية، والانطلاق منها، لهو الانحراف الحقيقي من البداية، وذلك لأمور:

أولًا: لأن هذا الانطلاق مخالف لمنهج الأنبياء في البدء بالدعوة إلى التوحيد ومحاربة الشرك العقائدي (عبادة الأوثان) وغيرها من دون الله.

ثانيًا: لأن الانطلاق من الحاكمية لابد أن يكون قائمًا على الهوى والرغبة في الوصول إلى السلطة، والتحكم في رقاب الناس، ولابد أن تقوم على الكذب والمراوغات، ولابد أن يندس في صفوف حملة هذه الدعوة السياسية أناس أهل أغراض وأهواء وعقائد فاسدة؛ كما هو الشأن في الدعوات السياسية.

وإنا لنشاهد ثمار مثل هذه الدعوة ونتائجها متمثلة في تحالفات شيوعية وعلمانية ورافضية، ومتمثلة في نزاعات دموية للوصول للسلطة، يستعان فيها بالملاحدة والشيوعيين وأصناف الغالين.

ويقول سيد قطب تحت عنوان (حاضر الإسلام ومستقبله):

«ونحن ندعو إلى استئناف حياة إسلامية في مجتمع إسلامي تحكمه العقيدة الإسلامية والتصور الإسلامي، كما تحكم الشريعة الإسلامية والنظام الإسلامي، ونحن نعلم أن الحياة الإسلامية -على هذا النحو- قد توقفت منذ فترة طويلة في

جميع أنحاء الأرض، وأن وجود الإسلام ذاته من ثم قد توقف كذلك.

ونحن نجهر بهذه الحقيقة الأخيرة، على الرغم مما قد تحدثه من صدمة وذعر وخيبة أمل ممن لا يزالون يحبون أن يكونوا مسلمين..

ونجهر بها على هذا النحو في الوقت الذي ندعوا إلى استئناف حياة إسلامية في مجتمع إسلامي تحكمه العقيدة الإسلامية والتصور الإسلامي كما تحكمه الشريعة الإسلامية والنظام الإسلامي، ولا نرى أن في رؤية تلك الحقيقة والجهر بها كذلك ما يدعو إلى خيبة الأمل أو اليأس من هذه الدعوة ومن هذه المحاولة.

على العكس، نرى أن الجهر بهذه الحقيقة المؤلمة -حقيقة أن الحياة الإسلامية قد توقفت منذ فترة طويلة في جميع أنحاء الأرض، وأن وجود الإسلام ذاته من ثم قد توقف كذلك- نرى أن الجهر بهذه الحقيقة ضرورة من ضرورات الدعوة إلى الإسلام، ومحاولة استئناف حياة إسلامية ضرورة لا مفر منها».

ثم فسر (لا إله إلا الله) بالحاكمية، والحاكمية بالقدر والشرع، وأعرض عن تفسيرها الحقيقي: (لا معبود بحق إلا الله).

ثم قال: «ونحن لا نحدد مدلول الدين ولا مفهوم الإسلام على هذا النحو من عند أنفسنا... ففي مثل هذا الأمر الخطير الذي يترتب عليه تقرير مفهوم لدين الله كما يترتب عليه الحكم بتوقف وجود الإسلام في الأرض اليوم، وإعادة النظر في دعوى مئات الملايين من الناس أنهم مسلمون»[1].

... في مثل هذا الأمر لا يجوز أن يفتي الإنسان فيما يقصم الظهر في الدنيا والآخرة جميعًا، إنما الذي يحدد مدلول الدين على هذا النحو ومفهوم الإسلام هو الله سبحانه، إله هذا الدين[2]، ورب هذا الإسلام...

وذلك في نصوص قاطعة لا سبيل إلى تأويلها ولا الاحتيال عليها.

---

(١) «العدالة الاجتماعية» (ص١٨٢/ الطبعة الثانية عشرة).

(٢) هذا التعبير غير صحيح؛ فالدين هو شرع الله وكلامه المنزل على رسوله، وليس هذا مخلوقًا مكلفًا بعبادة الله والتأله له حتى يقال: إله هذا الدين، وإنما يقال: إله الناس، وإله الملائكة... وغيرهم ممن خلق للتأله والعبادة.

﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ (١).

﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (٢).

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (٣).

وساق آيات أخر كلها في الحاكمية، ولم يسق آية واحدة من آيات توحيد العبادة، ولا من آيات توحيد الأسماء والصفات، ثم ساق مقطعًا حصر فيه الإسلام في الحاكمية، ثم قال:

«وحين نستعرض وجه الأرض كله اليوم، على ضوء هذا التقرير الإلهي لمفهوم الدين والإسلام، لا نرى لهذا الدين وجودًا... إن هذا الوجود قد توقف منذ أن تخلت آخر مجموعة من المسلمين عن إفراد الله بالحاكمية في حياة البشر، وذلك يوم أن تخلت عن الحكم بشريعته وحدها في كل شئون الحياة.

ويجب أن تقرر هذه الحقيقة الأليمة، وأن نجهر بها، وألا نخشى خيبة الأمل التي تحدثها في قلوب الكثير الذين يحبون أن يكونوا مسلمين؛ فهؤلاء من حقهم أن يستيقنوا؛ كيف يكونون مسلمين؟!

إن أعداء هذا الدين بذلوا طوال قرون كثيرة وما يزالون يبذلون جهودًا ضخمة ماكرة خبيثة؛ ليستغلوا إشفاق الكثيرين الذين يحبون أن يكونوا مسلمين، من وقع هذه الحقيقة المريرة، ومن مواجهتها في النور، وتحرجهم كذلك من إعلان أن وجود هذا الدين قد توقف منذ أن تخلت آخر مجموعة مسلمة في الأرض عن تحكيم شريعة الله في أمرها كله، فتخلت بذلك عن إفراد الله سبحانه بالحاكمية [أو بالألوهية]؛ فهذه مرادفة لتلك أو ملازمة لها، ولا تتخلف»(٤).

---

(١) يوسف: ٤٠.

(٢) المائدة: ٤٩.

(٣) المائدة: ٤٥.

(٤) «العدالة الاجتماعية» (ص١٨٣-١٨٤ الطبعة الثانية عشرة).

أقول:

١- فترى الرجل يدعو إلى استئناف حياة إسلامية بحرارة؛ لأنها غير موجودة.

٢- ويصرح بأن الحياة الإسلامية قد توقفت.

٣- وأن وجود الإسلام قد توقف.

٤- ويصرح بقوله: «ونحن نجهر بهذه الحقيقة الأخيرة على الرغم مما قد تحدثه من صدمة وذعر وخيبة أمل ممن لا يزالون يحبون أن يكونوا مسلمين»؛ فهو لا يراهم مسلمين، بل يرى أنهم لا يزالون يحبون أن يكونوا مسلمين؛ فهم كفار جاهليون وليسوا مسلمين.

٥- ويكرر القول بأنه لا يرى لهذا الدين وجودًا: «إن هذا الدين قد توقف منذ أن تخلت آخر مجموعة من المسلمين عن إفراد الله بالحاكمية في حياة البشر».

ويكرر أن هذه المجتمعات تحب الإسلام فقط؛ يعني: وليسوا بمسلمين، فضلًا عن أن يكونوا أو يكون جماعة منهم مؤمنين.

٦- ويكرر مرة أخرى ويؤكد أن الموجودين من المسلمين إنما هم محبون للإسلام، ولا ينبغي أن يتحرجوا من إعلان أن وجود هذا الدين قد توقف منذ أن تخلت آخر مجموعة في الأرض عن تحكيم شريعة الله، ولا يعترف أبدًا بأن هناك جهادًا سلفيًّا في الجزيرة العربية قد قام وجدد الإسلام وأقام دولة تحكم بشريعة الله على أساس التوحيد والكتاب والسنة، أفبعد هذا التكفير للأمة تكفير؟!

فما هو التكفير إذن إذا لم يكن هذا التقرير القوي بالتكفير تكفيرًا أيها العقلاء؟!

* * *

حكم سيد قطب على المجتمعات الإسلامية بأنها مجتمعات مرتدة، وأنها أشد عذابًا عند الله من الكفار الأصليين

قال سيد:

«لقد استدار الزمان كهيئة يوم جاء هذا الدين إلى البشرية، وعادت البشرية إلى مثل الموقف الذي كانت فيه يوم تنزل هذا القرآن على رسول الله ﷺ ويوم جاءها الإسلام مبنيًّا على قاعدته الكبرى: (شهادة أن لا إله إلا الله)... شهادة أن لا إله إلا الله بمعناها الذي عبر عنه ربعي بن عامر رسول قائد المسلمين إلى رستم قائد الفرس وهو يسأله: ما الذي جاء بكم؟ فيقول: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام...

وهو يعلم أن رستم وقومه لا يعبدون كسرى بوصفه إلهًا خالقًا للكون[1]،

---

(١) إن الفرس الذين اندفع المسلمون لجهادهم كانوا مجوسًا يعبدون النار، وعقائدهم وشرائعهم تقوم على الوثنية، والمسلمون يريدون إخراجهم من هذا الشرك بالدرجة الأولى؛ فكيف يغفل سيد قطب هذا ويحاسبهم على الجانب السياسي فقط.

ليس في قول ربعي ما يفيد إلا إخراج الناس من عبادة العباد كالملائكة والأنبياء الصالحين، ولا تعرض فيه للأنظمة، وإنما هو تفسير سياسي فيه تحريف لهذا النص كعادة سيد قطب في تحريف معنى العبادة ومعنى الألوهية إلى الحاكمية والسلطة والأنظمة إلى آخر التحريفات الرهيبة لدعوات الرسل -عليهم الصلاة والسلام-.

وينبغي أن أسوق هنا ما أخرجه البخاري في صحيحه في الجزية حديث (٣١٥٩) عن جبير ابن حية قال «...فندبنا عمر واستعمل علينا النعمان بن مقرن، حتى إذا كنا بأرض العدو خرج علينا عامل كسرى في أربعين ألفًا، فقام ترجمان فقال: ليكلمني رجل منكم. فقال المغيرة: سل عما شئت. قال: ما أنتم؟ قال: نحن أناس من العرب كنا في شقاء شديد، وبلاء شديد، نمص الجلد والنوى من الجوع، ونلبس الوبر والشعر ونعبد الشجر والحجر، فبينا نحن كذلك إذ بعث رب السموات ورب الأرضين -تعالى ذكره وجلت عظمته- إلينا نبيًا من أنفسنا نعرف أباه وأمه، فأمرنا نبينا رسول ربنا ﷺ أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده، أو تؤدوا الجزية، وأخبرنا نبينا عن رسالة ربنا أنه من قتل منا صار إلى الجنة في نعيم لم ير مثلها=

ولا يقدمون له شعائر العبادة المعروفة، ولكنهم إنما يتلقون منه الشرائع، فيعبدونه بهذا المعنى الذي يناقض الإسلام وينفيه، فأخبره أن الله ابتعثهم ليخرجوا الناس من الأنظمة والأوضاع التي يعبد العباد فيها العباد، ويقرون لهم بخصائص الألوهية -وهي: الحاكمية، والتشريع والخضوع لهذه الحاكمية، والطاعة لهذا التشريع، وهي الأديان- . إلى عبادة الله وحدة وإلى عدل الإسلام.

لقد استدار الزمان كهيئته يوم جاء هذا الدين إلى البشرية بـ(لا إله إلا الله)؛ فقد ارتدت البشرية إلى عبادة العباد، وإلى جور الأديان، ونكصت عن لا إله إلا الله، وإن ظل فريق منها يردد على المآذن: لا إله إلا الله؛ دون أن يدرك مدلولها، ودون أن يعني هذا المدلول وهو يرددها، ودون أن يرفض شرعية الحاكمية التي يدعيها العباد لأنفسهم، وهي مرادف الألوهية، سواء ادعوها كأفراد، أو كتشكيلات تشريعية، أو كشعوب؛ فالأفراد كالتشكيلات كالشعوب ليست آلهة، فليس لها إذن حق الحاكمية . . إلا أن البشرية عادت إلى الجاهلية، وارتدت عن لا إله إلا الله، فأعطت لهؤلاء العباد خصائص الألوهية، ولم تعد توحد الله، وتخلص له الولاء. . .

البشرية بجملتها، بما فيها أولئك الذين يرددون على المآذن في مشارق الأرض ومغاربها كلمات لا إله إلا الله؛ بلا مدلول ولا واقع. . . وهؤلاء أثقل إثمًا وأشد عذابًا يوم القيامة؛ لأنهم ارتدوا إلى عبادة العباد من بعد ما تبين لهم الهدى-، ومن بعد أن كانوا في دين الله!

فما أحوج العصبة المسلمة اليوم أن تقف طويلًا أمام هذه الآيات البينات»[(1)(2)].

= قط، ومن بقي منا ملك رقابكم.

فهذا النص يفيد أن الجهاد إنما هو ليعبد الناس الله وحده، وهذا تحقيق لمعنى لا إله إلا الله، والعبادة وأنواعها معروفة، ومن أين فلك أدى الجزية، فهل أداء الجزية عبادة لله يتحقق بها معنى لا إله إلا الله لاسيما بعد إسقاط أنظمة الكفر والشرك، نعوذ بالله من هذا التحريف الخطير الذي لا يعرف له نظير.

(١) في هذا الكلام تكفير واضح للأمة الإسلامية كلها، وحكم عليها بالردة، وأنهم أشد الكفار عذابًا؛ لأنهم ارتدوا بعدما تبين لهم الهدى.

(٢) «في ظلال القرآن» (٢/ ١٠٥٧).

ويقول سيد:

«إنه لا نجاة للعصبة المسلمة في كل أرض من أن يقع عليها هذا العذاب: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾[(١)] ؛ إلا بأن تنفصل هذه العصبة عقيديًا وشعوريًا ومنهج حياة عن أهل الجاهلية من قومها، حتى يأذن الله لها بقيام (دار إسلام) تعتصم بها، وإلا أن تشعر شعورًا كاملًا بأنها هي الأمة المسلمة، وأن ما حولها ومن حولها ممن لم يدخلوا فيما دخلت فيه، جاهلية وأهل جاهلية، وأن تفاصل قومها على العقيدة والمنهج، وأن تطلب بعد ذلك من الله أن يفتح بينها وبين قومها بالحق وهو خير الفاتحين»[(٢)].

ويقول سيد:

«إنه ليس على وجه الأرض اليوم دولة مسلمة ولا مجتمع مسلم قاعدة التعامل فيه هي شريعة الله والفقه الإسلامي»[(٣)].

ويقول سيد:

«فأما اليوم؛ فماذا؟! أين هو المجتمع المسلم الذي قرر أن تكون دينونته لله وحده، والذي رفض بالفعل الدينونة لأحد من العبيد، والذي قرر أن تكون شريعة الله شريعته، والذي رفض بالفعل شريعة أي تشريع لا يجيء من هذا المصدر الشرعي الوحيد؟ لا أحد يملك أن يزعم أن هذا المجتمع المسلم قائم موجود!»[(٤)].

نقول: ليس بعد هذا التكفير العنيف شيء مع معاصرته لجهاد السلفيين في الجزيرة، وإقامتهم دولة إسلامية على التوحيد والكتاب والسنة، ومعاصرته للسلفية في الهند تجاهد بالسيف وفي ميدان الدعوة، وأهلها يقدرون بالملايين، وكذلك دعوة التوحيد كانت قائمة في مصر في عصره على أيدي السلفيين أنصار

---

(١) الأنعام: ٦٥.

(٢) «في ظلال القرآن» (٢/ ١١٢٥).

(٣) «في ظلال القرآن» (٤/ ٢١٢٢).

(٤) «في ظلال القرآن» (٣/ ١٧٣٥).

السنة، والرجل لا يعد هذه المجتمعات إسلامية.

ويقول وهو يتحدث عن حكم تزكية النفس:

«لقد نشأ هذا الحكم -كما نزلت تلك النصوص- في مجتمع مسلم، ليطبق في هذا المجتمع، وليعيش في هذا الوسط، وليلبي حاجة ذلك المجتمع، وفق نشأته التاريخية، ووفق تركيبه العضوي، ووفق واقعه الذاتي؛ فهو من ثم حكم إسلامي، جاء ليطبق في مجتمع إسلامي، وقد نشأ في وسط واقعي، ولم ينشأ في فراغ مثالي.

وهو من ثم لا يطبق ولا يصلح ولا ينشئ آثاره الصحيحة إلا إذا طبق في مجتمع إسلامي... إسلامي في نشأته، وفي تركيبه، وفي التزامه بشريعة الإسلام كاملة، وكل مجتمع لا تتوافر فيه هذه المقومات كلها يعتبر فراغًا بالقياس إلى ذلك الحكم، لا يملك أن يعيش فيه، ولا يصلح له كذلك.

ومثل هذا الحكم كل أحكام النظام الإسلامي، وإن كنا في هذا المقام لا نفصل إلا هذا الحكم، بمناسبة ذلك السياق القرآني»[1].

وهكذا يرى سيد أن المجتمعات الإسلامية اليوم لا يصلح تطبيق أحكام النظام الإسلامي، ولا ينشئ آثاره فيها.

فلو أن حاكمًا من حكام بلدان الإسلام رغب وجد في تطبيق الإسلام في بلده؛ فإن سيد قطب يوجه له هذه النصيحة: إنه لا يصلح تطبيق الإسلام في هذا البلد، ولا ينشئ تطبيق أحكام الإسلام آثاره حتى ينشأ مجتمع إسلامي جديد، تتوافر فيه الشروط التي يشترطها سيد قطب؛ فاعتبروا يا أولي الأبصار!

ويقول سيد قطب مؤكدًا ما سبق، منتقدًا من يفكرون في النظام الإسلامي:

«إن الذين يفكرون في النظام الإسلامي اليوم وتشكيلاته -أو يكتبون-، يدخلون في متاهة! ذلك أنهم يحاولون تطبيق قواعد النظام الإسلامي وأحكامه الفقهية المدونة في فراغ، يحاولون تطبيقها في هذا المجتمع الجاهلي القائم،

---

(١) «في ظلال القرآن» (٤/ ٢٠٠٧).

بتركيبه العضوي الحاضر، وهذا المجتمع الجاهلي الحاضر يعتبر -بالقياس إلى طبيعة النظام الإسلامي وأحكامه الفقهية- فراغًا لا يمكن أن يقوم فيه هذا النظام، ولا أن تطبق فيه هذه الأحكام...

إن تركيبه العضوي مناقض تمامًا للتركيب العضوي للمجتمع المسلم؛ فالمجتمع المسلم -كما قلنا- يقوم تركيبه العضوي على أساس ترتيب الشخصيات والفئات كما ترتبها الحركة لإقرار هذا النظام في عالم الواقع، ولمجاهدة الجاهلية لإخراج الناس منها إلى الإسلام مع تحمل ضغوط الجاهلية، وما توجهه من فتنة وإيذاء وحرب على هذه الحركة، والصبر على الابتلاء وحسن البلاء من نقطة البدء إلى نقطة الفصل في نهاية المطاف.

أما المجتمع الجاهلي الحاضر؛ فهو مجتمع راكد، قائم على قيم لا علاقة لها بالإسلام، ولا بالقيم الإيمانية ... وهو- من ثم- يعد بالقياس إلى النظام الإسلامي وأحكامه الفقهية فراغًا لا يعيش فيه هذا النظام ولا تقوم فيه هذه الأحكام»[1].

وفي هذا الكلام تكفير واضح للمجتمعات الإسلامية، لا يجادل فيه إلا مباهت معاند.

ومن المستغرب: أن سيدًا لا يتململ مما وقعت فيه المجتمعات الإسلامية من انحراف في توحيد الألوهية، والتعلق بالقبور دعاءً واستغاثة، وذبحًا ونذرًا... إلى آخره، ولا يرى ذلك من الضلال، ولا يرى الانحراف إلا في الحاكمية، ثم مع كل هذا يعارض في تطبيق الحاكمية!!

فماذا يريد هذا الرجل؟!

ويقول مؤكدًا ما سبق:

«إن الفقه الإسلامي لا ينشأ في فراغ، ولا يعيش في فراغ كذلك، لا ينشأ في الأدمغة والأوراق، وإنما ينشأ في الحياة، وليس أية حياة، إنما هي حياة المجتمع

---

(١) «في ظلال القرآن» (٤/ ٢٠٠٩).

المسلم على وجه التحديد ومن ثم لابد أن يوجد المجتمع أولًا بتركيبه العضوي الطبيعي، فيكون هو الوسط الذي ينشأ فيه الفقه الإسلامي ويطبق، وعندئذٍ تختلف الأمور جدًا، وساعتها قد يحتاج ذلك المجتمع الخاص -بعد نشأته في مواجهة الجاهلية وتحركه في مواجهة الحياة- إلى البنوك وشركات التأمين وتحديد النسل... إلخ، وقد لا يحتاج!

ذلك أننا لا نملك سلفًا أن نقدر أصل حاجته، ولا حجمها ولا شكلها، حتى نشرع لها سلفًا! كما أن ما لدينا من أحكام هذا الدين لا يطابق حاجات المجتمعات الجاهلية ولا يلبيها... ذلك أن هذا الدين لا يعترف ابتداء بشرعية وجود هذه المجتمعات الجاهلية، ولا يرضى ببقائها ومن ثم فهو لا يعني نفسه بالاعتراف بحاجاتها الناشئة من جاهليتها، ولا بتلبيتها كذلك»[1].

وفي هذا إلى جانب تكفيره للمجتمعات الإسلامية لأجل أن حياتها قامت على غير حاكمية الله، يفهم من كلامه أنه يجيز أن تقوم شركات تأمين في المجتمع الذي سيقيمه سيد وأتباعه، وكذلك يفهم من كلامه أن يجيز تحديد النسل، وهذه فكرة يهودية ناشئة عن سوء الظن بالله.

ويقول سيد بالاشتراكية الغالية، التي منها تأميم الثروات والممتلكات، ولو قامت على الأسس الإسلامية، وهي اشتراكية كافرة، ينشرها ويروج لها الشيوعيون، وقد تقوم هذه الدولة على تشييد القبور ونشر الرفض؛ فماذا يستفيد الإسلام والمسلمون من وراء هذا الهدم والبناء الفاسد؟ والله إن دلائل ما نقوله لتلوح، بل قد قامت في بعض البلدان التي ضاع فيها جهاد المسلمين الطويل المرير.

ويقول سيد قطب مؤكدًا ما سبق[2]:

«إن المحنة الحقيقية لهؤلاء الباحثين أنهم يتصورون أن هذا الواقع الجاهلي هو الأصل الذي يجب على دين الله أن يطابق نفسه عليه! ولكن الأمر غير ذلك

---

(١) «في ظلال القرآن» (٤/ ٢٠١٠)

(٢) «في ظلال القرآن» (٤/ ٢٠١٠).

تمامًا. . . إن دين الله هو الأصل، يجب على البشرية أن تطابق نفسها عليه، وأن تحور من واقعها الجاهلي وتغير حتى تتم هذه المطابقة. . .

ولكن هذا التحور وهذا التغير لا يتمّان عادة إلا عن طريق واحد، هو التحرك في وجه الجاهلية، لتحقيق ألوهية الله في الأرض، وربوبيته وحده للعباد، وتحرير الناس من العبودية للطاغوت، بتحكيم شريعة الله وحدها في حياتهم. . .

وهذه الحركة لابد أن تواجه الفتنة والأذى والابتلاء، فيفتن من يفتن، ويرتد من يرتد، ويصدق الله من يصدقه، فيقضي نحبه ويستشهد، ويصبر من يصبر، ويمضي في حركته حتى يحكم الله بينه وبين قومه بالحق، وحتى يمكن الله له في الأرض، وعندئذ فقط يقوم النظام الإسلامي، وقد انطبع المتحركون لتحقيقه بطابعه، وتميزوا بقيمه. . .

وعندئذٍ تكون لحياتهم مطالب وحاجات تختلف في طبيعتها، وفي طرق تلبيتها عن حاجات المجتمعات الجاهلية ومطالبها وطرق تلبيتها. . . وعلى ضوء واقع المجتمع المسلم يومذاك تستنبط الأحكام، وينشأ فقه إسلامي حي متحرك، لا في فراغ، ولكن في وسط واقعي محدد المطالب والحاجات والمشكلات».

أقول: إن قيام الدعوة إلى الله لإصلاح المجتمعات الإسلامية بإصلاح عقائدهم وعباداتهم وأعمالهم وسياستهم أمر لازم لابد منه، ولكن كل هذا لا يعني ما يقوله سيد قطب من أنه لابد من وجود حركة تنشئ الإسلام من فراغ وتنشئه من جديد في مجتمعات جاهلية كافرة على حد قوله: «وهذه الحركة لابد أن تواجه الفتنة والأذى والابتلاء، فيفتن من يفتن، ويرتد من يرتد. . .» إلخ.

فالداعي إلى الله قد يتعرض للابتلاء فيصبر، وقد يصاب بالعجز والفتور ولا يستمر؛ فكيف يحكم عليه سيد بالردة؟!

ما سبب ذلك إلا تكفير سيد للمجتمعات الإسلامية؛ لأنها لا تؤمن بما جاء به سيد قطب من عقائد وتصورات وفهوم غريبة على الإسلام: عقائده، وفقهه، وسياسته.

ويؤكد مرة أخرى ما قرره سابقًا، فيقول:

«إن هذا المجتمع الجاهلي الذي نعيش فيه ليس هو المجتمع المسلم، ومن ثم

لن يطبق فيه النظام الإسلامي، ولن تطبق فيه الأحكام الفقهية الخاصة بهذا النظام... لن تطبق لاستحالة هذا التطبيق الناشئة من أن قواعد النظام الإسلامي وأحكامه الفقهية لا يمكن أن تتحرك في فراغ؛ لأنها بطبيعتها لم تنشأ في فراغ، ولم تتحرك في فراغ كذلك!

إن المجتمع الإسلامي ينشأ بتركيب عضوي آخر غير التركيب العضوي للمجتمع الجاهلي... ينشأ من أشخاص ومجموعات وفئات جاهدت في وجه الجاهلية لإنشائه، وتحددت أقدارها، وتميزت مقاماتها في ثنايا تلك الحركة.

إنه مجتمع جديد، ومجتمع وليد، ومجتمع متحرك دائمًا في طريقه لتحرير الإنسان؛ كل الإنسان... في الأرض؛ كل الأرض .. من العبودية لغير الله، ولرفع هذا الإنسان عن ذلة العبودية للطواغيت؛ أيًا كانت هذه الطواغيت»[1].

١- يصرح سيد هنا باستحالة تطبيق الأحكام الفقهية الخاصة بالنظام الإسلامي.

٢- يعلل ذلك بأن قواعد النظام الإسلامي وأحكامه الفقهية لا يمكن أن تتحرك في فراغ... إلخ.

٣- وأن المجتمع الإسلامي ينشأ بتركيب عضوي آخر غير التركيب العضوي للمجتمع الجاهلي.

٤- لأنه ينشأ من أشخاص ومجموعات وفئات جاهدت في وجه الجاهلية لإنشائه... إلخ.

٥- ويرى أن هذا المجتمع مجتمع جديد، وليد، متحرك دائمًا، لتحرير الإنسان في كل الأرض من ذل العبودية للطواغيت.

والظاهر أنه يريد بالطواغيت الحكام فحسب، أما شرك القبور؛ فلا يمكن أن يدور بخلده، وأما عبادة الأوثان؛ فما هي إلا أمور ساذجة، ويمكن مؤاخاة أهلها وموادتهم إذا لم يحاربونا، ولو كانوا مجوسًا وشيوعيين ونصارى وغيرهم[2].

---

(١) «في ظلال القرآن» (٤/ ٢٠٠٩-٢٠١٠).

(٢) سيأتي توضيح ما قلناه فيما بعد -إن شاء الله-.

ويؤكد ما سبق من أحكام بعيدة عن العدل والرحمة، فيقول:

«وكذلك من يدرينا أن المجتمع المسلم المتحرك المجاهد سيكون في حاجة إلى تحديد النسل مثلًا؟! وهكذا... وإذا كنا لا نملك افتراض أصل حاجات المجتمع حين يكون مسلمًا، ولا حجم هذه الحاجات أو شكلها، بسبب اختلاف تركيبه العضوي عن تركيب المجتمع الجاهلي، واختلاف تصوراته ومشاعره وقيمه وموازينه... فما هذا العنى في محاولة تحوير وتطوير وتغيير الأحكام المدونة؛ لكي تطابق حاجات هي في ضمير الغيب، شأنها شأن وجود المجتمع المسلم».

ويقول:

«إن نقطة البدء في المتاهة -كما قلنا- هي افتراض أن هذه المجتمعات القائمة هي المجتمعات الإسلامية، وأنه سيجاء بأحكام الفقه الإسلامي في الأوراق لتطبق عليها، وهي بهذا التركيب العضوي ذاته، وبالتصورات والمشاعر والقيم والموازين ذاتها... كما أن أصل المحنة هو الشعور بأن واقع هذه المجتمعات الجاهلية وتركيبها الحاضر هو الأصل الذي يجب على دين الله أن يطابق نفسه عليه، وأن يحور ويطور ويغير في أحكامه ليلاحق حاجات هذه المجتمعات ومشكلاتها المنبثقة أصلًا من مخالفتها للإسلام ومن خروج حياتها جملة من إطاره»[1]

وعلى هذا المقطع من الملاحظات ما يأتي:

١- يبدو أن سيدًا يرى جواز تحديد النسل!

٢- يرى أن المجتمع المسلم لا يزال في ضمير الغيب، وهذا عين التكفير للمجتمعات الإسلامية، وقد عرفت على أي أساس يكفر هذه المجتمعات.

٣- وأن هذه المجتمعات كافرة، وأن افتراض أنها إسلامية: دخول في متاهة.

٤- وأننا لا نملك افتراض أصل حاجات هذا المجتمع؛ لأنه لا علاقة له

---

(١) «في ظلال القرآن» (٤/ ٢٠١١).

بالإسلام؛ بسبب اختلاف تركيبه العضوي عن المجتمع الإسلامي الذي يصلح فيه تطبيق الإسلام ويمكن أن نعرف حاجاته ومتطلباته؛ فهذا المجتمع لا يزال في ضمير الغيب.

* * *

شهادات على سيد قطب وأتباعه بتكفير المسلمين

١- شهادة القرضاوي على سيد قطب وكتبه بالتكفير:

قال القرضاوي في كتابه «أولويات الحركة الإسلامية»(١):

«في هذه المرحلة ظهرت كتب الشهيد سيد قطب، التي تمثل المرحلة الأخيرة من تفكيره، والتي تنضح بتكفير المجتمع، وتأجيل الدعوة إلى النظام الإسلامي بفكرة تجديد الفقه وتطويره، وإحياء الاجتهاد، وتدعو إلى العزلة الشعورية عن المجتمع، وقطع العلاقة مع الآخرين، وإعلان الجهاد الهجومي على الناس كافة، والإزراء بدعاة التسامح والمرونة، ورميهم بالسذاجة والهزيمة النفسية أمام الحضارة الغربية.

ويتجلى ذلك أوضح ما يكون في تفسير «في ظلال القرآن» في طبعته الثانية، وفي «معالم في الطريق»، ومعظمه مقتبس من الضلال، وفي «الإسلام ومشكلات الحضارة»، وغيرها، وهذه الكتب كان لها فضلها وتأثيرها الإيجابي الكبير؛ كما كان لها تأثيرها السلبي»(٢).

وقد قاوم هذا الفكر الأستاذ الهضيبي وآخرون في أبحاث أشرف عليها الهضيبي في كتاب «دعاة لا قضاة».

وقاومه الأستاذ أبو الحسن الندوي في كتابه «التفسير السياسي».

وقاومه العلامة المحدث ناصر الدين الألباني، وكثير من علماء المسلمين.

نسأل الله أن يبصر الأمة وشبابها بالحق في كل ميادين الإسلام، وأن يجنبهم

---

(١) (ص١١٠).

(٢) نأسف لمثل هذا المنهج؛ أعني: منهج الموازنات بين الحسنات والسيئات، الحائد عن منهج الإسلام الذي ضيع شباب الأمة، وقذف في قلوبهم حب البدع وأهلها، ولاسيما مذهب الخوارج في تكفير الأمة، وهون من شأن الرفض والتصوف الغالي، بما فيه وحدة الوجود، فمتى يستيقظ المؤمنون لمثل هذه الحيل.

الغلو والباطل في كل مجال.

٢- شهادة فريد عبد الخالق (أحد كبار الإخوان المسلمين) على سيد قطب وأتباعه بأنهم يكفرون المسلمين:

قال في كتابه «الإخوان المسلمون في ميزان الحق»[١]: «ألمعنا فيما سبق إلى أن نشأة فكر التكفير بدأت بين شباب بعض الإخوان في سجن القناطر في أواخر الخمسينات وأوائل الستينات، وأنهم تأثروا بفكر الشهيد سيد قطب وكتاباته، وأخذوا منها أن المجتمع في جاهلية، وأنه قد كفر حكامه الذين تنكروا لحاكمية الله بعدم الحكم بما أنزل الله، ومحكوميه إذا رضوا بذلك». [٢]اهـ

ويقول فريد عبد الخالق:

«إن أصحاب هذا الفكر وإن تعددت جماعاتهم، يعتقدون بكفر المجتمعات الإسلامية القائمة، وجاهليتها جاهلية الكفار، قبل أن يدخلوا في الإسلام في عهد الرسول ﷺ، ورتبوا الأحكام الشرعية بالنسبة لهم على هذا الأساس، وحددوا علاقاتهم مع أفراد هذه المجتمعات طبقًا لذلك، وقد حكموا بكفر المجتمع لأنه لا يطبق شرع الله، ولا يلتزم بأوامره ونواهيه.

ومنهم من قال بعدم كفر مخالفيهم ظاهريًا، وقالوا بنظرية (المفاصلة الشعورية)، فأجاز هذا الفريق الصلاة خلف الإمام الذي يؤم المصلين المسلمين في سجونهم ومتابعته في الحركات دون النية، وقالوا بعدم تكفير زوجاتهم، وأجلوا كفرهم[٣] على أساس نظرية (مرحلية الأحكام)، وأنهم في عصر الاستضعاف -أي: العهد المكي- بأحكامه التي نزلت إبانه، فلا تحرم المشركات، ولا الذبائح، ولا تجب صلاة الجمعة ولا العيدين، ولا يجوز الجهاد، ويكفرون من لم يؤمن بفكرهم، وأخذوا ببعض أساليب الباطنية في

---

(١) (ص١١٥).

(٢) (ص١١٥).

(٣) لعله أراد: نكاحهم.

(التقية)، ألا يذكروا أسرار معتقداتهم لغيرهم، ويظهرونها لخواصهم وأتباع فكرهم، وذلك عندهم ضرورة حركية.

وطائفة تمسكت بالمماصلة الصريحة، وكفرت مخالفيهم ومن كان معهم، ومنهم جماعة الإخوان المسلمين، ومرشدهم، وآباؤهم، وأمهاتهم، وزوجاتهم، وهم جماعة (التكفير والهجرة)، الذين يسمون أنفسهم (جماعة المؤمنين)»[1].

٢- شهادة علي جريشة (وهو من كبار الإخوان المسلمين):

قال بعد أن تحدث عن غلو الخوارج وتكفيرهم لعلي وأصحابه:

«وفي الحديث انشقت مجموعة على جماعة إسلامية كبيرة إبان وجودهم في السجون. . ومع ذلك لجأت تلك المجموعة إلى تكفير الجماعة الكبيرة؛ لأنها لا تزال على رأيها في تكفير الحاكم، وأعوان الحاكم، ثم المجتمع كله، ثم انشقت المجموعة المذكورة إلى مجموعات كثيرة، كل منها يكفر الأخرى»[2].

كلام لشيخ الإسلام ابن تيمية في سياق حديثه عن الحكم بغير ما أنزل الله:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

«وقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[3]، ولا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر، فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدلًا من غير اتباع لما أنزل الله؛ فهو كافر؛ فإنه ما من أمة إلا وهي تأمر بالحكم بالعدل، وقد يكون العدل في دينها ما رآه أكابرهم.

بل كثير من المنتسبين إلى الإسلام يحكمون بعاداتهم التي لم ينزلها الله، كسوالف البادية، وكأوامر المطاعين فيهم، ويرون أن هذا هو الذي ينبغي الحكم به دون الكتاب والسنة، وهذا هو الكفر؛ فإن كثيرًا من الناس أسلموا، ولكن مع هذا لا يحكمون إلا بالعادات الجارية لهم، التي يأمر بها المطاعون.

---

(١) (ص١١٨).

(٢) راجع كتابه «الاتجاهات الفكرية المعاصرة» (ص٢٧٩).

(٣) المائدة: ٤٤.

فهؤلاء إذا عرفوا أنه لا يجوز الحكم إلا بما أنزل الله، فلم يلتزموا ذلك، بل استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله؛ فهم كفار، وإلا كانوا جهالًا كمن تقدم أمره.

وقد أمر الله المسلمين كلهم إذا تنازعوا في شيء أن يردوه إلى الله والرسول، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[1].

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[2].

فمن لم يلتزم تحكيم الله ورسوله فيما شجر بينهم؛ فقد أقسم الله بنفسه أنه لا يؤمن، وأما من كان ملتزمًا لحكم الله ورسوله باطنًا وظاهرًا، لكن عصى واتبع هواه؛ فهذا بمنزلة أمثاله من العصاة.

وهذه الآية مما يحتج بها الخوارج على تكفير ولاة الأمر الذين لا يحكمون بما أنزل الله، ثم يزعمون أن اعتقادهم هو حكم الله، وقد تكلم الناس بما يطول ذكره هاهنا، وما ذكرته يدل عليه سياق الآية.

والمقصود: أن الحكم بالعدل واجب مطلقًا في كل زمان ومكان على كل أحد، ولكل أحد، والحكم بما أنزل الله على محمد ﷺ هو عدل خاص، وهو أكمل أنواع العدل وأحسنها، والحكم به واجب على النبي ﷺ وكل من اتبعه، ومن لم يلتزم حكم الله ورسوله؛ فهو كافر، وهذا واجب على الأمة، في كل ما تنازعت فيه من الأمور الاعتقادية والعملية»[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في معنى قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[4].

(١) النساء: ٥٩.

(٢) النساء: ٦٥.

(٣) «منهاج السنة» (٣/ ٣٢-نشر مكتبة الرياض الحديثة).

(٤) التوبة: ٣١.

«وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا، حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله، يكونون على وجهين:

أحدهما: أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله، فيتبعونهم على التبديل، فيعتقدون تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله؛ اتباعًا لرؤسائهم، مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل؛ فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركًا، وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم، فكان من اتبع غيره في خلاف الدين مع علمه أنه خلاف للدين، واعتقد ما قاله ذلك دون ما قاله الله ورسوله مشركًا مثل هؤلاء.

الثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحرام وتحليل الحلال ثابتًا، لكنهم أطاعوهم في معصية الله، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاص، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «إنما الطاعة في المعروف».

ثم ذلك المحرِّم للحلال والمحلل للحرام إن كان مجتهدًا قصده اتباع الرسل، لكن خفي عليه الحق في نفس الأمر، وقد اتقى الله ما استطاع؛ فهذا لا يؤاخذه الله بخطئه، بل يثيبه على اجتهاده الذي أطاع به ربه.

ولكن من علم أن هذا أخطأ فيما جاء به الرسول ﷺ، ثم اتبعه على خطئه، وعدل عن قول الرسول ﷺ؛ فهذا له نصيب من هذا الشرك الذي ذمه الله، لاسيما إن اتبع ذلك هواه ونصره باليد واللسان، مع علمه أنه مخالف للرسول ﷺ؛ فهذا شرك يستحق صاحبه العقوبة عليه؛ ولهذا اتفق العلماء على أنه إذا عرف الحق لا يجوز له تقليد أحد في خلافه»[1].

* * *

(١) انظر: «كتاب الإيمان» (ص٦٧-٦٨) نشر المكتب الإسلامي، و«فتح المجيد» (ص١١١- المكتبة التجارية).

مزيد بالقلم
مزيد بالقلم
مزيد بالقلم

فهرس الموضوعات

مزيد بلقاسم
مزيد بلقاسم
مزيد بلقاسم

فهرس «الحد الفاصل بين الحق والباطل»

* * *

فهرس «العواصم مما في كتب سيد قطب من القواصم»

* * *

فهرس «نظرات في كتاب «التصوير الفني في القرآن الكريم» لسيد قطب»

* * *

فهرس «ينبوع الفتن والأحداث الذي ينبغي للأمة معرفته ثم ردمه»

* * *

فهرس «أطوار سيد قطب في وحدة الوجود»

* * *

فهرس «نقد كتاب الثقافة الإسلامية»

* * *

فهرس «نظرة سيد قطب إلى أصحاب رسول الله ﷺ»

* * *

فهرس سيد قطب هو مصدر تكفير المجتمعات الإسلامية

* * *

* * *